الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
–قسنطينة–

كلية الآداب والحضارة الإسلامية
–قسم اللغة العربية–

الرقم التسلسلي: .....

رقم التسجيل: .....

الاستفهام بالهمزة في الحديث النبوي الشريف

–دراسة نحوية بلاغية–

بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه ل.م.د

شعبة: العلوم الإنسانية والاجتماعية تخصص: اللغة العربية والدراسات القرآنية

إعداد الطالب:

موسى حمّودي

إشراف:

أ.د عبد الوهاب شيباني

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة الأصلية	الصفة
أ.د/ رابح دوب	أستاذ التعليم العالي	جامعة الأمير عبد القادر –قسنطينة–	رئيسا
أ.د/ عبد الوهّاب شيباني	أستاذ التعليم العالي	جامعة الإخوة منتوري–قسنطينة–	مشرفا ومقررا
أ.د/ ذهبية بورويس	أستاذ التعليم العالي	جامعة الأمير عبد القادر –قسنطينة–	عضوا
أ.د/ عبد الناصر بن طنّاش	أستاذ التعليم العالي	جامعة الأمير عبد القادر –قسنطينة–	عضوا
د/ رشيد فلكاوي	أستاذ محاضر أ	المدرسة العليا للأساتذة، آسيا جبار–قسنطينة–	عضوا
د/ عيسى مومني	أستاذ محاضر أ	جامعة الإخوة منتوري–قسنطينة–	عضزا

السنة الجامعية: 1441–1442هـ/ 2020–2021م

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

شكر و تقدير

اللهم لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك، ولك الحمد يا الله على ما يسَّرت ولك الحمد على ما وفقت، لا نحصي عليك ثناء عليك كما أثنيت على نفسك.

وإن كان لا بد من نسبة الفضل لأهله وتأسيا بقوله -ﷺ-: «لَا يَشْكُرُ اللَّهَ مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ»؛ فأول من ينبغي شكره والداي الكريمان على ما قدماه لي من حسن تربية وتنشئة، فقد تعبا من أجل تحصيلي العلم ولم يبخلا عليّ بشيء ﴿وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾، كما أقرر أسمى عبارات الشكر والتقدير **للمشرف أ.د/ عبد الوهَّاب شيباني** على رحابة صدره لمرافقته لي طيلة فترة البحث إذ لم يبخل علي بالنصح التوجِيه حتى تكامل بناء البحث واستوى على سوقه، كما أتوجه بالشكر والتّقدير مرة أخرى للذي لقنني الأدب بخلقه السمح وعطفه الأبوي **أ.د/ عبد الناصر بن طنَّاش**، وفي هذا المقام أتوجه بأسمى عبارات الشكر والاحترام والتقدير لرئيس المشروع **أ.د/ ذهبية بورويس** التي كان لها الفضل الكبير في توجيهي لاختيار موضوع البحث، كما لا يفوتني شكر الفاضل الْكَرِيمِ أ.د/ رياض بن الشيخ الحسين الذي أفدت من نصحه وتوجيهه الشيء الكثير، كما لا يفوتني أن أصل الشكر الخالص للأستاذة د.عزيزة سلّولة؛ فاللهم اجزِهم من الخير أجزله ومن الثواب أعظمه.

كما يطيب لي في هذا المقام أن أشكر رئيس المجلس العلمي **أ.د/ رابح دوب** على تزكيته لهذا الموضوع وحرصه وعنايته بالدراسات المتعلقة بالقرآن الكريم والحديث الشريف، وفي هذا المقام أشكر لجنة المناقشة الموقّرة على تجشُّمها عناء قراءة البحث وتقويم عثراته، ولا يفوتني أن أتوجه بأسمى عبارات الشكر والتقدير للأسرة الجامعية بالجامعة الإسلامية– الأمير عبد القادر – صرح العلم والمعرفة، وأخص بالذكر قسم اللغة العربية، وموظفي مكتبة أحمد عروة ومكتبة الآداب، وكل من ساهم في هذا البحث من قريب أو بعيد.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

مقدّمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

مقدّمة:

الحمد لله على إنعامه وتفضله وإكرامه، وتوفيقه وإحسانه، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين محمد وآله وصحبه أجمعين؛ ثم أما بعد:

من المقرر أن اللغة ظاهرة إنسانية مهمة، لما تضمنه من تواصلية ونقل للمعارف إذ لا بد لها من الفاعلية والوظيفية، وتزيد أهميتها مرتبة إذا تعلق الأمر بخطاب مقدس مثل الحديث النبوي الشريف الذي حف بالعناية الإلهية، فلم ينطق النبي –ﷺ– إلا عن ميراث نبوة، وهذه الميزة تفتقدها الخطابات الأخرى دون أدنى شك، فهي لغة فريدة في نظام تركيبها، فاستوعب كلام العرب وأساليبها، فلم تشذ عنه قيد أنملة، مما فرض علينا استجماع الهمة في ركوب الصعب، وتيميم القصد نحو فصاحته–ﷺ–، في حين «قد غلب في هذا الأوان من اختلاف الألسنة والألوان، حتى لقد أصبح اللحن في الكلام مردودا، وصار النطق بالعربية من المعايب معدودا، وتنافس الناس في تصانيف الترجمانات في اللغة الأعجمية، وتفاصحوا في غير اللغة العربية»، فحسبنا المحاولة، ومن الله التوفيق والسداد والعون والإمداد.

يهدف هذا البحث الموسوم: **الاستفهام بالهمزة في الحديث النبوي الشريف –دراسة نحوية بلاغية–** إلى الكشف عن بعض الوجوه النحوية والبلاغية التي اشتمل عليها الحديث النبوي الشريف، وذلك بدراسة أسلوب الاستفهام بالهمزة، بجمع شتات مسائله المتفرقة في أمهات مصادر النحو والبلاغة، ومحاولة مقاربة الحديث الشريف مقاربة لغوية، للوصول إلى أهمية النص النبوي الشريف في الدرس اللغوي الحديث، ذلك لأنه نص مقدس وجبت العناية به والمساهمة في خدمته.

ترجع أسباب اختيار الموضوع محل الدراسة إلى ذاتية وأخرى موضوعية نجملها في النقاط الآتية:

– الرغبة الملحة في خدمة الأصل الثاني من أصول العربية، ألا وهو الحديث الشريف، ومحاولة إبراز أهم الخصائص اللغوية التي اشتمل عليها.

– محاولة الكشف عن أسلوب لغوي لا يخلو استعماله في المحادثات اليومية وهو أسلوب الاستفهام، برصد أسراره للوصول إلى مقاصده الأسلوبية، ومقاربتها بالحديث النبوي الشريف.

– مقاربة مدى شيوع أسلوب الاستفهام بالهمزة في خطاب النبي-ﷺ- وكيف جاء توظيفه في محاوراته الدعوية والتشريعية.

– قلة الدراسات -في تقديري- المهتمة بالحديث النبوي الشريف من الناحية اللغوية، وبخاصة المسائل الجزئية المتعلقة بهمزة الاستفهام، فكان البحث محاولة لإثراء حقل الدراسات اللغوية المتعلقة بالحديث الشريف.

لا بد للباحث الحصيف من مصادر يتكئ عليها أثناء بحثه، ليرى قيمة مساهمته؛ وأثناء ضبط الموضوع وتحديد معالمه، بدأت عملية البحث عن الدراسات السابقة في هذا الشأن، إذ وجدنا الكثير من الدراسات السابقة التي لها علاقة بالموضوع أو التي تتقاطع معه في أحد روافده، وهذه الدراسات تتعلق في مجملها بأسلوب الاستفهام من الناحية البلاغية والنحوية وتطبيقاتها في القرآن الكريم وكلام العرب، وعلى كثرتها واختلاف مضمونها وفحواها و استقاء مادتها، فإذا ذهبنا لمقارنتها بما تعلق منها بدراسة أسلوب الحديث الشريف، نجد هذا الأخير لم يحظ بالعناية الكافية من قبل الدارسين، فكانت قليلة بالنسبة لدراسة أساليب القرآن الكريم والشعر العربي؛ حيث لا ينفي وجود دراسات قيمة والتي اهتمت بلغة الحديث وأسلوبه؛ ومن هذه الدراسات التي تعرضت لأسلوب الاستفهام في الحديث الشريف ما يأتي ذكره:

– **الأساليب الطلبية وآداءاتها الإبلاغية في الحديث النبوي الشريف –مقاربة تداولية–** الجمعي حميدات، إشراف د/ محمد بوادي، رسالة دكتوراه، كلية الآداب واللغات، جامعة محمد لامين دباغين، سطيف، الجزائر، 2014م-2015م

– **أسلوب الاستفهام في الأحاديث النبوية في رياض الصالحين –دراسة نحوية بلاغية تداولية–**، ناغش عيدة، إشراف د/ بوجمعة شتوان، كلية الآداب واللغات، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر، 2012م.

– **أساليب المعاني في موطأ الإمام مالك –دراسة بلاغية تحليلية–**، هادية رحمة الله أحمد العبيد، إشراف أد/ محمد الحسن علي الأمين، رسالة دكتوراه، كلية اللغة العربية، جامعة أم درمان، 1433هـ-2012م.

– **أسلوب النداء في الحديث النبوي الشريف من خلال صحيح البخاري–دراسة معيارية–**، حياة بن ناجي، إشراف د/ صالح بلعيد، رسالة ماجستير، كلية الآداب واللغات، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر.

– **التأويل النحوي في الحديث الشريف**، فلاح إبراهيم الفهدي، إشراف د/ طه حسن العاني، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة بغداد، العرق، 1427هـ-2006م.

– **توظيف سياق الحال في فهم المعنى عند النحويين والبلاغيين والأصوليين**، حسين زعطوط، إشراف د/ عبد المجيد عيساني، رسالة دكتوراه، كلية الآداب واللغات، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، 2012-2013م.

– **الحوار في الحديث النبوي الشريف–دراسة تحليلية بلاغية لأحاديث مختارة–**، علوة بنت عابد عبد الله الحساني، إشراف د/ عبد الموجود متولي بهنسي، رسالة ماجستير، قسم اللغة العربية، جامعة أم القرى، 1429هـ-1430هـ.

– **شواهد ابن مالك من الحديث النبوي الشريف في كتاب شرح التسهيل –تخريج ودراسة–**، محمد كمال درويش، إشراف د/ ياسر أحمد الشمالي، رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، 2007م.

تطرق الباحثون في هذه الدراسات التي بين أيدينا إلى الخطاب النبوي الشريف من زوايا مختلفة، حيث لم يركزوا على أسلوب الاستفهام –اللهم بعضها–، ومن أهم الدراسات التي تتقاطع مع بحثنا نجد: **أسلوب الاستفهام في الأحاديث النبوية في رياض الصالحين**، للباحث ناغش عيدة، حيث بحثت أسلوب الاستفهام بجميع أدواته دون استثناء في الحديث النبوي الشريف، وعلى الرغم من تخصصها في الاستفهام إلا أنها لم تركز على المسائل الجزئية التي تخص أسلوب الاستفهام بالهمزة فيما يتعلق بالجانب النحوي والبلاغي، فكانت دراسة متسمة بالعموم في طرقها سيما أن الباحث عرض لجميع الأساليب الإنشائية الطلبية في رياض الصالحين؛ ومن الدراسات التي تعرضت لأسلوب الاستفهام بمزيد عناية نجد: **الأساليب الطلبية وآداءاتها الإبلاغية في الحديث النبوي الشريف** للباحث جمعي حميدات؛ البحث تطرق إلى جميع الأساليب الطلبية التي تضمنها الحديث الشريف دون استثناء وطبق عليها المنهج التداولي، الأمر الذي أكسب الدراسة نفسا

جديدا من حيث الاستعانة بالمناهج اللغوية الحديثة في التحليل، أما الدراسات الأخرى فكانت إشارتها عرضية إذ لم يكن الهدف منها دراسة أسلوب الاستفهام وتخصيصه بالبحث؛ ما جعلها تشير إلى أسلوب الاستفهام بشكل عام دون تخصيص أحد أدواته بالبحث والتنقيب، ناهيك عن أصل أدواته وهي الهمزة؛ ولا نزعم أننا جئنا بالجديد في هذا البحث، لكننا حاولنا قدر الإمكان أن نجمع ما تفرق في هذه الدراسات وما تعلق منها بموضوع الاستفهام بالهمزة في الحديث الشريف بالاعتماد على بعض مناهج التحلل اللغوي.

الحديث النبوي الشريف حافل بالأساليب الإنشائية الطلبية، وعلى رأسها أسلوب الاستفهام الذي تعددت استعمالاته وأغراضه في متون الحديث الشريف، حيث كانت الهمزة أكثر الأدوات ترددا في الاستفهام، لخصائص ميزتها عن غيرها من الأدوات، ما جعل البحث ينطلق من عدة تساؤلات أفضت إلى طرح إشكال مفاده:

يكثر مجيء الاستفهام بالهمزة في الحديث النبوي الشريف ما يجعل تركيبه مثقلا بالمعاني؛ ماذا أضفت الهمزة على تركيب أسلوب الاستفهام في الحديث النبوي الشريف، وماذا أكسبته من دلالات نحوية ومعاني بلاغية؟ ما المعاني التي يضفيها السياق والملابسات على تركيب الاستفهام بالهمزة في الحديث الشريف؟

وللإجابة عن هذا الإشكال اقتضى البحث اعتماد المنهج الوصفي التحليلي، وذلك بالعودة إلى كتب النحو والبلاغة ورصد آراء العلماء حول قضية الاستفهام بالهمزة وعلاقتها بعناصر التركيب ومساهمتها في إنتاج الدلالة وتنوعها، ومن ثمة محاولة تحليل نصوص الحديث الشريف والتطبيق عليها لاستخلاص أهم الخصائص النحوية والبلاغية التي اشتمل عليها للكشف عن جانب يسير من جوانب فصاحته-ﷺ-.

اقتضت طبيعة البحث أن يكون في مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول وخاتمة، ولعل هذا راجع لدقة الموضوع لتعلقه بحرف واحد من حرفي الاستفهام وهو همزة الاستفهام من جهة، وصعوبة إحاطته بخطة علمية محكمة للوصول بالبحث إلى هدفه المنشود، وجمع المادة العلمية وتوزيعها في شكل ينسجم مع موضوع البحث من جهة أخرى؛ لذا كانت معالم البحث مرتسمة وفق الخطة الآتي ذكرها:

المقدمة: اشتملت على تقديم لموضوع البحث من تعريف به ورسم أبعاده وأهداف الباحث فيه، وذلك بعرض مشكلة البحث والمنهج المتبع، وعرض أهم الدراسات السابقة ونقدها.

تمهيد: تطرقنا فيه إلى ضبط مصطلحات عنوان البحث و التي يكثر ترددها أثناءه، بتعريف الاستفهام والحديث النبوي الشريف، كما تطرقنا إلى مكانة الحديث النبوي في الدراسات اللغوية القديمة والحديثة، كما تعرض أيضا إلى ضبط بعض المصطلحات التي يكثر مداولتها في كتب النحو خاصة، وقد اعتمدنا بعض مناهج التحليل اللغوي أثناء الدراسة ما استوجب علينا التعريف بها وبيان وجه الاستفادة منها في التحليل.

الفصل الأول: أسلوب الاستفهام بالهمزة من المنظور اللغوي

تضمن الفصل ثلاثة مباحث؛ المبحث الأول كانت الغاية منه كشف عناية النحاة بأسلوب الاستفهام ومعرفة موقعه من مباحث علم النحو، واهتمامهم بتقسيم استعمالات أدواته بين التصور والتصديق، كما حاولنا أن نشير إلى تركيب الاستفهام في النص القرآني الكريم وكلام العرب؛ أما المبحث الثاني تطرقنا فيه إلى المنظور البلاغي لأسلوب الاستفهام ومن ثمة حاولنا أن نجمل القول في ماهية الاستفهام عند البلاغيين القدامى والمحدثين، وخروج الاستفهام من الحقيقة إلى المجاز لإفادة أغراض بلاغية، أضف إلى ذلك موقع أسلوب الاستفهام من مباحث علم البلاغة، أما العنصر الأخير من هذا المبحث فكانت الغاية منه بيان العلاقة بين ظاهرة الحذف والاقتصاد اللغوي؛ أما المبحث الثالث كانت الغاية منه بيان الثراء الدلالي لأسلوب الاستفهام بالهمزة من الناحية الوظيفية وأهميته في تحقيق التواصلية، وأثر السياق والتنغيم في فهم فحواه، والهدف من تخصيص أسلوب الاستفهام بأدوات تكون دليلا عليه.

الفصل الثاني: الخصائص النحوية لأسلوب الاستفهام بالهمزة في الحديث النبوي الشريف

خصص هذا الفصل للتطبيق وذلك باختيار عينات من الأحاديث الشريفة ومحاولة تحليلها من الناحية النحوية، حيث كان في ثلاثة مباحث، جاء المبحث الأول للحديث عن أدوات الاستفهام وتطبيقاتها في الأحاديث النبوية الشريفة، أما المبحث الثاني تطرقنا فيه إلى أحوال الهمزة في تركيبة الاستفهام في الحديث النبوي الشريف وتطفلها على عناصره كما عالجنا قضية حذف همزة الاستفهام وعلاقتها بأم المتصلة، أما المبحث الأخير خصص للحديث عن حروف الجواب والتصديق واستعمالاتها في النفي والإثبات وكيف كانت ردوده -ﷺ-.

الفصل الثالث: الخصائص البلاغية لأسلوب الاستفهام بالهمزة في الحديث النبوي الشريف

خصص الفصل الثالث للتطبيق، حيث اقتضت طبيعة المادة أن يقسم إلى مبحثين، تطرقنا في المبحث الأول إلى الحديث عن الخصائص الأسلوبية للاستفهام بالهمزة في الحديث الشريف، أما المبحث الثاني تطرقنا فيه إلى الجانب البلاغي ودوران الاستفهام بالهمزة في الحديث الشريف بين الحقيقة والمجاز والأغراض التي يخرج إليها، حيث قسمنا هذه الأغراض إلى أصلية وأخرى فرعية تفهم من السياق، ثم ختمنا المبحث بالحديث عن الأغراض البلاغية التي يخرج إليها الاستفهام الذي حذفت منه الهمزة.

الخاتمة: أما الخاتمة فقد تضمنت أهم النتائج التي توصل إليها البحث.

تنوعت مصادر البحث ومراجعه، وهذا لخصوصية الحديث الشريف وطبيعة الدراسة، فقد اعتمدنا على مجموعة من المصادر التراثية الأصيلة لاستقاء المادة العلمية؛ فتنوعت بين كتب النحو العربي مثل: **الكتاب** لسيبويه **وشروح الألفية ومغني اللبيب** وغيرها، ولم نغفل كتب النحاة التي اهتمت بالحديث الشريف مثل: **شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح** لابن مالك و **إعراب ما يشكل من ألفاظ الحديث النبوي** للعكبري، وأما كتب البلاغة فاعتمدنا على طائفة نذكر منها: **دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة** لعبد القاهر الجرجاني **وشروح التلخيص ومختصر المعاني في البلاغة** لسعد الدين التفتزاني و **الإيضاح في علوم البلاغة** للخطيب القزويني **ومفتاح العلوم** للسكاكي؛ وأما كتب شروح الحديث فنذكر منها: **فتح الباري بشرح صحيح البخاري** لابن حجر العسقلاني **وفتح المنعم شرح صحيح مسلم** لموسى شاهين لاشين **وسنن النسائي بشرح السيوطي وحاشية السندي** للسيوطي و**المنتقى شرح موطأ الإمام مالك** لأبي الوليد الباجي، أما عن نماذج الحديث الشريف فحاولنا اعتماد النسخ المشهورة لكتب الحديث الموثوق والمقطوع بصحتها عند جمهور الدارسين **كالصحيحين** للبخاري ومسلم وكتب السنن، إلى جانب كتب اللغة والتفسير المختلفة والاستئناس بما استجد من البحوث والدراسات من رسائل وأطاريح جامعية ومقالات علمية لا تعدم فائدتها في البحث .

وفي الأخير فلا بد من نسبة الفضل لأهله، فأتقدم بالشكر لأستاذي المشرف على البحث الأستاذ الدكتور: عبد الوهاب شيباني على كل ما تجشمه من عناء في توجيهي طيلة أطوار هذا البحث ومراحله، وعلى تحمله وصبره علي، وعلى ما أنفقه من جهد ووقت حتى يستوي وتكتمل معالمه، فالله أسأل أن يديم عليه لباس العافية، وأن يجزل له الثواب في الدنيا والآخرة، كما لا يفوتن أن أشكر **لجنة المناقشة الموقرة** على ما ستبديه من توجيهات وتصويبات لهذا البحث؛ أسأل الله تعالى أن أكون قد وفقت في هذا البحث، فهذا جهد بشر يخطئ ويصيب، فما كان فيه من إصابة فمن الله وحده، وما كان فيه من خلل فمن تقصيري ومن الشيطان.

هذا، وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تمـهيـــد:

أولا: تعريف الاستفهام

ثانيا: تعريف الهمـز

ثالثا: تعريف الحديث النبوي الشريف

رابعا: مصدرية الحديث النَّبوي الشريف في الدرس اللغوي عند القدماء والمحدثين

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تمهيـــــــــد:

أولا: تعريف الاستفهـام

1- الاستفهام لغة: تدل مادة (فهم) في اللغة على طلب الفهم والعلم بالشيء والإحاطة به فقد جاء في المقاييس أن «الفاء والهاء والميم: علْمُ الشَّيء، كذا يقول أهل اللغة، وفَهْمٌ: قبيلة»[1]،و«فَهِمَ: فَهِمَهُ كَفَرِحَ، فَهْماً بالفتح: ويُحَرَّكُ وهي أفصح، وفَهَامَةً وهذه عن سيبويه (ت180هـ)، ويكسرُ فَهَامِيَةً كعَلَانِيَةً: أي علمه وعرفه بالقلب، فيه إشارة إلى الفرق بين الفَهْمِ والعِلْمِ، فإن العلم مطلق الإدراك، وأما الفهم فهو سرعة انتقال النفس من الأمور الخارجية إلى غيرها ... واستفهمني: طلب مني فَهْمَهُ فأَفْهَمْتُهُ إيَّاهُ، وفَهَّمْتُهُ تَفْهِيمًا: جعلته يَفْهَمُهُ»[2]، وفي لسان العرب: «الفَهْمُ: معرفتُك الشيء بالقلب، فَهِمَهُ فَهْمًا وفَهَمًا وفَهَامَةً، عَلِمَهُ، وفهِمْتُ الشَّيْءَ: عقَلْتُهُ وعَرَفْتُهُ، وفَهَّمْتُ فُلانًا وأفْهَمْتُهُ، وتَفَهَّمَ الكلام، فَهِمَهُ شَيْئاً بعد شَيْءٍ، ورجُلٌ فَهِمٌ سريع الفَهْمِ، ويُقَالُ: فَهْمٌ وفَهَمٌ، وأفْهَمَهُ الأمر فَهَّمَهُ إيَّاهُ، جعله يفهمه، واسْتَفْهَمَهُ: سأَلَهُ أنْ يُفَهِّمَهُ؛ وقد اسْتَفْهَمَني الشَّيْءَ فأَفْهَمْتُهُ وفَهَّمْتُهُ تفْهِيمًا»[3].

الاستفهام في اللغة مشتق من مادة (فهم) ومعناه العلم والمعرفة بالحواس أو القلب، وإذا كان بهذا المعنى فهو نظير للاستخبار لأنَّ «الاستخبار: طلب خبر ما ليس عند المستخبر وهو الاستفهام»[4]، وهناك من يفرق بينهما حيث يرى الاستخبار أدنى مرتبة من الاستفهام « وذكر ناس أن بين الاستخبار والاستفهام أدنى فرق، قالوا: وذلك أن أولى الحالين الاستخبار لأنك تستخبر فتجاب بشيء، فربما فهمته وربما لم تفهمه، فإذا سألت ثانية فأنت مستفهم تقول: أفهمني ما قلته لي، قالوا: والدليل على ذلك أن الباري جل ثناؤه يوصف بالخبر ولا

1- مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دط، دار الفكر، 1399هـ-1979م، مادة (فهم)، ج4، ص457.

2- تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تحقيق إبراهيم الترزي، ط1، الكويت، 1421هـ-2000م، مادة (فهم)، ج33، ص224.

3- لسان العرب، جمال الدين ابن منظور، مادة (فهم)، مج4، ص 3481.

4- الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، أبو الحسين أحمد بن فارس، تحقيق عمر فاروق الطباع، ط1، مكتبة العارف، بيروت لبنان، 1414هـ-1993م، ص186.

يوصف بالفهم»[1]؛ ومما يستفاد من هذا الكلام أن الاستخبار أدنى مرتبة من الاستفهام ذلك أن المستخبر إذا لم يحظ على إجابة أعاد السؤال مرة أخرى فيكون بذلك مستفهما لا مستخبراً.

2- اصطلاحا: الاستفهام في الاصطلاح: «طلب ما في الخارج أن يحصل في الذهن من تصور أو تصديق موجب أو منفي»[2]، ويذهب صاحب التعريفات في تعريفه إلى أنه: « استعلام ما في ضمير المخاطب»[3] وهناك من اكتفى بالمدلول اللغوي ولم يضف شيئا فقال: أن الاستفهام هو طلب الفهم[4]، وجاء في معجم المصطلحات «حقيقة الاستفهام طلب المتكلم من مخاطبه أن يحصل في ذهنه ما لم يكن حاصلا عنده مما سأله عنه»[5].

وانطلاقا من التعريفات السابقة نخلص إلى أن الاستفهام له معاني متقاربة تدور في مجملها حول طلب العلم بالشيء لم يكن معلوما في الذهن، وهذا الطلب في حقيقته إنما هو في الأصل استجابة لمثير يحفز السائل إلى معرفة سببه فيطلبه بالسؤال، ومنه فإن السؤال: «هو طلب الجواب بأداته في الكلام وهو مبني على أربعة أصول: أحدها سائل، والثاني مسئول به، والثالث مسئول منه، والرابع مسئول عنه، ولا بد لكل أصل من هذه الأصول من وصف يصح به السؤال عند وجوده ويفسد عن عدمه»[6]؛ فهذا كلام يلخص لنا تركيب أسلوب الاستفهام فلا بد من مستفهم ومستفهم عنه وأداة وصيغة وهو التركيب الذي يحمل أسلوب الاستفهام، وسنأتي على بيان مصطلح الاستفهام بشيء من التفصيل عند علماء البلاغة بين المتقدمين والمتأخرين.

ثانيا: تعريف الهمـزة[7] عند النحاة والقراء:

1- الهمزة لغة: «الهاء والميم والزاي كلمة تدل على ضغط وعصر، وهمزت الشيء في كفي، ومنه الهمز في الكلام كأنه يضغط على الحرف، ويقولون همز به الأرض، وقوس هَمْزَى شديدة الدفع للسهم، والهماز العياب،

1- الصاحبي في فقه اللغة، مرجع سابق، ص186.

2- المصباح في المعاني والبيان والبديع، بدر الدين بن مالك المعروف بابن الناظم، تحقيق حسني عبد الجليل يوسف، ط1، مكتبة الآداب وطبعتها بالجماميز، 1409هـ-1989م، ص83.

3- التعريفات، علي بن محمد بن علي الجرجاني، تحقيق إبراهيم الأبياري، دط، دار الريان للتراث، مصر، دت، ص37.

4- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام الأنصاري، تحقيق بركات يوسف هبود، ط1، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، لبنان، 1419هـ-1999)، ج1، ص5.

5- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أبو لبقاء أيوب بن موسى الحسين الكفوي، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1419هـ - 1998م، ص 97.

6- الإغراب في جدل الإعراب ولمع الأدلة، أبو البركات ابن الأنباري، تحقيق سعيد الأفغاني، دط، مطبعة الجامعة السورية، 1377هـ-1957م، ص36-37.

7- **الهمز** هو اصطلاح المعجميين أما **الهمزة** فهو اصطلاح النحاة.

وكذلك الهمزة قال:

تُدْلِي بِودِّي إِذَا لَقِيتَنِي كـَـذِبًا === وَإِذَا غِبْتُ فَأَنْتَ الهَامِزُ اللُّمَزَةْ[1]

و«الهَمْزُ الغمز، والهِمْزُ الكَسْرُ، والهُمْزُ العَيْبُ: وروي عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ﴾[سورة الهمزة: الآية 1] هو المشاء بالنميمة المفرق بين الجماعة المغري بين الأحبة، وهَمَزَ الشَّيْطَانُ للإنسانِ هَمْزاً، هَمَسَ في قلبه وسواسا، وهَمَزَات الشياطين الخطوات التي يخطوها بقلب الإنسان ... والهَمْزُ: النَّحْسُ والهُمْزُ الغيبة الواقعة بين الناس وذكر عيوبهم، وقد هَمَزَ يَهْمِزُ هَمْزاً وهُمَزَة للمبالغة والهمزة النَّقْرَةُ وقيل: هو المكان المنْخَسِفُ؛ والهمزة: من الحروف معروفة وسميت الهمزة لأنها تهمز فتهت فتنهمز عن مخرجها، ويقال هو يَهُتُّ إذا تكلم بالهمز»[2].

وعليه فالهمز في اللغة يدل على معاني حسية كالضغط والعصر والشدة حال النطق بها، وأخرى معنوية كالغمز واللمز وذكر عيوب الناس.

2- الهمزة في اصطلاح النحاة: لم تذكر كتب اللغة فيما أعلم تعريفا اصطلاحيا للهمزة فكل علم يتناولها من زاوية معينة بحسب الوظيفة الدلالية التي تؤديها لذا سنكتفي بهذا التعريف من معجم المصطلحات، والذي يخدم غرضنا في البحث، وهو التعريف الأنسب من جهة النحو والبلاغة: وعليه فالهمزة «هي أصل أدوات الاستفهام ترد لطلب التصور والتصديق »[3].

3- الهمزة في اصطلاح القراء: الهمزة من الحروف المميزة في اللغة العربية فقد حظيت بمزيد اهتمام من قبل العلماء سواء إذا تعلق الأمر بالمعجميين أو من النحاة والصرفيين، ومع نضج العلوم واستوائها وأخذت العلوم بالاستقلال عن بعضها بالتأليف، فقد أخذت دراسة الحروف منحى آخر، وأصبح لها علم يهتم ويشتغل بها وهو علم الأصوات كما يصطلح عليه (*Phonetics*) وهناك اصطلاح آخر ينظم هذا العلم وهو علم وظائف الأصوات ويصطلح عليه (*Phonology*)[4] الذي يعني بالأصوات من الناحية التركيبية، أما الدراسات اللغوية

1- مقاييس اللغة، مرجع سابق، مادة (همز)، ج6، ص. 66-65. والبيت من بحر الطويل ولم أعثر على قائله فيما بين يدي من مراجع.

2- لسان العرب، مرجع سابق، مادة (همز)، مج 6، ص4699.

3- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، مرجع سابق، ص956.

4- هذان العلمان مستفادان من الدراسات اللسانية الغربية للأصوات، من الجانب النطقي التشريحي والجانب الوظيفي للصوت، وهناك فرق بينهما. ينظر: علم الأصوات، كمال بشر، دط، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، 2000م، ص66-67.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

العربية اهتمت بالجانب الصوتي من ناحية المخارج والصفات وما تعلق بهما من مباحث المستفادة من الدرس القرآني أو الدرس اللغوي بصفة عامة.

أ- مخرج الهمزة: الهمزة من الحروف العربية الصعبة المخرج حيث نجد خلافا لفظيا بين العلماء في تحديد مخرجها فلو عدنا إلى سيبويه وقد تابع في ذلك شيخه الخليل (ت175هـ) ، يرى مخرجها من أقصى الحلق مع حرف الهاء[1]، وهذا هو المعتمد الذي سار عليه الناس، وقد حصروا مخارج الحروف في سبعة عشر مخرجا ، وهي عند بعضهم ستة عشر وعند آخرين أربعة عشر مخرجا يقول ابن الجزري (ت833هـ): « وقال كثير من النحاة والقراء هي ستة عشر فأسقطوا مخرج الحروف الجوفية التي هي حروف المد واللين، وجعلوا مخرج الألف من أقصى الحلق والواو من مخرج المتحركة وكذلك الياء، وذهب قطرب (ت206هـ) والجرمي (ت225هـ) والفراء (ت207هـ) وابن دريد (ت310هـ) وابن كيسان (ت299هـ) إلى أنها أربعة عشر فأسقطوا مخرج النون واللام والراء وجعلوها من مخرج واحد وهو طرف اللسان، والصحيح عندنا الأول لظهور ذلك في الاختيار»[2] وهذا المختار الذي سار عليه علماء التجويد فيما بعد؛ ثم إن الدراسة الصوتية للحروف ومخارجها أخذت نوعا من التعمق وذلك بتشريح آلة النطق مثل ما نجده عند ابن سينا (ت428هـ) يقول عن مخرج الهمزة: « أما الهمزة فإنها تحدث من حفز قوي من الحجاب وعضل الصدر لهواء كثير ومن مقاومة الطُّرْجَهَالي[3] الحاصر زمانا قليلا لحفز الهواء ثم اندفاعه إلى الانقلاع بالعضل الفاتح وضغط الهواء»[4]، فالهمزة تحدث عند ضغط الهواء الخارج من الصدر، فعندما يتداخل الحبلان الصوتيان لإغلاق لسان المزمار الواقع على مستوى الحنجرة إغلاقا تاما ويتكتَّل جدار اللسان ليشكل حائطا للحلق يمنع تسرب الهواء هنا يحدث صوت الهمزة.

1- الكتاب، أبو بِشْر عثمان بن قنبر سيبويه، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1402هـ-1982م، ج4، ص433.

2- النشر في القراءات العشر، أبو الخير محمد بن الجزري، تحقيق علي محمد الضباع، دط، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دت، ج 1، ص 198-199.

3- الطُّرْجَهَالي: والتسمية العلمية هي الغضروفان الهرميان، وهما غضروفان صغيران كل واحد منهما على شكل هرم مثلث القاعدة، ويرتكز على مؤخرة الغضروف الحلقي بإحدى زواياه، وهما من أجزاء المنتجة للصوت. ينظر: المدخل إلى علم أصوات العربية، غانم قدوري الحمد، ط1، دار عمار، عمان، الأردن، 1425هـ-2004م، ص 51.

4- أسباب حدوث الحروف، الحسين بن عبد الله بن سينا، تحقيق محمد حسان الطيان ويحيى مير علم، دط، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، دت، ص72. وينظر: أسرار الحروف، أحمد زرقة، ط1، دار الحصاد، دمشق، 1993م، ص81.

أما علماء التجويد والقراءة حذوا حذو الخليل بن أحمد الفراهيدي فيما قرره في عدة مخارج الحروف على أنها سبعة عشر مخرجا، و أن الهمزة صوت يخرج من أقصى الحلق مع حروف أخرى، وهذا ما قال به المحققون يقول ابن الجزري في منظومته:

ثُـمَّ لِأَقْصَى الحَلْـقِ هَـمْزٌ هـَاءٌ === ثُـمَّ لِـوَسْطِـهِ فَعَـيْنٌ حـاءٌ[1]

ثم لأقصى الحلق أي أبعده مما يلي الصدر، فالهمزة أدخل مخرجا إلى الصدر من حرف الهاء، وإن كانتا من مخرج واحد إلا أن الهمزة أدخل قليلا منها[2]؛ وفيما يأتي صورة توضيحية لمخرج الهمزة:

ب– صفات الهمزة: تتميز الهمزة بالثقل وذلك راجع ولا شك إلى مخرجها، فخروجها من أقصى الحلق ثم مرورها على باقي تجاويف الفم يكسبها ثقلا، وهذا ما يجعلها تصطبغ بصفات تميزها، وقد حصرت في أربع صفات وهي كالآتي[3]:

1- الدقائق المحكمة في شرح المقدمة، زكرياء بن محمد الأنصاري، تحقيق زكرياء توناني، ط1، دار الإمام مالك، الجزائر، 1432هـ-2011م، ص40.

2- التجويد المصور، أيمن رشدي سويد، ط5، دار الغوثاني للدراسات القرآنية، دمشق، سورية، 1436هـ-2016م، ج1، ص98.

3- ينظر: دراسة المخارج والصفات، جمال بن إبراهيم القرش، ط1، مكتبة طالب العلم، مصر، 1433هـ-2012م، ص130-158. وينظر: الدقائق المحكمة في شرح المقدمة، مرجع سابق، ص47-50.

– الجهر: انحباس جري النفس عند النطق بالحرف لقوة الاعتماد على المخرج، وحروفه يجمعها قولهم: (عظم وزن قارئ غض ذي طلب جدْ).

– الشدة: انحباس جري الصوت عند النطق بالحرف لقوة الاعتماد على المخرج وحروفه ثمانية: (أجد قط بكت).

– الاستفال: انخفاض اللسان إلى قاع الفم عند النطق بالحرف، وحروفه: جميع الحروف عدا حروف الاستعلاء السبعة المجموعة في قولهم: (خص ضغط قظ).

– منفتحة: افتراق اللسان عن الحنك الأعلى عند النطق بالحرف وحروفه: جميع الحروف عدا حروف الإطباق الأربعة: (ص ض ط ظ).

فالهمزة قد جمعت أربع صفات وهي: صفتان من صفات القوة وهما الجهر والشدة، وصفتان من صفات الضعف وهما: الاستفال والانفتاح.

ج– اجتماع الهمزتين أولاهما همزة استفهام: قد يجتمع في الكلام همزتين سواء في كلمة واحدة أو كلمتين، فيترتب عن ذلك صعوبة في نطق الهمزتين معا، لذا فقد جعل العلماء ضوابط حتى يسهل النطق بهما بطريقة سهلة وصحيحة، وما يهمنا هو همزة الاستفهام دون غيرها، وذلك في كلمة واحدة، وفيها مذاهب كثيرة عند القراء ما استوجب ذكر أهم الأوجه التي تقرأ بها، درءا للتطويل وجلبا لما يخدم البحث.

حين تجتمع الهمزتين وتكون الهمزة الأولى همزة استفهام لا تكون إلا مفتوحة وتليها همزة قطع وتختلف حركتها فتاتي مفتوحة ومضمومة ومكسورة، نحو قوله تعالى: ﴿أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا﴾ [سورة النازعات: الآية 27] وقوله تعالى: ﴿أَؤُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا﴾[سورة القمر: الآية 25] وقوله تعالى: ﴿قَالُوا أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾[سورة المؤمنون: الآية 82] ، ففيها مذاهب عند القراء وقد فصل فيها ابن الجزري –رحمه الله– فالحاصل من قراء همزة الاستفهام مع الهمزة التي تليها وهي همزة القطع ثلاثة أوجه وهي التحقيق، والإبدال والتسهيل و وإدخال ألف بين الهمزتين[1].

1– النشر في القراءات العشر، مرجع سابق، ج 1، ص 362 – ص 380.

أما إذا اجتمعت همزة الاستفهام مع همزة الوصل في نحو قوله تعالى: ﴿قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾[سورة يونس: الآية 59] ، فيقرأ همز الوصل على وجهين التسهيل بين بين أو تبدل ألفا خالصة[1]، وقد لخص الطَّيْبِي (ت981هـ) في منظومته بغيتنا، يقول[2]:

وهَمْـزُ وَصْـلٍ إنْ عَلَيْهِ دَخَلَا === هَمْـزَةُ الاسْتِفْهَامِ أَبْـدِلْ سَهّلاَ

إنْ كَانَ هَمْزَ (أَلْ) وَإِلَّا فَاحْذِفا === كـ:أَتَّخَـذْتُمْ، أَفْتَـرَى، وأصْطَفَى

ثالثا: تعريف الحديث النبوي الشّريف

1- لغة : « الحاءُ والدَّالُ والثَّاءُ أصلٌ واحدٌ، وهو كونُ الشَّيْءِ لم يَكُنْ، يُقَالُ حَدَثَ أَمْرٌ بعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ، والرَّجُلُ الحَدَثُ الطَرِيُّ السِنِّ، والحَدِيثُ منْ هذَا، لِأَنَّهُ كَلَامٌ يَحْدُثُ مِنْهُ الشَّيْءَ بَعْدَ الشَّيْءِ، ورَجُلٌ حَدَثٌ حَسَنُ الحَدِيثِ، ورَجُلٌ حِدْثُ نِسَاءٍ إذا كَانَ يَتَحَدَّثُ إِلَيْهِنَّ ... »[3]وجاء في تاج العروس : «والْحَدِيثُ الخَبَرُ : فهُمَا مُتَرَادِفَانِ، يَأْتِي على القَلِيلِ والكَثِيرِ ... ويُجْمَعُ على أَحَادِيثٍ كَقَطِيعٍ وأَقَاطِيعٍ وهُوَ شَاذٌ على غَيْرِ قِيَاسٍ ... »[4]؛ وفي لسان العرب:«الحَدِيثُ: هُوَ الْجَدِيدُ من الْأَشْيَاءِ، وهو ضِدُّ الْقَدِيمِ، وجَمْعُهُ أَحَادِيثُ، وهُوَ شَاذٌ على غَيْرِ قِيَاسٍ، وَقَالُوا في جَمْعِهِ حَدْثَانْ، وقَالَ الفَرَّاءُ: نَرَى أَنَّ وَاحِدَ الْأَحَادِيثِ أُحْدُوثَةٌ، ثُمَّ جَعَلُوهُ جَمْعاً لِلْحَدِيثِ ... قَالَ ابْنُ بَرِّي : لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا زَعَمَ الْفَرَّاءُ، لِأَنَّ الْأُحْدُوثَةُ بِمَعْنَى الْأُعْجُوبَةُ، يُقَالُ: قَدْ صَارَ فُلَانٌ أُحْدُوثَةً، فَأَمَّا أَحَادِيثُ النَّبِيِّ-ﷺ- فَلَا يَكُونُ وَاحِدُهَا إِلَّا حَدِيثًا، وَلَا يَكُونُ أُحْدُوثَةً»[5]، وعليه فالحديث في اللغة الجديد من الأشياء وهو ضد القديم، كما يأتي على معنى الخبر، ويجمع على أحاديث وهو شاذ على غير قياس.

2- اصطلاحا: ويعرفه أهل الاصطلاح «الحديث: هو اسم من التحديث، وهو الإخبار ثم سمي به قول، أو فعل، أو تقرير نسب إلى النبي-ﷺ- ويجمع على أحاديث»[6]، أما الحديث في اصطلاح أهل الفن ينصرف إلى

1- ينظر: النشر في القراءات العشر، المرجع نفسه، ج 1، ص 377.

2- منظومة المفيد في علم التجويد، شهاب الدين أحمد بن إبراهيم الطَّيْبِي، تحقيق أيمن رشدي سويد، ط2، مكتبة التوعية الإسلامية للتحقيق والنشر، مصر، 1421هـ-2001، ص9.

3- مقاييس اللغة، مرجع سابق ، مادة (حدث)، ج2، ص36.

4- تاج العروس من جواهر القاموس، مرجع سابق، مادة (حدث)، ج5، ص 208-209.

5- لسان العرب، مرجع سابق، مادة (حدث)، مج2، ص582.

6- الكليات معجم المصطلحات، مرجع سابق، ص370.

ما ثبت عن النبي -ﷺ-من قول أو فعل أو تقرير[1]، فيخرج بذلك الخبر والأثر إلا أن علماء الحديث لم يفرقوا بين الاصطلاحات الثلاثة فيأخذونها بمعنى واحد من قبيل المترادف فلا يتحرجون من استعمالها كلها فيقولون جاء في الخبر وجاء في الأثر وجاء في الحديث، إلا إن هناك من فرق بين هذه الثلاثة فيرى للخبر معنى غير الحديث والأثر كذلك، فالأثر ما أضيف للصحابي أو من هو دونه، جاء في شرح النخبة: « وأما الأثر فيطلق على ما ينسب إلى من دون النبي-ﷺ- من الصحابة والتابعين فمن بعدهم»[2]

والمختار من هذه التعريفات ما قرره ابن تيمية (728هـ) في قوله: «هو عند الإطلاق ينصرف على ما حدث به عنه-ﷺ- من قوله، وفعله، وإقراره، فإن سنته تثبت من هذه الوجوه الثلاثة فما قاله إن كان خبراً وجب تصديقه به، وإن كان تشريعاً: إيجاباً، أو تحريماً، أو إباحة وجب اتباعه فيه، فإن الآيات الدالة على نبوة الأنبياء دلت على أنهم معصومون فيما يخبرون به عن الله عز وجل، فلا يكون خبرهم إلا حقاً، وهذا معنى النبوة وهو يتضمن أن الله ينبئه بالغيب، وأنه ينبئ الناس بالغيب، والرسول مأمور بدعوة الخلق وتبليغهم رسالات الله»[3]، فتخرج بذلك أحاديث النبي-ﷺ- من دائرة الأثر، أما الخبر ففي البلاغة ما يحتمل الصدق أو الكذب، فصدقه مطابقته للواقع وكذبه ما خالف الواقع[4]، فلا يمكن تسمية الحديث بالخبر من هذا الباب، فالحديث ما جاء عن النبي والخبر ما جاء من غيره، ومن ثمة سمي الذي يشتغل بالتواريخ وما شاكلها إخباري، لذا فرق العلماء بينهم بقولهم: «قيل بينهما عموم وخصوص مطلق، فكل حديث خبر من غير عكس»[5]؛ فهذه المصطلحات الثلاثة (الحديث والأثر والخبر) تطلق عند المحدثين مترادفة بمعنى واحد فالقدماء لم يفرقوا بينها، فهي من الألفاظ التي إذا اجتمعت تفرقت، فإذا ذكرت في سياق واحد يكون لكل منها معنى خاص.

1- ينظر: قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث، محمد جمال الدين القاسمي، تحقيق مصطفى الشيخ مصطفى، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1425هـ-2004م، ص 86.

2- شرح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر للحافظ ابن حجر العسقلاني، أبو معاذ طارق بن عوض الله بن محمد، ط1، دار المغني للنشر والتوزيع، الرياض، 1430هـ-2009م، ص31.

3- ينظر قواعد التحديث، مرجع سابق، ص86.

4- التلخيص في علوم البلاغة، جلال الدين محمد الخطيب القزويني، ضبط وشرح عبد الرحمن البرقوقي، ط1، دار الفكر العربي، 1904م، ص38.

5- تحقيق الرغبة في شرح النخبة، عبد الكريم بن عبد الرحمن الخضير، ط1، دار المنهاج، الرياض، 1426هـ، ص43.

رابعا: مصدرية الحديث النَّبوي الشريف في الدرس اللغوي عند القدماء والمحدثين

1- مكانة الحديث النَّبوي في الدرس اللغوي:

بعد الفتوحات الإسلامية اتسعت الرقعة الجغرافية شرقا وغربا فدخل الأعاجم في الإسلام واحتكوا بالمسلمين وأخذوا من العربية ما يقيمون بها حالهم في التخاطب والمعاملات، ومع تطور مظاهر الحياة التي أخذت بحظ وافر من التمدن والتحضر، فقد خالط العرب غيرهم من الأعاجم فتسرب اللحن إلى ألسنتهم، فخفيت بعض معاني الكلمات عنهم لطول العهد بها فتنوسي معناها، كما كثر اللحن وابتعد الناس عن الفصحى، وعدوا من يتكلم الفصحى من البادية، وراح اللسان العربي يفقد رونقه الفصيح ويضيع بلاغته الرائقة، مما جعل جمع من العلماء يتفطنون لهذه البلوى التي ما فتئت تعم أمصار المسلمين، وقد تسرب اللحن إلى الحديث النبوي الشريف فلم تطل التراكيب منه بل وصارت الألفاظ غامضة عميت بعض معانيها عن العامة بل وتعداه إلى الخاصة من العلماء وهذا هو السبب الذي دعا من أجله بعض العلماء إلى وضع كتب في ألحان العوام والتنبيه إلى هذه الأخطاء، وهناك كتب أخرى اختصت بجمع الغريب من أحاديث النبي -ﷺ- وصحابته والتابعين لتفسير ما غمض من لفظها وتوضيح ما أشكل من معانيها خدمة للغة العربية والدين معا.

وعلم غريب الحديث هو علم يبحث فيه عن بيان ما خفي على كثير من الناس معرفته من حديث رسول الله -ﷺ- بعد أن تطرق الفساد إلى اللسان العربي[1]، وأول من ألف[2] في غريب الحديث أبو عبيدة معمر بن المثنَّى التميمي (ت209هـ) فقد صنف كتابا صغيرا جمع فيه غريب الحديث والأثر ولم يكن صغر حجمه لقلة علمه بالحديث إنما كان لأمرين، أحدهما أن كل مبتدئ لشيء لم يسبق إليه فلا بد أن يكون قليلا ثم يكثر وصغيرا ثم يكبر، وأما السبب الثاني فقد كان الناس لا يزالون متشبثين بالعربية فلم يكن الجهل بها قد عمَّ ولا الخطب قد طمَّ، وتوالت المصنفات في هذا الباب منها كتاب النضر بن شميل المازني (ت203هـ) وكتاب محمد بن المستنير المعروف بقطرب وكتاب آخر ينسب لعبد الملك بن قريب الأصمعي، وغيرهم من أعلام اللغة الذين جمعوا الأحاديث وتحدثوا عن ألفاظها ومعانيها وتصريفها وما اعتورها من لحن أو خفي وأشكل معناه عن الناس حين فشا فيهم اللحن واختلطوا بغيرهم من الأعاجم، ولم تكن هذه التصانيف تنفرد عن بعضها بكثرة الأحاديث

1- الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة، محمد بن جعفر الكتاني، ط1، مكتبة عرفة، دمشق، 1332هـ، ص115.

2- النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات بن محمد الجزري ابن الأثير، تحقيق طاهر محمد الزاوي ومحمود محمد الطباجي، دط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، دت، ج1، ص5.

فقد كان اللاحق يأخذ عن السابق فقد زاد بعضهم عن بعض شيئا يسيرا حتى يكتمل البناء ويستقيم، وهذا ما جرت به عادة التأليف في فن من الفنون، يقول الإمام الخطابي (ت388هـ) بعد سرده لمن كتب في غريب الحديث « إلا أن هذه الكتب على كثرة عددها إذا حصِّلت كانت كالكتاب الواحد، إذ كان مصنفوها لم يقصدوا بها مذهب التعاقب كصنيع القُتَيْبِي في كتابه، إنما سبيلهم فيها أن يتوالوا على الحديث الواحد فيعتوروه فيما بينهم، ثم يتبارون في تفسيره ... وفي بعض هذه الكتب خلل من جهة التفسير، وفي بعضها أحاديث منكرة لا تدخل في شرط ما أنشئت له هذه الكتب»[1]، وبالرغم من قلة ما وصل إلينا وحظي بالتحقيق إلا أننا نجد الخطابي ينتقد هذه الكتب من جهة أن اللاحق يأخذ عن السابق فحسب فجاءت وكأنها كتاب واحد، واستمر الحال على هذا النحو إلى أن جاء زمن أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي فقد استوى التصنيف في هذا الفن على يديه، لكثرة ما حواه من الأحاديث والآثار، والفوائد الجمة فقد نال الشهرة وصار القدوة في هذا الشأن، فقد أفنى فيه عمره، يقول: «إني جمعت كتابي هذا في أربعين سنة، وهو كان خلاصة عمري»[2]، ثم تابعه في ذلك أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت276هـ)، وقد عمد أبو سليمان الخطابي إلى الكتابين فجمع بينهما وأصلح ما فيهما وجاء مرتبا، حيث بدأ بحديث النبي-ﷺ- ثم ثنى بآثار الصاحبة والتابعين[3]، وقد تطورت هذه المصنفات في منهجها في جمع هذه الأحاديث والآثار حتى أخذت طابع المعاجم، فلو عدنا إلى كتاب (الفائق في غريب الحديث)[4] لوجدناه مقفى على حروف المعجم، وهذا ما نلمسه في كتاب (النهاية في غريب الحديث والأثر).

والمتتبع لكتب غريب الحديث والأثر يجدها حاوية للكثير من الفوائد اللغوية حيث نجد علماء اللغة تتبعوا الألفاظ الغامضة وحاولوا الكشف عن معانيها مستندين في ذلك إلى القرآن الكريم واللغة العربية ولهجاتها فما لا

1- غريب الحديث، أبو سليمان بن محمد بن إبراهيم الخطابي، تحقيق عبد الكريم إبراهيم العزباوي، ط2، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1422هـ-2001م، ج1، ص50.

2- النهاية في غريب الحديث والأثر، مرجع سابق، ج1، ص6.

3- ينظر: غريب الحديث، مرجع سابق، ج1، ص 48، وهناك كتاب آخر للخطابي بعنوان: إصلاح غلط المحدثين، وقد حققه الأستاذ حاتم صالح الضامن، وأشار إلى إن كتاب إصلاح غلط المحدثين جزء من كتاب غريب الحديث، إلا أن الخطابي أفرد هذا الجزء وزاد عليه وأملاه، فيكون المحقق أول من نبه عليه. ينظر: إصلاح غلط المحدثين، أبو سليمان بن محمد بن إبراهيم الخطابي، تحقيق حاتم صالح الضامن، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1405هـ-1985م، ص11.

4- الفائق في غريب الحديث، محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دط، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1414هـ-1993، ج1، ص1.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تستعمله قبيلة فقد تستعمله قبيلة أخرى ولا يخفى أن النبي -ﷺ- من قريش فقد كانت أفصح القبائل حيث كانت محجَّ جميع العرب فتتخير أفصح الألفاظ واللغات والأساليب فتضمنها كلامها؛ وبها نزل القرآن الكريم.

2- مكانة الحديث النَّبوي في الدرس النحوي:

لا خلاف بين العلماء في تقسيم مصادر الاحتجاج إلى ثلاثة مصادر رئيسة، على رأسها القرآن الكريم وقراءاته، ثم الحديث النبوي الشريف وكلام العرب من شعر ونثر، والمتتبع لكتب النحو يجد النحاة من الرعيل الأول قد استنفذوا جهودهم في رواية الأشعار والتحاكم إلى لغات العرب فراحوا يقدمون كلام العرب على الحديث النبوي الشريف ولا يلتفتون إليه إلا قليلا مما فتح بابا للخلاف بين العلماء حول قضية الاحتجاج بالحديث النبوي الشريف على إثبات القواعد النحوية فانقسموا بين مانع ومجيز ومتوسط وسنعرض لهذه الآراء كل على حدة.

أ- المانعون وأدلتهم: ونجد على رأسهم ابن الضائع (ت680هـ) الذي يرجع الحجة في ترك الحديث إلى قوله: «تجويز الرواية بالمعنى هو السبب عندي في ترك الأئمة كسيبويه وغيره الاستشهاد على إثبات اللغة بالحديث، واعتمدوا في ذلك على القرآن، وصريح النقل عن العرب، ولولا تصريح العلماء بجواز النقل بالمعنى في الحديث، لكان الأولى في إثبات فصيح اللغة كلام النبي-ﷺ- لأنه أفصح العرب»[1]، وأما أبو حيان الأندلسي (ت745هـ) فقد بالغ كثيرا في رد الاحتجاج بالحديث النبوي الشريف بل وأنكر على من يستشهد به حيث نجده ردا على ابن مالك: «وقد أكثر المصنف من الاستدلال بما وقع في الأحاديث على إثبات القواعد الكلية في لسان العرب، وما رأيت أحدا من المتقدمين والمتأخرين سلك هذه الطريقة غيره، على أن الواضعين الأولين لعلم النحو المستقرئين للأحكام من لسان العرب كأبي عمر بن العلاء، عيسى بن عمر، والخليل وسيبويه من أئمة البصريين، والكسائي والفراء وعلي بن المبارك الأحمر وهشام الضرير من أئمة الكوفيين،لم يفعلوا ذلك وتبعهم على هذا المسلك المتأخرون من الفريقين وغيرهم من نحاة الأقاليم كنحاة بغداد وأهل الأندلس...إنما ترك العلماء ذلك لعدم وثوقهم أن ذلك لفظ الرسول -ﷺ- إذ لو وثقوا بذلك لجرى مجرى القرآن في إثبات القواعد الكلية»[2]، ويستفاد من كلامهما أن سبب رفض الاستدلال بالحديث الشريف يرجع في مجمله إلى ما يأتي:

1- الاقتراح في علم أصول النحو، جلال الدين السيوطي، قراءة وتعليق محمود سليمان ياقوت، دط، دار المعرفة الجامعية، 1426هـ-2006م، ص90-91.

2- المرجع نفسه، ص90-91.

- ✓ النحاة الأوائل لم يحتجوا بالحديث على إثبات قواعدهم النحوية وتابعهم المتأخرون في ذلك مع اختلاف مدارسهم.
- ✓ أن رواة الحديث جوزوا نقله بالمعنى.
- ✓ أنه وقع اللحن كثيرا فيما روي في الحديث لأن كثيرا من الرواة كانوا غير عرب.

إلا أن حجج المانعين لم تسلم من النقد والرد:

فمن جهة رواية الحديث بالمعنى، فالأصل في الرواية باللفظ ومعنى تجويز الرواية بالمعنى فذلك احتمال عقلي لا يقين بالوقوع، فلو غير لفظ مكان لفظ في معناه فالمغير عربي مطبوع يحتج بكلامه في اللغة[1]وقد رد الأستاذ محمود فجال هذه الدعوى بقوله : «ونحن نعرف مقدار تحري علماء الحديث وضبطهم لألفاظه، حتى إذا شك راو عربي بين قوله-ﷺ- (على وجوههم) وبين قوله (على مناخرهم)، أثبتوا شكه، ودونوه مبالغة في التحري والدقة، هذا على جانب كثير من الرواة صحابة وتابعين دونوا الأحاديث من عهده -ﷺ-»[2]، وتشكيك المانعين في رواية الحديث بالمعنى يضعفه من جهة الضبط فالمهم عند النحاة هي الألفاظ لذلك فهم يتركونه فربما لا يكون لفظ النبي-ﷺ- هذا من جهة، ومن جهة أخرى نجد المحدثين لم يجمعوا على تجويز رواية الحديث بالمعنى، بل حصل خلاف بينهم وقد ذهب مالك وغيره إلى عدم إجازة الرواية بالمعنى، ولا تغير حرف مكان حرف[3]فتكون حجتهم باطلة فالنبي صلى الله عليه وسلم ربما أعاد الكلام مرات ومرات لمواقف مختلفة ولأشخاص مختلفين فيروي كل واحد ما سمعه بلفظ مختلف.

فأما من جهة اللحن فلا يخفى أن هناك أحاديث رويت ملحونة وهذا على قلتها إذا لا يعقل أن يتبادر اللحن إلى جميعها فقد كان الرواة من أفصح العرب سيما أنهم كانوا من الصحابة والتابعين، كما لا يخفى أن تدوين الحديث كان في الصدر الأول من الإسلام قبل عصر المولدين، وقد بين الأستاذ حسن الشاعر أن نسبة الأعاجم أقل بكثير من نسبة العرب في التابعين من حيث الرواية، فمن خلال دراسته استطاع التوصل إلى أن

1- في أصول النحو، سعيد الأفغاني، دط، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية، 1414هـ-1994م، ص50.

2- الحديث النبوي في النحو العربي، محمود فجال، ط2، أضواء السلف، الرياض، 1417هـ-1997م، ص121.

3- ينظر: الكفاية في علوم الرواية، الخطيب البغدادي أحمد بن علي بن ثابت، تحقيق إبراهيم مصطفى آل بحبح، ط1، مكتبة ابن عباس، مصر، 2002م، ج2، ص558.

نسبة العرب من الرواة في البصرة والمدينة ومكة 79 في المائة، ونسبة الموالي 21 في المائة تقريبا، وهذه النسبة قد لا تكون دقيقة، لكن تبين قلة الرواة من الموالي بالنسبة إلى الرواة العرب الخلص[1].

ب- المجيزون وأدلتهم: يعد ابن خروف (ت 609هـ) أول من فتح باب الاستشهاد بالحديث الشريف وهذا ما أثاره ابن الضائع في نقده إياه يقول: «ابن خروف يستشهد بالحديث كثيرا، فإن كان على وجه الاستظهار والتبرك فحسن، وإن كان يرى أن من قبله قد أغفل شيئا وجب عليه استدراكه فليس كما أرى»[2]، وابن خروف الأشبيلي من شراح الكتاب لسيبويه فقد أنكر عليه ابن الضائع ما ذهب إليه من الاستشهاد بالحديث الشريف فيخرج بذلك عن معهود النحويين القدامى في تركهم الحديث النبوي الشريف ومجاوزته إلى غيره من مصادر اللغة الأخرى كالقرآن الكريم وكلام العرب ، إلى أن جاء عصر ابن مالك (ت672هـ) الذي فتح باب الاستشهاد به، وتابعه في ذلك شارح (الشافية والكافية) لابن الحاجب الذي زاد على ابن مالك الاستشهاد بكلام الصحابة وآل البيت —رضي الله عنهم- وهذا ما ذكره صاحب الخزانة يقول: « وأما الاستدلال بحديث النبي -ﷺ- فقد جوزه ابن مالك وتبعه الشارح المحقق في ذلك، وزاد عليه بالاحتجاج بكلام أهل البيت رضي الله عنهم»[3]، وقد أثر ابن مالك في النحاة الذين جاءوا من بعده نذكر منهم كالمرادي، وابن هشام وهو من تلاميذ أبي حيان وقد خالفه، وابن عقيل من شراح الألفية، فقد أكثروا من الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف مخالفين بذلك جميع من سبقهم من النحاة الأوائل الذين ربما استشهدوا ببعض الأحاديث على استحياء أو ذكروها على أنها من كلام العرب كما فعل سيبويه في الكتاب فلم يستشهد إلا بثمانية أحاديث، ولم يصرح بنسبتها إلى النبي -ﷺ- وكذلك الفراء فلم يتجاوز ثلاثة عشر حديثا، هكذا يقل الاستشهاد بالحديث في كتب النحاة كالمبرد وأبو علي الفارسي، وابن السراج والأنباري، فإذا كانوا يختلفون في إيراده قلة وكثرة إلا أنهم يتفقون على عدم جعله شاهدا لغويا في الدرس النحو العربي[4].

1-نقلا عن: شواهد ابن مالك من الحديث النبوي الشريف في كتاب شرح التسهيل —تخريج ودراسة- محمد كمال درويش، إشراف ياسر أحمد الشمالي، رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، 2007م، ص38.

2- الاقتراح في علم أصول النحو، مرجع سابق، ص54.

3- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبد القادر بن عمر البغدادي، تحقيق عبد السلام هارون، ط4، مطبعة المدني، القاهرة مصر، 1418هـ-1998م، ج1، ص9.

4- أصول النحو العربي، محمد خان، دط، مطبعة جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2012م، ص35.

وقد دافع عن رأي المجيزين البدر الدماميني (ت839هـ) وعلل موقفهم فيما يراه هو نفسه، فالمحتجين بحديثه -ﷺ- لم يصرحوا بسبب استشهادهم بالحديث النبوي في كتبهم، وقد أرجع البدر الدماميني فيما نقله البغدادي في الخزانة؛ إنما استدلوا بالأحاديث التي رويت باللفظ والمعنى، وهذا هو الأصل في نقل الحديث عند النقلة والمحدثين الذين وضعوا قواعد صارمة في ضبط المتن والسند معا، وأما تغيير لفظ مكان لفظ في معناه فمستبعد وإن كان حاصلا فالأمر مرجوح ولا يأتي على جميع الأحاديث، أضف إلى ذلك أن تجويز الرواية بالمعنى إنما كان فيما لم يدون ويكتب في الصدر الأول، أما ما دون وحصل في بطون الكتب فلا يجوز تبديله بأي حال[1].

وممن دافع عن رأي المحتجين ابن الطيب المغربي (ت1170هـ) يقول: « ما رأيت أحدا من الأشياخ المحققين إلا وهو يستدل بالأحاديث على القواعد النحوية، والألفاظ اللغوية، ويستنبطون من الأحاديث النبوية الأحكام النحوية والصرفية واللغوية، وغير ذلك من أنواع العلوم اللسانية، كما يستخرجون منها الأحكام الشرعية، وأخيرا: الحق ما قاله الإمام ابن مالك علامة جيان[2]، لا ما قاله أبو حيان وكلام ابن الضائع ضائع»[3] فيفهم من كلامه أن الحديث الشريف ما دام شاهدا شرعيا تستنبط منه الأحكام وتبنى عليها العبادات والمعاملات فكيف لا يستثمر في اللغة والنحو وقد استعمله جهابذة هذا العلم كابن مالك، كما يحمل كلامه تهكما واضحا وردا مفحما صريحا على أبي حيان وابن الضائع المنكرين لهذه المسألة، وكان أبرز ما بنى عليه رأيه مضمن في أدلة المجيزين وتتلخص في النقاط الآتي ذكرها[4] :

1- إن القول بأن القدامى لم يستدلوا بالحديث ولا أثبتوا القواعد الكلية لا دليل فيه على أنهم يمنعون ذلك ولا يجيزونه.

2- الإجماع على أنه -ﷺ- أفصح العرب.

1- وقد أورد البغدادي كلام البدر الدماميني كاملا مع رأي ابن الصلاح ينظر: خزانة الأدب، مصدر سابق، ج1، ص 14-15.

2- جَيَّان: مدينة لها كورة واسعة بالأندلس تتصل بكورة البيرة مائلة عن البيرة إلى ناحية الجوف في شرقي قرطبة بينها وبين قرطبة سبع عشرة فرسخا، وينسب إليها جمع من الأعلام. معجم البلدان، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت الحموي، دط، دار صادر، بيروت، 1397هـ-1977م، ج 2، ص 195.

3- الحديث النبوي في النحو العربي، مرجع سابق، ص 108.

4- ينظر: الحديث النبوي في النحو العربي، مرجع سابق، ص 111-112، وينظر: موقف النحاة من الاستشهاد بالحديث الشريف، مرجع سابق، ص 24-25.

3- الإجماع على أن الأحاديث أصح سندا مما نقل من أشعار العرب، ذلك لما وضعه علماء الحديث من شروط دقيقة في تخريج الأحاديث وروايتها وتقسيمها إلى صحيح وحسن وضعيف، وهذا غير وارد في الشعر واللغة.

4- لا عبرة بأن أغلب الرواة من الأعاجم، لأنه يمكن أن يقال ذلك في الشعر والنثر، وعلى الرغم من ذلك يحتج بما جاء فيهما.

5- إنه ظهر كثرا مما ينسب إلى اللحن في حديث النبي -ﷺ- قد ظهر له وجه من الصحة وعليها خرجت الأحاديث.

6- أما بالنسبة إلى الرواية بالمعنى، فيرد عليها، بأن الأصل في رواية الحديث عدم تبديل الألفاظ وخاصة أنه قد وضعت الضوابط وشدد العلماء في التحري والضبط، كما أن كثيرا من المحدثين والفقهاء والأصوليين ذهبوا إلى منع رواية الحديث بالمعنى، ومن أجازها اشترط ما يأتي[1]:

- أن يكون الراوي عالما بمدلولات الألفاظ، عالما في معرفة معانيها وفي تقديم بعض الكلمات على بعض.
- أن يكون تبديل اللفظ بما يرادفه ويطابق لفظ الحديث، بحيث يكون اللفظ الذي أتى به ينوب مناب لفظ النبي -ﷺ- غير زائد عليه ولا ناقص منه، ولا يحتمل أكثر من معنى لفظه -ﷺ-.
- أن لا يكون الحديث مما تعبد بلفظه، فإن كان مما تعبد به فلا يجوز نقله بالمعنى، بل لا بد من نقله بلفظه، كالتشهد والأذان بلا خلاف بين العلماء.
- أن لا يكون الحديث من قسم المتشابه أو المجمل أو المشترك أو المشكل أو جوامع الكلم.

نستخلص من هذا أن المحدثين قد وضعوا شروطا لجواز نقل الحديث بالمعنى، وهذا حرصا منهم على حديث النبوي الشريف من الوضع أو التحريف، أضف إلى ذلك أن هناك الكثير من الأحاديث رويت كما سمعت من النبي-ﷺ- فإذا قلنا بهذا أعرضنا عن المروية بالمعنى واستثمرنا ما صح متنا وسندا وهو كثير بحمد الله.

ج- المتوسطون وأدلتهم: ونجد على رأس المتوسطين أبو إسحاق الشاطبي (ت 790هـ) الذي وقف الموقف الوسط بالمجيزين مطلقا والمانعين مطلقا فجاء رأيه أكثر علمية من سابقيه وهذا من جانب اعتنائه بالحديث أولا

1- حكم رواية الحديث بالمعنى، عبد العزيز أحمد الجاسم، دط، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الكويت، دت، ص540-541. وينظر: حجية الحديث الشريف في الدرس النحوي بين القدامى والمعاصرين، أبو بكر زروقي، قسم اللغة العربية، مجلة المخبر، جامعة محمد خيضر، بسكرة، العدد الخامس، مارس2009م، ص7-8.

وتمييزه بن ما يجب أن يستدل به وما لا يجوز الاستدلال به، فنجده في معرض شرحه للألفية يقول: « لم نجد أحدا من النحويين استشهد بحديث رسول الله-ﷺ- وهم يستشهدون بكلام أجلاف العرب وسفائهم الذين يبولون على أعقابهم وأشعارهم التي فيها الفحش والخنا ويتركون الأحاديث الصحيحة لأنها تنقل بالمعنى، وتختلف رواياتها وألفاظها بخلاف كلام العرب وشعرهم، فإن رواته اعتنوا بألفاظه لما يبنى عليها من النحو؛ ولو وقفت على اجتهادهم قضيت منه العجب، وكذا القرآن ووجوه القراءات»[1]، فنستنتج من كلامه أن النحاة الأوائل تجاوزوا الحديث الصحيح المتواتر عن النبي الأكرم، بحجة روايته بالمعنى واستدلوا بكلام العرب وشعرهم لما فيه من الكلام الفاحش والسوقي، فالأولى أن يعاد النظر في رأيه إلى مصادر اللغة والنحو، كما نجده يقسم الأحاديث التي يستدل بها إلى قسمين[2]:

1- قسم يعتني ناقله بمعناه دون لفظه، وهذا لم يقع به الاستشهاد عند أهل اللغة.

2- وقسم يعتني ناقله باللفظ وهذا لمقصود خاص، كالأحاديث التي تدل على فصاحته -ﷺ- ككتابه لهمذان، ووائل بن حجر، والأمثال النبوية، فهذا يصح الاستشهاد به في اللغة.

كما نجده يرد على ابن مالك وابن خروف لفتح باب الاستدلال بالحديث النبوي دون قيد أو شرط يذكر، فيستدرك عليهما عدم التفصيل في قضية الاستدلال إذا لا يعقل أن يترك هكذا دون تقييد وتأصيل؛ كما يستدرك على ابن خروف ما إذا كان يأتي بالحديث على وجه التمثيل فحسب أم للاستدلال على صحة القاعدة النحوية[3].

وممن قد وقع رأيه بين مانع ومجيز نجد السيوطي في فصل الاستدلال بكلام الرسول-ﷺ-، أن في أول كلامه إقرار باستثمار الحديث الشريف ثم ينقضه بأن الأحاديث الصحيحة المنقولة إلينا قليل وما نقل إنما نقل بالمعنى من طرف المولدين وغير العرب وهذا نص كلامه: « وأما كلامه -ﷺ- فيستدل منه بما ثبت أنه قاله على اللفظ المروي، وذلك نادر جدا، إنما يوجد في الأحاديث القصار، على قلة أيضا، فإن غالب الأحاديث مروي بالمعنى،

1- خزانة الأدب، مصدر سابق، ج1، ص12 وما بعدها.

2-موقف أبي إسحاق الشاطبي من الاحتجاج بالحديث الشريف على القواعد النحوية والصرفية، أحمد نزال غازي الشمري، مجلة كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، إصدار خاص، 2014م، ص45-46 وما بعدها.

3- المصدر نفسه، بتصرف، ج1، ص12.

وقد تداولتها الأعاجم والمولدون قبل تدوينها، فرووها بما أدت إليه عباراتهم فزادوا ونقصوا، وقدموا وآخرون، وأبدلوا ألفاظا بألفاظ ... »[1].

عبر السيوطي على أن ما ثبت من الحديث بالفظ والمعنى نادر جدا وهذا إن وجد، فإنه يوجد في الأحاديث القصار فقط وعلى قلة، وإنما ما روي منها كان بالمعنى ولا يلتفت إليه، سيما وقد نقله غير العرب والمولدون؛ قدمنا الكلام على رواية الحديث بالمعنى التي حدد لها العلماء شروطا وضوابطا، وأما مسالة رواية المولدين والأعاجم لم يكن في الصدر الأول من الأول وهناك كثير من الأحاديث دونت في هذه المرحلة وسبق لنا الكلام عنه.

2- أراء المعاصرين في مسألة الاحتجاج بالحديث النبوي الشريف: هناك الكثير من الدراسات المعاصرة التي تناولت مسألة الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف، وقد عرضت لما بين يدي من هذه البحوث والدراسات و قمت بإجراء قراءة وتلخيص لأهم ما جاء فيها؛ ولعل من أبرز الدراسات التي تحدثت عن هذه المسألة بشكل مفصل (الحديث النبوي في النحو العربي)[2] لمحمود فجال، كما قدمت خديجة الحديثي دراسة تناولت فيها الحديث النبوي عند النحاة الأوائل فقد قامت بجرد جميع المدونات النحوية للإجابة عن التساؤل الذي مفاده: هل يجوز الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف في النحو والصرف ما يندرج تحته من تساؤلات فرعية[3]، وحاولت الإجابة عنه في الفصل الرابع من بحثها خالصة إلى رأي مجمع اللغة العربية؛ ومن هذه البحوث الجادة لهذه القضية دراسة فخر الدين قباوة التي جاءت بعنوان (تاريخ الاحتجاج النحوي بالحديث الشريف –بحث وثائقي للتأصيل-) فقد تتبع ظاهرة الاحتجاج وتتبع جذورها التاريخية، فقد قدم دراسة علمية للمسألة للخروج بها إلى شاطئ الأمان[4]، وتأتي دراسة محمد الخضر حسين، فقد خرج بنتيجة مفادها وجوب الاحتجاج بالحديث

1- الاقتراح في علم أصول النحو، مرجع سابق، ص52-53.

2- فكتاب الحديث النبوي في النحو العربي تناول فيه الباحث دراسة مستفيضة لشروح الألفية لابن مالك، وله مؤلف أخر درس فيه دحض شبهات مانعي الاحتجاج بالحديث لقواعد النحو، كما قام بدراسة نحوية للأحاديث الواردة في شرح الكافية للرضي الأستراباذي، ينظر: السير الحثيث إلى الاستشهاد بالحديث، محمود فجال، دط، أضواء السلف، دت، ج1.

3- مسألة احتجاج النحاة بالحديث الشريف في مناهج المحدثين –الشاعر والحديثي وقباوة نموذجا-، خلود العموش، قسم اللغة العربية وآدابها، الجامعة الهاشمية، دت، ص8-23. وينظر: موقف النحاة من الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف، مصدر سابق، ص419.

4- المرجع نفسه، ص24-40، وينظر: تاريخ الاحتجاج النحوي بالحديث الشريف –بحث وثائقي للتأصيل-، فخر الدين قباوة، ط1، دار المتلقي، حلب، سوريا، 2004م.

الشريف وعده المصدر الثاني لمصادر النحو اللغة وبين أنواع الأحاديث التي يجوز أن يحتج بها ومن هنا تبنى مجمع اللغة العربية بحثه وخرج بقراره الذي حدد الأحاديث التي يمكن أن تستثمر في البحث النحوي وهي كالآتي[1]:

1) لا يحتج في العربية بحديث لا يوجد في الكتب المدونة في الصدر الأول، كالكتب الصحاح الستة فما قبلها.

2) يحتج بالحديث المدون في هذه الكتب الآنفة الذكر على الوجه الآتي:

- ✓ الأحاديث المتواترة المشهورة.
- ✓ الأحاديث التي تستعمل ألفاظها في العبادات.
- ✓ الأحاديث التي تعد من جوامع الكلم.
- ✓ كتب النبي -ﷺ- إلى ملوك عصره.
- ✓ الأحاديث المروية لبيان أنه -ﷺ-كان يخاطب كل قوم بلغتهم.
- ✓ الأحاديث التي عرف من حال رواتها أنهم لا يجيزون رواية الحديث بالمعنى مثل: (القاسم بن محمد، رجاء بن حيوة، وابن سيرين).
- ✓ الأحاديث التي رويت من طرق متعددة وألفاظها واحدة.

فقرار مجمع اللغة العربية كان مبنيا على نتائج وما خلصت إليها هذه البحوث، حتى يخرج بقرار يتفق حوله الجميع في مسألة الاحتجاج بالحديث الشريف التي تضاربت حوله الآراء بين مانع ومجيز ومتوسط بين الرأيين، ولعل أنواع هذه الأحاديث التي خلص إليها مجمع اللغة العربية قد دعا إليها المجيزون والمتوسطون في معرض طرقهم لهذه القضية المستفزة، وعليه فيمكن ترتيب مصادر اللغة العربية ترتيبا منطقيا بحسب الصحة فيأتي القرآن الكريم وقراءاته المتواترة، ومن ثم كلام العرب شعره ونثره، ثم الحديث النبوي الشريف الصحيح المتواتر المقطوع بثبوته عن النبي-ﷺ-، فتضييع واحد من هذه المصادر الأصيلة تضييع لعلم النحو واللغة، فلا يمكن أن نستقي اللغة من غير منهل معين، فالمصدرين الأوليين هما من القداسة بمكان، والإعراض عنهما إعراض عن الله ورسوله.

1- دراسات في العربية وتاريخها، محمد الخضر حسين، ط2، المكتب الإسلامي، دمشق، 1380هـ-1060م، ص 181-182.

الفصل الأول:

أسلوب الاستفهام بالهمزة من المنظور اللغوي

المبحث الأول: أسلوب الاستفهام من المنظور النحوي

المبحث الثاني: أسلوب الاستفهام من المنظور البلاغي

المبحث الثالث:الوظائف الدلالية لأسلوب الاستفهام بالهمزة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الأول: أسلوب الاستفهام بالهمزة من المنظور اللغوي

يتطرق هذا الفصل إلى دراسة المسائل اللغوية التي تحيط أسلوب الاستفهام بالهمزة، حيث سنعمل على دراسة الهمزة من الجوانب الثلاثة من الجانب النحوي ثم البلاغي ومن ثمة الجانب الدلالي، حتى نتمكن من حصر أهم الخصائص التي تتفرد بها من جملة أدوات الاستفهام الأخرى، مستعينين بما قرره علماء اللغة بصفة عامة، ذلك أن الهمزة من الحروف العربية التي حُفَّت بالعناية في التراث العربي وحظيت بالمدارسة من قبل العلماء، فما هي الدلالات اللغوية التي تنفرد بها الهمزة؟ وما هو موقع أسلوب الاستفهام بالهمزة في الوظيفة الأدائية للكلام؟ وما هي أهم العوامل الفاعلة في أسلوب الاستفهام؟ وما هي أهم الخصائص النحوية والبلاغية التي تكتنف درس أسلوب الاستفهام بالهمزة؟ هذا ما سنحاول اكتشافه من خلال عناصر هذا الفصل وجزئياته في مقاربة أسلوب الاستفهام بالهمزة مقاربة لغوية.

المبحث الأول: أسلوب الاستفهام من المنظور النحوي

أولا: موقع الاستفهام من مباحث علم النحو:

ما دام علم النحو يهتم بدراسة التراكيب وتتبع أواخر الكلم فقد ضم مباحث متعددة، وكثيرا ما تتداخل هذه المباحث فيما بينها لأن عناصر التركيب مبنية على نظرية العامل والمعمول، ما ينتج عن ذلك مباحث مستقلة ومباحث تابعة لأخرى، فمثلا باب الفعل المضارع نجده يتقاطع مع الحروف والأسماء ويتقاطع مع مبحث البناء والإعراب وغيرها من الأبواب، فالنحو يدرس عناصر التركيب الثلاثة: الاسم، والفعل والحرف، إلا أن هذا الأخير وهو الحرف حف بمزيد من العناية لأنه أشد تطفلا على مباحث النحو، فلا يدرس الاسم إلا إذا تبعه الحرف ولا يدرس الفعل إلا ولحقه الحرف، لذا خص بالعناية والدراسة، بل وقد أفرده العلماء بمصنفات استقل بها عن مصنفات النحو، نذكر على سبيل المثال لا الحصر: الجنى الداني في حروف المعاني، لأبي القاسم المرادي، في حين نجد بعض الحروف العاملة درست، أو أفردت بأبواب مستقلة في النحو: كحروف الجر والعطف والجزم والنصب والنداء، والقسم، ومن باب الحروف المتعلقة ببعض الأساليب النحوية، كأسلوب الشرط، النداء، كذلك

خصت بأبواب، أما أدوات الاستفهام فلم تجمع في باب تحت مسمى باب الاستفهام، اللهمَّ بعض الأدوات التي كان لها علاقة بأبواب نحوية أخرى.

لكن على الرغم من ذلك فإن أدوات الاستفهام لقيت حظوة كبيرة عند النحاة منذ التأسيس الأول لعلم النحو على يد سيبويه –رحمه الله– فقد تحدث عنها في مواضع مختلفة من كتابه، من أمثلة ذلك قوله: «هذا باب ما يختار فيه النصب وليس قبله منصوب بني على الفعل، وهو باب الاستفهام»[1] وقد تحدث فيه عن تقدم أدوات الاستفهام الفعل ويقبح تقدمها للاسم، كما تحدث عن الاستفهام في موضع آخر يقول: «هذا باب ما ينصب في الألف»[2] ويقصد بالألف همزة الاستفهام، ويقصد بهذا الباب أن هناك مضمر بين همزة الاستفهام والاسم ويكون هذا المضمر فعلا، حيث نجده يفرق بين الهمزة وباقي الأدوات الأخرى استعمالا، كما سبق في قبح دخولها على الأسماء.

كما تحدث عن خروج الاستفهام عن أصل وضعه إلى أغراض أخرى يقول: « ... قولك: أتَمِيمِيًا مرةً وقَيْسِيًا أخرى، فأنت في هذه الحال تعمل في تثبيت هذا له وهو عندك في تلك الحال في تلون وتنقل، وليس يسأل مسترشداً عن أمر هو جاهل به ليفهمه إيَّاه ويخبره عنه ولكنَّه وَبَّخَهُ بذلك»[3]، فنلاحظ كيف خرج الاستفهام عن أصل وضعه إلى التوبيخ.

وقد تابع النحاة في درس مسائل الاستفهام على شاكلة المبرد بل وعرض للأغراض البلاغية التي يمكن أن يخرج إليها فذكر منها التقرير والتوبيخ والتسوية، وهو لا يبتعد كثيرا عما قاله سيبويه رحمه الله، وقد انتهج النحاة هذا الرسم إلى غاية إفراد بعض أسماء الاستفهام بمباحث خاصة على سبيل المثال: باب كم وكأي وكذلك كيف وهل والهمزة[4]، وابن مالك يرى الاستفهام طلب ارتسام صورة ما في الخارج في الذهن لزم ألا يكون حقيقة إلا إذا صدر من متردد مصدق بإمكان الإعلام فإن غير الشاك إذا استفهم يلزم منه تحصيل الحاصل، وإذا لم يصدق

1- الكتاب، مصدر سابق، ج1، ص98.
2- المصدر نفسه، ج1، ص101.
3- الكتاب، المصدر نفسه، ج1، ص179.
4- شرح التسهيل، بدر الدين ابن مالك، تحقيق عبد الرحمان السيد ومحمد بدوي المختون، ط1، هجر للطباعة والنشر، 1410هـ-1990م، ج4، ص104-109.

بإمكان الإعلام، انتفت عنه فائدة الاستفهام، فنظر ابن مالك إلى حال المخاطب، وعليه يكون استفهاما حقيقيا واستفهاما غير حقيقي.

ثم تأتي مرحلة أخرى مثلما نجده في كتاب مغني اللبيب، فقد صدر الكتاب بالحديث عن حروف المعاني ما هو مبني وما هو معرب وما يختص بالاسم منها وما يختص بالفعل، وهو أول أبواب الكتاب «الباب الأول: في تفسير المفردات وذكر أحكامها»[1]، ويقصد بالمفردات الحروف والأدوات، والظروف وغيرها، وفي هذا الباب يتحدث عن أدوات الاستفهام يقول: «وجميع أسماء الاستفهام فإنها لطلب التصور لا غير، واعمُّ من الجميع الهمزة فإنها مشتركة بين الطلبين»[2]، المقصود أن الهمزة تأتي للتصور تارة وتأتي للتصديق أخرى.

وهناك مؤلفات عنيت بدراسة حروف المعاني دراسة مستقلة عن المباحث النحوية، وهذه المصنفات إنما حاولت استيعاب جميع الحروف دون تبويب اختصاصها، ولعل أول هذه المصنفات ككتاب **"حروف المعاني"** لأبي القاسم الزجاجي (ت340هـ)، وهو كتاب محقق ومطبوع، جمع فيها حروف المعاني مرتبة على حروف المعجم، وتوالت المصنفات بين منظوم ومنثور، ومن أشهر المصنفات في هذا الباب **"كتاب الأزهية في علم الحروف"** لصاحبها العلامة النحوي علي بن محمد الهروي (ت415هـ)، وحقق متنها عبد المعين الملوحي، ثم توالت هذه المصنفات وكلها تأخذ عن من سبقها إلى غاية القرن الثامن الهجري أين نجد كتاب **"رصف المباني في شرح حروف المعاني"** لصاحبه المالقي (ت705هـ) وقد طارت شهرته في الآفاق ولا يستغنى عنه، ويليه تصنيف آخر وهو **" الجنى الداني في حروف المعاني"** لابن القاسم المرادي الذي لا يقل شأنا عن سابقه، والمراد من سرد هذه المؤلفات في حروف المعاني أنهم درسوا أدوات الاستفهام والإحاطة بمعانيها النحوية، ليسهل على الدارس بغيته، وهذه الكتب جاءت على شاكلة المعاجم فقد كانت مرتبة من الحرف الواحد ثم الثنائي فالثلاثي وهكذا دواليك.

1- مغني اللبيب، ابن هشام الأنصاري، ج1، ص50.

2- المصدر نفسه، ج1، ص423.

ثانيا: أدوات الاستفهام بين التصور والتصديق

لقد وضعت لأسلوب الاستفهام أدوات خصت به دون غيره من الأساليب، وهذه الأدوات كلُ له موضع يختص به، وغرض وضعت له، فكيف قسمت أدوات الاستفهام؟ وماذا يراد من كل قسم؟

فالنحاة قسموا هذه الأدوات استنادا إلى حال المخاطب ونوع الخطاب، فاصطلحوا عليها باسم التصور والتصديق فما يراد بهما يا ترى؟

1- التصور: إدراك الماهية من غير الحكم عليها بنفي أو إثبات[1]، وهذا القسم إنما يبدأ فيه بالهمزة مقترنة بأم المعادلة العاطفة وعيه يكون الجواب بتعيين أحد الأمرين أي إثبات النسبة لأحدهما مع الانتباه إلى أن المستفهم عنه يأتي مباشرة بعد الهمزة، نحو قوله تعالى: ﴿أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ﴾[سورة الأنبياء: الآية 62] ، وتقدير الكلام هنا: أنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم أم غيرك؟ فيتبادر إلى الذهن أن هناك من حطَّم الآلهة ولكن لا يُعْرَفُ على سبيل القطع والتعيين، لذا فالمطلوب هو تعيين الفاعل، وأحيانا يكون المسئول عنه في التصور ما يقع بعد الهمزة مباشرة، ويذكر له بعد (أم) معادلٌ لهُ من نوعه، نحو: **أَكِتَابًا قَرَأْتَ أَمْ قَصِيدَةً؟** فالمستفهم يطلب من المخاطب تعيين وإثبات القراءة، وقد باشرت الهمزة المستفهم عنه "كتابا"، ففي هذه الحالة لا يحتاج المخاطب بالإجابة بالنفي أو الإثبات وإنما يعين النسبة فيكون الجواب إما كتابا أو رواية.

2- التصديق: إدراك الماهية مع الحكم عليها بنفي أو إثبات[2]، فالمستفهم يعلم نسبة الشيء وإنما يجهل ثبوتها أو انتفاءها، نحو: **أخرج زيد؟ أدخل زيد؟** فالسائل يعلم من الفعل وإنما يجهل صدر الفعل حقا، فهو يطلب حقيقة لم يكن يعلمها وهي إسناد الفعل للفاعل، فتكون الإجابة عن ذلك إما بالنفي (لا) أو الإيجاب (نعم)، وبهذا يحصل المستفهم عن مراده؛ والسؤال هنا ليس لتعيين المفرد كما في التصور وإنما هو لتعيين نسبة المسند إلى المسند إليه، وهذا بالبحث عن مضمون الجملة ومكنونها، نحو: أَحَضَرَ الطُّلَابُ؟ فالمستفهم يتصور الحضور كما يتصور الطلاب، وعليه يتصور المسند وهو الحضور والمسند إليه وهو الطلاب، لذلك لا يطلب تعيين إحداهما، فَمَكْمَنُ

1- الإلمام بشرح حقيقة الاستفهام، ابن هشام الأنصاري، تحيق عبد الفتاح سليم، دط، مكتبة الآداب، القاهرة، دت، 116.

2- ينظر: المرجع نفسه، ص116. وينظر: الأشباه والنظائر في النحو، مرجع سابق، ج4، ص72.

التَّساؤُلِ هنا هو النِّسْبةُ بين الحضور والطلاب فقط، هل تحقق أم لم يتحقق، فإذا ما تحقق يكون الجواب بالإيجاب وإلا بالنفي بلا؛

وهناك فرق بين التصور والتصديق حيث إن الاستفهام عن التصديق حقه أن يؤتى بعده بـ (أم) المنقطعة دون المتصلة عكس التصور، ومن الفروق التي يحن الإشارة إليها أن استفهام التصديق يكون عن نسبة تردد الذهن بين ثبوتها وانتفائها، أما التصور يكون عند التردد في تعيين أحد الشيئين، وسيأتي الحديث عنها في الفصل الموالي بشيء من التفصيل.

والاستفهام التصديقي على نوعين مثبت ومنفي، فإن هذا التقسيم راجع إلى كيفية الصياغة وكيفية الرد، وتكون بنيته التركيبية تبدأ بالهمزة (أ) أو (هل) ويكون الجواب عليه بأحرف الجواب وهي (نعم، أجل، لا، كلَّا)، وهي أحرف جواب لا محل لها من الإعراب، ويكون هذا في المثبت، أما الاستفهام المنفي، فتختلف الإجابة عنه، ففي حالة الإثبات تكون الإجابة بـ (بلى) نحو: أَلَنْ تُسَافِرَ غدًا؟ الجواب بالإثبات يكون: بلى أسافرُ غدًا، أما إذا كان بالنفي فتكون الإجابة بنعم زائد أداة النفي الموجودة نحو: نعم لن أسافر غدًا.

ويمكن أن نجمل القول في تقسيم أدوات الاستفهام على النحو الآتي[1]:

- ✓ ما يختص بطلب التصديق تارة و التصور تارة أخرى وهي أكثر الأدوات تصرفا وهي الهمزة
- ✓ ما يختص بطلب التصديق فقط وهي: هل
- ✓ ما يختص بطلب التصور فقط وهي بقية ألفاظ الاستفهام.

فنستنج من ذلك أن الهمزة استأثرت بمزية عن غيرها من أدوات الاستفهام ولكثرة تطفلها، فهي موضوعة لطلب تعيين المفرد وتصوره، كما تكون لطلب معرفة النسبة وهذا ما يسمى تصديقا.

1-جواهر البلاغة، مرجع سابق، ج1، ص61.

ثالثا: التركيب النحوي للاستفهام بالهمزة في النص القرآن الكريم وكلام العرب

يعد القرآن الكريم وقراءاته وكلام العرب من المصادر التي تستقى منها العربية ألفاظها وتراكيبها وما تعلق بأساليبها، فهما منهل عذب لا ينضب وقد استثمرت فيهما جهود العلماء قديما وحديثا، ولا تزال تقلب عن مكامن أسراره واستخراج دقائق دره، فقد حوى الكثير من الأساليب التي عني بها الدارسون، لذلك كان للنص القرآني دور هام في الحفاظ على اللغة، يقول الثعالبي (ت430هـ): «إن من أحب الله أحب رسوله المصطفى- ﷺ- ومن أحب الرسول أحب العرب أحب اللغة العربية التي نزل بها أفضل الكتب على أفضل العرب والعجم ... ولو لم يكن في الإحاطة بخصائصها، والوقوف على مجاريها ومصارفها والتبحر في جلائها ودقائقها إلا قوة اليقين بمعرفة إعجاز القرآن»[1]، وقريب من هذا قول عبده الراجحي الذي يصور لنا فائدة النص القرآني الذي يعد الرافد الأول الذي قامت حوله جميع الدراسات اللغوية عند العرب والذي كان يعنى بحفظ القرآن من تطرق اللحن إليه « صواب لا شك، لكنه صواب غير كامل، أو هو صواب لم يلتمس السبب الأهم في نشأة الدرس وتطوره، نعم لقد كان حفظ القرآن من اللحن سببا لكنه لم يكن السبب الأول، ولم يكن الغاية من الدراسة، والسبب الحقيقي-فيما نعتقد- لنشأة علوم اللغة عند العرب إنما هو السعي لفهم النص القرآني باعتباره مناط الأحكام التي تنظم الحياة»[2]، لذا اقتضى من الدرس اللغوي أن يحاط بالعناية والقداسة لتعلقه بالتنزيل لذا أرجعوا كل ما يتعلق بتصرف الكلام واشتقاقه وقواعده وقوانينه بالدرس القرآني« وخشي أهل العلوم منهم أن تفسد تلك الملكة رأسا، ويطول العهد بها فينغلق القرآن والحديث على المفهوم، فاستنبطوا من مجاري كلامهم قوانين لتلك الملكة، مطردة شبه الكليات والقواعد يقيسون عليها سائر أنواع الكلام، ويلحقون الأشباه بالأشباه»[3]، وانطلاقا من هذا التمهيد ارتأينا أن ننتخب شيئا من هذا الأسلوب وبخاصة تعلقه بالهمزة التي تعد أم باب الاستفهام والأدوات الأخرى عيال عليها، وهذه بعض من المسائل المتعلقة بها في القرآن:

1- قضية حذف همزة الاستفهام:

1- فقه اللغة وسر العربية، أبو منصور الثعالبي، تحقيق ياسين الأيوبي، ط2، المكتبة العصرية، صيدا، لبنان، 1420هـ-2000م، ص29

2- فقه اللغة في الكتب العربية، عبده الراجحي، دط، جار النهضة العربية، بيروت، 1972م، ص34.

3- المقدمة، عبد الرحمن بن خلدون، ط3، دار الكتاب اللبناني، 1368هـ-1967م، ص1056.

يعد حذف همزة الاستفهام من القضايا الخلافية عند النحاة، فهناك من يجيزها عند أمن اللبس، وهذا مذهب ابن مالك وهو ما يؤكده في قوله: «وقد يكثر حذف الهمزة إذا كان معنى ما حذفت منه لا يستقيم إلا بتقديرها»[1]، وهذا إذا كان المقام يطلها والمعني يقتضي الاستفهام نحو قوله تعالى:﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾[سورة الشعراء: الآية 22] ، ففي الكلام همزة استفهام محذوفة، لأن الاستفهام هنا يراد به الإنكار ويدل على هذا الحذف المعنى، أي أو تلك نعمة[2]، وقد رد هذا القول النَحَّاسُ لأنه لا يجوز الحذف إلا إذا كان في الكلام "أم"[3].

ومن المواضع التي تحذف فيها الهمزة قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ﴾[سورة الزخرف: الآية 19] بغير ألف الاستفهام على أنها حذفت تخفيفا[4]، وابن هشام الأنصاري يجيز حذفها سواء تقدمت على "أم" أم لم تتقدمها، لذا تحذف همزة الاستفهام كثرا في القرآن الكريم إذا كان هناك ما يدل عليها، إذا أمن اللبس.

ومن التأويلات النحوية لحذف الهمزة:

– إذا جاءت بعد القول نحو قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآَفِلِينَ﴾[سورة الأنعام: الآية 76]، فيحمل على الاستفهام والتقدير أهذا ربي؟ وتكون جملة استفهامية على سبيل الإنكار، أو أن يكون على الخبر، محمولا على حكاية قولهم أي: قال يقولون هذا ربي[5].

1- شواهد التوضيح، مصدر سابق، ص 146.

2- وهذا الذي روي عن العرب في أنها تحذف ألف الاستفهام. ينظر: البحر المحيط في التفسير، محمد بن يوسف أبو حيان الأندلسي، دط، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1436هـ-2005م، ج3، ص719.

3- المصدر نفسه، ج7، ص11.

4- يرى ابن جني أن حذف الهمزة في هذا الموضع ضعيف وموطنه الشعر، ولذلك جعل قوله:"أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ" نعتا للفظة إناث، ينظر: المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، أبو الفتح عثمان بن جني تحقيق علي النجدي ناصف و عبد الفتاح شلبي، دط، لجنة إحياء التراث العالمي، القاهرة، 1389هـ-1969م، ج2،ص254.

5- التبيان في إعراب القرآن، أبو البقاء العكبري، تحقيق محمد علي البجاوي، ط2، دار الجيل، بيروت، 1407هـ-1987م، ج1،ص512.

– إذا وقعت بعدها "أل" التعريف أدغمت فيها وأصبحتا همزة ممدودة نحو قوله تعالى: ﴿قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾[سورة يونس: الآية 10] ، فالتقت الهمزة هنا مع الألف فيصعب تحقيقها فصُيّرت على هذا همزة مدّية تخفيفا وتسهيلا، ويعد حذفا ضمنيا لهمزة الاستفهام، ومن هذا الباب أذا التقت الهمزتان نحو قوله تعالى: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾[سورة البقرة: الآية 06] بحذف همزة الاستفهام، وهذه عادة العرب في كلامها، فيدخلون بين ألف الاستفهام وبين الهمزة ألفا إذا التقتا، وذلك لكراهة التقاء الهمزتين فيفصل بينهما بالألف، فان الهمزة من الحروف التي يصعب النطق بها، فغالبا ما تذهب بعض القبائل العربية إلى إبدالها، إما حرف مد أو تقلب واوا أو ياءا، فإذا ما اجتمعت الهمزتان المفتوحتان، فإن أولاهما وهي همزة الاستفهام تبدل حرف مد، وتحقق الثانية كقول ذي الرمة:

فَيَا ظَبْيَةَ الوَعْسَاءِ بَيْنَ جُلاَجِلٍ === وبَيْنَ النَّقَا آأَنْتِ أَمْ أُمُّ سَالِمِ؟[1]

وهذا في لغة أهل الحجاز، أما بنو تميم فتحقق الهمزتين وتدخل ألفا بينهما، يقول سيبويه: «وإن جاءت ألف الاستفهام وليس قبلها شيء لم يكن من تحقيقها بُدٌ وخففوا الثانية على لغتهم»[2]، ومذهب العلماء في اجتماع الهمزتين التحقيق والتسهيل.

– وتحذف إذا دلت عليها "أَمْ" المعادلة للهمزة وهذا فاش في كلام العرب ولهجاتهم، ميلا منهم إلى التخفيف والتسهيل وقد استدلوا بقول امرئ القيس:

تَـرُوحُ مِنَ الحْـيِّ أَمْ تَبْتَكِرْ === وماذا عليـك بأن تَنْتَظِرْ؟[3]

فدل على جواز حذف الهمزة "أم" المعادلة لها ومثلوا لذلك ببيت عمر بن أبي ربيعة:

1– البيت من بحر الطويل، لذي الرمة، الوَعْسَاء: الأرض اللينة ذات الرمل، وجَلَاجِلُ: اسم موضع، والنَّقَا: التل من الرمل، وأم سالم: كنية محبوبته، والشاهد من البيت في قوله: (آأنت) حيث فصل بين الهمزتين بألف زائدة. ينظر: شرح شافية ابن الحاجب –مع شرح شواهده للبغدادي– ، رضي الدين الأستراباذي، تحقيق محمد نور الحسين وآخرون، دط، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1402هـ-1982م، ج3، ص64.

2– الكتاب، مصدر سابق، ج3، ص 551-552.

3–البيت من بحر المتقارب، لامرئ القيس، ينظر: ديوان امرؤ القيس، مصدر سابق، ص 105.

فَوَاللهِ مَا أَدْرِي وَإِنْ كَنْتُ دَارِيًا === بِسَبْعٍ رَمِينَ الجَمْرَ أَمْ بِثَمَانِيَ؟[1]

لذا نجد سيبويه –رحمه الله– يجوز حذف ألف الاستفهام ضرورة إذا دلت عليه "أم" المتصلة، ومثل على ذلك بقول الأخطل[2]:

كَذِبَتْكَ عَيْنُكَ أَمْ رَأَيْتَ بِوَاسِطٍ === غَلَسَ الظَّلَامِ مِنَ الرَّبَابِ خَيَالًا[3]؟

وتكون الإجابة على "أم" المتصلة بطلب التعيين والتي تسبق بهمزة لأنها سؤال عنه، نحو: أزيدٌ عندكَ أَمْ عَمْرُو؟ فيجاب عن ذلك بطلب تعيين أحدهما، إما زيد أو عمرو، ولا تكون الإجابة بالسلب ولا بالإيجاب؛ وقد تحذف همزة الاستفهام من الكلام للقرينة المعنوية إذا كان السياق يستدعي ذلك حتى و إن لم يكن هناك "أَمْ" واستدلوا على ذلك بقول الكُمَيْت:

طَرِبْتُ وَمَا شَوْقاً لِلْبِيضِ أَطْرُبُ === وَلَا لَعِبًا مِنِّي وَ ذُو الشَّيْبِ يَلْعَبُ؟[4]

وتقدير الكلام: أو ذو الشيب يلعب؟ على وجه الإنكار وفيه تهكم، و سيأتي الحديث عن تقدم همزة الاستفهام لحروف العطف؛ فنلاحظ أن تقدير الحذف هنا وقد عُدَّ من باب الضرورة، كأنه قيل: ولما لا تلعب؟ استئناف على سبيل السؤال، فبين علة ذلك لأنه شيخ كبير.

فنلاحظ مما سبق ذكره من أمثلة القرآن الكريم وكيف تأولها العلماء، مع البحث عما يعاضدها من كلام العرب، أن همزة الاستفهام تحذف من الكلام وهذا تبعا لما يقتضيه المقام الخطابي للمتكلم من جهة، ومن جهة أخرى إذا كانت هناك قرائن لغوية أخرى تدل على هذا الحذف حتى يكون مستساغا قابلا للتأول وإلا كان الكلام على يحتمل سوى الإخبار، أضف إلى ذلك أن العلماء لم يغفلوا قضية التقاء الهمزة بنظيرتها وبحثوا ذلك

1- البيت من بحر الطويل، لعمر بن أبي ربيعة، ورواية الديوان: فو الله ما أدري وإني لحاسب. ينظر: وديوان عمر بن أبي ربيعة، مرجع سابق، ص 10.

2- الكتاب، مصدر سابق، ج3، ص174.

3- البيت من بحر الكامل، للأخطل ، واسط: قرية غربي الفرات، رباب: اسم محبوبته، الغِلْسُ: ظلمة آخر الليل. ينظر: شرح ديوان الأخطل، إيليا سليم الحاوي، ط2، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1979، ص15-17-385.

4- سبق تخريجه، ص 41، من مطلع قصيدة يمدح بها آل النبي –ﷺ– ينظر: شرح أبيات مغني اللبيب، عبد القادر البغدادي، تحقيق عبد العزيز رباح وأحمد الدقاق، ط2، دار المأمون للتراث، 1407هـ-1988م، ج1، ص31.

أيضا، وهي من دواعي الحذف الذي سببه التخفيف وكل هذا من عادة العرب في كلامها، ومما جاء بيه القرآن الكريم.

2- صدارة همزة الاستفهام: الهمزة من الحروف التي لها الصدارة في الكلام، ومن استقرا العلماء وجدوها تتقدم بعض الحروف كحروف الجر، وحروف العطف كما تتقدم إنَّ ولم، وسنذكر أمثلة وشواهد على تقدمها في القرآن الكريم.

أ- تتقدم حروف العطف:

﴿أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ ﴾[سورة يوسف: الآية 107] ، فالتركيب يتكون من: همزة الاستفهام+حرف العطف "الفاء"+ الفعل أمن (فعل ماضي).

﴿ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنْتُمْ بِهِ آلْآنَ وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ [سورة يونس: الآية51] ، مكونات التركيب: همزة استفهام+ حرف العطف (ثُمَّ)+ إذا الشرطية.

﴿قَالُوا أَوَ لَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾[سورة غافر: الآية 50] مكونات التركيب: الفعل قال(فعل ماضي)+ همزة الاستفهام+ حرف العطف "الواو" + أداة الجزم "لم"+ فعل مضارع.

ب- تتقدم أسلوب الشرط:

﴿قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَئِنْ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ﴾[سورة يس: الآية 19] مكونات التركيب: همزة الاستفهام+إنْ الشرطية وجملتها.

﴿أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾[سورة آل عمران: الآية 114]، مكونات التركيب: همزة الاستفهام+ حرف العطف "الفاء"+ إن الشرطية وجملتها.

ج- تتقدم أداة الجزم "لم":

﴿سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾[سورة الملك: الآية 08]؛ مكونات التركيب: همزة الاستفهام+ أداة الجزم "لم"+ فعل مضارع.

﴿قَالُوا أَوَ لَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾[سورة غافر: الآية 50] مكونات التركيب: همزة الاستفهام+ حرف العطف "الواو"+ أداة الجزم "لم"+ فعل مضارع.

د- حروف الجر "في": ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[سورة إبراهيم: الآية 10] ، مكونات التركيب: همزة الاستفهام+ حرف الجر "في"+ الاسم المجرور.

فنلاحظ مما سبق من هذه الشواهد القرآنية وعلى كثرتها، أن همزة الاستفهام تتقدم عناصر التركيب، وهذا خلاف الأصل فهناك حروف لها الحق في التصدر كحروف العطف، وقد جاء نظيرها في القرآن الكريم، وهذا خلافا للزمخشري (ت538هـ) الذي يرى في تقدم حروف العطف على الهمزة أنها واقعة موقعها أي تتصدر الكلام، حيث ليس هناك تقديم ولا تأخير، وهذا بتأويل لم يسلم له فيجعل بين الهمزة و حروف العطف جملة مقدرة يصح العطف عليها، وكأنه يرى أن الحذف أسلم من التقديم والتأخير، إلا أنه رجع عن القول إلى رأي الجماعة[1]، ثم إن الهمزة هي أم باب الطائفة فقد خصت بالتقديم وتعامل معاملة خاصة، لذلك تحدث عنها النحاة ضمن الحروف التي يكون لها صدور الكلام، وهم على اتفاق في ذلك، يقول ابن السَرَّاجْ (ت316هـ): « وهذه الحروف عاملة كانت أو غير عاملة فلا يجوز أن يقدم ما بعدها على ما قبلها، وذلك نحو ألف الاستفهام»[2]، فقد تقدمت طائفة مهمة من الحروف العاملة وغير العاملة كحروف العطف والشرط والجر والجزم جميعا، وهذا لأن الاستفهام أسلوب يراد به الطلب فلا بد للتركيب أن يسبق بهمزة الاستفهام أو ما يقوم مقامها، لان السائل يريد الطلب ابتداء وقد تسبق بعض الاستفهام بحروف نحو قوله تعالى: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ ﴾[سورة محمد: الآية 27] ، فقد تقدمت الفاء كيف وهو كلام معطوف على ما سبقه وهذا راجع إلى سياقه.

1- ينظر: البحر المحيط: مصدر سابق، ج1، ص296.

2- الأصول في النحو، أبو بكر بن السراج، تحقيق عبد الحسين الفتلي، ط3، مؤسسة الرسالة ، بيروت، لبنان، 1408هـ-1988م، ج2، ص234.

ثم بعد هذا العرض نلاحظ أن النص القرآني اشتمل على مهمات قضايا الاستفهام بالهمزة، والتي جاءت في كلام العرب، كما نلاحظ أن الهمزة أعمُّ تصرفا داخل التركيب القرآني، مما جعلها محط عناية من قبل النحاة، فالهمزة تسبق أقسام الكلم الثلاثة، مما يجعلها تؤدي وظائف دلالية مختلفة.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الثاني: أسلوب الاستفهام من المنظور البلاغي

يحتل أسلوب الاستفهام مكانة خاصة في الدرس البلاغي وله مكانة خاصة في علم المعاني، إذ يتعلق بالإنشاء وتقسيماته، وعلاقة بطرفي العلاقة الإسنادية، إذ له تأثير على التراكيب وتوليد الدلالات، و تتوطد هذه العلاقة في تمام مباشرة أدواته للعناصر ما يترك تأثيرا على ترتيب عناصر التركيب ، هذا ما سنحاول طرقه فيما يأتي:

أولا: الاستفهام في الدرس البلاغي بين القداماء والمحدثين:

لقد مر معنا تقديم حدِّ الاستفهام في الدرس اللغوي بصفة عامة، كما تحدثنا عن تقسيماته وفق المعايير التي استند إليها النحاة من تقسيم الكلام إلى خبر وإنشاء، و تقسيم أدواته باعتبار التصور والتصديق، وسنأتي إلى نظرة البلاغيين لهذا الأسلوب كونه لا يخرج عن طلب العلم أو الفهم، لمن كان في الأصل جاهلا، فيكون بذلك سؤالا، إلا أن المتمعن في كتب البلاغة لا يجد البلاغيين يستعملون مصطلح السؤال إلا قليلا، وإنما المتداول والدارج عندهم هو مصطلح الاستفهام، فيبحثون غالبا في الكلام والمقام، والعلاقة بينهما، إلا أنه وجب علينا ضبط هذا المفهوم عند القدماء والمحدثين، لذا سنعود إلى كتب البلاغة للكشف عن كنه الاستفهام حتى يتبين لنا السبيل، ونتمكن من ضبط محاوره المتشعبة.

1- الاستفهام عند القداماء:

فيذهب علماء البلاغة وعلى رأسهم السكاكي إلى تقديم تعريف للاستفهام يكاد يتفق عليه جميع من جاء بعده، فيعرفه: «هو طلب حصول صورة الشيء في الذهن»[1]، وكل من جاء بعده فهم متفقون على هذا التعريف، إلا أن الدسوقي (ت1230هـ) في حاشيته على شرح متن التلخيص يرى أن هذا التعريف غير جامع وهذا من وجهة أنه يتداخل مع الأمر، وسنورد العبارة كاملة في معرض شرحه على التلخيص يقول: « ... وفي هذا التعريف إشارة إلى أن السين والتاء في الاستفهام للطلب، أي طلب الفهم، وإن الفهم هو العلم لأن الحصول هو الإدراك واعترض هذا التعريف بأنه غير مانع، وذلك لأنه يشمل، مثل: (عَلِّمْنِي) على صيغة الأمر

1- شروح التلخيص، سعد الدين التفتزاني، دط، طار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دت، ج2، ص246.

فإنه دال على طلب حصول صورة في الذهن مع أنه أمر لا استفهام فكان على الشارح أن يزيد بأدوات مخصوصة ليخرج نحو: عَلِّمْنِي وَفَهِّمْنِي»[1]، أما أبو حمزة العلوي (ت745هـ) نجده يعطي تعريفا للاستفهام أكثر ضبطا وأكثر شمولا حيث يقول في تعريفه: «ومعناه طلب المراد من الغير على جهة الاستعلام، فقولنا: طلب المراد عامٌ فيه وفي الأمر، وقولنا: على جهة الاستعلام، يخرج منه الأمر»[2]، ولعل هذا التعريف أكثر شمولا وتعميما[3] لأنه بين حقيقة الطلب التي قد تتشابك بالأمر، فأضاف قيدا على جهة الاستعلام، ليخرج الأمر كما ربطه بحال المستعلم بأنه ذلك الذي لا يملك معرفة ويريد تحصيلها، فسماه استعلاما عن شيء مجهول من قبل.

2- الاستفهام عند المحدثين:

إن نظرة المتأخرين من علماء البلاغة لتعريف الاستفهام، لم تختلف عما قرره الأوائل، حيث قاموا بضبطه حتى يكون أكثر دقة فلا يتشابك مع بقية الأساليب، ويستقل بحده فيخرج ما ليس استفهاما حيث لا يصدق إلا عليه لوحده، لذا سنحاول إيراد هذه التعريفات حتى نتمكن من الكشف عن رؤية المحدثين لهذا الأسلوب:

لو عدنا إلى السيد أحمد الهاشمي في كتابه نجده يعرف أسلوب الاستفهام كالآتي: «هو طلب العلم بشيء لم يكن معلوما من قبل بأداة خاصة»[4]، وكذلك عرفه كل من عبد العزيز عبد المعطي عرفة، وهذا ما نجده عند عبد العزيز عتيق في كتابه علم المعاني، وبه أخذ أصحاب البلاغة الواضحة، أما الميداني فيعرف الاستفهام بقوله: «هو من أنواع الإنشاء الطلبي، والأصل فيه طلب الإفهام والإعلام لتحصيل فائدة علمية مجهولة لدى المستفهم»[5]،

1- شروح التلخيص، المصدر نفسه، ج2، ص246.

2- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحي بن حمزة العلوي، مطبعة المقتطف، مصر، 1332هـ-1914م، ج3، ص 286.

3- ينظر: المصطلح البلاغي عند العلوي بين الإبداع والشمول والإشكال، علي حسين حمادي التميمي، مجلة كلية الآداب، العدد 98، دت، ص46.

4- جواهر البلاغة، مصدر سابق، ج2، ص 61، وينظر: من بلاغة النظم العربي –دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، عبد العزيز عبد المعطي عرفة، ط2، عالم الكتب، بيروت، لبنان، 1405هـ-1984م، ج2، ص93. وينظر: علم المعاني، عبد العزيز عتيق، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1430هـ-2009م، ص88، وينظر: البلاغة الواضحة، علي الجارم ومصطفى أمين، دط، دار المعارف، 1999م، ص192.

5- البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، حسن حبنكة الميداني، ط1، دار القلم، دمشق، 1416هـ-1996م، ج1، ص258.

فنلاحظ أن هذه المفاهيم تتفق كلها على أن الاستفهام هو طلب، وهذا الطلب يتعلق بشيء لم يكن معلوم من قبل لدى المستفهم، كما نجدها تتفق من حيث الجهة التركيبية له، مما يجعله مغايرا للأساليب الإنشائية الطلبية الأخرى فاحترزوا بقولهم: (بأداة خاصة)، ويقصدون بذلك أدوات وأسماء الاستفهام التي تخصه دون غيره، أما ما أورده الميداني في تعريفه هو الاكتفاء بالفائدة التي يحصلها المستفهم من سؤاله لذلك قرنه بطلب الإفهام والإعلام، ولم يزد عليهما، وهناك من المتأخرين من أخذ أسلوب الاستفهام من الناحية التركيبية التي تتعلق بالمسْتَفْهَم عنه وهذا ما جاء عند الأزهر الزناد في تعريفه: «الاستفهام تركيب يطلب به العلم بحكم كان مجهولا أو في عداد المجهول عند السائل»[1]، فقد وافق من سبقه في كونه طلب العلم، أما قوله: كان مجهولا أو في عداد المجهول، فهو يتحدث عن السائل، والشيء المراد تحصيله بالنسبة إلى السائل كالتردد والشك والجهل، وهذا هو الغرض من إلقاء الاستفهام، فالفائدة هي تحقيق العلم بالشيء للمستفهم عنه.

3- بين الاستفهام والاستعلام والاستخبار:

انطلاقا من التعريفات التي أوردناها فيما سبق للاستفهام فإنه يتقاطع مع مصطلحي الاستعلام والاستخبار، فهل يمكن لهذه المصطلحات أن تأخذ بمعنى واحد أم أنها تفترق من حيث دلالة الاستعمال وفق المقام الذي يتطلبه الخطاب، فيقال حينها هو مستخبر أم مستعلم أو مستفهم؛ وأيهما الأنسب في الاصطلاح:

أ- الاستعلام: فاسْتَعْلَمَ من الفعل عَلِمَ، ويرد بمعنى شعرَ يقول ابن منظور: «وعَلِمَ بالشَّيْءِ: شَعَرَ، يُقَالُ: مَا عَلِمْتُ بِخَبَرِ قُدُومِهِ، أيْ مَا شَعَرْتُ، ويُقالُ: اسْتَعْلِمْ لِي خَبَرَ فُلَانٍ وَأَعْلِمْنِيهِ حَتَّى أَعْلَمَهُ، واسْتَعْلَمَنِي الْخَبَرَ فَأَعْلَمْتُهُ إِيَّاهُ»[2]، وهو من الأفعال التي تتعدى إلى مفعولين، يقول ابن عقيل (ت769هـ): «أشار بهذا الفصل إلى ما يتعدى من الأفعال إلى ثلاثة مفاعيل، فذكر سبعة أفعال: منها (أَعْلَمَ) و(رَأَى) فذكر أن أصلهما (عَلِمَ) و(رَأى)، وأنهما يتعديان إلى ثلاثة مفاعيل، لأنهما قبل دخول الهمزة عليهما كان يتعديان إلى مفعولين، نحو: عَلِمَ زَيْدٌ عَمْراً مُنْطَلِقاً، ورأَى خَالِدٌ بَكْراً أَخَاكَ، فلما دخلت عليهما همزة النقل زادتهما مفعولا ثالثا، وهو الذي كان فاعلا قبل

1- دروس في البلاغة العربية –نحو رؤية جديدة- ، الأزهر الزناد، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، 1992م، ص110.

2- لسان العرب، مرجع سابق، مادة (علم)، مج4، ص 3083.

دخول الهمزة»[1]، وعليه فإن الاستعلام يعني الاستخبار في اللغة، ولا يكون الاستخبار إلا طلبا، لأن المستعلم يطلب خبرا ليس عنده حتى يستفيد منه، و يعود أصله إلى الفعل علم الذي يفيد التصور.

ب- الاستخبار: فالخبر في اللغة بمعنى النبأ «والخَبَرُ بالتَّحْرِيكِ: واحدُ الأَخْبَارِ، والخَبَرُ: مَا أَتَاكَ مِنْ نَبَإٍ عَمَّنْ تَسْتَخْبِرُ»[2]، أما الخُبْرُ بالتسكين العلم بالشيء[3]، وعليه فالاستخبار طلب الخبر الذي يفيد العلم عن شيء ما قد خفي عنَّا، فهو سؤال عن الخبر، أما في الاصطلاح فالاستخبار: هو «طلب خبر ما ليس عند المستخبر وهو الاستفهام»[4]، وهذا ما قال به ابن فارس إلا أنه يرى بينه وبين الاستفهام فرقا حيث يقول في بيان هذا الفرق: «وذكر ناس أن بين الاستخبار والاستفهام أدنى فرق، قالوا: وذلك أن أولى الحالين الاستخبار لأنك تستخبر فتجاب بشيء، فربما فهمته وربما لم تفهمه، فإذا سألت ثانية فأنت مستفهم تقول: أفهمني ما قلته لي»[5]، فيستفاد من هذا التعليل أن السائل من المرة الأولى فهذا استخبار منه، أما إذا كرر سؤاله للمرة الثاني فهذا استفهام، لأنه فهمه لم يتوصل إلى إدراك الحقيقة التي يريد تحصيلها.

إن التفريق بين هذه بين هذه المفاهيم لم يكن موجودا عن علماء البلاغة قديما، فيأخذون الاستخبار بمعنى الاستفهام ولا حرج في ذلك وهذا ما نجده عند عبد القاهر الجرجاني (ت 474هـ) في قوله: «وذاك أن الاستفهام، استخبار، والاستخبار هو طلب من المخاطب أن يخبرك»[6]، فما دام يفيد معنى الطلب والاستعلام فلم يفرق بينهما وهذا ما خلص إليه فضل حسن عباس في معرض تعريفه للاستفهام: «الاستفهام طلب الفهم، وهو استخبارك عن الشيء الذي لم يتقدم لك علم به، وبعضهم يفرق بين الاستفهام والاستخبار، وليس في

1- شرح ابن عقيل، بهاء الدين عبد الله بن عقيل، ط20، دار التراث، القاهرة، 1400هـ-1980م، ج2، ص 64. وهذا الذي أجازه الأخفش في أن يعامل غير (أعلم) و(أرى) من أخواتهما القلبية في النقل بالهمزة من التعدي إلى مفعولين إلى ثلاثة مفاعيل، لكن الإجماع على أن لا يتعد إلى ثلاثة مفاعيل سواهما، ولا يجوز القياس عليهما إلا إذا ورد السماع بنقلهما. ينظر: حاشية الصبان شرح الأشموني على ألفية بن مالك، أبو العرفان محمد بن علي الصبان، تحقيق طه عبد الرزاق سعد، دط، المكتبة التوفيقية، القاهرة، دت، ج2، ص 59.

2- لسان العرب، مرجع سابق، مادة (خبر)، مج2، ص1090.

3- مقاييس اللغة، مرجع سابق، مادة (خبر)، ج2، ص 239.

4- الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، مصدر سابق، ص186.

5- المرجع نفسه، ص 186.

6- دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق محمود شاكر، ط5، مكتبة الخانجي، القاهرة، 2004م، ص140.

ذلك جد عناء في علم البلاغة»[1]، فمن هذا المنطلق فيمكننا القول إن والاستعلام الاستخبار لا يفرق بينهما وبين الاستفهام من الناحية الاصطلاحية، اللهم إلا إذا تعلق الأمر عن حال المِسْتَفهِم فيمكن وصف حاله بأحد هذه المصطلحات وذلك بالعودة إلى السبب الذي يدفعه إلى المبادرة بهذا الطلب فعندئذ يُحكَمُ عليه بأنه مستفهم أو مستخبر، أو مستعلم، وهذا بالنظر إلى طريقة إلقائه للسؤال وسبب ذلك مع ربطها بالمقام الذي يلقى فيه هذا الاستفهام.

4- حالات المستفهم[2]: إن الذي يلجأ إلى السؤال لا يكون إلا طالبا لحقيقة ليست متوفرة عنده، ما يدفعه للبحث عنها عن طريق أسلوب الاستفهام، حتى يمتلك حقيقة الأشياء ويدركها إدراكا تاما، فلا يعود للسؤال عنها مرة أخرى، وحالات المستفهم لا تخرج عن هذه الحالات الأربع:

أ- طلب العلم: حتى يستطيع الإنسان التعايش مع بيئته فلا بد له من إدراك ما يحيط به وذلك ما يستفاد من الحواس التي زود بها وهذا ما يعرف بالعلم البسيط، أما إذا ذهب إلى أبعد من ذلك، من حب التطلع إلى حقائق الأمور وما يترتب عليه من إعمال الفكر عندها يصبح علما معقدا، فلو عدنا إلى المَناطِقة نجدهم يعرفونه على أنه: مطلق الإدراك، الذي يعني «أن كل ما تدركه في ذهنك يسمى علما، سواء أدركت حيوانا أو جمادا وسواء كنت متأكدا أو ظانّا أو شاكّا أو متوهما فإن ذلك كله يسمى علما»[3]، فالعلم عند المناطقة شامل لكل المعارف التي يحصلها الإنسان في جميع أحواله، أما علماء أصول الفقه فيرون أن العلم: «معرفة المعلوم على ما هو به»[4]، أي إدراكه على حقيقته في الواقع، والمعرفة في قوله بمعنى العلم أي: «أن يدرك الإنسان الشيء إدراكا مطابقا لما يكون ذلك الشيء عليه في الواقع»[5]، ثم إن الجرجاني في كتابه التعريفات فقد جمع عشرة

1- البلاغة فنونها وأفنانها، فضل حسن عباس، ط4، دار الفرقان للطباعة والنشر والتوزيع، اليرموك، الأردن، 1417هـ-1997م، ص 170.

2- وقد أشار عبد القاهر الجرجاني إلى هذه الحالات في معرض حديثه عن مواضيع التقديم والتأخير وعلاقتها بالاستفهام، فذكر عدة مصطلحات كالتوهم، والتردد، والشك والظن. ينظر: دلائل الإعجاز، مصدر سابق، ص 119.

3- مقدمة في علم المنطق، نايف بن نهار، ط2، مؤسسة وعي للدراسات والأبحاث، قطر، 2016، ص16.

4- متن الورقات، إمام الحرمين الجويني، ط1، دار الصميعي، المملكة العربية السعودية، 1416هـ-1996م ، ص8.

5- شرح الورقات، عبد الرحمن بن إبراهيم الفزاري المعروف بابن الفركاح، دراسة وتحقيق سارة شافي الهاجري، دط، دار البشائر، الكويت، الإسلامية، دت، ص104.

تعريفات للعلم[1] ولا تخرج عما قرره المناطقة أو علماء أصول الفقه، فهي متوافقة في الإدراك الذي يحصل الفائدة المتمثلة في المعرفة، وعليه فإن المستفهم يطلب العلم والمعرفة من وراء سؤاله، وهذا بدافع الفضول أو الاستزادة وتوسيع المدارك.

ب- الشك بالشيء: ومن الحالات التي تدعو إلى طلب الفهم، الشك وهو من العمليات النفسية التي تعتري الإنسان حيال قضية معينة والشك خلاف اليقين[2]،وهو: «هو التردد بين النقيضين بلا ترجيح لأحدهما على الآخر عند الشاك»[3]، حيث إن القلب لا يميل إلى أي من أحدهما، فالمستفهم يقف عند هذه القضية فلا يثبتها ولا ينفيها ولا يؤمن بصحتها ولا يؤمن بخطئها، ولا ينفك عنه إلى بالجواب الذي يحصله من وراء السؤال الذي يزيل عنه هذا الشك والحيرة.

ج- الظن بالشيء: ومن الحالات التي يقع فيها المستفهم هي حالة الشك، ويأتي الظن في اللغة[4] بمعنى الشك وهو عدم اليقين، كما يأتي بمعنى اليقين من ذلك قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾[سورة البقرة: الآية 46] ، أما الظن في الاصطلاح: «هو الاعتقاد الراجح مع احتمال النقيض، ويستعمل في اليقين والشك»[5]، بمعنى أن يكون هناك أكثر من احتمال لدى المستفهم، فلا يمكن ترجيحه على أنه صواب أو خطأ، فالظن اقل مرتبة من اليقين، «فإذا كان اليقين لا يحتمل الخطأ، فالظن يحتمل لكن احتمالية الخطأ ضعيفة مرجوحة»[6]، وفي هذا المعنى عند الأصوليين إلا أننا نجدهم يفرقون بين الشك والظن، وهذه الأقسام التي تكون في مقابل العلم وضده، يقول شارح متن الورقات للجويني (ت478هـ): « والشك تجويز أمرين لا مزية لأحدهما على الآخر عند المجوز، فالتردد في قيام زيد ونفيه على السواء شك، ومع رجحان الثبوت أو الانتفاء

1- التعريفات، الجرجاني، مصدر سابق، ص199.

2- لسان العرب،مرجع سابق، مادة (شكك)، مج4، ص 2309.

3- التعريفات، مصدر سابق، ص186. وينظر: مقدمة في علم المنطق، مرجع سابق، ص18.

4- مقاييس اللغة، مرجع سابق، مادة (ظن)، ج3، ص462-463. وينظر: لسان العرب، مرجع سابق، مادة (ظنن)، مج4، ص2762.

5- التعريفات، مصدر سابق، ص 187.

6- مقدمة في علم المنطق، مرجع سابق، ص17.

ظن»[1]، فالظن من هذا المنطلق تردد وترجيح لحدود القضية، فلا يتعين ثبوتها ولا نفيها بالكلية، وعليه تكون قريبة من حقيقة العلم واليقين.

د- توهم الشيء: فالتوهم في اللغة بمعنى: «تَخَيُّلُهُ وتَمَثُّلُهُ، كَانَ فِي الْوُجودِ أَوْ لَمْ يَكُنْ»[2]، أما اصطلاحا: «هو إدراك المعنى الجزئي المتعلق بالمعنى المحسوس»[3]، فالوهم إدراك ضعيف لحقيقة القضية فهو مبني على تخيلات لا توصل إلى الإدراك الكلي، كالذي يسأل عن شيء لا يمكن حدوثه، أو يسأل عن شيء لم يره أبدا، فحتى وإن حظي بجواب إلا انه لا يحقق عنده إدراك كلي لحدود القضية التي يستفهم عنها، فيبقى احتمالا ضعيفا مرجوحا، لذلك يكون الوهم عكس الظن «فإذا كان الظن هو الاحتمال الراجح فإن الوهم هو الاحتمال المرجوح»[4]، فالمستفهم قد يقع في الوهم حيال قضية معينة، لأنه يمتلك في ذهنه حقيقة مغايرة للواقع، فيبادر إلى السؤال والاستفهام حتى يتمكن من ضبط حقائق الأمور.

هـ- الجهل به: فالجهل في اللغة نقيض العلم[5]، أما في الاصطلاح حدّهُ الجويني بقوله: «تصور الشيء على خلاف ما به»[6]، فالمستفهم إن كان لا يملك أي حقيقة في ذهن حيال قضية معينة فهذا يعني أنه جاهل بها، فيبادر إلى السؤال حتى يحقق المعرفة اليقينية، التي لا تحتاج إلى السؤال عنها مرة أخرى هذا ما يعرف بالجهل البسيط، وقد يمتلك حقيقة مغايرة للواقع ويعتقدها ويوقن بها هنا يكون قد وقع في الجهل المركب، لذا يفرق العلماء بين هذين القسمين بقولهم: «فالفرق بين الجهل البسيط والجهل المركب؛ أن الجهل البسيط: هو أنك تعرف وتعرف أنك لا تعرف، والجهل المركب: هو أنك لا تعرف ولا تعرف أنك لا تعرف»[7]، والجهل البسيط قد يدخل تحت الوهم، لأن المستفهم قد يمتلك حقيقة لكنها غير ثابتة عنده فلا تزول إلا بتصحيحها، أما الجهل المركب فيملك حقيقة ويوقن بها لكنها غير صحيحة فهو اعتقاد في غير محله.

1- شرح الورقات في أصول الفقه، جلال الدين المحلي الشافعي، تحقيق حسام الدين بن موسى عفانة، ط1، جامعة القدس، فلسطين، 1420هـ-1999م، ص85-86.

2- لسان العرب، مرجع سابق، مادة (وهم)، مج6، ص 4934.

3- التعريفات، مصدر سابق، ص329.

4- مقدمة في علم المنطق، مرجع سابق، ص18.

5- مقاييس اللغة، مرجع سابق، مادة (جهل) ج1، ص489.

6- متن الورقات، مصدر سابق، ص8. وينظر: التعريفات، مصدر سابق، ص 108.

7- مقدمة في علم المنطق، مرجع سابق، ص 19.

وبعد ضبط هذه المصطلحات التي تتقاذفها العلوم، فإن حالات المستفهم الذي يطلب معرفة الحقيقة، لا تخرج عن هذه الحالات الخمس، ويعود هذا إلى الإدراك المسبق إن كان موجدا أو منعدما، وعليه نستطيع قياس حالته بين الشك واليقين أو انعدامها وهي حالة الجهل.

5- الاستفهام بالهمزة بين الحقيقية والمجاز: ومن التقسيمات التي تعتري هذا الأسلوب، دورانه بين الحقيقة والمجاز، وهذا بالنظر إلى البنية التركيبية مع مراعاة السياقات الحالية والمقالية التي تحيط بكل من المتكلم والمخاطب وطبيعة الطلب، ما إذا كان استفهاما على وجه طلب الاستعلام أو أن السائل يريد غير الاستعلام، وهذا ما يراد به الاستفهام غير الحقيقي؛ والغرض من الاستفهام أصالة هو الطلب أي الاستعلام عن الشيء لدى المخاطب، وهذا هو الأصل الوضعي لهذا الأسلوب والغاية منه، إذ يمكن أن يخرج لأغراض أخرى غير الطلب.

اهتم علماء البلاغة بالمفردة والتركيب وما يجمع بينهما من قرائن لغوية أو سياقية، تجعله إما أن يكون حقيقة وإما مجازا، وهذا ما حاول البلاغيون التقعيد له في مباحث علم البيان، ذلك أن الكلام يلقى ولا يراد به ظاهره، وإنما يحتاج إلى التأويل وإعمال الفكر، لفهم المقصد الذي يرمي به المتكلم، ثم إن الكلام متى حُمِلَ على غير ما وضع له كان مدعاة للعجب، وشد الانتباه، وتحريك الفضول؛ فالمتكلم قد يستعمل خياله فيصور المعقول محسوسا، والمنظور مسموعا، والمسموع منظورا، ولا يتم له إلا باستعمال الإيحاءات التي يستغلها في نقل هذه الأحاسيس والتجارب للمتلقي، فيتفاعل معه ويبلغ الكلام موضعه، حتى تتحقق الوظيفة الإبلاغية، وإلا فلا عبرة من إلقاءه، لذا كان لمعرفة مدار الحقيقة والمجاز في الكلام أهمية بالغة وبناء عليها يحكم على الكلام بالفصاحة من عدمها؛ ولعل أول من تطرق إلى بيان الحقيقة والمجاز[1] عبد القاهر الجرجاني في قوله: «فكل كلمة أريد بها غيرُ ما وقعت له في وضع واضعها، لملاحظة بين الثاني والأول، فهي مجاز، وغن شئت قلت: كل كلمة جزت بها ما وقعت به في وضع الواضع إلى ما لم توضع له، من غير أن تستأنف فيها وضعا، لملاحظة بين ما تجوز بها إليه، وبين أصلها الذي وضعت له فيوضع واضعها، فهي مجاز»[2]، فالحقيقة في قوله هو ما استند إلى

1- ومنه تجوَّزَ في كلامه: إذا تكلم بالمجاز، أي عكس الحقيقة، ينظر: المختار من صحاح اللغة، أبو بكر بن عبد القادر الرازي، دط، مكتبة لبنان، بيروت، 1986م، ص46.

2- أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق عبد الحميد هنداوي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1422هـ-2001م، ص249.

أصل الوضع اللغوي الأول، والمجاز هو أن تتجاوز بهذه المفردة من أصلها اللغوي إلى غير ما وضعت له، نحو لفظ (اليد)[1] فيستعمل للحقيقة الجارحة، كما تستعار لمعنى النعمة أو الجود، أو القوة، أو ما شاكل هذه المعاني، لأن الاعتبارات اللغوية تتبع أحوال المخلوقين وعاداتهم، وهذا ما أشار إليه في بيان حد الحقيقة: «فكل جملة وضعتها على أن الحكم المفاد بها على ما هو عليه في العقل، وواقع موقعه منه، فهي حقيقة، ولن تكون كذلك حتى تَعْرى من التَأَوُّلِ، ولا فصل بين أن تكون مصيبا فيما أفدت بها من الحكم أو مخطئا وصادقا أ غير صادق»[2]، فإن معيار الحقيقة يستند إلى العقل الذي يحكم بين على اللفظ ما إذا سيق على أصل وضعه أم أريد به خلاف ذلك وهذا ما عقّب به أحمد مطلوب على كلام الجرجاني في حد الحقيقة في قوله: «وإذن فهو لا يتقيد كل التقيد بمسالة الوضع اللغوي الأول الذي أقره اللغويون ركنا أساسا في الحقيقة، وإنما يعتمد معيار العقل الذي يتخذه فيصلا بين الحكم الحقيقي والحكم غير الحقيقي المؤول والمجازي»[3]، وعليه فإن معيار التفريق بين الحقيقة والمجاز يكمن في الفهم الأول والذي يستند إلى الأصل اللغوي، أما التجوز باللفظ عن أصل وضعه فيحتكم فيه إلى إعمال العقل الذي يحيط بالمعاني التي ينصرف إليها اللفظ بمعونة القرائن.

وانطلاقا من محاولة ضبط الحقيقة والمجاز في البلاغة العربية، يمكننا الحديث عن أسلوب الاستفهام الذي يستعمل أحيانا على وجهه الأصلي كما يستعمل على غير الوجه، فيكون استفهاما مجازيا، لذا فقد حاول البلاغيون وضع ضوابط يُعْرَفُ بها الاستفهام الحقيقي من المجازي، فالاستفهام الحقيقي لا يكون إلا إذا صدر من شاك متردد يريد تحصيل العلم إزاء أمر معين يهمه ويخصه، وهذا « لكون الاستفهام طلب ما في الخارج أو تحصيلهُ في الذهن لَزِمَ ألَّا يكون حقيقة إلا إذا صدر من شاك مصدق بإمكان الإعلام، فإن غير الشاك إذا استفهم يلزم تحصيل الحاصل وإذا لم يصدق بإمكان الإعلام انتفت فائدة الاستفهام»[4]، نحو: كم الساعة؟ فالمستفهم يريد تحصيل فائدة وهي معرفة الوقت لأنه يجهله، فالفائدة من الاستفهام هو تحصيل الفائدة على وجه الطلب الذي من أجله جاء وضع الاستفهام ابتداء، وإلا لم يسم طلبا في الحقيقة، لأن المستفهم يعلم الحقيقة

1- أسرار البلاغة، مرجع سابق، ص 278.

2- أسرار البلاغة، المصدر نفسه، ص 271.

3- البلاغة والتطبيق، أحمد مطلوب وكامل حسن البصير، ط2، وزارة التعليم العلي والبحث العلمي، جمهورية العراق، 1420هـ-1999م، ص 321.

4- البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي، تحقيق أبو الفضل إبراهيم،ط1، دار إحياء الكتب العربية، 1376هـ-1957م، ص326-327.

وإنما استعان بالاستفهام حتى يبلغ السامع معاني لا يستطيع تبليغها إلا بواسطة هذا الأسلوب، لذلك فإن الاستفهام «طلب الإفهام والإعلام لتحصيل فائدة علمية مجهولة لدى المستفهم»[1]، فحصول صورة المراد فهمه في نفس السائل واستقرار هيأته في عقله هو الغرض الأصيل للاستفهام، وعليه فإن الاستفهام الحقيقي هو ما يحتاج إلى جواب يقنع المستفهم ويشفي غليله، ويمده بالعلم والمعرفة.

أما الاستفهام المجازي هو ما كان السائل عالم فيه بما يسأل عنه، لكنه يقصد فيه ويرمي به إلى معنى مجازي حيث يفهمه المتلقي من قرائن السياق عند التأمل في الملفوظ والوسط الذي ألقي فيه مع الحالة النفسية للمستفهم، وما يخفيه من معان وأسرار، وهذه المعاني المجازية كثيرة تقترن غالبا بالملابسات التي يلقى فيها الخطاب.

ثانيا: موقع أسلوب الاستفهام من مباحث علم البلاغة

1- علة تقديم أدوات الاستفهام: لعل المتكلم إذا خاطب بشيء إنما كان يريده أصالة أو أنه مهتم به دون غيره لهذا نجده يقدم ما يريده ويخصصه، ليلمح المخاطب ذلك ويفهم مراده دون قلق أو صعوبة، لذا كان لأدوات الاستفهام الحظوة في الصدارة، زد على ذلك أنه من الأساليب الطلبية وهذا ما يجعلها مقصودة لذاتها، فحق لها أن تكون في صدر الكلام، يقول السكاكي: «وإذا قد عرفت أن الاستفهام طلبٌ، وليس يخفى أن الطلب إنما يكون لما يُهِمُّك ويعنيك شأنهُ، لا لما وجوده وعدمه عندك بمنزلة، وقد سبق أن كون الشيء مهمًّا، جهة مستدعية لتقديمه في الكلام، فلا يعجبك لزوم كلمات الاستفهام صدر الكلام ووجوب التقديم»[2]، وعلة لزوم الاستفهام لصدر الكلام، هو السماع من العرب، وفي طريقة كلامها، ولا يخرج عن ذلك حتى يكون لها وجه في البلاغة.

2- اتصال أسلوب الاستفهام بعلم المعاني: تنقسم علوم البلاغة العربية إلى ثلاثة علوم رئيسة وهي: المعاني والبيان والبديع، ويندرج ضمنها مباحث متنوعة، ما يهمنا من هذه العلوم علم المعاني، لنبحث عن اتصال

1- البلاغة العربية، حسن حبنكة الميداني، مصدر سابق، ص198.

2- مفتاح العلوم، سراج الدين بن محمد بن علي السكاكي، تحقيق نعيم زرزور، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1407هـ-1987م، ص317.

أسلوب الاستفهام بعلم المعاني[1]، فنجد إن الاستفهام مستقل بمبحث يخصه وذلك في باب الإنشاء وبالأخص الأساليب الإنشائية الطلبية، كما نجده يتصل أيضا بمبحث آخر وهو العلاقة الإسنادية وما يتعلق بها من مسائل، ولعل مبحث التقديم والتأخير هو أشدها اتصالا، لعلاقة القرائن بطرفي الجملة وهما المسند والمسند إليه، وهذا ما يستدعيه نظم الكلام وترتيبه ليوافق المعاني المراد التعبير بها.

أ- علاقته بالتقديم والتأخير: للتقديم والتأخير فوائد بلاغية لا حصر لها تخرج عن كون ما يراه النحويون وحصروه في العناية والاهتمام كما نجده عند سيبويه –رحمه الله- في معرض حديثه عن الفاعل والمفعول به: «كأنهم يقدمون الذي بيانه أهم لهم وهم ببيانه أعنى»[2]، لكن عبد القاهر الجرجاني –رحمه الله- يرى فائدة التقديم والتأخير من زاوية أخرى وهذا الذي جعله يناقض النحاة في مذهبهم، ويرى غير طريقتهم، على أنه خطأ يقول: «واعلم أن من الخطأ أن يقسَّم الأمر في تقديم الشيء وتأخيره قسمين، فيجعل مفيدا في بعض الكلام، وغير مفيد في بعض وأن يعلل تارة بالعناية وأخرى بأنه توسعة على الشاعر والكاتب، حتى تطرد لها قوافيه ولذلك سجعه، ذاك لأن من البعيد أن يكون في جملة النظم ما يدل تارة ولا يدل أخرى»[3]، فمثلا إذا قدم المفعول على الفعل يكون ذلك عناية واهتماما وهنا تحصل الفائدة بعكس ما إذا ترك فهنا لا تحصل فائدة، فالحاصل من ذلك أن الفائدة حاصلة في كلا الأمرين وهذا ما يستدعيه نظم الكلام وتفاوته في القدر والقيمة وعلو بعضه على بعض، وليس في التقديم لوحده أو للتأخير فالفائدة، فالنحاة اهتموا بالترتيب والجملة وتحولها، نحو: ضَرَبْتُ زَيْدًا و زَيْدٌ ضَرَبْتُ، فنلحظ أن الجملة تحولت من فعلية إلى اسمية، لكن عبد القاهر الجرجاني ينظر في موقع اللفظة من الجملة لا في الجملة عامة، وهنا مكمن سر التقديم والتأخير عنده.

ومن المسائل التي تحدث عنها عبد القاهر الجرجاني في باب التقديم والتأخير الاستفهام بالهمزة وقد أورد فيها كلاما كثيرا مع تقديم تحليلات للأمثلة يقول: «وهذه مسائل لا يستطيع أحدٌ أن يمتنع من التفرقة بين تقديم ما قُدِّمَ فيها وترك تقديمه؛ ومن أَبْيَنِ شيءٍ في ذلكَ الاستفهام بالهمزة، فإنَّ موضع الكلام على أنَّكَ إذا قلت:

1- علم العاني: أصول وقواعد يُعْرف بها كيفية مطابقة الكلام لمقتضى الحال، بحيث يكون وفق الغرض الذي سيق له. ينظر: جواهر البلاغة، مرجع سابق، ص37.

2- الكتاب، مصدر سابق، ج1، ص34.

3- دلائل الإعجاز، مصدر سابق، ص110.

أَفَعَلْتَ؟ فبدأت بالفعل، كان الشكُّ في الفعل نفسه، وكان غرضك من استفهامك أن تعلمَ وجودهُ، وإذا قلت: أأنْتَ فعلْتَ؟ فبدأْت بالاسم، كان الشكُّ في الفاعل منْ هوَ، وكان التردُّدُ فيه»[1]، قد رأينا كيف يتغير ترتيب عناصر التركيب بتقديم الفعل أو الاسم، فإن كان مع الفعل فإنما هو للتقرير، أي أن السؤال عن الفعل لتقرير حصوله أو نفيه، والسؤال عن الاسم لتقرير كونه فاعلا أو غير ذلك.

ثم إن الناظر إلى ترتيب الكلام في الاستفهام يجده على غير ترتيبه في الخبر على أنه يؤدي إلى معاني جديدة، وذلك كما سبق وأن أشرنا إليه في تقديم بعض العناصر في الترتيب على بعض استنادا إلى ما قرره عبد القاهر الجرجاني: «واعلم أنَّ معك دستور لك فيه إنْ تأَمَّلْتَ غنًى عن كل سواه، وهو أنه لا يجوز أن يكون لنظم الكلام وترتيب أجزائه في الاستفهام معنى لا يكون له ذلك المعنى في الخبر... كان محالا أن يفترق الحال بين تقديم الاسم وتأخيره في الاستفهام، فيكون المعنى إذا قلت: أزيدٌ قامَ؟ غيره إذا قلت: أقامَ زيدٌ؟ ثم لا يكون هذا الافتراق في الخبر ويكون قولك زيدٌ قامَ و قام زيدٌ سواء»[2]، هنا نلاحظ المزية في مراعاة الترتيب بين تقديم الاسم وتأخيره في الاستفهام لأن المراد هو حصول الجواب على شيء معين، عكس ما نلاحظه في الخبر فالتقديم والتأخير لا يؤدي معنى سوى مجرد الإخبار بوقوع الفعل من الفاعل أو بإيقاع الفعل من الفاعل.

ب– علاقته بعناصر البنية التركيبية: ويختلف مدلول الجمل الاستفهامية بوضوح إذا كان الفعل المستعمل فيها ماضيا أو مضارعا، إذا تكسب الجملة معاني إضافية بحسب الفعل المستخدم فيها ومن أمثلة ذلك:

– تقديم الفعل الماضي: إذا كان الشك في الفعل تقدم وجب تقديمه في الاستفهام بالهمزة، لأن المستفهم متردد بين وقوع الفعل من عدمه، نحو: أَبَنَيْتَ الدَّارَ الَّتِي كُنْتَ عَلَى أَنْ تَسْكُنَهَا؟ أَقُلْتَ الِّشعْرَ الذي كان في نَفْسِكَ أَنْ تَقُولَهُ؟ أَفَرَغْتَ منَ الكِتَابِ الذي كنْتَ تَكْتُبَهُ؟[3] فمن الملاحظ في هذه الأمثلة إن التَّسَاؤُل فعل البناء والقول والفراغ، لذا كان من اللازم أن يكون الابتداء بالفعل نفسه لأن الشك فيه، لأن المستفهم متردد بين وجود الفعل وانتفائه، فيحتمل وقوعه من عدم وقوعه.

1- دلائل الإعجاز، مصدر سابق، ص 111.

2- المصدر نفسه، ص140.

3- دلائل الإعجاز، مصدر سابق، ص111.

ويتقدم الاسم على الفعل الماضي نحو: أأنت ضربت زيدا؟ فيكون الفعل معلوم الوقوع لكن يجهل فاعله، فالسائل يشك في من أوقع الفعل.

ومن هذا الباب فلا يجوز السؤال على المعلوم والمشاهد نحو: أبنيت هذه الدار التي كنت على أن تبنيها؟ إذْ إن هوية الباني معروفة عند المستفهم، فلا يعقل السؤال عن المعلوم، بل السؤال يكون عن الفعل (أبنيت هذه الدار؟) فيكون الاستفهام مُسَلَّطٌ على الفعل، « فلا تبتدئ بالاسم وأنت تعرفه بل بالفعل إذ الشك واقع فيه»[1].

– **تقديم الفعل المضارع**: ويأخذُ تقديم الفعل المضارع في الاستفهام منحى آخر إذْ يراد به الحال أول الاستقبال، نحو قولنا: أتفعل؟ إذا كان الفعل واقع في الحين، فهذا يخرج مخرج الاستفهام بالفعل الماضي فيفيد ما أفاده وهو التقرير.

في حين إذا كان الفعل المضارع للاستقبال فيكون الاستفهام إنكاري ويكون ذلك على ضربين:

–إنكار الفعل: كقول الشاعر:

أَيَقْتُلُني والمشْرَفِيُّ مُضَاجِعِي === ومَسْنُونَةٌ زُرْقٌ كَأَنْيَابِ أَغْوَالِ[2]

إذ الشاعر يكذب إنسانا تهدده بالقتل، وينكر عليه القدرة على قتله، بدأ بالفعل ثم قام بإنكاره، على أنه لا يكون أو أنه لا ينبغي أن يكون.

–إنكار الفاعل: والفاعل هنا هو المبتدأ في التركيب ومن ذلك قول أبي عيينة المهَلَّبي:

فَدَعِ الوَعِيدَ فَمَا وَعِيدُكَ ضَائِرِي === أَطَنِينُ أَجْنِحَةِ الذُّبَابِ يَضِيرُ[3]**؟**

1– دلائل الإعجاز، مرجع سابق، ص111.

2– البت من الطويل لامرئ القيس، المشْرَفِيُّ: هو السيف، مَسْنُونَةٌ زُرْقٌ: نصال الرماح، أَغْوَالِ: شياطين يريد بذلك التهويل. ينظر: ديوان امرؤ القيس، عبد الرحمن المصطاوي، ط 2، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 1425هـ-2005م، ص 137.

3– البيت من بحر الكامل، لمحمد بن أبي عيينة المهَلَّبي. ينظر: طبقات الشعراء، ابن المعتز، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، ط3، دار المعارف، مصر، 1976م، ص288.

ففي هذه البنية نجد تقديم الفاعل الذي هو المبتدأ على الفعل المضارع، ويراد بذلك الاستقبال، فجعله كأنه قد ظنَّ أن طنين أجنحة الذباب بمثابة ما يضير، حتى ظن أن وعيده يضير[1]، وفيه من الإنكار والتهكم والتحقير والاستخفاف بالنِدّ.

ومن هذا الباب تقديم المفعول به على الفعل نحو قولنا: أَزَيْدًا تَضْرِبُ؟ فقدم المفعول به للإنكار في هذا الموضع، لأن السائل ينكر ما إذا كان فعل الضرب قد وقع ومثله قوله تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[سورة الأنعام: الآية14] ، فيعلق الجرجاني على تقديم "غير" في هذا الموضع وأشباهه «وكان له من الحسن والمزية والفخامة، ما تعلم أنه يكون لو أخِّر فقيل: قل أأتخذ غير ولياً؟»[2].

فنخلص إلى استنتاج أربعة بنيات للاستفهام في باب التقديم والتأخير، وهي التي فرضت على التركيب استدعاء تقديم ما حقه التأخير، وهذه البنيات:

- ✓ همزة استفهام+فعل ماض+ اسم ← أضربت زيداً؟
- ✓ همزة الاستفهام+فعل مضارع+اسم ← أتضرب زيداً؟
- ✓ همزة الاستفهام+اسم (مبتدأ)+فعل ماضي ← أأنت تضرب؟
- ✓ همزة الاستفهام+ اسم (مفعول به+ فعل مضارع ← أزيدا تضرب؟

ومن الملاحظ أن أسلوب الاستفهام قد تخلل مباحث علم المعاني وأصبح مؤثرا فيه وذلك كما سبق وأن أشرنا في باب التقديم والتأخير، وقد ظهرت مزيته في ذلك ومن حسن عرض المعاني وتبليغها، إذ كانت له أغراض تساق له، وقد لا يكون المسئول عنه بهمزة الاستفهام هو ما يليها دائما[3]، وهذا عكس ما إذا قلنا: في الفعل أَضرَبْتَ زيدًا؟ أو الفاعل: أأَنْتَ ضَرَبْتَ زيدًا؟ المفعول: أَزَيْدًا ضَرَبْتَ؟ ففي المثال الأول يكون بصدور الفعل منه، وإذا قلنا: أضربت زْيدًا أم أَكْرمْتهُ؟ فيكون لطلب تصور المسند أضرْبٌ هو أم إكرامٌ، ولكن التصديق حاصل

1- دلائل الإعجاز، مصدر سابق، ص121.

2- دلائل الإعجاز، المصدر نفسه، ص121.

3- التفتزاني وآراؤه البلاغية، ضياء الدين قالش، ط1، دار النور، سوريا، دمشق، 1431هـ-2010م، ص220.

بثبوت إحداهما، وعليه فإن الطلب هنا يحتمل أن يكون تصديقا، أو أن يكون تصورا للمسند، إذ لم يأمن اللبس، وبحسب القرائن الدالة على ذلك.

ج- أهم الأغراض البلاغية للاستفهام بالهمزة: لم يغفل البلاغيون النظر في الأغراض والمعاني التي تفيدها همزة الاستفهام وهذا ما أشار إليه التفتزاني (ت792هـ) في معرض حديثه عن الاستفهام: «ثم إن هذه الكلمات الاستفهامية كثيرا ما تستعمل في غير الاستفهام مما يناسب المقام بمعونة القرائن وتحقيق كيفية هذا المجاز، وبيان أنه من أي نوع من المجاز من أنواع المجاز مما لم يحم أحد حوله»[1]، والحقيقة أن ما يريد التفتزاني قوله هو خروج الاستفهام عن أصل وضعه الطلبي لإفادة المعاني البلاغية التي يريد المستفهم إبلاغها لمخاطبه، ذلك بما يناسب مقتضيات المقام، و أما قوله لم (يحم أحد حوله)، فربما أنه قد ذكر أغراضا لخروج الاستفهام من الحقيقة إلى المجاز، لم يتعرض إليها من سبقه من العلماء، أو ربما أشاروا إليها إشارة عابرة، ثم إن بعض البلاغيين قد ذهبوا إلى تحديد نوع هذا المجاز الذي يخرج إليه الاستفهام وبذلك صرفوا النظر عن هذه الأغراض، فتعددت آراؤهم بهذا الخصوص « فمنهم من يرى ما يستفاد من صيغة الإنشاء أنه من قبيل المجاز، ومنهم من يرى انه من قبيل الكناية، ومنهم من يرى أنه من مستتبعات التركيب»[2]، والناظر إلى خروج الاستفهام عن الحقيقة إلى المجاز راجع إلى كون قائله لا يريد الاستفهام لكونه أكثر علما من المتلقي، مما يستدعي كون المتلقي تنقلب حاله من مفيد للمتكلم إلى مريد لمعرفة كامنة في بنية الاستفهام، وهذا ما يستدعي خروجه إلى إفادة المعاني تبعا لاختلاف أنواع السياق، وتوقف أيضا على الذوق الأدبي« والمعاني التي تفيدها هذه الأدوات لا يمكن الإحاطة بها وإنما يذكر العلماء منها ما يرشد إلى طريقة تفهمها والوعي بها ... هو أنها في كثير من صورها سوانح خفية أشبه بالأسرار الغامضة، تجري في النفس جريانا خفيا تحسها ولا تستطيع وصفها، فقولنا مثلا إن هذا الاستفهام يفيد التقرير قول ناقص في كثير من الصور لأن ما في هذا الاستفهام شيء يختلف عن محض التقرير وإن أفاده، وإلا لكانت وسيلة التقرير هي طريقة أدائه»[3]، فقد يأتي الاستفهام الواحد لكنه يتضمن بين طياته مجموعة كبير من هذه

1- مختصر المعاني في البلاغة، سعد الدين التفتزاني، تحقيق خليل إبراهيم خليل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1437هـ- 2016م، ص 205.

2- بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح، عبد المتعال الصعيدي، ط8، مطبعة محمد علي صبيح وأولاده بالأزهر، مصر، 1392هـ-1973م، ج 2، ص 43.

3- دلالات التراكيب دراسة بلاغية، محمد محمد أبو موسى، ط2، مكتبة وهبة، القاهرة، 1408هـ-1987م، ص 219.

الأغراض وخاصة إذا كان بحرف الهمزة نحو قوله تعالى: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾[سورة العنكبوت: الآية 2]، وإن كان الاستفهام يفسر هنا بالإنكار أي أيتركون غير مفتونين لقولهم آمنا[1]، أم محمد أبو موسى فالمعاني تجاوزت الإنكار فيقول في هذه الآية: «أنه إنكار وتوبيخ وعتاب وتعجب، وهذا التعدد دليل على ما نريد أن نؤكده من أن المعاني الذي يفيده الاستفهام خفي وسانح ومتفلت، وأننا نحاول السيطرة عليه بمثل هذه الأوصاف الكثيرة الناقصة التي نتوهم أنها تحيط به ولكنها لا تستخرج منه إلا بعض إشاراته أو لا تصف منه إلا ما يظهر، وترى ذلك كثيرا في الأساليب الثرية والسياقات الحية»[2]، فإن الأغراض التي ينصرف إليها الاستفهام أكبر من أن نحيط بها، وهذا لا يتأتى إلا للهمزة لما تشيع من الدلالات الإضافية على التراكيب فتخرج به إلى هذه المعاني التي ربما لا يحتملها التركيب نفسه، وإن كان بعض النحاة يرى أن الغرض الوحيد الذي يلازم الهمزة هو التقرير في الغالب وأ غير هه المعاني فمنجر ومتفرع عنها[3]؛ ثم إن علماء البلاغة قد اجتهدوا في حصر هذه الأغراض فلو عدنا إلى السكاكي أشار إلى سبعة أغراض يخرج إليها وهي[4]: (التحقير والتعجب والتوبيخ والتقرير والإنكار والتقريع والتنبيه والاستبعاد والاستبطاء)، أما صاحب المصباح فقد أضاف أغراضا منها[5]: (التمني والعرض والتحضيض، والتهكم والتهديد، وسمى التعجب بالتعجيب، وأخرج الإنكار الذي بمعنى الجحد)، ثم جاء بدر الدين الزركشي (ت794هـ) وقسم هذه الأغراض إلى قسمين بحسب نوع الاستفهام، وبذلك يكون تقسيمه إلى[6]: استفهام بمعنى الخبر وذكر له اثني عشر غرضا، أما الذي جاء بمعنى الإنشاء فقد ذكر له ثمانية عشر غرضا، وقد حاولنا جمع الأغراض التي اختصت بها الهمزة وهي كالآتي: **التسوية، التقرير، التهكم، التعجب،التهديد،الاستبطاء**، وسيأتي الحديث عن هذه الأغراض في الحديث الشريف بالتفصيل مع أغراض أخرى.

1- ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، أبو الفضل شهاب الدين الآلوسي، دط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، دت، ج 20، ص 134.

2- دلالات التراكيب، مرجع سابق، ص 218.

3- ينظر الجنى الداني، مصدر سابق، ص 34.

4- ينظر: مفتاح العلوم، مصدر سابق، ص 314-315.

5- المصباح في المعاني والبيان والبديع، بدر الدين بن مالك الشهير بابن الناظم، تحقيق حسنى عبد الجليل يوسف، ط1، مكتبة الآداب، 1409هـ-1989م، ص 85-89.

6- ينظر: البرهان في علوم القرآن، مصدر سابق، ج 2، ص 327 ص 344.

ثالثا: أسلوب الاستفهام وعلاقته بالحذف والاقتصاد اللغوي

1- الحذف: يعد الحذف من الأساليب البلاغية المهمة، لما يشتمل عليه من فوائد جليلة، لا تفهم إلا بتقليب الكلام، لفهم الغاية وكشف المعنى، ولا يتأتى ذلك إلا لمن كانت له ذائقة لغوية، وإلمام بتصريف الكلام، لذلك نجد الجرجاني يصفه بقوله: « باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة، أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بيانا إذا لم تبن»[1]، فنفهم من ذلك أن الحذف مسلك لغوي دقيق يعتمد على الذوق والقريحة اللغوية التي تفهم الكلام وتتصرف فيه بما يقتضيه سياق الحال، ولا يتأتى الحذف إلا إذا كان هناك قرينة تدل عليه، فقد يحذف المسند أو المسند إليه، أو الفضلة، كما يشيع حذف الحروف كثيرا، إذا كان هناك ما يدل على المحذوف، وقد يكون يدل عليه بقرينة أو يفهم الحذف من سياق الكلام، ومن الحروف التي يعتريها الحذف، همزة الاستفهام، لما لها من مكانة بين أخواتها، إذ تعد الأصل في الاستفهام وغيرها تابع لها ومن صور حذفها:

أ- جواز حذفها بقرينة لفظية: فيجوز حذف همزة الاستفهام لوجود قرينة تدل عليها وترشد إلى حذفها، وهي قرينة كلامية تتمثل في "أم" المعادلة، من ذلك ما ورد في قراءة ابن محيصن: ﴿وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[سورة يس: الآية 10] ، لفظة "أنذرتهم" بهمزة واحدة على الخبر، فيذهب ابن جني إلى أنه حذف الهمزة تخفيفا وهو يريدها حملا على قراءة العامة بهمزتين، ويعلل ذلك بقوله : «ويدل على إرادة هذه القراءة الهمزة وأنها إنما حذفت لما ذكرنا بقاء "أم" بعدها، ولو أراد الخبر لقال: أولم تنذرهم»[2]، من هنا يتبين أن الهمزة تحذف إذا دلت عليها أم المعادلة في الكلام.

ب- جواز حذفها بقرينة السياق: وقد تحذف الهمزة من غير إيراد قرينة لفظية تدل على حذفها، وإنما يفهم ذلك من طريقة إلقاء الخطاب وهذا ما يعرف بالتنغيم، فأسلوب الاستفهام يعتمد طريقة إلقائية تختلف عن بقية الأساليب، « فالجملة العربية تقع في صيغ وموازين صوتية ذات أشكال محددة فالهيكل التنغيمي الذي تأتي منه الجملة الاستفهامية وجملة العرض غير الهيكلي التنغيمي لجملة الثبات، وهن يختلفن من حيث التنغيم عن الجملة

1- دلائل الإعجاز، مصدر سابق، ص146.

2- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، مصدر سابق، ج2، ص 205.

المذكرة، فلكل جملة من هذه صيغة تنغيمية خاصة بها تعين على الكشف عن معناها النحوي»[1]، إذا أمن اللبس، كقوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾[سورة الشعراء: الآية 22] ؛ فقضية الحذف أمر سائغ عند كل من النحاة والبلاغيين إذا أمن اللبس ولم يدعو إلى التأويل، فهناك مواضع يحسن فيها وهناك مواضع يقبح فيها الحذف إذا تعلق الأمر بشأن الحروف، فكل ما قال به النحاة إنما كان مرده إلى السماع، والقياس عليه، كما نجده عند ابن هشام فنجده قد استند إلى أبيات من الشعر قبل إيراده لشواهد من القرآن الكريم[2]، إلا أن هناك من يرى قضية حذف الحروف تكون إنقاصا وإخلالا بقيمة الخطاب، وقد تدعو إلى فتح باب التأويل، ثم إن الحروف قد وضعت لغاية الربط بين أجزاء التركيب، وهذا لغرض إيصال المعنى بأقل الألفاظ، إذ لا قياس فيه وهذا ما ينقله ابن جني عن شيخه: «حذف الحروف ليس بالقياس، قال: وذلك أن الحروف إنما دخلت الكلام لضرب من الاختصار، فلو ذهبت تحذفها لكنت مختصرا لها هي أيضا، واختصار المختصر إجحاف به»[3]، إلا أن ابن جني يسلم بحذف الحروف وهذا كما سبق وان ذكرنا مرده إلى السماع، والحمل على كلام العرب لذا نجده يناقض كلام شيخه: «هذا هو القياس: ألا يجوز حذف الحروف ولا زيادتها، ومع ذلك فقد حذفت تارة وزيدت أخرى»[4]، فالحاكم في ذلك هو القياس على ما جاء من السماع، فقد تزاد وقد تحذف الحروف، إذا كان الموضع يقبل ذلك.

فخلاصة حذف همزة الاستفهام إنما هو مبني على القياس، ويكثر إذا أمن اللبس، فيفهم من السياق وإلى النسق التنغيمي الذي يتطلبه الموقف الخطابي، إذ له نغمة خاصة حتى وإن لم يكن هناك ما يدل من الملفوظ على أنه استفهام، لأن حذف همزة الاستفهام في اللغة المنطوقة أكثر وأظهر من لغة النصوص، إذ تتداخل عناصر

1- همزة الاستفهام وخصائصها، ستار فليح حسين، مجلة الفتح، المديرية العامة للتربية ، ديالى، العدد 24، 2005م، ،ص6.

2- ينظر: مغني اللبيب، مصدر سابق، ج1، ص53-54.

3- الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق محمد علي النجار، دط، دار الكتب المصرية، دت،ج2، ص273.

4- المرجع نفسه، ج2، ص 80.

كثيرة وبشكل خاص عامل التنغيم[1]، أما في اللغة المكتوبة فقد يحتمل اللبس لهذا يحتاج إلى قرائن تبين مراد المتكلم ومقصد فيتعين ذلك.

2- أسلوب الاستفهام من منظور الاقتصاد اللغوي[2]: لا شك إن الإنسان يجنح في كلامه إلى السهولة والتيسير، حتى يستطيع تبليغ المعاني الكثير في اللفظ القليل، تجنبا للإطالة ودعوة إلى الاختصار والفائدة، فالعربية جعلت نظاما خاصا بها، حتى تكون لغة مؤهلة للتواصل، لأنها حققت هذا الجانب، في جميع مستوياتها، ومن هذه المستويات المستوى التركيبي الوظيفي، الذي يتمثل في الأساليب؛ ولعل من تلك السمات البلاغية لأسلوب الاستفهام وجمالياته التي يضفيها على النص، وتكون الأداة حاملة لجملة من المعاني التي تحمل في طياتها عن الاختصار في اللفظ الذي يغني عن الكثير من الكلام وهذا ما أشارت إليه المصنفات اللغوية وتنبه إليه العلماء قديما، إذ المرجع في اللغة تحقيق التواصلية والتبليغ والإفهام، وهذا ما نبه عنه ابن جني في سبب استعمال هذه الحروف والأدوات «ألم تسمع إلى ما جاؤوا به من الأسماء المستفهم بها، والأسماء المشروط بها، كيف أغنى الحرف الواحد عن الكلام الكثير المتناهي في الأبعاد والطول، فمن ذلك قولك كم مالك؟ ألا ترى أنه قد أغناك ذلك عن قولك: أعشرة أم عشرون أم ثلاثون ... فلو ذهبت تستوعب الأعداد لم تبلغ ذلك أبدا»[3]، فحروف الاستفهام وغيرها من الأساليب قد يجيء بها لغرض الاقتصاد والاختصار وهذا في منتهى التدقيق اللغوي الذي تمتاز به اللغة العربية، لذا جنح العرب إلى ابتكار نظام لغوي دقيق بحيث يكون لكل لفظة هدف معين قد تغني عن كثير من الألفاظ، وكذلك الحروف كهمزة الاستفهام التي تعد أم باب الطائفة، فالعرب أقامت هذه الأسماء والظروف مقام حروف الاستفهام، إنما أقاموها توسعا وطلبا للإيجاز في الكلام، ولكل واحد منها موضع يختص به دون غيره؛ وقد تُضَمَّنُ بعض الأسماء منها معنى الهمزة كاسم الاستفهام "أيُّ"، فأسماء الاستفهام مبنية كلها عدا هذا الاسم، ولو ذهبنا للبحث عن علة بنائها لوجدنا أنها قد ضمنت معنى الهمزة، يقول الأنباري: « فإن

1- التأويل النحوي في الحديث الشريف، فلاح إبراهيم الفهدي، إشراف د طه حسن العاني، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة بغداد، 1427هـ-2006م، ص174. وينظر: ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، طاهر سليمان حمودة، دط، الدار الجامعية للطباعة والنشر، الإسكندرية، 1998م، ص265.

2- الاقتصاد اللغوي هو نظرية لغوية تطبيقية والهدف منها هو تبليغ أكبر عدد ممكن من المعاني في عدد قليل من الألفاظ ويعرفها فخر الدين قباوة بقوله: أن يبلغ المتكلم أكبر عدد ممكن من الفوائد، بأقل كمية من الجهود الذهنية والعلاجية لآلة الخطاب. ينظر: الاقتصاد اللغوي في صياغة المفردة، فخر الدين قباوة، ط1، دار نوبار للطباعة، القاهرة، 2001م، ص32.

3- الخصائص، مرجع سابق، ج1، ص82.

قيل فلم كانت مبنية ما عدا "أَيُّ" قيل إنما بنيت لأنها تضمنت معنى حرف الاستفهام وهو الهمزة»[1]؛ وعليه فإن علة بنائها يعود لسببين هما[2]:

- ✓ أنها بنيت لمشابهتها الحرف شبها وضعيا، لأنها وضعت على حرفين.
- ✓ أنها بنيت لمشابهتها الحرف شبها معنويا، فتؤدي معنى الخبر والإنشاء.

فالعرب قد أقامت هذه الحروف والأسماء والظروف، طلبا للاختصار، وتحقيق الغاية المقصدية من الكلام والتي تتمثل في وظيفة الإبلاغ، وإفادة السامع، لذا ابتكرت نظاما خاصا في كلامها، حيث كانت الألفاظ القليلة، تستوعب معاني لا حصر لها، وهذه ميزة فريدة اختصت بها العربية وانفردت بها عن سائر الألسن.

وفي نهاية هذا الفصل نخلص إلى أن أسلوب الاستفهام من الأساليب التي لقيت عناية كبيرة في كل من الدرس اللغوي، فالهمزة من الحروف التي تحمل أكثر من دلالة استعماليه فتأتي إلى جانب دلالة الاستفهام لتؤدي وظيفتي النداء والقسم، وقد يتضمن النص ويشتمل على الاستفهام فيكون للسياق دور مهم للكشف عنه، إلى جانب فائدته التعليمة وهي الغاية من إيراده واستعماله في الحياة اليومية؛ أما النحاة فنظروا إليه من جهة البنية التركيبية والأداء الوظيفي، كونه من الأساليب الطلبية التي يعمد فيها المتكلم إلى طلب الفهم والاستعلام، وفق تركيب معين وأدوات خاصة تؤدي هذا الغرض، لذا فإن النحاة قسموا الكلام إلى خبر وإنشاء، كما قسموا أدوات الاستفهام من حيث التصور والتصديق، فاستأثرت الهمزة في الاستعمال بالقسمين، ثم إن الهمزة لها موقع بحيث تتشابك بكثير من مباحث علم النحو، ثم إن النص القرآني الكريم قد أسس لكثير من مسائل الهمز التي بحثها النحاة، أما في الشق البلاغي للاستفهام بالهمزة، فإن البلاغيين بدورهم قد شغلوا بالأساليب وبشكل خاص الاستفهام بالهمزة دون غيرها من أدوات الاستفهام لأنها أصل الاستفهام، فدرسوا ماهية الاستفهام، وقسموه إلى حقيقي ومجازي، نظرا إلى قرائن السياق التي تؤثر فيه فتخرجه عن أصل وضعه، ليؤدي أغراضا بلاغية يرمي إليها المستفهم؛ كما اعتنى البلاغيون بأسلوب الاستفهام وعلاقته بأجزاء التركيب، وعلاقته بالتقديم والتأخير، وقضية الحذف.

1- أسرار العربية، مصدر سابق، ص389.

2- الأساليب الإنشائية في النحو العربي، عبد السلام محمد هارون، ط5، 1421هـ-2001م، مكتبة الخانجي، القاهرة، ص 27.

المبحث الثالث: الوظائف الدلالية لأسلوب الاستفهام بالهمزة

أسلوب الاستفهام من الأساليب التي تمتاز بالوظيفية والمرونة في الاستعمال، وخاصة إذا تعلق الأمر بأحد أدواته وهي (الهمزة)، مما يولد زخما دلاليا على التركيب ومن ثمة الخطاب بأكمله، لأن الهمزة من الحروف العربية التي تمتاز بالفخامة والقوة، فتتلون بدلالات متعددة، مما يؤثر على منحى الكلام فيخرج به إلى أساليب غير الاستفهام، وهذا ما نحاول أن نطرقه في هذا المبحث، لنكشف عن الخصائص الدلالية التي تميز الهمزة كونها صوت من الأصوات العربية، فتدخل على التراكيب وتستولي على الوظائف وتولد المعاني، ولا يكون ذلك لغيرها من حروف العربية.

أولا: التنوع الوظيفي للهمزة: إن الهمزة من الحروف العربية التي تكتسي أهمية كبيرة في الدرس اللغوي، حيث إنها أكثر الحروف فاعلية وأوسعها استعمالا، مما يكسبها ثقلا دلاليا على التركيب، فتعد مؤشرا لثلاثة أساليب إنشائية، اثنان منهما طلبي والآخر غير طلبي، كما تدخل على غيرها من أدوات الاستفهام مثل (هل) و(من)، وليس هذا لغيرها من الأدوات وهذا لقوتها وسطوتها:

1- الهمزة في الإنشاء الطلبي: فنجد موطن الهمزة في الإنشاء الطلبي غالبا، فتستعمل لما يستدعي مطلوبا غير حاصل وقت الطلب كالاستفهام والنداء، ولا يستغن تركيبهما على حرف الهمزة، فتأتي لأداء وظيفة الاستفهام وتكون علما على أسلوبه إذ أنها أصل أدواته التي يتعين بها، وسنتطرق إلى ذلك في ما يأتي من أجزاء البحث وتفاصيله، ومن الوظائف الدلالية التي تؤديها الهمزة في المنظومة اللغوية العربية وظيفة النداء وهو الموطن الثاني لها، فقد جاء في فصيح كلام العرب أن تكون الهمزة للنداء وتستعمل لنوع مخصص من النداء إذا أنها حرف موضوع « مختص بالاسم كسائر حروف النداء، ولا ينادى بها إلا القريب مسافة وحكما»[1]، نحو قول الشاعر:

1- الجنى الداني في حروف المعاني، الحسن بن قاسم المرادي، تحقيق فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1413هـ-1992م، ص 35.

أَفَاطِمُ مَهْلاً بَعْضُ هَذَا التَّدَلُّلِ === وَإِنْ كُنْتُ أَزْمَعْتُ صِرْمِي فَأَجْمِلِي[1]

فقد جاءت الهمزة موضوعة للنداء كما في هذا البيت للمنادي القريب الذي هو(فاطم) منادى المبني على الضم لأنه مرخم[2]، فنجد الهمزة موضوعة لينادى بها للقريب عكس الأدوات الأخرى.

2- الهمزة في غير الإنشاء الطلبي: ومن الاستعمالات اللغوية للهمزة غير موضع الاستفهام أنها تأتي لتؤدي وظيفة لغوية خاصة داخل تركيب مختلف عن تركيب الاستفهام، فتجيء لتحقيق دلالة القسم وهناك من يعدها عوضا عن واو القسم إلا أن ابن خالويه (ت370هـ) يعدها من حروف القسم يقول: «وحروف القسم أربعة أعني الأصول: الواو والباء والتاء والهمزة، كقولك: واللهِ وباللهِ وتاللهِ وآللهِ»[3]، ولم يذكر لها أصحاب حروف المعاني معنى القسم في حدود بحثنا إلا تلك الدلالات الأساسية التي تساق لها.

وعليه فإن الهمزة في اللغة تأتي للدلالة على ثلاثة أساليب إنشائية مختلفة، اثنان منهما طلبي وهما: الاستفهام وهي أصل أدواته، وتأتي أيضا للدلالة على أسلوب النداء وتختص بالمنادى القريب، كما تأتي للدلالة على أسلوب غير طلبي ويتمثل في القسم وتكون بذلك عوضا عن (الواو)، فهي بذلك تنفرد بخصائص في تركيبة هذه الأساليب مما يجعلها حرفا مميزا يتسم بالخطورة والمرونة في الاستعمال.

3- الخلاف في (أم) المعادلة للهمزة: ومن الحروف التي تتعلق بالهمزة وتتصل بها في أداء وظيفة الاستفهام (أم) فاختلف العلماء في كونها حرف صالح للاستفهام، فتخرج عن أصل دلالتها الوضعية التي تفيد العطف، وقد عدها سيبويه حرف استفهام يقول: « هذا باب (أَمْ) و (أَوْ)، أما (أم) فلا يكون الكلام بها إلا استفهاما، ويقع الكلام بها في الاستفهام على وجهين: على معنى (أيُّهُمَا) و(أيُّهُمْ)، وعلى أن يكون الاستفهام الأخير منقطعا

1- البيت من بحر الطويل، من معلقة امرئ القيس، ومعنى البيت: يا فاطمة دعي بعض دلالك وإن كنت وطنت نفسك على فراقي فأجملي في الهجران. ينظر: ديوان امرؤ القيس، مرجع سابق، ص 32.

2- ويقدر الضم على التاء المحذوفة لأن أصل الكلمة (فاطمة) على لغة من ينتظر الحرف الأخير، أو هو مبني على الضم الموجود على الميم على لغة من لا ينتظر الحرف الأخير، ينظر: فتح الكبير المتعال إعراب المعلقات العشر الطوال، محمد علي طه الدرة، ط2، مكتبة السوادي للتوزيع، جدَّة، 1409هـ- 1989م، ج 1، ص 70.

3- إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم، أبو عبد الله الحسين بن أحمد ابن خالويه، دط، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان، 1975م، ص 37.

عن الأول»[1]، وممن ذهب إلى أنها حرف استفهام المبرد يقول: «فأما (أم) فلا تكون إلا استفهام»[2]، وفي موضع آخر يسميها حرف استفهام ويصرح : «ذلك لأن الألف و(أم) حرفا الاستفهام اللذان يستفهم بهما عن جميعه، ولا يخرجان منه، وليس كذا سائر حروف الاستفهام، لأن كل حرف منها ضرب لا يتعد ذلك إلى غيره»[3]، فيستفاد من ذلك أن (أم) أداة استفهام مثله مثل بقية الأدوات، وقد نقل أصحاب حروف المعاني الخلاف في ذلك، فيذهب أبو عبيدة إلى أنها بمعنى الهمزة في نحو قولنا: « أقام زيد أم عمرو، فالمعنى: أعمرو قام؟ فيصير على مذهبه استفهامين»[4]، وعليه فإن (أم) المتصلة تعدل الهمزة وتفيد معناها، لتَضَمُّنِ التركيب جملة مستفهم عنها بعدها فينتفي عنها العطف إلى الاستفهام، وهذا ما قال به النحاة: «أما (أم) فعديل همزة الاستفهام، وليس بحرف عطف، ولذلك تقع بعدها جملة مستفهم عنها كما بعد الهمزة نحو: أَضَرَبْتَ زَيْداً أَمْ قَتَلْتَهُ؟ وأَبَكْراً فِي الدَّارِ أَمْ خَالِدٌ؟ أي: أَمْ خَالِدٌ فِيهَا؟»[5]، فالمتكلم يستفهم عن معين وهو (بكر)، ثم يضرب عن الاستفهام الأول فيأتي بأم المعادلة، التي تقتضي تساوي ما قبلها وما بعدها في المعنى والإعراب، يقول أبو حيان: «ولتساوي الجملتين بعدها في الاستفهام حسن وقوعها بعد سواء، وإذا كان معنى الهمزة معنى (أم) أي الأمرين، فكيف تكون حرف عطف»[6]، وقد تأتي منقطعة فتفيد الإضراب حيث لا تكون مسبوقة بهمزة الاستفهام، واختلف في ذلك أيضا فقيل تقدر بـ(بل) مطلقا، وقيل تقدر بـ (بل) مع الهمزة[7]، وقد تأتي خالية من الاستفهام، إذا دخلت على بعض أدواته، نحو قوله تعالى: ﴿ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ ﴾ [سورة الرعد: الآية 16] ، وقد ورد أيضا في كلام من ذلك قول عنترة بن شداد في مطلع معلقته:

1- الكتاب، مصدر سابق، ج1، ص 99.

2- المقتضب، أبو العباس محمد بن يزيد، تحقيق عبد الخالق عظيمة، ط3، مطبعة الأهرام التجارية، قليوب، مصر، 1415هـ-1994م، ج3، ص 286.

3- المصدر نفسه، ج 3، ص289.

4- الجنى الداني، مصدر سابق، ص 205.

5- ارتشاف الضرب من كلام العرب، أبو حيان الأندلسي، تحقيق رجب عثمان محمد ورمضان عبد التواب، ط 1، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1418هـ- 1998م، ج4، 1978.

6- ارتشاف الضرب من لسان العرب، مصدر سابق، ج 4، ص 1979.

7- الجنى الداني، مصدر سابق، ص 205.

هَلْ غَادَرَ الشُّعَرَاءُ مِنْ مَتَرَدَّمِ === أَمْ هَلْ عَرَفْتَ الدَّارَ بَعْدَ تَوَهُّمِ[1]

فقد دخلت (أم) على (هل) «وهما حرفا الاستفهام لان هل ضعفت في حروف الاستفهام فأدخلت عليها أم»[2] وكما تأتي قبل اسم الاستفهام (ماذا) في نحو قوله تعالى: ﴿أَمْ مَاذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[سورة النمل: الآية 84] ، يتبين لنا من هذه الشواهد التي بين أيدينا أن (أم) على الرغم من خلاف النحاة في كونها معدودة من حروف الاستفهام، إلا أننا نجد لها دلالات لغوية متعددة ينصب جزء كبير منها في إرادة الاستفهام، ثم إنها قد تتحمل الاستفهام كاملا إذا كانت الهمزة محذوفة وسيأتي بيان ذلك في موضعه.

4- دخول الهمزة على غيرها من الأدوات: وتدخل همزة الاستفهام على أخواتها من الأدوات وهذا لعموم تصرفها وقوتها «لأنها حرف الاستفهام الذي لا يزول عنه إلى غيره، وليس للاستفهام في الأصل غيره، وإنما تركوا (الألف) في (من) و(متى) و(هل) ونحوهن حيث أمنوا الالتباس، ألا ترى أنك تدخلها على (من) إذا تمت بصلتها»[3]، و(مَنْ) من أسماء الاستفهام التي تستعمل للسؤال عن العاقل فنجد الهمزة تدخل عليها، وقد ورد منها في الكلام الفصيح نحو: قوله تعالى: ﴿ أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آَمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾[سورة فصلت: الآية 40]، وقوله تعالى: ﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾[سورة النمل: الآية 62][4]، فلا تدخل على من إلا إذا صارت في معنى (الذي) بصلتها[5]، وغيرها من الآيات كما تدخل على (هل) وقد ورد ذلك في فصيح كلام العرب منه قول زهير :

1- البيت من بحر الكامل من معلقة عنترة بن شداد ، ومعنى البيت: هل ترك الشعراء فنا من فنون الشعر لم يسلكوه، ثم هل عرفت دار المحبوب بعد شكك فيها، في البيت تجريد لا يخفى حيث جرَّد شخصا من نفسه وخاطبه. فتح الكبير المتعال إعراب المعلقات العشر الطوال، مصدر سابق، ج 2، ص 136. وينظر البيت: ديوان عنترة -تحقيق ودراسة-، محمد سعيد مولوي، دط، المكتب الإسلامي، دت، ص 88.

2- فتح الكبير المتعال إعراب المعلقات العشر الطوال، مرجع سابق، ج 2، ص 136.

3- الكتاب، سيبويه، مصدر سابق، ج 1، ص 99.

4- وهي مرسومة في المصحف (أَمَّنْ)، وهي ميم (أم) أدغمت في ميم (من) فصارت ميما واحدة مشددة، ومنهم من جعلها همزة استفهام أُدخلت على (من). ينظر: البحر المحيط، محمد بن يوسف أبو حيان الأندلسي، دط، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1436هـ-2005م، ج 7، ص 84.

5- ينظر: المقتضب، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، تحقيق عبد الخالق عضيمة، ط 3، مطابع الأهرام التجارية، قليوب، مصر، 1415هـ- 1994م، ج 3، ص 291.

وَذِي نَسَبٍ نَاءٍ بَعِيدٍ وَصَلْتَهُ === بِمَالكَ لَا يَدْرِي أَهَلْ أَنْتَ وَاصِلُهْ[1]

وقد تدخل (أم) التي بمعنى الهمزة على أدوات الاستفهام مثل (هل) نحو ما جاء في قوله تعالى: ﴿ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ ﴾[سورة الرعد: الآية 16][2]، ومنه قول الشاعر علقمة الفحل:

هَلْ مَا عَلِمْتَ وَمَا اسْتُودِعْتُ مَكْتُومُ === أَمْ حَبْلُهَا إِذْ نَأَتْكَ الْيَوْمَ مَصْـرُومُ

أَمْ هَـلْ كَبِيرٌ بَكَـى لَمْ يَقْضِ عَبْرَتَـهُ === إِثْـرَ الْأَحِبَّـةِ يَوْمَ الْبَيْـنِ مَشْكُـومُ[3]

كما نجدها تدخل على (كيف) واستدل النحاة بأبيات من الشعر، مثل قول الشاعر:

كَيْفَ الْقَرَارُ بِبَطْنِ مَكَّـةَ بَعْدَمَا === هَـمَّ الَّـذِينَ نُحِـبُّ بِالْإِتِّحَـادِ

أَمْ كَيْفَ صَبْرُكَ إِذْ ثَوَيْتَ مُعَالِجَاً === سَقَماً خِلَافَهُمُ وَسُقْمُكَ بَادِي[4]

ومن هذا المنطلق فإن النحويين المتقدمين قد أجازوا دخول الهمزة على (هل) وعلى سائر أدوات الاستفهام الأخرى، لما تمتاز به من قوة وصلابة تؤهلها على التطفل على نظيراتها في الاستفهام، فتخلع الاستفهام من الأداة يأتي بعدها وتقوم هي بوظيفة الاستفهام[5]، وكذلك تفعل (أم) المنقطعة التي تأتي بعدها (هل).

1- البيت من بحر الطويل، لزهير بن أبي سلمى، من شواهد الخليل في معجم العين وقد حمله على الضرورة فبعدما ساق البت قال: بعده: « اضطرار، لأن (هل) حرف استفهام وكذلك الألف، ولا يستفهم بحرفي الاستفهام»، أي لا يجوز أن يأتي كلاهما معا لإفادة الاستفهام. كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دط، الجمهورية العراقية، 1981م، مادة هل، ج 3، ص 352. ورواية الشطر الثاني في ديوانه [بِمَالٍ وَمَا يَدْرِي بِأَنَّكَ وَاصِلُهْ]. ينظر: ديوان زهير بن أبي سلمى، حمدو طماس، ط2، دار المعرفة، بيروت لبنان، 1426هـ- 2005م، ص 54.

2- ولم تأت (أم) لصيقة لـ(هل) إلا في هذا الموضع من القرآن، وهي في هذا الموضع منقطعة، وقد تحدث عن ضوابط المتصلة وأم المنقطعة وأهم الفروق التي بينهما. ينظر: دراسات لأسلوب القرآن، عبد الخالق عضيمة، دط، دار الحديث، القاهرة، دت، ج 1، ص 395-396.

3- البيتان من بحر البسيط ، لعلقمة الفحل، وهما من شواهد سيبويه في الكتاب، ينظر: الكتاب، مصدر سابق، ج1، ص 487.

4- البيتان من بحر الكامل، لعمر بن أبي ربيعة، وقد استشهد بهما سيبويه، ورواية الديوان: [لَا كَيْفَ قَلْبُك إِنْ ثَوَيْتَ مُخَمِراً]. المقتضب، مصدر سابق، ج3، ص 291. وينظر: ديوان عمر بن أبي ربيعة، مرجع سابق، ص 82.

5- ينظر: خزانة الأدب، مصدر سابق، ج 11، ص 277.

ثانيا: موقع أسلوب الاستفهام في الوظيفة الأدائية للكلام:

ينقسم الكلم في العربية إلى اسم وفعل وحرف، وهذا الذي درج عليه العلماء قديما وحديثا، فتقسيمهم جاء مبنيا على مكونات التركيب نفسه، حيث وجدوا أنه لا يعدو أن يكون أحد هذه الأقسام الثلاثة، إلا أن من العلماء من يرى التقسيم من زاوية أخرى وهو مباشرة الفعل الكلامي للواقع وهو الخطاب أو الملفوظ، وتقسيم هذا الأخير إلى خبر وطلب وإنشاء[1]، لكن هذا التقسيم لم يسلم من الرد حيث أخرج الطلب من الإنشاء مستقلا بذاته، وحقيقة الأمر أن الكلام هو خبر وإنشاء فقط، وهذا ما استدركه ابن هشام في قوله: «وهذا التقسيم تبعت فيه بعضهم، والتحقيق خلافه، وأن الكلام ينقسم إلى خبر وإنشاء فقط، وأن الطلب من أقسام الإنشاء»[2]، فإن الكلام في العربية فإما أن يكون خبرا وإما أن يكون إنشاء، ولكل نوع خصائص يتميز بها عن غيره، وهذا ما سنحاول بيانه فيما يأتي.

ثم إن الغاية من إلقاء الخطاب هو إفادة السامع، وحتى تتم هذه الفائدة بشكل صحيح فلا بد من توفر عنصر مهم، ألا وهو النتاج الخطابي، الذي غالبا ما يكون مجموعة أصوات منظمة بشكل معين، وهذا ما يسمى بالكلام، حيث حظي هذا الكلام بتقسيم ثنائي عند العلماء، فمنه ما هو خبر ومن ما هو إنشاء، وحتى يمكننا التفريق بينهما وجب ضبط هذين المصطلحين عند أهل الاختصاص.

1- تعريف الخبر: هو كل كلام احتمل الصدق أو الكذب لذاته[3]، كقولنا: سَافَرَ مُحَمّدٌ، وعليه يكون الخبر هو نسبة الحكم للواقع مع اعتقاد المخاطب أو المخبر له، ويكون صادقا: إذا تتطابق الحكم والواقع مع اعتقاد المخاطب، والكاذب: هو ما لا يطابق فيه الحكم للواقع مع اعتقاد المخاطب، إذا فالكلام الخبري هو ما احتمل الصدق أو الكذب وإلى هذا أشار سيبويه بقوله في مدار الكلام « فمنه مستقيم حسن، ومحال، ومستقيم كذب، ومستقيم قبيح وما هو محال كذب»[4] ومثل لكل قسم من هذه الأقسام، والحاصل أن في كلامه تأسيس

1- شذور الذهب في كلام العرب، ابن هشام الأنصاري، تحقيق محمد أبو الفضل عاشور، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 1422هـ-2001م، ص21.

2- المصدر نفسه، ص21.

3- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، أحمد الهاشمي، ضبط وتدقيق يوسف الصملي، دط، المكتبة العصرية، بيروت لبنان، دت، ص55.

4- الكتاب، مصدر سابق، ج1، ص26.

واستنطاق للنصوص مع الافتراض لها، وهو الذي درج عليه كل من النحاة والبلاغيين بعده؛ فالخبر له نسبة كلامية والتي يحتملها الكلام نفسه، ونسبة خارجية وهي التي تتعلق بالواقع الذي يلقى إليه الخطاب، فالمستقيم الحسن هو ما أفاد فائدة يحسن السكوت عنها، حيث يكون صحيح الترتيب مفيد المعنى، أما المحال هو ما لم يكن تركيبه سليما ولا يفيد معنى، وأما المستقيم الكذب فهو ما لم يأتي على حقيقته فيتعداه إلى المجاز، حيث إنه تكون تركيبته سليمة، ومعانيه مجازية، أما المستقيم كان وفق قواعد العربية لكن معانيه قلقة مضطربة لا تفيد معنى في ذاتها ولا تتم بها الفائدة، ثم إن المعيار الذي حكموا به على الخبر أن هو الصدق والكذب.

2- تعريف الإنشاء: هو الكلام الذي لا يحتمل صدقا ولا كذبا لذاته[1]، كقولنا: قُمْ لِلْحَقِّ، فلا يحتمل أن يقال لصاحبه صادق أو كاذب، لأنه أمر والأمر عادة يوجب النفاذ، ويقسم الإنشاء إلى طلبي وغير طلبي.

- ❖ الإنشاء الطلبي: هو ما استدعى مطلوبا غير حاصل عند الطلب، ويظم خمسة أساليب، وهي التي تعرف بالأساليب الطلبية: الأمر، النهي، الاستفهام، التمني والنداء.
- ❖ الإنشاء غير الطلبي: وهو ما لا يستدعي مطلوبا غير حاصل وقت الطلب، وله أساليب تختص به غالبا وهي: المدح والذم، التعجب، القسم، الرجاء.

وما يهمنا من هذه الأقسام، هو القسم الثاني وبالأخص الطلبي منه، التي يتضمن بين طيات أقسامه الاستفهام، ولو عدنا إلى تركيبية أسلوب الاستفهام فقد نجد ثراء دلاليا يضفيه على التركيب، لأنَّه يساق في مواضع مخصوصة وبأدوات مخصوصة، تعرف من القرائن التي تتخلل النص إذا عزل عن قائله، أو في الحالة المقامية التي يقتضيها الموقف الكلامي لكل من المتحدث والمخاطب، أضف إلى ذلك اعتماده على طرفي العملية التواصلية مع تداخل الحالة النفسية لكليهما، مما يكسب تركيب أسلوب الاستفهام قيمة لغوية مهمة.

ثالثا: فائدة أسلوب الاستفهام في تحقيق التواصلية:

1- الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني جلال الدين محمد بن عبد الرحمن، تحقيق إبراهيم شمس الدين، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1424هـ-2003م، ص24.

تنبني التواصلية عند بني البشر على السؤال والجواب، إذ يعد طلب الفهم والإطلاع على ماهية الأشياء بذلك الفضول الذي يتحرك داخل النفس فتضطرب فتحدث التساؤلات التي لا تذهب إلا عن طريق تحصيل أجوبة تسكت الفضول وتحقق العلم والفهم، فلا بد من الاستعلام عن حقائق الأشياء ومن ذلك ما روي عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: « أَصَابَ رَجُلاً جَرْحٌ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللهِ، ثُمَّ احْتَلَمَ، فَأُمِرَ بِالاغْتِسَالِ، فَاغْتَسَلَ فَمَاتَ، فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللهِ -ﷺ- فَقَالَ: قَتَلُوهُ قَتَلَهُمُ اللهُ، **أَلَمْ يَكُنْ شِفَاءُ الْعَيِّ السُّؤَالُ؟**»[1]، فالنبي -ﷺ- كان منكرا على الصحابة لما تسرعوا في إعطاء الحكم للرجل، فكانت عواقبه وخيمة فلو اهتدوا إلى سؤاله ما كان للأمر أن يحدث، فوجههم إلى السؤال للاستفسار عن الأحكام الشرعية، فلا يذهب الجهل إلا بمداواته بالسؤال، وهذا يدل على أن العملية التعليمية التعلمية تبنى أساسا على مضمون الحوار الذي يكتسي طابع الأخذ والرد وهذا لا يكون إلا في شكل سؤال وجواب،وقد جاءت هذه الحوارات التعليمية كثرا في حديثه-ﷺ- وهذا لغرض تعليم وتفهيم الصحابة حقائق الأمور، كسؤالهم مثلا عن حقيقة المفلس، إلا أن الصحابة —رضوان الله عليهم- كانوا يدركون حقيقة المفلس في أنفسهم ابتداء إلا أن الرسول الأكرم أراد أن يصحح هذا المفهوم في أذهانهم، ويتجه بهم إلى حقيقة أخروية ألا وهي إفلاس الدين، عن النبي -ﷺ-: قال: « **أَتَدْرُونَ مَنِ الْمُفْلِسُ؟** قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ وَلَا مَتَاعَ، فَقَالَ: إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي مَنْ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَّامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي وَقَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يَقْضِيَ مَا عَلَيْهِ، أَخَذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ»[2] ، فالاستفهام ههنا للاستعلام الذي يراد به الإخبار، لأن المستفهم تارة يستفهم عن جهل ولا يدري فيسأل غيره، وتارة يستفهم لتنبيه المخاطب لما يلقى إليه، أو لتقرير حكم. ناهيك عن أسلوب المناظرة والحجاج، لما كان الاستفهام

1- سن أبو داود، أبو داود سليمان بن الأشعث الأزدي الساجستاني، تحقيق شعيب الأرنؤوط ومحمد كامل قره بللي، ط1، دار الرسالة العالمية، دمشق، 1430هـ-2009م، رقم 337، كتاب الطهارة، باب المجدور يتيمم، ج1، ص252.

2- صحيح مسلم، أبو الحسن بن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، ترقيم فؤاد عبد الباقي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1412هـ- 1991م، رقم 2581، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، من حديث أبي هريرة، ص 609.

استعلام ما في نفس المخاطبين[1] في العملية التواصلية التي تعتمد على طرفين أساسيين وهما: السائل والمسئول أي طرفا العملية التواصلية، ويتركب هذا الأسلوب من مستفهم ومستفهم عنه وأداة، واستجابة.

ويجيء الاستفهام في الحديث الشريف مبنيا على الحوار والذي بدوره تميل إليه النفس وتحبذه لأنه يتصف بجانب الحيوية ويضيف على النص الأدبي لمسة فنية، ويدفع عنه الملل والشرود ويبقي الطرفين على استعداد للتلقي والانتباه، ويجعل الذهن أكثر تفتحا وتجاوبا[2]، ولو أسقطنا هذا في ممارساتنا اليومية فالمتحدث دائما يعمد إلى إشراك الآخرين ويرفض أن يكون المتحدث لوحده فهذا يعد مبعثا على السآمة والملل، لذلك يعتمد النظام التربوي على هذه الوسيلة إلى جانب وسائل أخرى، فالمدرس المتمرس هو الذي يقيم الدرس على أساس الحوار الذي يديره ويتخذ منه وسيلة لطرح المشكلات وإيجاد الحلول لها، متخذا من الحوار وسيلة لأداء المعارف وإيصالها إلى أذهان التلاميذ بكل أريحية، حيث تعتمد على إثارة التفكير لدى الطلاب وإتاحة الفرص لهم للمناقشة، مع احترام كيان الطالب وتقدير شخصيته[3]، كما تعلمه كيفية التواصل مع الآخرين وطريقة السؤال فكثير من التلاميذ قد يتحرجون من طرح الأسئلة على المدرسين وهذا ما يجعل الطالب في ارتياب دائم وينمو عنده ضعف الشخصية فلا يستطيع الحديث أو التحاور إلا للضرورة وهذا يعد عيبا تربويا يجب تداركه، فحري على المدرس أن يفتح باب الحوار حتى يتسنى للجميع مشاركة أفكارهم حتى وإن كانت غير مصيبة، فينشأ الطالب شجاعا في بحثه عن المعلومة واكتسابها عن طريق السؤال، كما يعلمه كيفية صياغة التساؤلات بشكل صحيح.

رابعا: نظرية السياق وأثرها في فهم أسلوب الاستفهام

يعتمد أسلوب الاستفهام إلى على تركيبة بنائية تقوم على أساس الحوار التفاعلي في العملية الكلامية بين الأفراد، إذ يؤثر المتكلم بصفة كبيرة على العملية التواصلية فتتداخل مؤثرات أخرى في فهم الكلام إذ المتكلم هو الذي يحدد فحوى الخطاب وعليه يكون الاستفهام من الأساليب الطلبية يقول السكاكي (626هـ) في هذا

1- التعريفات، علي بن محمد الشريف الجرجاني، مصدر سابق، ص37.

2- ينظر: الحديث النبوي، مصطلحه وبلاغته كتبه، محمد لطفي الصباغ، ط8، المكتب الإسلامي، بيروت، 1424هـ-2003م، ص99، بتصرف.

3- ينظر: الطرق والأساليب والاستراتيجيات التدريسية في مواد التربية الإسلامية، صالح بن إبراهيم المقاطي، دط ، دت، ص20.

الصدد: « بأنه –يعني الاستفهام- طلب الحصول على أمر مبهم في الذهن يهم السائل ويعنيه»[1] فهو أسلوب طلب في أصل وضعه ومع تنوع واختلاف أدواته يجعله أسلوبا غنيا من الناحية الدلالية، لأن المعاني الدلالية التي تتولد عنه تكون خفية ويصعب الإحاطة بها وهذا ما يجعله عرضة للتأويل والتنقيب عنه، فيتعلق أسلوب الاستفهام بشكل كبير على الجانب النفسي للمتكلم لما يشوبها من انفعالات تتأكد فيما بعد بطريقة التلفظ بالكلام مما يجعل أهمية كبيرة للجانب الصوتي حال النطق بالكلام، إذ نجد ابن يعيش (ت643هـ)، يركز على أهمية الجانب الصوتي وعلاقته بالتراكيب يقول: « هو أعلاها وأشرفها إذ كان مشتملاً على نكت هذا العلم وتصريفه، وأكثر الناس يضعف عن الإحاطة به لغموضه، والمنفعة به عامة »[2].

ولكن عند العودة إلى كتب النحو ومصادره نجد أن النحاة اهتموا بدور المتلقي لا بدور المتكلم نفسه إذ بنوا دراسة الجملة من جهة التركيب للوصول إلى المعنى، وهذا ما عيب عليهم من وجهة الدرس اللغوي الحديث إذ عزلوا الحدث الكلامي عن الملابسات والظروف المحيطة به؛ لهذا تعد دراسة التركيب من الوجهة الصوتية مهم جدا في فهم سياق الجملة وربط التركيب بسياق الحال من طريقة تنغيم[3] الجملة، ويرى تمام حسان أن التنغيم يقوم في الكلام بوظيفة الترقيم في الكتابة، فنستطيع معرفة الجملة الاستفهامية من الجملة التعجبية من خلال علامة الترقيم الكتابية، على الرغم أن التنغيم أوضح من الترقيم في الدلالة على المعنى الوظيفي للجملة؛ لأن ما يعمله التنغيم من نغمات أكثر ما يستعمله التنغيم من علامات كالنقطة والفاصلة والشرطة وعلامة الاستفهام[4]،واللغة العربيّة كما هو ثابت ومعروف تعتمد على الأداء، والترتيب، والتنغيم، وإن ثمّة أمثلة لأساليب تخلو من الأدوات، ولكنها في الحقيقة أساليب لها دلالات واضحة مفهمة، والفيصل في ذلك هو التنغيم، وقد يمنح التنغيم التركيب المصّدر بالأداة تلويناً مختلفاً يجعل الأداة والجملة المركبّة معها يعبّران عن أكثر من حالة، وبذلك يخرج الأسلوب المعروف إلى أساليب شتّى، وفي أحيان كثيرة تكون قرينة التنغيم، أعظم أثراً من القرينة

1- مفتاح العلوم ، بدر الدين السكاكي، ص525.

2- شرح المفصل، موفق الدين بن يعيش الأندلسي، تحقيق عبد الحسين المبارك، دط، عالم الكتب . بيروت، دت، ج9، ص 53.

3- التغيم: هو قرينة صوتيّة يستدلُّ بها في أثناء الكلام على معاني الجمل المختلفة عن طريق رفع الصوت (الصعود)، وخفضه (الهبوط) فهي الإطار الصوتي الذي تقال به الجملة في سياق معين، ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، ط5، عالم الكتب، القاهرة . مصر، 2006م، ص226.

4- اللغة العربية معناها ومبناها، المرجع السابق، ص 226-227.

اللفظيّة، أي الأداة، بحيث تجرّدها والجملة المركبّة معها من المعنى الذي تحمل عليه، فثمة جمل كثيرة تشتمل على أداة الاستفهام، لكنّها لا تحمل معنى الاستفهام.

ومن أمثلة ما حذف أداة الاستفهام منه ولكن دلت قرينة التنغيم، كقولنا: جَاءَ مُحَمَّدٌ؟ فالذي يلاحظ التركيب يُخَيَّلُ إليه أنه إخبار، لكن حينما يلفظ بطريقة معينة يتبين أنه استفهام محذوف الأداة، وقد جاء في الحديث ما يدل على ذلك، نحو ما روي عن النبيِّ –ﷺ– أَنَّهُ قَالَ: «أَتَانِي جِبْرِيلُ فَبَشَّرَنِي أَنَّهُ مَنْ ماتَ مِنْ أُمَّتِكَ لا يُشْرِكُ بالله شَيْئًا دَخَلَ الجَنَّةَ، قُلْتُ: **وَإِنْ زَنى وإِنْ سَرَقَ؟** قالَ: **"وَإِنْ زَنى وإِنْ سَرَقَ"**»[1]، فتقدير الكلام ههنا: أفإن زنى وسرق؟ فالذي يقرأ الحديث يتبادر إلى ذهنه في الوهلة الأولى أنه إخبار، إلا أن قرينة التنغيم وطريقة التلفظ بهذه الجملة دل على أنه استفهام حذفت منه الأداة، وفي أحيان كثيرة تكون قرينة التنغيم أعظم أثراً من القرينة اللفظية، أي الأداة، إذ يبدو الحديث الشريف بهذا القدر خبرياً تقريرياً يوهم أنّه لا يكون إلاّ خبراً مثبتاً، ولكنّه قد يكون بالتنغيم إنشاء استفهامياً[2].

ويدخل التنغيم باعتباره مؤثر صوتي ضمن السياق اللغوي للجملة من الناحية الصوتية، إذ يقسم الباحثون السياق إلى سياق لغوي وهذا الذي يعنى بمستويات اللغة الخمسة وهي: الصوتي، والمعجمي، والصرفي، والنحوي، والدلالي، والسياق غير اللغوي وهي الظروف والملابسات والأحوال التي يصدر فيها هذا التركيب، ويقسم بعض الباحثين السياق إلى أربعة أقسام: السياق اللغوي، السياق العاطفي، السياق المقامي، والسياق الثقافي،[3] وفي هذا زيادة عناية بالتركيب بين المكتوب أو المنقول والسياق الحالي الآني للتركيب يقول مختار عمر: «دراسة معاني

1– رواه مسلم، رقم 94، كتاب الإيمان، باب من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة ومن مات مشركا دخل النار، من حديث المعْرورِ بنَ سُوَيْدٍ، ص33. وأخرجه البخاري، صحيح البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، ط1، دار ابن كثير، دمشق، سوريا، 1423هـ-2002م، رقم 1237، كتاب الجنائز، باب في الجنائز ومن كان آخر كلامه لا إله إلا الله، من حديث أبي ذر–رضي الله عنه–، ص 300.

2– دور التنغيم في تحديد معنى الجملة العربية، سامي عوض، مجلة جامعة تشرين للدراسات و البحوث العلمية، سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد 28، العدد 1، السنة 2006م، ص94.

3– ينظر: توظيف سياق الحال في فهم المعنى عند النحويين والبلاغيين والأصوليين، حسين زعطوط، إشراف د/ عبد المجيد عيساني، رسالة دكتوراه، كلية الآداب واللغات، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، 2012-2013م، ص70.

الكلمات تتطلب تحليلا للسياقات والمواقف التي تتردد فيها ومعنى الكلمة يتعدد تبعا لتعدد السياقات التي تقع فيها»[1].

ويظهر ما ذكرناه من شأن التنغيم والسياق بوضوح في التراكيب التي تحذف فيها أداة الاستفهام، إذ هي في حقيقة الاستعمال استفهام محض بحيث يستقبلها السامع بوضوح، ويتعين بقرينة التنغيم والتلوين الصوتي الذي يطرأ عليه في مثل هذه الصياغة، مثل قول عمر بن أبي ربيعة:

ثُمَّ قـالوا تُحِبُّهَا: قلتُ بَهْـــــرًا === عـدَدَ النَّجْمِ والحَصَى والتُّرَابِ[2]

وقد عيب على المبَرِّدْ حمل كلام ابن ربيعة على الاستفهام، وقيل إنه إخبار لا استفهام، ثم قالوا: أنت تحبها، وهذا تقدير الكلام، إذ النحاة لا يجيزون حذف الاستفهام إلا بدليل، يقول الدكتور سامي عوض بعدما نقل الخلاف:« فمن يسلّم أن الجملة استفهام عوّل على لفظها بنغمة الاستفهام، لذلك تأوّل الاستفهام ولاشيء غير ذلك، أمّا من رأى أنّها تقرير فقد لفظها بنغمة التقرير، وهو محقّ في ذلك، أي إن كلا الرأيين صواب، والاختلاف نابع من الوجهة التنغيمية، ولاسيّما أنّنا علمنا اعتماد العلماء أصحاب هذه الآراء والتأويلات على السّماع وتدوين القاعدة النحوية»[3]، وتتضح قرينة التنغيم في حذف همزة الاستفهام، إذ يكثر حذفها دون غيرها من الأدوات إذ تعد الأصل وباقي الأدوات تحذف يقول ابن مالك: « وقد كثر حذف الهمزة إذا كان معنى ما حذفت منه لا يستقيم إلا بتقديرها، كقوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾[سورة الشعراء: الآية 22] ، قال أبو الفتح وغيره، أراد أو تلك نعمة»[4]، فيجدر بنا الوقوف قليلا عند قوله: إذا كان معنى ما حذفت منه لا يستقيم إلا بتقديرها، أي إن التركيب إذا حذفت منه الهمزة على أصله معزولا عن سياقه

1- علم الدلالة، أحمد مختار عمر، ، ط7، عالم الكتب، القاهرة، مصر، 2006م، ص65.

2- البيت من بحر الخفيف لعمر بن أبي ربيعة، ، ينظر: الكامل، أبو العباس بن يزيد المبرد، تحقيق محمد أحمد الدالي، ط3، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1417هـ-1997م، ج2، ص788. وذكر ابن هشام الأنصاري الخلاف في قول عمر ابن ربيعة فقيل: أراد أتحبها؟ وقيل: إنه خبر أي أنت تحبها ومعنى قلت بهرا: قلت أحبها حبا بهرني بهراً، أي غلبني غلبة، وقيل معناه، عجباً، ينظر: مغني اللبيب، ابن هشام الأنصاري، ج1، ص53.

3- دور التنغيم في تحديد معنى الجملة العربية، مرجع سابق، ص6.

4- شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح، جمال الدين ابن مالك الأندلسي، تحقيق طه محسن، ط2، مكتبة ابن تيمية، 1413هـ، ص146.

لا يحتمل سوى الإخبار، وهذا راجع بلا شك إلى الطريقة التي يلقى بها الملفوظ دون أدنى شك، دون الاستعانة بتقدير المحذوف، إذ ابن مالك يقر بقرينة التنغيم ولكن لا يفصح عنها، وكيف نستطيع التقدير دون أن نحاول التلفظ بالتركيب فهو الذي يكشف لنا ما إذا كان التركيب إنشاء أم إخبار، أضف إلى ذلك قوله: "لا يستقيم إلا بتقديرها" ثم ساق الآية الكريمة، أي أن قراءة الآية بالشكل الصحيح في سياقها لا يخرج إلا استفهاما حذفت منه الأداة، ثم ساق أمثلة من الشعر يتضح فيها الحذف لظهور المعنى إذا لا ينصرف إلى غيره قول الكميت:

طَرِبْتُ وما شَوْقًا إلى البِيضِ أطرَبُ === ولا لعبًا مِنِّي وذُو الشَّيْبِ يلْعَبُ؟[1]

ووجه الاستشهاد في هذا البيت: مجيء حرف الاستفهام "ذو" مقدرا في الكلام، مع عدم وجود أم المعادلة بعده، فيكون تقدير الكلام: أو ذو الشيب يلعب؟ وحكم هذا التقدير والحذف الجواز إذا أمن اللبس[2]، ومن ذلك ما روي من حديث أَبَي ذرٍ –رضي الله عنه– عَنْ النَّبِيِّ –ﷺ– قَالَ: «أَتَانِي جِبْرِيلُ فَبَشَّرَنِي أَنَّهُ مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ قُلْتُ وَإِنْ سَرَقَ وَإِنْ زَنَى؟ قَالَ: وَإِنْ سَرَقَ وَإِنْ زَنَى»[3]، فأراد النبي –ﷺ– أو إن سرق وزنى، فهناك حذف فهم من خلال سياق التنغيم يفهم بكل سهولة ولا يحتاج إلى كثر تأويل وإعمال فكر.

خامسا: الهدف من تخصيص أدوات للاستفهام: إن لكل أسلوب في اللغة العربية له أدوات مخصصة يعرف بها دون غيره، فقد وضعت أدوات لأسلوب الأمر، وأدوات لأسلوب النداء، والتمني وغير ذلك، ومما خص به الاستفهام تلك الألفاظ المخصصة التي إذا ذكرت لا ينصرف الأسلوب إلا للاستفهام، بحيث تؤدي كل أداة من هذه الأدوات معنى مغاير يؤدي غرضا معينا، فقسمت إلى حروف وظروف وأسماء، ولكل قسم منها هدف من إيراده، فهل يمكن الاستغناء عن هذه الأدوات والاحتفاظ بواحدة نستعملها بصفة دائمة للاستفهام والاستغناء عن الأخرى، أم أن لكل معنى يساق له، وربما يسوقنا إلى معرفة هذه المزية ابن الأنباري (ت577هـ) حيث يقرر علة استخدام هذه الأدوات: «فإن قيل: فلم أقاموا هذه الكلم مقام حرف واحد، وهي همزة الاستفهام، وهم يتوخون الإيجاز والاختصار في الكلام، قيل: إنما فعلوا ذلك للمبالغة في طلب الإيجاز والاختصار، وذلك لأن

1- البيت من بحر الطويل للكميت بن زيد الأسدي، ينظر: شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح، المصدر السابق، ص147.

2- ينظر: مغني اللبيب، ابن هشام، مصدر سابق،ج1، ص53.

3- سبق تخريجه، ص 71 .

هذه الكلم تشتمل على الحسن الذي يدل عليه، ألا ترى أن "من" تشتمل على جميع من يعقل، و"أين" تشتمل على جميع الأمكنة، و"متى" تشتمل على جميع الأزمنة، فلما كانت تشتمل على هذه الأجناس، كان فيها فائدة ليست في الهمزة»[1]، فقد أقامت العرب هذه الألفاظ توسعا في كلامها، وطلبا للإيجاز والاختصار، ثم إنهم يتوخون إيصال المعاني بأقصر الطرق، لذا اختاروا ألفاظا بعينها في الاستفهام دون غيرها، ولكل منها وضع يقتضيه فخصصوا ما يكون للعاقل وما يكون للزمان والمكان، والحال، وغيرها وذلك مكان همزة الاستفهام، التي هي الأخرى لا تقل أهمية عن أخواتها «الهمزة أصل أدوات الاستفهام وأم الباب وأعم تصرفا وأقوى في باب الاستفهام، لأنها تدخل في مواضع الاستفهام كلها، وغيرها مما يستفهم به يلزم موضعا ويختص به، وينتقل عنه إلى غير الاستفهام»[2].

الملاحظ من هذا التقسيم الثنائي للكلام، أنه استند إلى معيارين أساسين وهما: الصدق والكذب، ونسبة الكلام للواقع؛ وما يهمنا من هذا التقسيم الحاصل الإنشاء الطلبي وبالأخص الاستفهام لنجد كيف نظر كل من النحوي والبلاغي إلى هذا الأسلوب، و المباحث التي يتداخل معها أسلوب الاستفهام في النحو وتتقاطع معها في البلاغة.

1- أسرار العربية، أبو البركات ابن الأنباري، تحقيق محمد بهجت البيطار، دط، مطبوعات المجمع العلمي العربي، دمشق، دت، ص287.

2- الأشباه والنظائر في النحو، جلال الدين السيوطي، تحقيق غازي مختار لطيمات، دط، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، 1407هـ-1987م، ج2، ص279.

الفصل الثاني:

الخصائص النحوية لأسلوب الاستفهام بالهمزة في الحديث النبوي الشريف

المبحث الأول: أدوات الاستفهام وتطبيقاتها في الحديث النبوي الشريف

المبحث الثاني:أحوال الهمزة في تركيب الاستفهام في الحديث النبوي الشريف

المبحث الثالث: حروف الجواب والتصديق في الحديث النبوي الشريف

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الثاني: الخصائص النحوية لأسلوب الاستفهام بالهمزة في الحديث النبوي الشريف

المبحث الأول: أدوات الاستفهام وتطبيقاتها في الأحاديث النبوية

لا يخرج الحديث النبوي الشريف عن كونه كلاما مما تكلمت به العرب، فلا بد له من أن يأتي على نسقه ووفق المرسوم من قواعده ولا يشذ عنه؛ بل ربما قد أحاط كلام العرب وزاد عليه، لأنه كلام حُفّ بالعناية ونُزّه عن الشطط والغواية، وكان موصوفا بالقداسة، ولا يُحتمل أبدا أن يكون معارضا لمنظومة العرب في كلامها، حيث انشغل العلماء بجمع متونه حتى استوى إلى دراسة أسانيده، وقعدوا القواعد حتى يحفظوه من مغبّة الوضع والتحريف، فشيدوا له بنيانا منيعا، فأدوه لنا كما حفظوه، ولم يكتف العلماء بذلك فقد اجتمعوا حوله كل بحسب ما أوتي من علم وطاقة منهم من اهتم بغريب لفظه ومنهم بتركيبه ونحوه ومنهم من ذهب إلى الكشف عن بلاغته ونظمه، فجاءت المؤلفات تترى وكان شرف العلم من شرف المعلوم، وعليه الحديث الشريف كلام ككلام العرب فهو مزيج لهذه العناصر الثلاثة: الاسم والفعل والحرف؛ وما إن اجتمعت حتى شكلت ظاهرة تركيبية معينة في كلامه-ﷺ-، ولعل العنصر الثالث وهو الحرف والذي ينقسم إلى حرف المبنى والذي يتركب منه جذر المفردة، والآخر يسمى حرف المعنى الذي بدوره يضمن الترابط والاتساق بين أجزاء التركيب ويحدث تفاعلا بين عناصره، فمنه ما يختص بالاسم كحروف الجر ومنه ما يختص بالفعل كحروف الجزم والنصب، وحروف تدخل عليهما معا كحروف العطف، وحروف تدخل في تركيب أساليب معينة فتجعلها تدور بين الخبر والإنشاء، ويندرج تحت أسلوب الإنشاء أساليب متنوعة كالنداء والشرط والاستفهام، ولأسلوب الاستفهام أدوات تختص به دون غيره، وقد قسم النحويون هذه الأدوات إلى حروف وأسماء، فالحرفان هما الهمزة وهل، والأسماء: ما، من، أيُّ، كم، كيف، أين، أنى، متى، أيان؛ ولما كان الحديث الشريف موردا من وموارد اللغة لنجد هل اشتمل على هذه الأدوات كلها؟ أم أنه اقتصر على بعضها بقدر الحاجة إليها؟ لذا سنأتي على إيراد بعضا من هذه العينات حتى نتثبت من استعمالها في الحديث ومعرفة موقعها في تركيبها الذي وردت فيه هذه الحروف والأدوات والمعاني النحوية التي تؤديها لنصل إلى غايتنا.

أولا: حروف الاستفهام: وهي مبنية لا محل لها من الإعراب وهي الهمزة وهل

1- **الهمزة** وردت في كثير من أحاديث النبي -ﷺ- ومن ذلك ما روي عن أبي هريرة-رضي الله عنه- قال قرأ رسول الله -ﷺ- «﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾[سورة الزلزلة: الآية 04] ثم قال: **أَتَدْرُونَ مَا أَخْبَارُهَا؟** قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ

أَعْلَمُ، قَالَ: فَإِنّ أَخْبَارَهَا أَنْ تَشْهَدَ عَلَى كُلِّ عَبْدٍ أَوْ أَمَةٍ بِمَا عَمِلَ عَلَى ظَهْرِهَا، تَقُولُ عَمِلْتَ كَذَا وَكَذَا فِي يَوْمِ كَذَا وكَذَا فَهَذِهِ أَخْبَارُهَا»[1]، فقد جاء الاستفهام هاهنا بالهمزة وبعدها فعل مضارع، وسيأتي الحديث عنها، والمسائل المتعلقة بها في موضعها من هذا البحث .

2- **هل**: وهو حرف استفهام غير عامل لعدم اختصاصه بالأسماء والأفعال[2]، لأنه لا يؤثر فيما يأتي بعده ولا يتأثر بما يسبقه، لكنه يحمل دلالة وظيفية تخرج منه إلى التحقيق وتكون بمعنى قد، يقول ابن هشام: «هل: حرف موضوع لطلب التصديق الإيجابي دون التصور، ودون التصديق السلبي»[3]، وهي تفترق مع الهمزة من وجوه عشرة «اختصاصها بالتصديق وبالإيجاب، وتخصيصها المضارع بالاستقبال، ولا تدخل على الشرط، ولا تدخل على أن، ولا على اسم بعده فعل في الاختيار، وتقع بعد العاطف لا قبله، وبعد أم، ويراد بالاستفهام بها النفي وتأتي بمعنى قد»[4]، ومن أمثلة ما ورد منها في الحديث الشريف، ما روي عن جاهمة-رضي الله عنه- أنه جاء إلى النبي -ﷺ- « فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ أَرَدْتُ أَنْ أَغْزُوَ، وَقَدْ جِئْتُ أَسْتَشِيرُكَ، فَقَالَ: **"هَلْ لَكَ مِنْ أُمٍ؟"** قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَالْزَمْهَا فَإِنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ رِجْلَيْهَا»[5]، فقد جاءت الأداة هل لتحقيق الاستفهام بدلالته الأصلية، للتثبت ما إذا كان لجاهمة والدة وذلك حرصا من النبي على قيمة جليلة وهي بر الوالدين، فجاء الطلب للتصديق.

1- جامع الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، دط، بيت الأفكار الدولية للنشر، الرياض، دت، رقم 3353، كتاب تفسير القرآن، باب ومِنْ سورة إذا زلزلت، ص522.

2- ينظر: رصف المباني في شرح حروف المعاني، لأحمد بن عبد النور المالقي، تحقيق محمد الخراط، دط، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، دت، ص406.

3- مغني اللبيب، تحقيق: عبد اللطيف محمد الخطيب، دط، المجلس الوطني للثقافة والآداب والفنون، الكويت، 1421هـ-2000م، ج4، ص 325.

4- ينظر: المصدر نفسه، ج4، ص 325 وما بعدها. والأشباه والنظائر، جلال الدين السيوطي، مصدر سابق، ج2، ص 279. وأما مجيء هل بمعنى (قد) وقد استأثر به الزمخشري في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ ﴾ [سورة الإنسان: الآية1]، يقول: « هل بمعنى (قد) في الاستفهام خاصة ... والمعنى: أقد أتى؟ على التقرير والتقريب جميعا، أي: أتى على الإنسان قبل زمان قريب ». ينظر: الكَشَّاف عن غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، ط1، مكتبة العبيكان، الرياض، 1418هـ-1998م، ، ج6، ص274.

5- سنن النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي، مراجعة وتعليق ناصر الدين الألباني، ط2، مكتبة المعارف للطباعة والنشر، الرياض، 1429هـ-2009م، رقم 3104، كتاب الجهاد، باب: الرخصة في التخلف لمن كان له والدة، ص478.

فالهمزة وهل من حروف الاستفهام المبنية التي لا محل لها من الإعراب، لأنها ليست عاملة في غيرها ولا يعمل في ما يتقدمها، كما أنها لا تؤثر فيما يأتي بعد، إلا أنها قد تكون مؤثرة في التركيب ككل، وذلك من ناحية التقديم والتأخير وقد تحدثنا عن هذه المسالة في الفصل السابق فلا حاجة للتكرار.

ثانيا: أسماء الاستفهام[1]: لقد اجتهد النحاة في تقسيم أدوات الاستفهام إلى حروف وأسماء، ومن ثم قسموا هذه الأسماء إلى أسماء وظروف، وأخرجوا ما هو معرب مما هو مبني منها، على خلا ف في ذلك، وهي كالآتي:

أ/ أسماء الاستفهام الظرفية[2]: وهي كالآتي مع أمثلتها:

1- متى: ويستفهم به عن الماضي والمستقبل وهو مبني لتضمنه معنى الهمزة، وقد يرد بمعنى "من" أو "في" وذلك في لغة هذيل، يقولون: أخرجها متى كمه، أي: منه[3]، قال ساعدة:

أَخِيلُ بَرْقاً متى حابٍ لهُ زَجَلٌ = = = إذا يَفْتَرُّ مِنْ تَوْمَاضِهِ حَلَجـاً[4]

ومثال مجيئها للاستفهام في قول النبي –ﷺ–: «**يا عَائِشَةُ متى عَهِدْتِنِي فاحشاً؟**»[5]، فقد جاء الاستفهام على حقيقته مع الفعل الماضي، فبقي الماضي دالا على زمن المضي الذي يدل على الثبوت، ثم إنها تعرب هنا ظرف زمان مفعول فيه مبني على النصب.

2- أين: اسم استفهام يتضمن معنى الحيز المكاني للمستفهم ويأتي بعده الاسم والفعل فيكون لها موقع إعرابي مع كل منهما، نحو: أين تجد محمدا؟، أين خالدٌ؟، فعلى المثال الأول تكون ظرفا مبنيا واقع مفعول به، أما في

1- وبعض أسماء الاستفهام أسماء تأتي مبهمة تقع على كل شيء مثل(كم) و(من) وهذا راجع إلى سياق استعمالها، ينظر: شرح كتاب سيبويه، أبو سعيد الحسن بن عبد الله المرزبان السيرافي، تحقيق أحمد علي مهدلي وعلي سيد علي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1429هـ-2008م، ج5، ص 105.

2- ومن المعلوم إن الظّرف هو ما كان للمكان أو الزمان ضُمِّن معنى "في"، يعرفه العكبري بقوله: «والذي يطلق عليه الظرف عند النحويين ما حَسُن فيه إظهار في وليست في لفظه، لأن الحرف الموضوع لمعنى الظرفية في، فإذا لم تكن، ودل الاسم عليها صار الاسم مسمى بها». اللباب في علل البناء وقواعد الإعراب، أبوا البقاء عبد الله بن الحسين العكبري، تحقيق غازي مختار لطيمات، ط1، دار الفكر، دمشق، 1416هـ، ج1، ص271.

3- مغني اللبيب، تحقيق بركات يوسف هبود، مصدر سابق، ج1، ص473.

4- البيت من البسيط لساعدة بن جُؤَيَّة، المعجم المفصل في شواهد اللغة العربية، إميل بديع يعقوب،ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1417هـ-1996م،ج2، ص7. والشاهد من البيت مجيء "متى" حرف جر بمعنى "من" على لغة هذيل، ومعنى البيت: أراد أَخِيلُ بَرْقاً مِنْ حَابٍ، والْحَابِي: السحاب المرتفع، وإنما سمي حابيا لأنه أشرف قبل أن يطبق السماء، والتَّوْمَاضْ: اللَّمْعُ الضعيف من البرق، وحلج: مطر، أصله المطر الضعيف الخفيف. ديوان الهذليين، ط1، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1995م، ج2، ص209.

5- رواه البخاري، رقم 6032، من حديث عائشة –رضي الله عنها- ،كتاب الآداب، ص1512.

المثال الثاني وهي واقعة خبر مقدم، يقول سيبويه: « معنى "أين": في أي مكان، هي من الظروف التي لا تتصرف وهي تشبه "متى" حيث ترد "أين" للأماكن وترد "متى" للأيام والليالي »[1].

وقد ورد هذا الظرف في الحديث الشريف من حديث أنس –رضي الله عنه– أَنَّ رَجُلاً أَتَى النَّبِيَّ–ﷺ– فَسَأَلَهُ عَنْ وَقْتِ صَلَاةِ الْغَدَاةِ، فَلَمَّا أَصْبَحْنَا مِنَ الْغَدِ أَمَرَ أَنْ تُقَامَ الصَّلَاةُ، فَصَلَّى بِنَا، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ أَسْفَرَ، ثُمَّ أَمَرَ فَأُقِيمَتِ الصَّلَاةُ، فَصَلَّى بِنَا، فَقَالَ: « **أَيْنَ السَّائِلُ عَنْ وَقْتِ الصَّلَاةِ؟** مَا بَيْنَ هَذَيْنِ وَقْتٌ»[2]، ففي هذا الحديث نجدها تحمل دلالة الظرفية التي تعبر عن المكان، فأين تعرب ظرف مكان مبني على الفتح في محل رفع خبر مقدم لأنه وليها اسم مرفوع، فلا تكون إلا خبرا في هذا الموضع.

3– أنَّ: وهي من الأسماء التي يستفهم بها عن المكان والجهة وترد بمعنى "كيف" تارة و "من أين" تارة أخرى[3] وقد جاءت في كلامه –ﷺ– من حديث أبي هريرة –رضي الله عنه– «أَنَّ رَجُلاً مِنْ بَنِي فَزَارَةَ أَتَى النَّبِيَ –ﷺ– فَقَالَ: إِنَّ امْرَأَتِي وَلَدَتْ غُلَاماً أَسْوَداً، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ: هَلْ لَكَ مِنَ الْإِبِلِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَمَا أَلْوَانُهَا؟ قَالَ: حُمْرٌ، قَالَ: فَهَلْ فِيهَا مِنْ أَوْرَقٍ[4]؟ قَالَ: إِنَّ فِيهَا لَوُرْقاً، قَالَ: **فَأَنَّى تَرَى ذَلِكَ؟** قَالَ: عَسَى أَنْ يَكُونَ نَزَعَهُ عِرْقٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ: وَهَذَا عَسَى أَنْ يَكُونُ نَزَعَهُ عِرْقٌ»[5]، جاءت (أنّى) ووليها فعل ماض فتأخذ هنا موضع مفعول به المقدم، وقد ورد بمعنى: كيف ترى ذلك، أي من أين لك أن تقول هذا وعندك من الإبل التي اختلفت ألوانها وهي من فصيلة واحدة فالنبي– ﷺ– نَبَّهَ السائل إلى الاعتبار بآيات الله في خلقه، فنزع العرق كان في الإبل، وكذلك يكون في بني البشر التي يتوارث الأوصاف فجاء بأداة الاستفهام (أنَّى) لما لها من وقع في نفس المتلقي.

4– أيَّانَ: من أسماء الاستفهام عن الزمن وترد بمعنى "متى" ولم تجئ "أيَّانَ" في أحاديث الرسول –ﷺ– إلا في كتاب التفسير في موضع واحد[6]، في تفسير قوله تعالى: «أَيَّانَ مُرْسَاهَا»[1]، فأيَّانَ مجتزئة من الآية في قوله تعالى:

1– الكتاب، مصدر سابق، ج2، ص44.

2– رواه النسائي، رقم 544، كتاب الصلاة، باب أول وقت الصبح، ص93.

3– الكتاب، مصدر سابق، ج4، ص253.

4– أَوْرَقُ: الوُرْقَةُ لَوْنٌ يُشْبِهُ لَوْنَ الرَّمَادِ، وَبَعِيرٌ أَوْرَقُ وحَمَامَةٌ وَرْقَاءُ، سُمِّيَتْ لِلَوْنِهَا، وَالرَّجُلُ كَذلِكَ أَورَقُ، ويقولون: عامٌ أورقُ، إذا كان جَدْباً، كَأَنَّ لَوْنَ الأرضِ لونُ الرَّمَادِ، وسُمِّيَ عَامُ الرَّمَادَة، مقاييس اللغة، مرجع سابق، مادة (ورق)، ج6، ص 102.

5– رواه النسائي، رقم 3479، كتاب الطلاق، باب إذا عرَّض بامرأته وشك في ولده، وأراد الانتفاء منه، ص540.

6– ينظر: أسماء الاستفهام في صحيح البخاري–دراسة نحوية–، أحمد إبراهيم الجدية، مجلة الجامعة الإسلامية للبحوث الإنسانية، مج20، العدد الأول، يناير 2012، ص267.

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾[سورة الأعراف: الآية 187] ، فهي واقعة في محل رفع خبر مقدم «(ويسألونك) فعل مضارع وفاعل ومفعول به، وعن الساعة متعلقان بـ (يسألونك)، وأيان اسم استفهام، في محل نصب على الظرف الزماني، متعلق بمحذوف خبر مقدم، ومرساها خبر مؤخر، والجملة الاسمية لا محل لها، لأنها تفسير لسؤالهم عن الساعة أي متى إرساؤها؟»[2]، وعليه فهي بمعنى متى وقد أخذت موقع الخبر في الإعراب.

ب/ أسماء الاستفهام غير الظرفية: وتأخذ هذه الأسماء أعاريب مختلفة بحسب موقعها في الجملة وسيأتي بيان ذلك في آخر هذا المبحث، ومن أمثلة ورود هذه الأسماء في الحديث الشريف ما سيأتي ذكره:

1- كيف: من أسماء استفهام التي يستفهم بها عن الهيئة والحال، وتأتي استعمالاتها على ضربين: إما أن تكون شرطا وإما أن تكون استفهاما وهو الغالب[3]، ومما جاء في الحديث عن أبي ذر -رضي الله عنه- قال: « قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ -ﷺ- وَضَرَبَ فَخِذِي "**كَيْفَ أَنْتَ إِذَا بَقِيتَ فِي قَوْمٍ يُؤَخِّرُونَ الصَّلَاةَ عَنْ وَقْتِهَا؟** قَالَ: مَا تَأْمُرُ؟ قَالَ: صَلِّ الصَّلَاةَ لِوَقْتِهَا، ثُمَّ اذْهَبْ لِحَاجَتِكَ، فَإِنْ أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ فِي الْمَسْجِدِ فَصَلِّ»[4]، فاستفهم النبي-ﷺ- عن حاله إذا أخَّر النّاس الصلاة عن وقتها مستعملا (كيف)، وقد جاء بعدها ضمير منفصل، فتكون "كيف" اسم استفهام مبني على الفتح في محل رفع خبر مقدم، وهذا إذا وليها اسم أو ما يقوم مقامه.

2- من: من أدوات الاستفهام التي يستفهم بها عن المفرد العاقل، وهذا استنادا إلى ما نقله ابن قتيبة، يقول: «"ما" و "من" أصلهما واحد، فجعلت "من" للناس، و"ما" لغير الناس يقال: من مر بك من القوم؟ وما مر بك من الإبل؟»[5]، وقد وردت في حديث أبي بَكْرَةَ-رضي الله عنه- قال: «عَصَمَنِي اللهُ بِشَيْءٍ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ -ﷺ- لَمَّا هَلَكَ كِسْرَى، قَالَ: **مَنْ اسْتَخْلَفُوا؟** قَالُوا: بِنْتَهُ قَالَ: لَنْ يُفْلِحَ قَوْمٌ وَلَّوا أَمْرَهُمْ امْرَأَةً»[6]، فقد وردت أداة الاستفهام "من" للسؤال عن العاقل، وقد وليها فعل ماض فيكون إعرابها في هذا الموضع في محل نصب مفعول به مقدم.

1- من حديث أبي هريرة-رضي الله عنه-، قوله-ﷺ-: «لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا» الحديث.رواه البخاري، حديث رقم 4636، كتاب التفسير، باب لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا، ص1141.

2- إعراب القرآن الكريم وبيانه، محي الدين الدرويش، ط7، دار ابن كثير، دمشق، 1420هـ-1999م، مج8، ص214.

3- ينظر: مغني اللبيب، تحقيق بركات يوسف هبود، ج1، ص317.

4- رواه النسائي، رقم859، كتاب الصلاة، باب إعادة الصلاة بعد ذهاب وقتها مع الجماعة، ص132.

5- نقلا عن: الاستفهام النحوي، قطبي طاهر، دط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1992م، ص78.

6- رواه النسائي، رقم 5388، كتاب آداب القضاة، باب النهي عن استعمال النساء في الحكم، ص809.

3- ما: اسم استفهام يرد لغير العاقل بمعنى أي شيء، وتحذف ألف "ما" الاستفهامية وجوبا إذا جرت، وتبقى الفتحة دليلا عليها نحو: فيم، وإلام، وعلام، وبم، وعلة الحذف في ذلك ترجع إلى التفريق بين الاستفهام والخبر[1]، يقول الشاعر:

وَتِلْكَ وُلَاةُ السُّوءِ قدْ طالَ مُكْثُهُمْ === فَحَتَّام حَتَّـام العَنَاءُ المطَـوَّلُ[2]

ومما ورد في الحديث الشريف ما روي عن معاوية -رضي الله عنه- قال: «إِنَّ رَسُولَ اللهِ -ﷺ- خَرَجَ عَلَى حَلَقَةٍ، فَقَالَ: **مَا أَجْلَسَكُمْ؟** قَالُوا: جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللهَ وَنَحْمَدُهُ عَلَى مَا هَدَانَا لِدِينِهِ وَمَنَّ عَلَيْنَا بِكَ، قَالَ: آللهِ؛ مَا أَجْلَسَكُمْ إِلَّا ذَلِكَ؟ قَالُوا: واللهِ مَا أَجْلَسَنَا إِلَّا ذَلِكَ، قَالَ: أَمَا إِنِّي لَا اسْتَحْلِفُكُمْ تُهْمَةً لَكُمْ، وَإِنَّمَا أَتَانِي جِبْرِيلٌ فَأَخْبَرَنِي أَنَّ اللهَ -عَزَّ وَجَلَّ- يُبَاهِي بِكُمُ المَلَائِكَةَ»[3] فقد استفهم بـ"ما" عن السبب الذي جعلهم يجلسون لأجله فردوا عليه أن سبب ذلك إنما كان اجتماعا لذكر الله تعالى، فاستعمل (ما) للسؤال عن السبب، وقد جاء بعدها فعل ماض وعليه فهي تأخذ موقع المفعول به المقدم.

4- كم: ويستفهم بها عن العدد المبهم ويراد تعيينه، وهي مبنية على السكون ولها حق الصدارة مثل باقي أسماء الاستفهام الأخرى إلا في حال ما إذا وردت مجرورة بحرف الجر[4]، وقد وجاءت في الحديث الشريف ما روي من حديث عبد الرحمن بن عوف-رضي الله عنه- قال: «رَآنِي رَسُولُ اللهِ -ﷺ- وَعَلَيَّ بَشَاشَةُ الْعُرْسِ فَقُلْتُ: تَزَوَّجْتُ امْرَأَةً مِنَ الْأَنْصَارِ، قَالَ: **كَمْ أَصْدَقْتَهَا؟** قَالَ: زِنَةَ نَوَاةٍ مِنْ ذَهَبٍ»[5]، فسأل النبي-ﷺ- عن مقدار المهر الذي أصدقه

1- ينظر: مغني اللبيب، بركات يوسف هبود، ج1، ص 429-430.

2- البيت من الطويل، للكميت بن زيد والشاهد فيه، مجيء حرف الجر "حتى" متصلا بـ"ما" الاستفهامية، وعليه تعرب حتَّامَ جار ومجرور متعلق بمحذوف خبر مقدم، والثانية توكيد لفظي، وكلمة العناء مبتدأ مؤخر والمطول نعت لها. ينظر: توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية بن مالك، الحسن بن القاسم المرادي، شرح وتحقيق عبد الرحمن علي سليمان، ط1، دار الفكر العربي، القاهرة، 1422هـ-2001م، ج3، ص979.

3- رواه النسائي، رقم 5426، كتاب آداب القضاة، باب كيف يستحلف الحاكم، صحيح، ص 818، ومسلم رقم 2701، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر، ص 632.

4- فهي في الاستفهام بمنزلة عدد منون ينصب ما بعده على التمييز، وهي في ذاتها اسم يحكم على موضعه بالرفع والنصب والخفض، إلا أنها مبنية على السكون لا يلحقها الإعراب، لمضارعتها ألف الاستفهام. ينظر: الجمل في النحو، أبو القاسم بن إسحاق الزجاجي، تحقيق علي توفيق الحمد، ط1، دار الأمل، إربد الأردن، 1404هـ-1984م، ص134، وينظر: تفصيلاتها في كتاب دراسات لأسلوب القرآن، عبد الخالق عضيمة، مصدر سابق، ج1، ص400 وما بعدها.

5- رواه النسائي، رقم 3352، كتاب النكاح، باب التزويج على نواة من ذهب، ص518.

لزوجته بـ "كم" التي تفيد تمييز العدد والمقدار والكمية، فتعرب مفعول به لأنه وليها فعل، كما تكون اسم مجرور إذا سبقها حرف جر نحو: بكم تبيع الثوب؟

5- أيُّ: بفتح الهمزة وتشديد الياء، وتأتي للشرط وللاستفهام، ويستفهم بها عن أحد الطرفين في شيء يعمهما معا قصد التمييز بينهما، وتكون للعاقل وغير العاقل، وقد عدَّ لها ابن هشام خمسة أوجه تنصرف إليها، وهي: الشرط والاستفهام، والموصولية، ومعنى الكمال، وكنه وُصْلة إلى نداء ما فيه (ال)[1]، وهي من أسماء الاستفهام المعربة وتعرب بحسب موقعها من الجملة فتأتي منصوبة كما في قول العرجي:

أَضَاعُونِي وَأَيَّ فَتًى أَضَاعُوا === لِيَوْمٍ كَرِيهَةٍ وسِدَادِ ثَغْرٍ[2]

كما تأتي مجرورة بأحد حروف الجر كما في قوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾[سورة المرسلات: الآية 50] ، وتأتي مرفوعة مثل ما جاء في قوله تعالى: ﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[سورة الأنعام: الآية 81] ، ومما جاء منها مرفوعا ويطلب بها تعيين التميز مثل ما جاء في الحديث، مما روي عن أسامة بن زيد -رضي الله عنه- قال: «قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّكَ تَصُومُ حَتَّى لَا تَكَادُ تُفْطِرُ وَتُفْطِرُ حَتَّى لَا تَكَادُ تَصُومُ إِلَّا يَوْمَيْنِ إِنْ دَخَلَا فِي صِيَامِكَ، إِلَّا صُمْتَهُمَا، فَقَالَ: "**أيُّ يومين؟**" قُلْتُ: يَوْمَ الاثْنَيْنِ وَيَوْمَ الْخَمِيسِ، قَالَ: ذَانِكَ يَوْمَانِ تُعْرَضُ فِيهِمَا الْأَعْمَالُ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَأُحِبَّ أَنْ يُعْرَضَ عَمَلِي وَأَنَا صَائِمٌ»[3] فاستفهم النبي -ﷺ- من زيد وأراد منه تعيين اليومين الذي يصومهما وذلك حرصا على إتباع السنة فذكر الاثنين والخميس على التعيين وقد بين سبب صيامهما، فقد جاءت مرفوعة وعليه تعرب مبتدأ وهي مضافة وما يأتي بعدها فيكون مضافا إليه، والخبر محذوف تقديره: أصومُ، أي: أيُّ يومين أصومهما؟.

6- ماذا: وهي مركبة من "ما" الاستفهامية قد سبق الحديث عنها مع أسم الإشارة "ذا" وهي استفهام عن حال المستفهم عنه، نحو ما جاء في حديث طويل يروي قصة حادثة الإفك، فنكتفي منه بإيراد الشاهد فحسب وهو أنه -ﷺ- سَأَلَ عَنْ أَمْرِ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، فَقَالَ: «**ماذا عَلِمْتِ أَوْ رَأَيْتِ؟**»[4]، أي ماذا علمت من

1- ينظر: مغني اللبيب، تحقيق عبد اللطيف محمد الخطيب، مصدر سابق، ج1، ص510-511. وينظر: الجنى الداني في حروف المعاني، الحسن بن قاسم المرادي، ، ص234.

2- البيت من بحر الوافر، للعرجي ويعد هذا البيت أشهر بيت قاله. ينظر: ديوان العرجي، سجيع جميل الجبيلي -جمع وتحقيق وشرح-، ط1، دار صادر، بيروت، لبنان، 1998م، ص246.

3- رواه النسائي، رقم 2357، كتاب الصوم، باب صوم النبي- ﷺ- وذكر اختلاف الناقلين للخبر في ذلك، ص367.

4- وهذه قطعة من حديث طويل رواه البخاري، رقم4141، كتاب المغازي، باب حديث الإفك، ص 1019.

شأنها أو ماذا رأيت من حالها، وأجابت –رضي الله عنها– والله ما علمت إلا خيرا، وهذا جواب عن سؤاله– ﷺ –، فاختلف المعربون فيها إن كانت تعرب على اعتبار أنها كلمة واحدة أو تعرب مركبة (ما+ذا) كل على حدة، فلو عدنا إلى إعراب قوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ﴾[سورة سَبَأْ: الآية 23] ، يقول أبو جعفر النحاس (ت338هـ): « (ماذا) في موضع نصب يقال: ويجوز أن يكون (ما) في موضع رفع بالابتداء و(ذا) في موضع الخبر، ومعناه معنى الذي (قالوا الحق) على أن (ماذا) في موضع نصب أي قال الحق، ويجوز رفع (الحق) على أن "ما" في موضع رفع و(هو العلي الكبير) ابتداء وخبر»[1]، وعليه فتكون مركبة فتكون مبتدأ وخبر، وتكون في موضع نصب، أما في الحديث الذي بين أيدينا فقد ولليها فعل فتكون في محل نصب مفعول به.

انطلاقا من هذه النماذج اليسيرة التي حاولنا مقاربتها مقاربة نحوية تبين لنا أن الحديث الشريف فقد اشتمل على جميع أدوات الاستفهام، كما جاءت عند العرب وبالوجوه المعهودة عند النحاة ولم تحد عنها قيد أنملة، كيف لا وهو المصدر أصيل من مصادر اللغة العربية التي يستند إليها في التقعيد واستمداد اللغة.

ثالثا: جدول لأهم أعاريب أسماء الاستفهام: سبق وأن قدمنا فإن أدوات الاستفهام لها حق الصدارة في الكلام وتعرب بحسب موقعها من الجملة يستثنى من ذلك حرفين وهما الهمزة وهل المبنيان لا محل لهما من الإعراب، وفيما يأتي جدول مفصل للأعاريب المحتملة لأسماء الاستفهام:

اسم الاستفهام	وصف التركيب	إعـــــــرابه
كيف	–كيف+اسم مرفوع ⟵ نحو: كَيْفَ أَنْتَ؟ –كيف+ كان ⟵ نحو: كَيْفَ كُنْتَ؟ –كيف+فعل (ماضي/مضارع) ⟵نحو: كَيْفَ تَذْهَبُ؟	✓ في محل رفع خبر مقدم ✓ في محل رفع خبر مقدم للناسخ كان ✓ في محل نصب حال
كَمْ	–كم+اسم مرفوع ⟵ نحو: كَمْ مَالُكَ؟ –كم+اسم منصوب+ فعل (ماضي/مضارع) ⟵ نحو: كم تلميذا يحضرُ؟	✓ في محل رفع خبر مقدم ✓ في محل رفع مبتدأ

1– إعراب القرآن، مرجع سابق، ص 792.

	-كم+اسم منصوب+ فعل (ماضي/مضارع) ⟵ نحو: كَمْ يوْمًا سَافَرْتَ؟ كَمْ مِيلًا قَطَعْتَ؟ -كم+ اسم منصوب+ فعل(ماضي/مضارع) ⟵ نحو: كَمْ ضَرَبْتَةً ضَرَبْتَهُ؟ -كم+اسم منصوب+ فعل (ماضي/مضارع) ⟵ نحو: كَمْ كِتَابًا قَرَأْتَ؟ -حرف الجر+كم+ اسم منصوب ⟵ نحو: بِكَمْ دِينَارًا اشْتَرَيْتَ الكِتَابَ؟	✓ في محل نصب ظرف زمان أو مكان (يفسره الفعل الذي يأتي) ✓ في محل نصب معول مطلق (يفسره الفعل الذي يأتي) ✓ في محل نصب مفعول به (يفسره الفعل الذي يأتي) ✓ في محل جر اسم مجرور بالباء
مَنْ	-من+ فعل (ماضي/مضارع) ⟵ نحو: مَنْ يذْهَبُ؟ -من+ فعل (ماضي/مضارع)⟵ نحو: مَنْ رَأَيْتَ الْبَارِحَةَ؟ -اسم+من+ اسم ⟵ نحو: زَيْدٌ مَنْ هُوَ؟	✓ في محل رفع مبتدأ ✓ في محل نصب مفعول به ✓ في محل جر مضاف إليه
مَا	-ما+اسم إشارة ⟵ نحو: مَا هَذَا؟ -ما+ فعل ⟵ نحو : ما تَأْكُلُ؟ - ما+اسم الإشارة (ذا)+ جار ومجرور ⟵ نحو: مَاذَا فِي يَدِكَ	✓ في محل رفع خبر مقدم ✓ في محل نصب مفعول به ✓ في محل رفع مبتدأ (في حال جَعَلْتَهَا كلمة واحدة) أو تعرب منفصلة فتكون ما في محل رفع مبتدأ وذا تكون موصولة خبرا عنها أو تكون زائدة لا محل لها من الإعراب
أَيْنَ	-أَيْنَ+ فعل (ماضي/مضارع) ⟵ نحو: أَيْنَ ذَهَبْتَ؟	✓ في محل نصب ظرف مكان

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

مَتَى	-متى+ فعل (ماضي/مضارع) ← نحو: مَتَى دَرَسْتَ؟	✓ في محل نصب ظرف زمان
أَيَّانَ	- أيَّانَ+ فعل (ماضي/مضارع) ← نحو: أَيَّانَ تَذْهَبُ؟	✓ في محل نصب ظرف زمان
أَيّ	- أَيُّ+ اسم+فعل (ماضي/مضارع) ← نحو: أَيُّ كِتَابٍ قَرَأْتَ؟ - أيَّ+ اسم+(ماضي/مضارع) ← نحو: أَيَّ وَقْتٍ تُسَافِرُ؟	✓ مبتدأ مرفوع بالضمة الظاهرة. ✓ مفعول به منصوب بالفتحة الظاهرة

وفيما يأتي مخطط يوضح ويلخص تقسيمات أدوات الاستفهام:

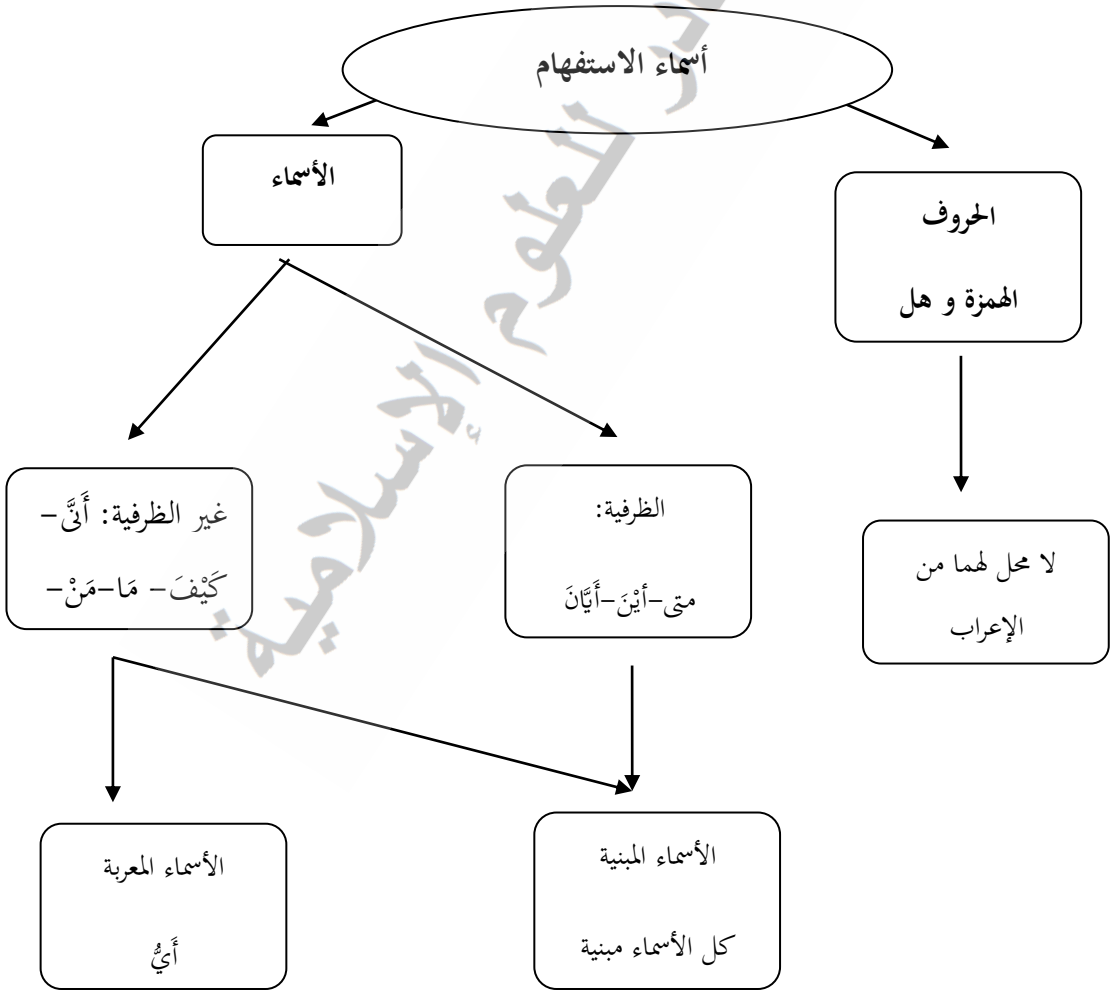

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

انطلاقا من الجدول وهذا التشجير نجمل القول إن أدوات الاستفهام على ضربين منها ما له موقع إعرابي في التركيب وهناك ما ليس له موقع وهما الهمزة وهل، أما الأسماء الأخرى فلها تقسيمان منها ما عده النحاة ظرفا وهي: مَتَى-أَيْنَ-أَيَّانَ؛ ومنها ما ليست ظرفاً: أَنَّى-كَيْفَ- مَا-مَنْ، على خلاف، وكل هذه الأسماء مبنية تعرب حسب موقعها في الجملة وسياقها التركيبي، عدا اسما واحدا فيعرب إعرابا ظاهرا إما يكون مرفوعا على الابتداء أو منصوبا مفعول به.

وفي نهاية هذا المبحث نخلص إلى أن الحديث النبوي الشريف اشتمل على أدوات الاستفهام كلها من حروف وظروف وأسماء، حيث جاءت في مراتب مختلفة لتحقق دلالات نحوية معينة بحسب ورودها، كما وجدنا بعض الأدوات قد ضُمِّن معاني أدوات أخرى نحو: (أنَّى) التي تأتي بمعنى (كيف)، ثم إن هذه الأدوات كلها مبني فمنها ما يأتي في محل رفع ومنها ما يأتي في محل نصب، ومنها ما يأتي في محل جر بحسب موقعها في الجملة، فهي تتأثر بما يتأثر به الاسم داخل التركيب فتتغير حركتها الإعرابية، ويستثنى من أدوات الاستفهام اسم واحد معرب وهو (أي) فيعرب بحسب ما يأتي قبله وبعده رفعا ونصبا وجرا، وعليه فإن الحديث الشريف قد اشتمل على جميع هذه الأدوات، ما يحسن استثماره مصدرا في تقعيد القواعد النحوية العربية.

المبحث الثاني: أحوال الهمزة في تركيب الاستفهام في الحديث النبوي الشريف

سبق الحديث عن بعض القضايا المتعلقة بهمزة الاستفهام في القرآن الكريم وما يعاضدها في كلام العرب من مسائل مختلفة، والآن نعرض لهذه المسائل المتعلقة بها وتتبعها في الحديث النبوي الشريف محاولين بذلك إماطة اللثام عن خصائصها النحوية؛ ومن ذلك أحوال الهمزة في التركيب المتضمن معنى الاستفهام، احترازا منا أن تكون همزة نداء أو همزة قسم.

أولا: تمام التصدر: هناك حروف لها الأحقية في الصدارة دون غيرها، حيث إنها تؤثر فتحدث تفاعلا في التركيب، يكسب التركيب قيمة مضافة يتلون بتلون دلالاته اللفظية، ومعلوم أن اللفظ ليس له معنى إلا إذا وضع في سياق يحتويه، ومن هذه الحروف التي لها تمام الصدارة همزة الاستفهام، وللهمزة خاصية التقديم إذا أريد بها الاستفهام، فالمتكلم يريد الاستفهام والاستعلام ابتداء، وهذه إشارة مسبقة تستلزم فعلا قوليا مخصصا، ولما كان ذلك حُقَّ لهمزة الاستفهام الصدارة، ومن أمثلة ما جاء في الحديث الشريف:

- عن البراء-رضي الله عنه- قال: « أُهْدِيَ لَلنَّبِيِّ-ﷺ- ثُوْبُ حَرِيرٍ، فجَعَلْنَا نلمسهُ ونتعجَّبُ منهُ، فقال النبي -ﷺ-: **أَتَعْجَبُونَ منْ هَذَا؟** قلنا: نعم، قال: مَنَاديلُ سعْدِ بن معاذٍ في الجَنَّةِ خيْرٌ من هذا»[1]، جاء الاستفهام في الحديث عن سبب تعجبهم من ثوب الحرير، وقد كانت الهمزة متصدرة لجملة أسلوب الاستفهام، ويليها المستفهم منه وهو فعل (تعجبون) مباشر دون فاصل، لأنهم كان يعلم حالتهم من لمس ثوب الحرير، فاستفهم حتى يزيل عنهم هذا الاستغراب والتعجب والحيرة.

- عن ابن عمر -رضي الله عنه- قال: « قال النبيُّ -ﷺ- بمنىً: **أتدرونَ أيَّ يومٍ هذا؟** قالوا: اللهُ ورسولهُ أعلمُ، قال: فإن هذا يومٌ حرامٌ؛ **أتدرون أيَّ بلدٍ هذا؟** قالوا: اللهُ ورسولهُ أعلمُ، قال: بلدٌ حرامٌ، **أتدرون أيَّ شهرٍ هذا؟** قالوا: اللهُ ورسولهُ أعلمُ، قال: شهرٌ حرامٌ»[2]، نلمس في هذا الحديث الاستفهام عن أشياء متعددة تفيد تعليم الصحابة عن قيمة بعض الأشياء التي كانوا يجهلونها، والملاحظ أن أسلوب الاستفهام هنا مركب من أداتين: الأولى الهمزة: (أتدرون؟) لأنه يمكن الاستغناء عن "أي" التي تفيد تعيين المطلوب للمعرفة، ولما كان للهمزة حق الصدارة جاء بها النبي -ﷺ- في المرتبة الأولى: لأنه يطلب منهم تعيين اليوم و البلد والشهر، وكان بالإمكان الاكتفاء بالهمزة أو

1- رواه البخاري، رقم 5836، كتاب اللباس، باب مس الحرير من غير لبس، فتح الباري، ج10، ص359.

2- رواه البخاري، رقم 1740، كتاب الحج، باب الخطبة أيام منى، ص 420.

"أيُّ" في السؤال، لكن جيء بهما معا لتخصيص المستفهم عنه وإزالة اللبس عنه حتى يستقر في ذهن المتلقي وقد تصدرت الهمزة الكلام.

- عَنْ جَابِرٍ -رضي الله عنه- قَالَ: «كُنَّا مَعَ النَّبِي-ﷺ- فِي غَزْوَةٍ، فَلَمَّا قَفَلْنَا كُنَّا قَرِيباً مِنَ الْمَدِينَةِ، تَعَجَّلْتُ عَلَى بَعِيرٍ لِيَ قَطُوفٍ، فَلَحَقَنِي رَاكِبٌ مِنْ خَلْفِي فنَخَسَ بَعِيرِي بِعَنَزَةٍ كَانَتْ مَعَهُ، فَسَارَ بَعِيرِي كَأَحْسَنِ مَا أَنْتَ رَاءٍ مِنَ الْإِبِلِ، فَالْتَفَتُّ فَإِذَا أَنَا بِرَسُولِ-ﷺ- فَقُلْتُ: يَا رَسُولُ الله إِنِّي حَدِيثُ عَهْدٍ بعُرْسٍ قَالَ: **أَتَزَوَّجْتَ؟** قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: **أَبِكْرًا أَمْ ثَيِّبًا؟** قَالَ: قُلْتُ: بَلْ ثَيِّبًا، قَالَ: فَهَلَّا بِكْرًا تلاعِبُهَا وتُلاعِبُكَ؟»[1]، فلما عرض جابر حاله عن النبي-ﷺ- بادره بالسؤال: (أتزوجْتَ؟) لأنه لم يكن على علم حتى أخبره، وكأنَّهُ يطلب تأكيدا على ذلك، ولشدة حرصه سأله مرة أخرى: (أبِكْرًا أمْ ثَيِّبًا؟) وقد تصدرت الهمزة الفعل الماضي، والمفعول به، فالمتكلم حينما يسأل عن شيء يجهله يباشر كلامه بالاستفهام لأنه يستخبر عن حال المخاطب حقيقة، ومما يستفاد من هذا الاستفهام مكانة جابر عند النبي-ﷺ- ما جعله يسأل عنه ويهتم لأمره .

مما سبق ذكره من هذه النماذج فإن همزة الاستفهام لا يكون لها إلا صدر الكلام، لأن المتكلم لا يريد إلا طلب الفهم وتحقيق العلم، فهي تساق للغرض المراد به وهو الاستفهام، ولو عدنا إلى حديث ابن عمر -رضي الله عنهما- (أتدرون أيَّ يوم هذا) لوجدنا أن اسم الاستفهام (أيُّ) قد تخلل الكلام وتوسطه، أما الهمزة فقد كان لها صدر الكلام، وقد سيق ذلك لما سبق ذكره من إيراد "أيُّ" لتعيين المطلوب، ومن هنا قد يدخل الاستفهام على استفهام آخر مع إمكانية الاستغناء على أحدهما ما لم يؤد ذلك إلى الإخلال بالمعنى وعدم تبليغه، أو حاجته إلى التأويل الذي ربما يفسده.

وهمزة الاستفهام قد يسوغ لها الدخول على سائر أدوات الاستفهام الأخرى، وهذا ما يذهب إليه المبَرِّدُ من أن "الهمزة" و"أم" يستفهم بهما مطلقا، ولا تكون هذه الخاصية لبقية الأدوات، لأن كل حرف منها وضع لضرب لا يتعداه إلى غيره، حيث نجده يقرر ذلك بقوله: «وحرفا الاستفهام اللذان لا يفارقانه: الألف و(أم)، وهما

1- رواه البخاري، رقم 5247، كتاب النكاح، باب تستَحِدُّ المغيبة وتمتشط الشَّعِثَةُ، ص 1336. بعير لي قطوف: السَّرِيعُ، فنخس: بَزْلُ شيْءٍ بشيءٍ حَادٍ والنَّاخسُ جربُ يكون عند ذنب البعير أو صدره، بعنزة: العَنَزَةُ هي العصا وهو شاذٌّ، ينظر: مقاييس اللغة،مرجع سابق، مادة: (قطف) و(نخس)، ج5، ص 103و 405. ومادة: (عنز)، ج4، ص155. وقال العكبري في توجيه الحديث: وقول جابر في الجواب (بل ثيبٌ) يروونه بالرفع ووجهه (بل هي ثيبٌ) أو (بل زوجتي ثيب) ولو نصب لجاز وكان أحسن. ينظر: إعراب الحديث النبوي، أبو البقاء بن الحسين العكبري، تحقيق عبد الإله نبهان، ط2، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، 1407هـ-1986م، ص127.

يدخلان على هذه الحروف كله، ألا ترى أن القائل يقول: هَلْ زَيْدٌ في الدار أم هل عمروٌ هناك؟؛ وتقول: كيف صنعت أم كيف صنع أخوك؟ فدخل هذان الحرفان على حروف الاستفهام لتمكنها وانتقالها»[1] ، واستشهد ببيت من الشعر لزيد الخيل:

سَائِـلْ فَـوَارِسَ يَرْبُوعٍ بِشِـدَّتِنَـا === أَهَلْ رَأَوْنَا بِسَفْحِ القُفِّ ذِي الأَكَمِ[2]

إن الهمزة تدخل على غيرها من أدوات الاستفهام، كما جاء في هذا الشاهد الشعري، فقد باشرت "هل" وله فائدة بلاغية في البيت وهو المبالغة في الفخر وشدة السطوة في حال الحرب، لذلك ساق الاستفهام بهل والهمزة معا، مع أنه يمكن الاستغناء عن إحدى الأداتين.

ثانيا: دخولها على الاسم والفعل : ومن باب تمام تصدرها نجدها تتصدر أقساما من الكلم وهما الاسم والفعل وكذلك الحرف فقد أرجأناه للعنصر الموالي لما له من خصوصية .

1– الاسم: تتقدم همزة الاستفهام الاسم، وقد يكون هذا الاسم إما المبتدأ أو المفعول به.

أ– ما يعرب مبتدأ: عَنْ أَنَسِ بْنُ مَالِكٍ–رضي الله عنه– قال: «كَانَتْ عِنْدَ أُمِّ سُلَيْمٍ يَتِيمَةٌ وَهِيَ أُمُّ أَنَسٍ، فَرَأَى رَسُولُ اللهِ–ﷺ– الْيَتِيمَةَ فَقَالَ: **"آنْتِ هِيَهْ؟** لَقَدْ كَبُرْتِ لَا كَبُرَ سِنُّكِ" فَرَجَعَتِ اليَتِيمَةُ إِلَى أُمِّ سُلَيْمٍ تَبْكِي»[3]، جاء بعد همزة الاستفهام ضمير الرفع المنفصل "أنت" فالتقت الهمزتان فحققت الهمزة الأول وأدخلت ألف مدية بينهما، وخففت الثانية، والنفي هنا مسلط على الدعاء وتقدير الكلام هو الدعاء عليها ألا تكبر وتشيخ، بل تبقى صبية صغيرة.

– وعن عبد الله بن عمرو–رضي الله عنهما– قال: « رَأَى رَسُولُ اللهِ –ﷺ–عَلَيَّ ثَوْبَيْنِ مُعَصْفَرَيْنِ[4] فَقَالَ: **أَأُمُّكَ أَمَرَتْكَ بِهَذَا؟** قُلْتُ: **أَغْسِلُهُمَا؟** قَالَ: "بَلْ أَحْرِقْهُمَا"»[5]؛ تصدرت الهمزة الجملة الاسمية، والهمزة جيء بها للإنكار، فقد أنكر عليه لُبس هذا الثوب المصبوغ، ولأنه–ﷺ– يعلم أن هذا من صنيع أمه، فأمره أن يحرقهما.

1– المقتضب، مصدر سابق، ج 3، ص289–291.

2– البيت من بحر البسيط، وفي رواية الديوان (بِسَفْحِ الْقَاعِ) بدل (الأَكَمِ)، وَيَرْبُوع: أبو حي من تميم، والقف: حجارة غاص بعضها على بعض لا يخالطها سهولة، والأكم: جمع أكمة ما ارتفع من سطح الأرض، وسفح الجبل أسفله، ينظر: شعر زيد الخيل الطائي–جمع ودراسة وتحقيق–، أحمد مختار البزرة، ط1، دار المأمول للتراث، دمشق، 1408هـ–1988م، ص155.

3– رواه مسلم، رقم 2603، كتاب البر والصلة، باب من لعنه النبي –ﷺ– أو سبَّهُ أو دعا عليه وليس هو أهل لذلك، ص612.

4– المعَصْفَرْ: من العُصْفُرْ: وهو نبات، إذا كان معربا لا قياس له، وإن كان عربيا فمنحوت من عَصَرَ وصَفَرَ، ويراد به عصارته وصفرته مما تصبغ به الثياب عادة. ينظر: مقاييس اللغة، مرجع سابق، مادة (عصفر)، ج4، ص 369.

5– رواه مسلم، رقم 2077، كتاب اللباس والزينة، باب النهي عن لُبْسِ الثّوب المعَصْفَرِ، ص506.

ب– ما يعرب مفعولا به: ما روي من حديث عائشة –رضي الله عنها– أن أزواج النبي –ﷺ– أردن الاعتكاف معه في العشر الأواخر من رمضان وكان يُضْرَب له خِبَاءٌ، قالت: « فلمَّا صَلَّى رَسُولُ اللهِ–ﷺ– الفَجْرَ فَإِذَا الأَخْبِيَةِ[1]، فَقَالَ: **آلْـــبِرَّ تُرِدْن؟** فَأَمَرَ بِخِبَائِهِ فَقُوِّضَ[2] وَتَرَكَ الاعْتِكَافَ فِي شَهرِ رَمَضَانَ حَتَّى اعْتَكَفَ فِي الْعَشْرِ الْأُوَلِ مِنْ شَوَّالٍ»[3]، فالهمزة للاستفهام وجاءت ممدودة لاتصالها بألف "أل"، البِرَّ: مفعول به مقدم، تُرِدْنَ: فعل مضارع مبني على السكون لاتصاله بنون النسوة، فقدم المفعول به للضرورة والحاجة إلى تقديمه، فيختار النصب في الاسم الذي يقع بعد همزة الاستفهام ويليه فعل يقول ابن يعيش في شرح المفصل: « والموضع الآخر الذي يختار فيه النصب وليس الاسم فيه معطوفًا على فعل وذلك إذا ولي الاسم حرفُ هو بالفعل أولى وجاء بعده فعل واقع على ضميره، فالاختيار نصب الاسم بإضمار فعل وذلك إذا وقع بعد حرف الاستفهام نحو: أَعَبْدَ اللهِ ضَرَبْتَهُ، وأَعُمَرًا مرَرْتَ بِهِ، وأزيْداً ضَرَبْتَ أَخَاهُ، النصب في ذلك كله هو الوجه المختار والرفع جائزٌ»[4]، فتقدير الكلام هو: أَتُرِدْنَ الْبِرَّ؟ فيعمل فيه الفعل بالنصب.

ولأن أدوات الاستفهام إنما تكون لصيقة بالفعل أكثر منه من الاسم فإذا وقع بعد أداة الاستفهام اسم أو فعل قدم الفعل فيما عدا الهمزة، قد يقدم الاسم للضرورة الشعرية[5]، واحترز من الهمزة لأنها أعم تصرفا من نظيرتها، فيأتي بعدها الاسم مطلقا، ويعرب مبتدأ أو مفعولا به كما سبق ذكره من هذه النماذج .

ج–ما يعرب خبرا: ومما يرد خبرا ما روي عن أُبَيّ بْنُ كَعْبٍ–رضي الله عنه– أَنَّهُ قال: «صَلَّى رسولُ اللهِ –ﷺ– الصُّبْحِ، فقال: **شَاهِدٌ فُلَانٌ؟** فقالوا: لا، فقال: **شَاهِدٌ فُلَانٌ؟** فقالوا: لا، فقال: **شَاهِدٌ فُلَانٌ؟** فقالوا: لا، فقالَ: إنَّ هاتَيْنِ الصَّلاتَيْنِ مِنْ أَثْقَلِ الصَّلواتِ على المنافقين، ولَوْ يَعْلمُونَ ما فيها لأَتَوْهُما ولو حَبْوًا ...»[6]، فهنا حذفت الهمزة

1– الأخبية: ج .م خِبَاءٌ، والخاء والباء والهمزة يدل على سِتْرِ الشَّيْءِ، تقول: أَخْبَيْتُ إِخْبَاءً، وخَبَّيْتُ، وتَخَبَّيْتُ، كل ذلك إذا اتخذت خِبَاءً. ينظر: مقاييس اللغة، مرجع سابق، مادة (خبأ)، ج2، ص244.

2– قُوِّضَ: القاف والواو والضاد كلمة تدل على نقض البناء، قَوَّضْتُ الْبِنَاءَ: نَقَضْتُهُ من غَيْرِ هَدْمٍ. ينظر: مقاييس اللغة، مرجع نفسه، مادة (قوض)، ج5، ص41.

3– رواه مسلم، رقم 1173، كتاب الاعتكاف، باب متى يدخل من أراد الاعتكاف في معتكفه، ص264.

4– شرح المفصل، مصدر سابق ، ج2، ص34.

5– خزانة الأدب، مصدر سابق، ج11، ص291.

6– مسند الإمام أحمد، أحمد بن حنبل، تحقيق مجموعة من علماء الحديث في مكتبة دار السلام، ط1، مكتبة دار السلام، المملكة العربية السعودية، 1434هـ–2013م، رقم 21265، مسند المكثرين من الصحابة، حديث أبي بصير العبدي وابنه، ص، 1523. ورواه النسائي بغير هذا اللفظ: "أَشَهِدَ فُلانٌ الصَّلَاةَ؟" فيكون لفظ (فلانٌ) فاعل على حقيقته لا يحتاج إلى تأويل، ينظر: سنن النسائي، رقم 843، كتاب القبلة، باب الجماعة إذا كانوا اثنين، ص139.

الاستفهام للعلم بها لأن السياق يوحي بذلك والموقف يتطلب الاستفهام على كل حال، وشاهدٌ: مبتدأٌ، وفلانٌ: خبره، هذا إذا كانت الهمزة ظاهرة مباشرة بنفسها لفظة (شاهدٌ)، وهناك من يعد لفظة (شاهدٌ) خبر مقدم، و(فلانٌ) مبتدأ مؤخر، يقول العُكْبَري (ت616هـ): « شَاهِدٌ فُلَانٌ؟ يريد الهمزة، فحذفها للعلم بها، وهو مرفوع بأنه خبر مقدم، وفلانٌ مبتدأ، ويجوز أن يكون شاهدٌ مبتدأ، لأنَّ همزة الاستفهام فيه مراده، ولو ظهرت لكان مبتدأ البتة، وفلانٌ فاعل سد مسد الخبر»[1]، فعليه يكون التقدير: فلانٌ شَهِدَ الصبحَ؟، أو فلانٌ شَاهِدٌ الصبحَ؟ فيكون خبر مقدم ومبتدأ، لكن الاستفهام هنا مسلط على الفعل إن وقع أو لم يقع، وقد دل على الفعل لفظة (شاهدٌ) لأنها اسم فاعل من شهدَ، فعليه يكون فاعلا سد مسد الخبر.

د- ما يعرب ظرفا: وقد يأتي ما بعد الهمزة ما يكون ظرفا ومن ذلك ما روي عن عائشة-رضي الله عنها- قالت: «دَارَ عَلِيَّ رَسُولُ اللهِ -ﷺ- دَوْرَةً فَقَالَ: **أَعِنْدَكِ شَيْءٌ؟** قُلْتُ: لَيْسَ عِنْدِي شَيْءٌ، قَالَ: "فَأَنَا صَائِمٌ" قَالَتْ" ثُمَّ دَارَ عَلَيَّ الثَّانِيَةَ وَقَدْ أُهْدِيَ لَنَا حَيْسٌ فَجِئْتُ بِهِ فَأَكَلَ فَعَجِبْتُ مِنْهُ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ دَخَلْتَ عَلَيَّ وَأَنْتَ صَائِمٌ ثُمَّ أَكَلْتَ حَيْساً قَالَ: "نَعَمْ يَا عَائِشَةُ إِنَّمَا مَنْزِلَةُ مَنْ صَامَ فِي غَيْرِ رَمَضَانَ أَوْ غَيرِ قَضَاءِ رَمَضَانَ، أَوْ فِي التَّطَوُّعِ، بِمَنْزِلَةِ رَجُلٍ أَخْرَجَ صَدَقَةَ مَالِهِ فَجَادَ مِنْهَا بِمَا شَاءَ فَأَمْضَاهُ وَبَخِلَ بِمَا بَقِيَ فَأَمْسَكَهُ"»[2]، فـ(عند) لها معاني معينة بحسب ورودها في الكلام يقول ابن هشام: «أنها تكون ظرفا للأعيان والمعاني تقول: هَذَا الْقَوْلُ عِنْدِي صَوَابٌ، وعِنْدَ فُلَانٍ عِلْمٌ بِهِ»[3]، وهي في الحالتين تأتي مضافة إلى غيرها، وعليه فهي ظرف مكان منصوب متعلق بمحذوف خبر مقدم، تقديره (مستقر) أو نفس الظرف يكون هو الخبر، على قول ضعيف أو يكون الظرف ومتعلقه خبرا على قول جمهور البصريين والراجح الأول وعند مضاف والكاف مضاف إليه، و(شَيْءٌ) فاعل للفعل (استقرَّ) يعني عندك استقر شَيْءٌ، وهناك وجه آخر لإعرابها فتكون (عند) متعلق بمحذوف خبر مضاف و(شَيْءٌ) مبتدأ مؤخر، والذي يفسر كون (عندك) خبر مقدم، الجواب في قول أم المؤمنين -رضي الله عنها- (لَيْسَ عِنْدِي شَيْءٌ) ومجي لفظة (شيْءٌ) بالضم تكون اسم (لَيْسَ)، وعندئذٍ تكون لفظة (عِنْدِي) خبر ليس مقدما.

1- إعراب ما يشكل من ألفاظ الحديث النبوي، أبو البقاء العكبري، تحقيق عبد الحميد هنداوي، ط2، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، 1427هـ-2006م، ص23.

2- رواه النسائي، رقم2323، كتاب الصيام، باب النية في الصيام، ص363.

3- معني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق عبد اللطيف محمد الخطيب، ج2، ص 448.

ومما يأتي بعد همزة الاستفهام ويعرب ظرفا ما روي عن أبي سعيد الخدري في قصة رجم الزاني قال النبي-ﷺ- : « **أَوَ كُلَّمَا انْطَلَقْنَا غُزَاةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَخَلَّفَ رَجُلٌ فِي عِيَالِنَا لَهُ نَبِيبٌ كَنَبِيبِ التَّيْسِ؟** عَلَيَّ أَنْ لَا أُوتَى بِرَجُلٍ فَعَلَ ذَلِكَ إِلَّا نَكَّلْتُ بِهِ»[1]، فالهمزة للاستفهام الإنكاري و(كلما) ظرفية تدل على الحين متضمنة معنى الشرط، ويجوز في إعرابها «(كل) طرف (ما) حرف مصدري يؤول مع الفعل بعده بمصدر في محل جر مضاف إليه»[2].

2- الفعل: الأصل في أدوات الاستفهام أنها تقدم الفعل، كما تسبق الاسم وتتقدمه، ويعده النحاة من باب التوسع لا أكثر، لذا كان الرفع أو النصب مبني على الاختيار في الاسم الذي يلي الهمزة والفعل، وهذا في باب ما يعمل فيه الفعل؛ ويكثر في الحديث الشريف دخول همزة الاستفهام على الفعل مطلقا، سواء كان ماضيا أو مضارعا، وسوف نحاول مقاربة هذه النماذج نحويا، مع كلا الفعلين.

أ- الفعل الماضي: نحو ما روي «أنَّ رسُول الله-ﷺ- صَلَّى العصْرَ فسَلَّمَ في ثلاثِ رَكَعَاتٍ ثمَّ دخلَ مَنْزِلَهُ فقام إليه رجُلٌ يقالُ لهُ: الخِرْبَاقُ[3] وكان في يدَيْهِ طولٌ فقالَ: يا رسولَ الله –فذَكَرَ لهُ صَنيعَتَهُ- وخرجَ غضبان يَجُرُّ رداءهُ حتَّى انْتهَى إلى الناسِ فقال: **أَصَدَقَ هذَا؟** قالوا: نعم؛ فصلَّى رَكْعَةً ثمَّ سلَّمَ ثم سجدَ سجْدَتَيْن ثمَّ سَلَّمَ»[4]، جاءت الهمزة مع الفعل الماضي الذي يفيد الثبات والوقوع حقيقة، فالنبي-ﷺ- إنما استفهم عن الفعل وأسند إليه اسم الاشارة ليتأكد مما صدر منه من السهو في الصلاة حقيقة، و من استعمالات "ذا" هنا أنه يشار بها إلى مفرد إما حقيقة أو حكما[5]، أما في هذا الموضع فاستعماله للحقيقة لأنه إشارة إلى ذي اليدين.

1- رواه مسلم، رقم 1694، كتاب الحدود، باب من اعترف على نفسه بالزنا، ص 411.

2 الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه، محمود صافي، ط3، دار الرشيد، دمشق، 1416هـ-1995م، مج 1، ص 211. وينظر: إعراب القرآن وبيانه، مصدر سابق، ج 1، ص 148.

3- قال ابن حجر: وهو محمول على الحقيقة، ويحتمل أن يكون كناية عن طولهما بالعمل أو البذل، قال القرطبي: وجزم ابن قتيبة بأنه كان يعمل بيديه جميعا وذهب الأكثرون إلى أن اسم ذي اليدين الخِرْبَاقُ بكسر الخاء وسكون الراء بعدها باء ممدودة آخره قاف. ينظر: فتح المنعم شرح صحيح مسلم، موسى شاهين لاشين، ط1، مطابع الشروق، القاهرة، 1423هـ-2002م، ج3، ص221.

4- رواه مسلم، رقم 547، كتاب المساجد، باب السهو في الصلاة والسجود له، من حديث عمران بن حصين-رضي الله عنه-، ص131.

5- ينظر: شرح قطر الندى وبل الصدى و معه سبيل الهدى بتحقيق شرح قطر الندى، محي الدين عبد الحميد، دط، دار الطلائع للنشر، القاهرة، 2004م، ص109.

– عن أبي هريرَةَ –رضي الله عنه–أن رسول الله–ﷺ– قالَ: «**أَرَأَيْتُمْ**[1] لوْ أنَّ نَهْرًا بِبَابِ أحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ منهُ كُلَّ يَوْمٍ خمسَ مرَّاتٍ هلْ يَبْقى منْ دَرَنِهِ شيْءٌ؟ قالوا: لا يَبْقَى من دَرَنِهِ شيْءٌ، قال: "فَكَذَلِكَ مثَلُ الصَّلَواتِ الخَمْسِ يَمْحُو اللهُ بِهِنَّ الْخَطَايَا»[2]، جاءت الهمزة للاستفهام مع الفعل الماضي (رأيْتُمْ) الذي يدل على الإخبار، فجاء بهمزة الاستفهام حتى يتنبه السامع ويستعد لما يلقى إليه من كلام، لأن ما جاء بعد جملة (أرأيتم) يؤكد الغرض الذي من أجله سيق الاستفهام، وجملة (هلْ يَبْقى منْ دَرَنِهِ شيْءٌ) واقعة في جواب الشرط.

ومما جاءت فيه الهمزة مع الفعل الماضي (رأى) ما روي عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ –رضي الله عنه– أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ –ﷺ– « نَهَى عَنْ بَيْعِ الثِّمَارِ حَتَّى تُزْهِيَ، فَقِيلَ لَهُ: وَمَا تُزْهِي؟ قَالَ: حَتَّى تَحْمَرَّ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ –ﷺ–: **أَرَأَيْتَ إِذَا مَنَعَ اللَّهُ الثَّمَرَةَ، بِمَ يَأْخُذُ أَحَدُكُمْ مَالَ أَخِيهِ؟**»[3]، يقول أبو حيان: «كون (أرأيت) بمعنى أخبرني نص عليه سيبويه وغيره، وهو: تفسير معنى لا تفسير إعراب، لأن أخبرني يتعدى بعن، و(أرأيت) بنفسه لمفعول صريح، إلى جملة استفهامية في موضع المفعول الثاني، ويقع بعد جملة الشرط، ويتنازع هو وفعل الشرط في ما بعده، فأعمل الثاني على رأي البصريين، وحذف مفعول (أرأيت) الأول، ومفعوله الثاني هو جملة الاستفهام، ورابط هذه الجملة الاستفهامية بالمفعول المحذوف في (أرأيت) مقدر، وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه»[4]، وعليه فإن الفعل رأى يتعدى إلى مفعولين فتكون الجملة الاستفهامية التي تقع بعده في محل مفعول به ثاني، وهذا ما نلمسه في الحديث السابق.

ب– الفعل المضارع: ما روي عن سعْدِ بْنِ أبي وقاص–رضي الله عنه– قال: «سُئِلَ النَّبِيُّ –ﷺ– عنِ الرُّطَبِ بالتَّمْرِ فقَالَ: **أيَنْقُصُ إِذَا يَبِسَ؟** قَالُوا: نَعَمْ، فَنَهَى عنهُ»[5]؛ جاءت همزة الاستفهام مع الفعل المضارع (ينْقُص) ومن

1– قال السيوطي: أرأيتم: أخبروني، لوْ أنَّ نَهَرًا: بفتح الهاء وسكونها، من دَرَنِهِ: وسخه. ينظر: سنن النسائي بشرح السيوطي وحاشية السندي، جلال الدين السيوطي، رقمه وصنع فهارسه عبد الفتاح أبو غُدَة، دط، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، دت، مج1، ص231.

2– رواه النسائي، رقم 462، كتاب الصلاة، باب فضل الصلوات الخمس، ص80. مسلم، رقم 667، كتاب المساجد، باب المشي إلى الصلاة، ص150.

3– رواه البخاري، رقم 2198، كتاب البيوع، باب إذا باع الثمار قبل أن يبدو صلاحها، ص 524 .

4– عقود الزَّبَرْجَدْ في إعراب الحديث النبوي، جلال الدين السيوطي، تحقيق سلمان القضاة، دط، دار الجيل، بيروت، 1414هـ-1994م، ج 1، ص 182-183.

5– رواه النسائي، رقم 4546، كتاب البيوع، باب اشتراء التمر بالرطب، ص694.

دلالات الفعل المضارع الاستمرارية والتجدد، و (إذا)[1] في هذا الموضع ظرف زمان مفعول فيه يتضمن معنى (حين)، وتقدير الكلام: أَيَنْقُصُ الرُّطَبُ إذا جف وذهبت رطوبته، وعليه فإن «لفظ الاستفهام ومعناه التقرير، والتنبيه على نكتة الحكم، ليعتبروها في نظائرها وأخواتها، وذلك أنه لا يجوز أن يخفى عليه –ﷺ– أن الرطب إذا يبس نقص وزنه، فيكون سؤاله عنه سؤال تعرُّف واستفهام»[2] فدلالة النقص إنما هي مسلطة على مكياله وهذا أمر بديهي فكلما زادت المدة كان النقص أكثر فجيء بالفعل المضارع لما يستقبل من الزمان ولأن المضارع يحمل معنى الدوام والاستمرار، لذلك كان النهي عن مثل هذا البيع، فدلالة المضارع تدل على ديمومة سريان حكم النهي والتحريم.

ومن ذلك أيضا ما روي عن كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ –رضي الله عنه– «أن النَّبِيَّ –ﷺ– مرَّ بِهِ وهُوَ بالحُدَيْبِيَةِ قبلَ أنْ يَدْخُلَ مَكَّةَ وهُوَ مُحْرِمٌ وهُوَ يُوقِدُ تَحْتَ قِدْرٍ والقَمْلُ يَتَهَافَتُ على وَجْهِهِ فقالَ: **"أيُؤْذِيكَ هَوَامُكَ هَذا؟"** قال: نَعَمْ، قال: "فَاحْلِقْ رَأْسَكَ وأَطْعِمْ فِرْقًا بيْنَ سِتَّةِ مساكينَ، أوْ ضُم ثَلَاثةَ أَيَّامٍ أو انْسُكْ نَسِيكَةً"»[3]، باشرت همزة الاستفهام الفعل المضارع (يُؤْذيكَ)، فجاء بالاستفهام مع الفعل المضارع لما وجده من تجدد واستمرار معاناة الصحابي مما يصيبه من أذى القمل.

كما يجيء الاستفهام بالهمزة مع المضارع المجزوم من ذلك ما روي عن زيد بن خالد الجهني–رضي الله عنه– قال: «مُطِرَ النَّاسُ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ –ﷺ– قَالَ: **أَلَمْ تَسْمَعُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمُ اللَّيْلَةَ؟** قَالَ: مَا أَنْعَمْتُ عَلَى عِبَادِي مِنْ نِعْمَةٍ إِلَّا أَصْبَحَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ بِهَا كَافِرِينَ يَقُولُونَ مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا فَأَمَّا مَنْ آمَنَ بِي وَحَمِدَنِي عَلَى سُقْيَايَ فَذَلِكَ الَّذِي آمَنَ بِي وكَفَرَ بِالْكَوْكَبِ وَمَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا فَذَلِكَ الَّذِي كَفَرَ بِي وَآمَنَ بِالْكَوْكَبِ»[4]، فإن من تمام صدارة الهمزة أنها تتصدر كل ما يتعلق بالفعل وما يسبقه من حروف ومن ذلك حروف الجزم، والفعل المضارع وقع في زمن حاضر وهذا ما دلت عليه لفظة (الليلة)، أي أن الصحابة لم يكونوا على علم بما قال الله – جلَّ وعلَا– وجاء مصاحبا لحادثة نزول المطر، والنبي–ﷺ– لم يتقصَّد الاستفهام ابتداء على سبيل الطلب وإنما

1– وقد تخرج "إذا" عن الظرفية فتكون في محل نصب مفعولا به أو في موضع جرٍ. ينظر: مغني اللبيب، مصدر سابق، ج1، ص160.

2– شرح سنن النسائي المسمى ذخيرة العقبى في شرح المجتبى، علي بن موسى الأيوبي الوَلَّوِي، ط1، دار آل بروم، المملكة السعودية، 1424هـ-2003م، ج 34 ، ص 305.

3– رواه مسلم، رقم 1201، كتاب الحج، باب جواز حلق الرأس لِلْمُحْرِمِ إذا كان به أذى ووجوب الفِدْيَةِ لحلقه وبيان قدرها، ص273.

4– رواه النسائي، رقم 1525، كتاب الاستسقاء، باب كراهية الاستمطار بالكواكب، ص 251.

جاء به ليُعْلِمَ الصحابة بما يجب قوله عند نزول المطر من ذكر، ودلالة (ماذا) في هذا الموضع بمعنى شيء أو الذي يقول ابن هشام: «ونقول: إذا قدرت (ماذا) بمعنى "الذي" أو بمعنى "شيء"، لم يمتنع كونها مفعول دعي»[1]، لأنه لم يقصد بها الاستفهام، لذلك عمل فيها ما قبلها، وعليه تكون مفعولا به للفعل تسمعوا، فيكون التقدير: ألم تسمعوا الذي أنزل ربكم.

ج- دخولها على نواسخ الابتداء: تدخل همزة الاستفهام على الجملة الفعلية والاسمية وتتصدرها، كما قد تدخل على بعض الأفعال الناسخة مثل (كان وأصبح) لتؤدي معاني نحوية معينة، حيث لا تؤثر على عملها ولا تخل بالتركيب، والهمزة أعم تصرفا عن غيرها كما سبق وأن أشرنا إلى ذلك في غير هذا الموضع، ولها تأثير على دلالة التركيب من ناحية المعاني فربما يُقَدَّمُ ما حقه التأخير، أو يُؤَخَّرُ ما كان له حق التقديم، وإنما كان ذلك لأمر أراده المنشئ للكلام، كونه يقصد ما يريد تبليغه للسامع، وهو أعلم بما يستخبر عنه ويطلبه، ومن هذه النواسخ التي وردت مع همزة الاستفهام في الحديث الشريف:

كان: عن عائشة -رضي الله عنها- قالتْ: « لما أَرَادَ النَّبِيُّ-ﷺ- أنْ يَنْفِرَ إذا صَفِيةَ عَلَى بَابِ خِبَائِها كَئِيبَةً حَزِينَةً، فقالَ: عقْرَى حَلْقَى إِنَّكِ لَحَابِسَتُنَا ثُمَّ قالَ لَهَا: **"أَكُنْتِ أَفَضْتِ يَوْمَ النَّحْرِ؟"** قالتْ: نَعَمْ، قال: فَانْفِرِي»[2]، فنلاحظ أن الهمزة باشرت الناسخ (كان)، ولم تخرج به عن دلالته ولا وظيفته في التركيب، وجملة (أَفَضْتِ يَوْمَ النَّحْرِ) واقعة في محل نصب خبر لكان، ما يدل دلالة واضحة على محافظة التركيب على ترتيب عناصره.

أصبح: عن عائشة أم المؤمنين-رضي الله عنها- «أنَّ النَّبِيَ-ﷺ- كَانَ يَأْتِهَا وَهُوَ صَائِمٌ، فقالَ: **أَصْبَحَ عِنْدَكُمْ شَيْءٌ تُطْعِمِينِهِ؟**، قالتْ: حَيْسٌ[3]، قالَ: قَدْ أَصْبَحْتُ صَائِماً"»[4]، فتقدير الكلام: أَصْبَحَ شَيْءٌ نَطْعَمُهُ، أي نأكُلُهُ، وهذا

1- مغني اللبيب، تحقيق عبد اللطيف الخطيب، مصدر سابق، ج4، ص 34.

2- رواه مسلم، رقم 1211، كتاب الحج، باب وجوب طواف الوداع وسقوطه عن الحائض، ص305.يقال للمرأة عقرى وحلقى، ومعناه عقرها الله وحلقها أي حلق شعرها، أو أصابها بوجع في حلقها، قال: فَعَقْرَى: ههنا مصدر كدعوى، وقيل: معناه تَعْقِرُ قومها، وتحلقهم بشؤمها وقيل العَقْرَى الحائض، والنفير: معناه ترك المكان إلى غيره، فالمعنى أترك المحَصِّبْ وارحلي معنا إلى المدينة ينظر: فتح المنعم شرح صحيح مسلم، مصدر سابق، ج5، ص ص212 - 359.

3- الحَيْسُ: هو الخَلْطُ، ومنه: حَاسَهُ يَحِسُهُ حَيْساً، هو الطعام المتَّخَذُ من التمر والأقِطِ والسَّمْنِ، وقد يجعل عوض الأقط الدقيق والفتيت، وحَيَّسَهُ خَلَطَهُ. ينظر: لسان العرب، مرجع سابق، مادة (حيس)، ص 1069.

4- رواه النسائي، رقم 2326، كتاب الصيام، باب النية في الصيام والاختلاف على طلحة بن يحي بن طلحة في خبر عائشة فيه، ص362

على سبيل الاستفهام، والهمزة هنا محذوفة، ودلالة حذفها جواب أم المؤمنين -رضي الله عنها-، فالناسخ (أصبحَ) مع وشيءٌ اسمها مؤخر، وجملة (تُطْعِمِينِهِ) خبر لأصبح.

ليس: ما روي عن عَبْدِ الرحمن بْنَ أَبِي لَيْلَى-رضي الله عنه- قَالَ: «كَانَ سَهْلُ بْنُ حُنَيْفٍ وَقَيْسُ بْنُ سَعْدٍ قَاعِدَيْنِ بِالْقَادِسِيَّةِ فَمَرُّوا عَلَيْهِمَا بِجَنَازَةٍ فَقَامَا فَقِيلَ لَهُمَا إِنَّهَا مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ أَيْ مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ فَقَالَا إِنَّ النَّبِيَّ -ﷺ- مَرَّتْ بِهِ جِنَازَةٌ فَقَامَ فَقِيلَ لَهُ إِنَّهَا جِنَازَةُ يَهُودِيٍّ فَقَالَ: **أَلَيْسَتْ نَفْسًا؟**»[1]، دخلت همزة الاستفهام على الجملة الاسمية المنسوخة بـ (ليس)، ومن المعاني التي تؤديها الهمزة مع (ليس) الإنكار، وهذا ما يكشف عنه سياق الحديث والملابسات التي دعت إلى الاستفهام، وهذا إشارة منه -ﷺ- إلى حرمة النفس مها كان دينها أو جنسها.

ومنه أيضا ما روي من « أَنَّ النَّبِيَّ -ﷺ- ابْتَاعَ فَرَساً مِنْ أَعْرَابِي واسْتَتْبَعَهُ لِيَقْبِضَ ثَمَنَ فَرَسِهِ فَأَسْرَعَ النَّبِيَّ -ﷺ- وأَبْطَأَ الْأَعْرَابِي وَطَفِقَ رِجَالٌ يَتَعَرَّضُونَ لِلأَعْرَابِي فَيَسُومُونَهُ بِالْفَرَسِ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ أَنَّ النَّبِيَّ -ﷺ- ابْتَاعَهُ حَتَّى زَادَ بَعْضُهُمْ فِي السَّوْمِ عَلَى مَا ابْتَاعَهُ بِهِ مِنْهُ، فَنَادَى الْأَعْرَابِيُّ النَّبِيَّ -ﷺ- فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ مُبْتَاعاً هَذَا الْفَرَسَ وَإِلَّا بِعْتُهُ؟ فَقَامَ النَّبِيَّ -ﷺ- حِينَ سَمِعَ نِدَاءَهُ فَقَالَ: "**أَلَيْسَ قَدِ ابْتَعْتُهُ مِنْكَ؟**" قَالَ: لَا وَاللهِ مَا بِعْتُكَهُ»[2]، باشرت الهمزة الجملة المنسوخة بـ(ليس)، فتكون الجملة الفعلية المكونة من (قَدْ) التحقيق و الفعل الماضي ومتعلقاته (ابْتَعْتُهُ) في محل نصب خبر مقدم، وتكون شبه الجملة (مِنْكَ) في محل رفع مبتدأ مؤخر، وجواب الأعرابي كان بالسلب أي بحرف النفي (لا)، و(بِعْتُكَهُ) فعل ماضي، وكان بالإمكان الاستغناء عن القسم والاكتفاء في الجواب بـ (لا) فقط أو الجملة الفعلية، وإنما جيء بهما جميعا لزيادة تأكيد النفي وعدم البيع، ليقطع الشك.

ثالثا: أحوال الهمزة مع الحروف: الحروف قسم مستقل من أقسام الكلم ولها تصرف معين في التراكيب، إذْ يكون لها معاني مؤثرة في أداء التراكيب وظائفها الإبلاغية، كما لها مزية الربط بين أجزاء التركيب وتحقيق المرونة والاتساق في التنقل بين أجزاء النص، وما دام أسلوب الاستفهام من التراكيب النحوية فإنه يمتاز ببنية نسقية يستقل بها عن غيره من الأساليب، حيث يمتاز بأدوات التي تستدعي ترتيبا خاصا بين عناصر التركيب ما يجعله مختلفا عن باقي الأساليب الطلبية الإنشائية الأخرى، وهذا ما سنقف عنده، في تحليل هذا التركيب.

1- رواه البخاري، 1312، كتاب الجنائز، باب من قام لجنازة يهودي، ص317.

2- رواه النسائي، رقم 4647، كتاب البيوع، باب التسهيل في ترك الإشهاد على البيع، ص708.

1- تقدمها على حروف العطف: إن الأصل في حروف العطف هو تقدمها على الاسم والفعل وبقية الحروف، إلا أن همزة الاستفهام تتقدمها وهذا ما يقرره جمهور النحاة، اللهم بعض الآراء التي تميل إلى التأويل، وقد ورد هذا كثيرا في القرآن الكريم: نحو قوله تعالى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[سورة البقرة: الآية 75] ، وقوله تعالى: ﴿أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنْتُمْ بِهِ آلْآنَ وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾[سورة يونس: الآية 51] ، وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ﴾[سورة الأعراف: الآية 185] ، وغيرها من الآيات فمن الملاحظ أن الهمزة تسبق حروف العطف في كل هذه المواضع، وإذا كانت همزة الاستفهام في جملة معطوفة بـ(الفاء) أو (الواو) أو (ثم) قدمت العطف على العاطف، تنبيها على أصالتها في التصدير، وهذا الذي يراه سيبويه إلا أن الزمخشري يرى أن حرف العطف الذي يأتي بعد الهمزة هو عاطف ما بعدها على ما قبل الهمزة من الجمل، وأحيانا يلجأ إلى التقدير والتأويل وأحيانا أخرى يسكت في بعض المواضع، ومما يلجأ فيه إلى التقدير قوله تعالى: ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ﴾[سورة آل عمران: الآية 165] ، حيث يقول: «أقلتم حين أصابتكم، و"أنى هذا" نصب لأنه مقول، والهمزة للتقرير والتقريع، فإن قلت: علام عطفت الواو هذه الجملة؟ قلت على ما مضى من قصة أحد ... ويجوز أن تكون معطوفة على محذوف، كأنه قيل: أفعلتم كذا وقلتم حينئذ كذا»[1]، لذا نجد يرد عليه في مثل هذه المواضع لأنه مخالف لمذهب الجمهور وهذا في معرض تفسيره لقوله تعالى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ﴾ التي مرت معنا يقول: «والفاء بعد الهمزة أصلها التقديم عليها والتقدير (فَأَتَطْمَعُونَ) و(أَفَتَطْمَعُونَ) فالفاء للعطف، ولكنه اعتنى بهمزة الاستفهام فقدمت عليها، والزمخشري يزعم أن بين الهمزة والفاء فعل محذوف، ويقر الفاء على حالها حتى تعطف الجملة بعدها على الجملة المحذوفة قبلها، وهو خلاف مذهب سيبويه ومحجوج بمواضع لا يمكن تقدير فعل فيها»[2]، فهذا دلالة واضحة على أن الهمزة تقدم على حروف العطف وإن كان لها حق التصدر على الهمزة، إلا أن الهمزة خصت للاعتناء بها وللغرض الذي تطلب له.

وعليه إن القول بتقديمها على حروف العطف من باب الوجوب، وهذا مذهب سيبويه وجمهور النحاة، و إنما ذهبوا إلى أن الهمزة إذا كانت في جملة معطوفة فإنها تقدم على العاطف، وهذا بناء على أصالتها في التصدير، وقد جاءت الهمزة مقدمة على حروف العطف في الحديث الشريف ومن هذه الأمثلة ما يأتي:

1- الكشاف، مصدر سابق، ج1، ص 654.

2- البحر المحيط في التفسير، مرجع سابق، ج1، ص439، وينظر: دراسات لأسلوب القرآن، مرجع سابق، ج2، ص614-616.

أ– الواو: ما روي من حديث عائشة–رضي الله عنها– ما قَصَّته من حالِ النبيِّ –ﷺ– عندما بدأه الوحي وما جرى من حديث مع وَرَقَةَ بْنُ نَوْفَلٍ، حين قال له: «لَيْتَنِي أَكُونُ حَياً إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ، فقالَ رَسُولُ الله –ﷺ– **أَوَ مُخْرِجِي هُمْ؟** قالَ: نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَا عُودِيَ، وإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرُكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا، ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ ورقةُ أَنْ تُوُفِّيَ، وفَتَرَ الْوَحْيُ»[1]، تقدمت همزة الاستفهام واو العطف، و (مُخْرِجِي) خبر مقدم و (هُمْ) مبتدأ مؤخر، وقد عرض بن مالك لهذا الحديث في كتابه شواهد التوضيح حيث يقول: « والأصل فيه وفي أمثاله تقديم حرف العطف على الهمزة، كما تقدم على غيرها من أدوات الاستفهام ... ومخرجي خبر مقدم وهم مبتدأ مؤخر، ولا يجوز العكس، لأن مخرجي نكرة، فإن إضافته غير محضة، إذ هو اسم فاعل بمعنى الاستقبال فلا تتعرف بالإضافة، وإذا ثبت كونه نكرة، لم يصح جعله مبتدأ لئلا تخبر بالمعرفة عن النكرة»[2]، وعليه فإن تقدير الكلام على فرض أن هذه الجملة معطوفة على ما قبلها يكون على ما سبق مما حدث معه من شأن الوحي، فأنكر النبي–ﷺ– إخراج قومه له.

ب–الفاء: عن يعلى بن أمية–رضي الله عنه– قالَ: «غَزَوْتُ مَعَ رَسُولُ اللهِ –ﷺ– جَيْشَ الْعُسْرَةِ –وَكَانَ أَوْثَقَ عَمَلٍ لِي فِي نَفْسِي– وَكَانَ لِي أَجِيرٌ فَقَاتَلَ إِنْسَاناً فَعَضَّ أَحَدُهُمَا إِصْبَعَ صَاحِبِهِ فَانْتَزَعَ إِصْبَعَهُ، فَأَنْدَرَ ثَنِيَّتَهُ فَسَقَطَتْ، فَانْطَلَقَ إِلَى النَّبِي –ﷺ– فَأَهْدَرَ ثَنِيَتَهُ، وَقَالَ: "**أَفَيَدَعُ يَدَهُ فِي فِيكَ تَقْضِمُهَا؟**"»[3]؛ فقد باشرت الهمزة حرف العطف وكان الحق أن يتقدم حرف العطف لما له من أحقية في تقدمه على المعطوف عليه، لكن قدمت عليه الهمزة للعناية بها.

وخلاصة الحكم على تقدم أنه لا يجوز أن يتقدم شيء من الحروف على الهمزة وذلك لقوتها وغلبتها وعموم تصرفها في الكلام يقول ابن يعيش: «ولا يتقدم شيء من حروف الاستفهام وأسمائه غير الهمزة على حروف العطف بل حروف العطف تدخل عليهن»[4] أن همزة الاستفهام تتقدم حروف العطف جميعها، ولا يجوز هذا مع بقية أدوات الاستفهام لقوتها وغلبتها، لأن حروف العطف يحق لها أن تتقدم أدوات الاستفهام الأخرى غير الهمزة.

1– رواه البخاري، رقم 3، كتاب بدأ الوحي، ص8.

2– شواهد التوضيح والتصحيح، مصدر سابق، ص 10–12.

3– رواه النسائي، رقم 4769، كتاب القسامة، باب ذكر الاختلاف على عطاء في هذا الحديث، ص728.

4– شرح المفصل، مصدر سابق، ج8، ص151.

2- تقدمها على حروف الجر: تدخل همزة الاستفهام على حروف العطف، و تتطفل على التراكيب التي تدخل عليها حروف الجر، ما يجعلها تؤدي دلالات معينة يستدعيها نظم الكلام مع ما يقتضيه مقام التخاطب، ليصل المتكلم إلى هدفه من إدخال الهمزة على حروف الجر، وليس المقصود من إيرادها قبل حرف الجر هو الغاية، لأن الحروف ليست عاملة في بعضها، وإنما هي تدخل على الاسم أو الفعل بحيث يكون بإثبات النسبة أو التعيين، أو بالحمل المخاطب على الإقرار أو الإنكار أو تحقيق غرض معين من فحوى الخطاب، نحو: أَفِي الدَّارِ كُنْتَ؟ فقد باشرت الهمزة حرف الجر (في) في التركيب، وإن كانت جزءا من مقصد المتكلم، لكن الاستفهام منصب نسبة الفعل للفاعل، وهذه النسبة متعلقة بغاية مكانية وهي كونه (في الدَّارِ)، وهذا ما أفاده حرف الجر (في)؛ وهذه بعض النماذج مما ورد في كلام النبي-ﷺ-.

أ- لام الجر: عَنْ أَبِي الْأَحْوَصِ عَنْ أَبِيهِ-رضي الله عنه- أَنَّهُ أَتَى النَّبِيَّ -ﷺ- فِي ثَوْبٍ دُونٍ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ -ﷺ-: « **أَلَكَ مَالٌ؟** قَالَ: نَعَمْ مِنْ كُلِّ الْمَالِ، قَالَ: "مِنْ أَيِّ الْمَالِ؟" قَالَ: قَدْ آتَانِي اللهُ مِنَ الْإِبِلِ وَالْغَنَمِ وَالْخَيْلِ والرَّقِيقِ، قَالَ: "فَإِذَا آتَاكَ اللهُ مَالاً فَلْيُرَ عَلَيْكَ أَثَرُ نِعْمَةِ اللهِ وَكَرَامَتِهِ»[1]، جاءت الهمزة قبل لام الجر ومعمولها، ومن معاني (اللام) الملك « نحو: المال لزيد، وقد جعله بعضهم أصل معانيها، والظاهر أن أصل معانيها الاختصاص، وأما الملك فهو نوع من أنواع الاختصاص، وهو أقوى أنواعه، وكذلك الاستحقاق، لأن من استحق شيئا فقد حصل له به نوع الاختصاص»[2]، و النبي-ﷺ- في هذا الحديث إنما كان سؤاله عن نسبة المال لصاحبه إن كان مالكا له، وما يدلك على الملكية أكثر هو الكاف التي تعود على المخاطب، لذلك يحسن تقدير الكلام بقولنا: أتملك المال؟ لأن هذا السؤال في هذا الحديث تبعته نصائح وتوجيهات تتعلق بالمال، كما كان مَعْرِضُ الحال من شأن هذا الذي وجه إليه الخطاب أنه كان في حال مزرية على الرغم من أنه يملك المال، لذلك كان توجيه النبي-ﷺ- بقوله: (فَإِذَا آتَاكَ اللهُ مَالاً فَلْيُرَ عَلَيْكَ أَثَرُ نِعْمَةِ اللهِ وَكَرَامَتِهِ).

1- رواه النسائي، رقم 5224، كتاب الزينة، باب الجَلاجِلُ، ص 788.

2- فاللام لها معاني كثيرة غير الاختصاص والتمليك فقد أورد الداني لها ثلاثين معنى، بحسب أقسامها؛ وتكون عاملة وغير عاملة فأما العاملة قسمان أن تكون جارة أو جازمة، وزاد الكوفيون الناصبة للفعل، وغير العاملة خمسة أقسام: لام الابتداء واللام الفارقة، ولام مُوَطِّئَة، لام التعريف، ولام الجواب. ينظر: الجنى الداني في حروف المعاني، مصدر سابق، ص 95-96.

مما يحسن ملاحظته أن (اللام) و(كاف) الخطاب جار ومجرور واقع في محل رفع خبر مقدم، وكلمة (مالٌ)، مبتدأ مؤخر مرفوع، وهو نكرة محضة لذا قدم عليه الخبر وجوبا[1]، ولا يخف أن الهمزة لها تأثير على المعنى، إذا السؤال منصب على الملكية كما سبق، فإذا به يقدم صاحبها ومستحقها المتمثل في شبه الجملة (لَكَ).

ب–حرف الباء: لقد وردت همزة الاستفهام ويليها حرف الجر في مواضع عديدة من الحديث الشريف، فالباء من الحروف المختصة بالاسم لذلك تأخذ دلالات مختلفة من موضع لآخر، فمن المعاني الأصيلة للباء الإلصاق كقولنا: أمسكت الحبل بيدي، أي ألصقته بيدي[2]، ومن ذلك ما روي عنْ أَبِي هُرَيْرَةَ–رضي الله عنه– مِنْ قِصَّةِ الرَّجُلِ الذِي زَنَا وَجَاءَ يَطْلُبُ الحَدَّ، « دَعَاهُ رَسُول الله –ﷺ– فَقَالَ: **أَبِكَ جُنُونٌ؟** قَالَ: لَا، قال: " فَهَلْ أَحْصَنْتَ؟" قَالَ: نَعَمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ–ﷺ–: "اذْهَبُوا بِهِ فارْجُمُوهُ"»[3]؛ فقد جاءت جملة الاستفهام جملة اسمية قُدِّمَ فيها الخبر وهو شبه جملة، (الباء+ كاف الخطاب)، والنبي–ﷺ– إنما سأل عن حال الرجل بواسطة حرف الباء وأراد أن يلصق به حقيقة الجنون ليتأكد حتى يسقط عنه حد الزنا رأفة به، لذا جاء الخبر مقدما للعناية به، ومن المعلوم أن حد الزنا للمحصن الرجم، فلما كانت حقيقة الجنون منتفية عنه، استحق الرجم عقوبة له، فجاءت الباء على معناها الأصلي مع همزة الاستفهام وهو الإلصاق.

ج–حرف الجر (على): فمن عدة حروف الجر (على) ولها معاني متعددة وأحيانا تأخذ المعاني المختصة بـ(عَنْ) وقد تنوب عنها لفظا ومعنا، إلا أن المعنى الأصلي لها هو الاستعلاء، بمعنى فوق، كقولنا: طلع فلان على السقف[4]، وفي معنى فوق دلالة على أنها تقع ظرفا، لذا هناك من النحاة من يعدها ظرفا، ولا يدلنا على معناها إلا إذا احتكمنا إلى التركيب الذي ترد فيه، وإلى جانب هذه المعاني فإنها تأخذ معنى حروف كثيرة وقد نظمت معانيها مع ذكر الخلاف في قول الراجز:

1– فالأصل أن الخبر لا يتقدم المبتدأ أبدا إلا إذا كان هناك مسوغ، وإلا لم يجز، ومن مسوغاته أن يكون المبتدأ نكرة محضة أو أن يكون الخبر اسم استفهام، وهناك مسوغات أخرى ينظر: النحو الوافي، عباس حسن، ط3، دار المعارف، مصر، دت، 501–502.

2– وهناك معاني كثيرة للباء غير معنى الإلصاق، فتأتي للاستعانة والتعدية والتعليل، والمصاحبة، والتبعيض والقسم؛ كما تأتي بمعنى القسم والظرفية والبدل والاستعانة. ينظر: الجنى الداني، مصدر سابق، ص 36–45.

3– رواه مسلم، رقم 3887، كتاب الحدود، باب من اعترف على نفسه بالزنا، ص411.

4– رصف المباني، مصدر سابق، ص372.

عَلَى بِمَعْنَى عَنْ وَفِي وَعَلِّلاَ ==== ومِـنْ ومَعْ والــلَّامِ والْـبَا نُقِلَا[1]

ومن شواهد ذلك ما روي عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ–رضي الله عنهما– قَالَ: «كَانَ النَّبِيُّ –ﷺ–لَا يَصَلِّي عَلَى رَجُلٍ عَلَيْهِ دَيْنٌ فَأُتِيَ بِمَيِّتٍ فَسَأَلَ: "**أَعَلَيْهِ دَيْنٌ؟** قَالُوا: نَعَمْ عَلَيْهِ دِينَارَانِ، قَالَ: "صَلُّوا عَلَى صَاحِبِكُمْ" قَالَ: أَبُو قَتَادَةُ هُمَا عَلَيَّ يَا رَسُولَ اللهِ، فَصَلَّى عَلَيْهِ فَلَمَّا فَتَحَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ –ﷺ– قَالَ: "أَنَا أَوْلَى بِكُلِّ مُؤْمِنٍ مِنْ نَفْسِهِ مَنْ تَرَكَ دَيْنًا فَعَلَيَّ وَمَنْ تَرَكَ مَالاً فَهُوَ لِوَرَثَتِهِ"»[2]، وردت "عَلَى" بمعنى الاستعلاء، وقد تكون بمعنى فوق أو بعد، وعليه يكون التقدير: أَبَعْدَهُ دَيْنٌ، أو فَوْقَهُ دَيْنٌ، فالميت قبل تقديمه للصلاة عليه يُسأل عن حاله إن كان بريء الذمة من الديون فيصلى عليه، وإن لم يكن كذلك فيؤخر حتى تُتَحمَّل عليه الديون، ثم إنَّ النبي–ﷺ– قد تحمَّل الديون عن أمته وهذا من تمام كمال رحمته، ونلاحظ أيضا أن الخبر قدم على المبتدأ مرة أخرى للعناية به.

د–حرف الجر (في): إن من معاني (في) الظرفية كما تحتمل معاني أخرى غير الظرف، فتنوب معناً عن (إلى) و(على) وقد عددوا لها ثماني معاني، إلا إن معناها لا يخرج عن الوعاء والظرفية، وقد يكون ذلك حقيقة نحو: جَعَلْتُ الْمَتَاعَ فِي الْوِعَاءِ، ومجازا نحو: دَخَلْتُ فِي الْأَمْرِ[3]، إلا أن معناها لا يخرج كما سبق عن الوعاء والاحتواء،وما خرج عن ذلك فمرده إلى التأويل، ومن ذلك ما روي من في حديث طويل حين اعتزل النبي–ﷺ– نساءه، والحوار الذي دار بينه وبين عمر ابن الخطاب–رضي الله عنه– حتى قال: « أُدْعُ اللهَ يَا رَسُولَ اللهِ أَنْ يُوَسِّعَ عَلَى أُمَّتِكَ فَقَدْ وَسَّعَ علَى فَارسٍ والرُّومِ وهُمْ لَا يَعْبُدونَ اللهَ، فَاسْتَوَى جَالِساً ثُمَّ قَالَ: **أَفِي شَكٍّ أَنْتَ يَا ابْنَ الخَطَّابِ؟** أُولَئِكَ قَوْمٌ عُجِّلَتْ لَهُمْ طَيِّبَاتُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا»[4]، جاء حرف الجر (في) قبل الاسم (شك) وفيه دلالة على الاحتواء والوعاء والظرفية، فأحيانا يكون الإنسان في شك من أمره حتى وكأنه داخل فيه، وهنا على سبيل المجاز،

1– البيت من منظومة لحروف المعاني وهي منظومة تقع في 673 بيت نظمها الشيخ البيتوشي سنة 1191هـ، في مدينة الأحساء. ينظر: كفاية المعاني في حروف المعاني، عبد الله الكردي البيْتُوشِي، شرح وتحقيق شفيع برهاني، ط1، دار إقرء للطباعة والنشر، دمشق، سوريا، 1426هـ–2005م، ص 165.

2– رواه النسائي، رقم 1962، كتاب الجنائز، باب الصلاة على من عليه دين، ص 314. وهناك خلاف في الرواية، فيروى بهل بدل الهمزة، وهي رواية البخاري. ينظر: البخاري، رقم 2298، كتاب الكفالة، باب الدين، ص551.

3– رصف المباني، مصدر سابق، ص388. وينظر: الجنى الداني، مصدر سابق، ص 252–253.

4– رواه مسلم، رقم 1479، كتاب الطلاق، باب في الإيلاء واعتزال النساء وتخييرهن، ص346.

فجعل الشك بمثابة الظرف الذي يدخل فيه الإنسان، أو غارق فيه، وهذا ما جعل الاستفهام يكون منصبا على الشك فقد قدم الجار والمجرور على المبتدأ وهنا أيضا للعناية به.

د–حرف الجر (مع): عنْ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ عَنْ أَبِيهِ–رضي الله عنه– قَالَ: «تَخَلَّفَ رَسُولَ اللهِ –ﷺ–فَتَخَلَّفْتُ مَعَهُ فَلَمَّا قَضَى حَاجَتَهُ قَالَ: **أَمَعَكَ مَاءٌ**؟ فَأَتَيْتُهُ بِمِطْهَرَةٍ فَغَسَلَ يَدَيْهِ وَغَسَلَ وَجْهَهُ ثُمَّ ذَهَبَ يَحْسُرُ عَنْ ذِرَاعَيْهِ فَضَاقَ كُمُّ الْجُبَّةِ وَفَأَلْقَاهُ عَنْ مِنْكَبَيْهِ فَغَسَلَ ذِرَاعَيْهِ وَمَسَحَ بِنَاصِيَتِهِ وَعَلَى الْعِمَامَةِ وعَلَى خُفَّيْهِ»[1]، ف(مع) من حروف الجر وقد اتصلت بكاف الخطاب، وعليه يكون إعرابها جار ومجرور متعلق بمحذوف خبر مقدم، وماءٌ مبتدأ مؤخر، وقد سبق همزة الاستفهام على سبيل الطلب والاستعلام.

3– تقدمها على حروف النفي: إن حروف النفي لها فائدة دلالية في الكلام، حيث إن المتكلم يأتي بفعلٍ كلاميٍ معين مثبت ثم يريد أن ينفي وقوعه فيستعين بحروف تحمل دلالة النفي، وحروف النفي تدخل على الفعل والاسم، فتتحمل دلالة معينة، وهناك حروف مركبة من الهمزة وحروف النفي مثل: (لا وما) النافيتين، مما فتح باب الخلاف بين النحاة إذا كانتا للعرض والتحضيض أو أنها استفتاحية، إذا ما حملت على أنها بسيطة أو أنها للإستفهام لمن قال إنها مركبة من (همزة الاستفهام+ لا أو ما النافية)، لكنها لا تؤدي معنى الاستفهام ولم يأت بها لهذا الغرض، إلا أن الذي ينعم النظر في دلالة التركيب يتبادر إلى الذهن أنه سيق للاستفهام، نحو قولنا: **ألا تعطيني، ألا أدلك على فعل الخير، أما تقوم**، فنتلمس معنى الاستفهام الخفي الذي ربما قد استتر تحت طلب العرض أو التحضيض على فعل الشيء، لذا نجد المرادي ينقل لنا الخلاف الحاصل بين النحاة في مثل هذه الحروف يقول: «واختلف في (ألا) الاستفتاحية، هل هي مركبة أو بسيطة، فقيل مركبة من همزة الاستفهام و(لا) النافية، وإليه ذهب الزمخشري، وقيل هي بسيطة، وإليه ذهب ابن مالك ورد الشيخ أبو حيان دعوى التركيب، بأن الأصل عدمه»[2]، ولا يخفى أن كل من أسلوب العرض والتحضيض من الأساليب الطلبية، وما الطلب إلا تنفيذ لمطلوب معين وعليه فقرينة السياق ونبرة الصوت قد تحدد الغاية من هذا العرض أو التحضيض على فعل شيء، وقد ورد كثيرا في الحديث الشريف، أما عن الاستفهام المسبوق بنفي فقد ورد دون التباس وعليه فخلاصة القول

1– رواه النسائي، رقم 108، كتاب الطهارة، باب المسح على العمامة مع الناصية، ص 26.

2– الجنى الداني، مصدر سابق، ص 381.

في هذا أنها ترد للاستفهام، نحو قولنا: «ألا تَخرُجُ؟ ، ألا تَقومُ؟ ألا رَجُلٌ فِي الدَّارِ؟ ألا مَالٌ لَدَيْكَ؟»[1]، واستدلوا بقول حسان بن ثابت:

حَارِ بْنَ كَعْبٍ أَلَا الْأَحْلَامُ تَزْجُرُكُمْ === عَنَّا وَ أَنْتُمْ مِنَ الْجُوْفِ الْجَمَاخِيرِ[2]

والشاهد في قوله (أَلَا الْأَحْلَامُ تَزْجُرُكُمْ عَنَّا)، والبيت هجاء لبني الحارث بن كعب وهو رهط النجاشي، ومعناه ألا تزجركم أحلامك عنَّا وأنتم ضعاف العقل لا رأي لكم. ومن هذه النماذج:

أ- حرف النفي (لا): ومن جملة الحروف التي تستعمل للنفي مطلقا (لا) و في الحديث الشريف ما روي عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ-رضي الله عنهما- قَالَ: «بَعَثَنَا رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-فِي سَرِيَّةٍ، فَصَبَّحْنَا الْحُرَقَاتِ مِنْ جُهَيْنَةَ[3]، فَأَدْرَكْتُ رَجُلًا، فَقَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَطَعَنْتُهُ فَوَقَعَ فِي نَفْسِي مِنْ ذَلِكَ ، فَذَكَرْتُهُ لِلنَّبِيِّ -ﷺ- فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-: أَقَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَقَتَلْتَهُ؟ قَالَ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّمَا قَالَهَا خَوْفًا مِنَ السِّلَاحِ، قَالَ: **أَفَلَا شَقَقْتَ عَنْ قَلْبِهِ، حَتَّى تَعْلَمَ أَقَالَهَا أَمْ لَا؟** فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا عَلَيَّ حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنِّي أَسْلَمْتُ يَوْمَئِذٍ»[4]، قال شارح الحديث: «أفلا شققت عن قلبه لتنظر هل كانت فيه حين قالها واعتقدها أو لا؟ والمعنى إن كنت لست قادرا على ذلك فاكتف منه باللسان»[5]، ورد الاستفهام في صدر الحديث تقريريا حيث حمل المخاطب على الإقرار بقتله، وفي الثاني إنكار عليه، ونلاحظ أن حرف العطف توسط كل من الهمزة و(لا)، فالفاء للعطف حجزت بين الاستفهام والنفي، والتقدير (فألا)، وقد ورد كثيرا في القرآن الكريم منه قوله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ

1- كتاب الأزهية في علم الحروف، علي بن محمد الهروي، تحقيق عبد المعين الملوحي، ط2، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، 1413هـ-1993م، ص163.

2- البيت من بحر البسيط، لحسان بن ثابت، والجَوْفُ جمع أجوف وهو الذي لا رأي عنده ولا حزم، الجَمَاخِير: جمع مفرده جَمْخُورٌ وهو ضعيف العقل، والبيت فيه هجاء للحارث بن كعب المجاشعي. ينظر: أمالي ابن الشجري، محمد بن حمزة الحسني العلوي، تحقيق ودراسة محمود محمد الطناحي، ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1413هـ-1992م،ج2، ص302. وينظر: شرح المفصل، مصدر سابق، ج2، 102. وينظر: ديوان حسان بن ثابت الأنصاري، عبده مهنا، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1414هـ-1993م، 229.

3- الحُرَقَات: بضم الحاء وفتح الراء وبعدها قاف، هم بطن من بني جهينة، وسموا بذلك لواقعة كانت بينهم وبين بني مرة بن عوف، فأحرقوا بني مرة بالسهام وأكثروا من قتلهم، يقيمون بناحية نجد. ينظر: فتح المنعم، مصدر سابق، ج1، ص 212.

4- رواه مسلم، رقم 158، كتاب الإيمان، باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال لا إله إلا الله، ص34.

5- فتح المنعم، مصدر سابق، ج1، ص 222.

وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[سورة البقرة: الآية 44]، ومثله قوله تعالى:﴿أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾ ومن السورة نفسا ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾[سورة القصص: الآية 71 – 72] ، يقول أبو حيان: «مذهب سيبويه والنحويين: أن أصل الكلام كان تقديم حرف العطف على الهمزة في مثل هذا ... فعلى قول الجماعة يكون التقدير: (فألا تعقلون) وعلى قول الزمخشري يكون التقدير أتعقلون فلا تعقلون أمكثوا فلم يسيروا في الأرض»[1]، فمجرى الكلام تقدم حرف العطف على الهمزة لأنه من باب الوجوب، لأن العطف يحتاج إلى التشريك في الحكم الإعرابي ووجود جملتين متكافئتين، وقد ورد الفصل بين الاستفهام والنفي بحرف الواو في حديث الوليدِ بْنِ مسلمٍ قال: أخبرني عبدُ اللهِ بْنُ العلاءِ أَنَّهُ سمعَ القاسمَ بنَ محمدِ بْنَ أبي بكرٍ أَنَّهُمْ ذَكَرُوا غُسْلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ عِنْدَ عَائِشَةَ –رضي الله عنها– فَقَالَتْ: «إِنَّمَا كَانَ النَّاسُ يَسْكُنُونَ الْعَالِيَةَ فَيَحْضُرُونَ الْجُمُعَة وَبِهِمْ وَسَخٌ، فَإِذَا أَصَابَهُمْ الرَّوْحُ سَطَعَتْ أَرْوَاحُهُمْ فَيَتَأَذَّى بِهَا النَّاسُ، فَذُكِرَ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللهِ–ﷺ– فَقَالَ: **أَوَ لَا يَغْتَسِلُونَ؟**»[2]، فتقديره يكون: وألا يغتسلون؟ للمزية التي تختص بها حروف العطف، إلا أن الهمزة كانت هي الأقوى لذلك تقدمتها، ويأتي الاستفهام متصلا بالنفي دون حاجز، وقد ورد منها أيضا ما روي عن أبي هريرة أَنَّ النَّبِيَّ–ﷺ– قَالَ: «**أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللهُ بِهِ الْخَطَايَا وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟** قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الْخُطَى إِلَى الْمَسَاجِدِ، وَانْتِظَارِ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ»[3]، فالنبي–ﷺ– يستفهم الصحابة في كل مرة حتى يطلعهم على سبل الخير، وقد جاء الاستفهام منفيا، حتى يثير فضولهم لأن الأمر حتما يستحق الاهتمام، فما كان منهم إلا أن يجبوه ببلى.

ب– حرف النفي (ما): وقد ذكر لها النحاة أثني عشر وجها[4] ينصرف إليها معناها، وهذا بحسب ورودها في الكلام، ومن معانيها الأصيلة التي لا تنفك عنها مطلقا النفي وتختص بالاسم والفعل، ومما يختص منها بالفعل، ما ورد عن ابن عباس–رضي الله عنهما– قال: « أَتَتِ النَّبِيَ–ﷺ– امْرَأَةٌ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ أُمِّي مَاتَتْ وَعَلَيْهَا صَوْمَ

1– تفسير البحر المحيط، مصدر سابق، ج1، ص339.

2– رواه النسائي، رقم 1379، كتاب الجمعة، باب الرخصة في ترك الغسل يوم الجمعة، ص 226. الرَّوْحُ: يُقَالُ أَرَاحَ الْإِنْسَانُ إِذَا تَنَفَّسَ، وَيُقَالُ: أَرْوَحَ الْمَاءُ وَغَيْرُهُ: تَغَيَّرَتْ رَائِحَتُهُ، سَطَعَتْ: سَطَعَ ارْتَفَعَ، يُقَالُ: سَطَعَ الْغُبَارُ وَسَطَعَتْ الرَّائِحَةُ إِذَا ارْتَفَعَتْ. معجم مقاييس اللغة، مصدر سابق، مادة روح ج 2، ص 454. ومادة سطع، ج 3، ص71.

3– رواه مسلم، رقم 251، كتاب الطهارة، باب فضل إسباغ الوضوء على المكاره، ص70.

4– كتاب الأزهية في علم الحروف، مصدر سابق، ص 75.

شَهْرٍ، فَأَقْضِي عَنْهَا؟ فَقَالَ: **أَرَأَيْتِ لَوْ كَانَ عَلَى أُمُّكِ دَيْنٌ، أَمَا كُنتِ تَقْضِينَهُ؟** قَالَتْ: **بَلَى**، قَالَ: فَدَيْنُ اللهِ أَحَقُّ»[1]، فنلاحظ أن الاستفهام جاء منفيا بـ(ما) التي جاءت قبل الفعل الماضي الناقص (كان) فقي على مضيه ولم تؤثر فيه بعكس ما إذا كان الفعل بعدها مضارعا فتخلصه للحال[2]، وقد جاء جواب المرأة بـ(بلى) وكان الأولى أن تقول نعم، لان تقدير جملة الجواب بعد النفي يكون: بلى ما كنت قضيته، بحسب القواعد التي تحكم قواعد اللغة ولعل في هذا الموضع مما غلب فيه العرف اللغوي عند العرب استعمال كلا الحرفين بمعنى واحد، وسيأتي الحديث عنه في حروف الجواب والتصديق[3]، ومعنى كلامه -ﷺ-: لو أخبرتك إنَّه كان على أمك دين أما كنت تقضينه؟، فكان ردها بالإيجاب أنها حتما لا بد من الوفاء بدينها.

ومن أمثلة ما جاء النفي بـ (ما) ما رُوِيَ عَنْ أَبِي الْمَلِيحِ-رضي الله عنه- قَالَ: «دَخَلْتُ مَعَ أَبِيكَ زَيْدٍ عَلَى عَبْدِ اللهِ بْنَ عَمْرٍو فَحَدَّثَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ-ﷺ- ذُكِرَ لَهُ صَوْمِي فَدَخَلَ عَلَيَّ قَالَ: فَأَلْقَيْتُ لَهُ وِسَادَةَ أَدَمٍ رَبْعَةٌ، حَشْوُهَا لِيفٌ، فَجَلَسَ عَلَى الْأَرْضِ وَصَارَتْ الْوِسَادَةُ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَهُ فَقَالَ: **أَمَا يَكْفِيكَ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ؟** قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: خَمْساً؟ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: سَبْعاً؟ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: تِسْعاً؟ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: إِحْدَى عَشَرَةَ؟ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: النَّبِيُّ-ﷺ- لاَ صَوْمَ فَوْقَ صَوْمِ دَاوُدَ شَطْرُ الدَّهْرِ صِيَامُ يَوْمٍ وَفِطْرُ يَوْمٍ»[4]، فهذا من الأحاديث التي يجب الوقوف عندها لأنه يحتوي على عدة مسائل متعلقة بالاستفهام إلى جانب تخلل النفي في قوله: (أَمَا يَكْفِيكَ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ؟)، حيث دخلت الهمزة على الفعل المضارع لكنها لم تؤثر فيه فتخلصه للحاضر، لأن صوم التطوع عبادة لا تتوقف على مدار الوقت، كما جاء حذف حرف الجواب عند رده (يَا رَسُولَ اللهِ)، وتقدير الكلام: بلى يا رسول الله، على النفي، لأنه يتحمل أكثر من ذلك، وجاء

1- والحديث رواه مسلم رقم 1148، كتاب الصيام، باب قضاء الصيام على الميت، ص256. ورواه أحمد، رقم 2005، مسند أهل البيت رضوان الله عليهم، ص165. وقد ورد بهذا اللفظ عند الخطيب البغدادي، ينظر: الفصل للوصل المدرج في النقل، أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، دراسة وتحقيق عبد السميع محمد الأنيس، ط1، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، 1418هـ-1997م، ص822.

2- أما ابن مالك فيرى أن الفعل قد يكون مستقبلا، ومن قال بتخليصه للحال إذا لم تكن هناك قرينة تخرجه إلى الاستقبال. ينظر: الجنى الداني ، مصدر سابق، ص329.

3- وسيأتي الحديث عن نعم وبلى ومتى يستعمل كل منهما، ينظر: شرح التسهيل(المسمى تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد، لمحب الدين بن يوسف المعروف بناظر الجيش، تحقيق علي محمد فاخر وآخرون، ط1، دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة، 1428هـ-2007م، ص4501.

4- رواه النسائي، رقم 2042، كتاب الصيام، باب صيام خمسة أيام من كل شهر، ص 373.

حذف حرف الاستفهام في كل مرة عند قوله: (خَمْساً، سَبْعَا، تِسْعاً، إِحْدَى عَشَرَةَ)، على تقديرٍ: أما يَكْفِيكَ خمساً؟ وهذا ما يفسره جوابه الذي يحتمل النفي والاعتراض، أو يقدَّرُ دون استفهام وهو: صُمْ خَمْساً، لأنها جاءت منصوبة بفعل محذوف تقديره "صم".

ج- حرف النفي (لَمْ): فلم من الأدوات التي تختص بالفعل المضارع دون غيره، فتجزمه لفظا، كما تصيره منفيا، والنفي من المعاني الأصيلة، وذلك من حديث زيد بن خالد الجهني-رضي الله عنه- وقد مر معنا في المضارع المجزوم، قول النَّبِيِّ -ﷺ- قَالَ: "**أَلَمْ تَسْمَعُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمُ اللَّيْلَةَ؟**»[1]، كما يأتي حرف العطف حاجزا بين الهمزة والفعل كما مر مع كل من (لا وما) النافيتين؛ ومن أمثلته ما روي من عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ-رضي الله عنه- قَوِلُ النَّبِيِّ -ﷺ- لأصحابه: «**أَفَلَمْ تَرْضَوْا أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟**»[2]، فحجزت الفاء العاطفة بين الهمزة و أداة الجزم، وقد مرَّ الكلام عن حرف العطف الذي يتوسط الاستفهام وما يأتي بعد من حروف عند الجزئية التي تتعلق بـ(لا) النافية، وقد ورد مثله في القرآن الكريم كقوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾[سورة الحج: الآية 46] ، ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾[سورة الرعد: الآية 41]، إلا أن النحاة يجمعون على أن الأصل تقدم حروف العطف على الهمزة، لكن قدمت عليها لقوتها.

رابعا: الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله: ومن المسائل التي وجب الحديث عنها هو استقلالية جملة الاستفهام في التركيب، فهي جملة لا يعمل فيها ما قبلها لما لها من قوة ومزية ولكونها مقصودة في الخطاب دون غيرها، لذا كان لها أحقية التصدر وأنها لا تتأثر بما قبلها؛ أضف إلى ذلك أن همزة الاستفهام هي من منع عمل ما قبلها وقد تحدث سيبويه عن هذه المسألة في مسألة تعليق عمل الأفعال[3]، فقد يأتي التركيب محتويا على جملة استفهام، وعادة ما يأتي الفعل قبل جملة الاستفهام، فلا يعمل فيها وقد وضح هذا الأمر في قوله: «لأنه كلام قد عمل بعضه في بعض، فلا يكون إلا مبتدأ لا يعمل فيه شيء قبله، لأن ألف الاستفهام تمنعه من ذلك»[4]، وقد جاء بافتراض لكلامه نحو قولنا: قَدْ عَلِمْتُ أَعَبْدُ اللهِ ثَمَّ أَمْ زَيْدٌ؟، وقدْ عَرَفْتُ أَبُو مَنْ زَيْدٌ، وقَدْ عَرْتُ أَيُّهُمْ أَبُوهُ، فيترتب

1- سبق تخريجه، ص 95.

2- رواه البخاري، رقم 6642، كتاب الأيمان والنذور، باب كيف كانت يمين النبي-ﷺ-، ص 1646.

3- وذلك في باب عنونه: هذا باب مالا يعمل فيه ما قبله من الفعل الذي يتعدى إلى المفعول ولا غيره، ينظر: الكتاب، مصدر سابق، ج1، ص 235.

4- المصدر نفسه، ج1، ص 253.

عن ذلك تعدي الفعل ولزومه، فإن كان الفعل لازما في نحو قولنا: أَزَيْدٌ عِنْدَنَا أَمْ عَمْرُو؟: «(فَزَيْدٌ) مرفوع بالابتداء، و(عِنْدَنَا) خبره، ودخلت ألف الاستفهام على الجملة، ثم دخل الفعل على ألف الاستفهام، فلم يغير شيئا مما بعدها، لأن بعدها جملة وقد حالت هي بين ما بعدها وما قبلها»[1]، ويقصد بذلك جملة الاستفهام، وتسد جملة الاستفهام مسد المفعول به إذا كان الفعل متعديا إلى مفعول واحد نحو: عَرَفْتُ أَبُو مَنْ زَيْدٌ؟ فجملة (أبو من زيدٌ) سادة مسد المفعول به؛ ويقيسها السيرافي على قول: عرفت أنَّ زيْدا قائمٌ، وعليه تَسُدُّ جملة أنَّ مع اسمها وخبرها مسد المفعول به إذا كان الفعل متعديا إلى مفعول واحد، أما إذا كان متعديا لمفعولين في نحو: خِلْتُ أَزَيْدٌ فِي الدَّارِ أَمْ عَمرُ؟ فتكون جملة الاستفهام قائمة محل المفعولين لكون خال من الأفعال التي تتعدى إلى مفعولين، فقياسها يؤول: خِلْتُ أَنَّ زَيْدا قائِمٌ، فسدت جملة (أن زيدٌ قائمٌ) مسدَّ المفعولين[2]، ومن منطلق هذه الافتراضات والتمارين النحوية نستنتج أن الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله أبدا، وجملته مستقلة في التركيب لأنها مقصودة في ذاتها، لذلك لا تتأثر داخل التركيب.

ومن أمثلة ما جاء فيه الكلام قبل الاستفهام ولم يعمل فيه ما روي عن الفضل بن العباس–رضي الله عنهما– «أَنَّهُ كَانَ رَدِيفَ رَسُولِ اللهِ–ﷺ– غَدَاةَ النَّحْرِ، فَأَتَتْهُ امْرَأَةٌ مِنْ خَثْعَمَ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ فَرِيضَةَ اللهِ فِي الْحَجِّ عَلَى عِبَادِهِ أَدْرَكَتْ أَبِي شَيْخاً كَبِيراً لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَرْكَبَ إِلَّا مُعْتَرِضاً **أَفَأَحُجُّ عَنْهُ؟** قَالَ: "نَعَمْ حُجِّي عَنْهُ، قَالَ: لَوْ كَانَ عَلَيْهِ دَيْنٌ قَضَيْتِيهِ؟"»[3]، فقد جاء كلام كثير قبل الاستفهام عمل في بعضه لكنه لم يعمل مطلقا في جملة الاستفهام، التي كانت عبارة عن جملة فعلية ومتعلقاتها، وقد سبقتها ثلاث جمل، جملة: (إِنَّ فَرِيضَةَ اللهِ فِي الْحَجِّ عَلَى عِبَادِهِ) تعلقت بها جملة (أَدْرَكَتْ أَبِي شَيْخاً كَبِيراً) وهي خبر، وجملة (لَا يَسْتَطِيعُ) ومتعلقها (أَنْ يَرْكَبَ إِلَّا مُعْتَرِضاً) مفعول به، وبقية جملة الاستفهام مستقلة بدلالة تستغني بها عن غيرها مما سبقا، فكان بالإمكان أن تقول: أفأحج عن أبي الشيخ العاجز الضعيف؟

ونخلص في هذا المبحث إلى أن همزة الاستفهام تتطفل على أقسام الكلم كله وتتصدره جميعا فلا تأب إلا أن يكون لها صدر الكلام، فنجدها مع الجملة الاسمية تسبق الاسم ما يفرض على ذلك الاسم أعاريب متنوعة

1- شرح كتاب سيبويه، مصدر سابق، ج2، ص134.

2- ينظر هذه الأمثلة والافتراضات، المصدر نفسه، ج2، ص134.

3- رواه النسائي، رقم 5389، كتاب آداب القضاء، باب الحكم بالتشبيه وذكر الاختلاف على الوليد بن مسلم، ص709.

بحسب ما يأتي بعده، فتارة يكون ذلك الاسم مبتدأ أو يكون خبرا مقدما أو يكون مفعولا به أو يكون ظرفا؛ ومن تمام تصدرها أنها تأتي قبل الفعل ماضيا كان أم مضارعا، فتؤدي دلالات معينة يقتضيها السياق، كما تأتي مع نواسخ الابتداء فقد وجدناها مع كل من (كان) و(أصبح) و(ليس)، ولا نغفل القسم الثالث من الكلم ألا وهو قسم الحروف مع ما تمتاز به من تأثير على أجزاء التركيب وتطفلها عليها، فنجدها مع حروف الجر وحروف النفي، كما تتصدر قسما يحق له الصدارة وهو: حروف العطف وما تمتاز به من تمام التصدر، فقد سطت على مكانها وتقدمتها لما لها من الهيمنة والسطوة وكأنها مطلوبة لذاتها، كما خلصنا إلى أن تركيب الاستفهام بالهمزة لا يتأثر أبدا بما سبقه، ولا يعمل فيه، سواء تقدمه فعل متعد إلى مفعول أو تعدى إلى مفعولين، فتركيب الاستفهام تركيب مستقل لفظا ومعنا.

خامسا: حذف همزة الاستفهام وعلاقتها بأم المتصلة

1- حذف همزة الاستفهام:

أ- دون قرينة: ويكثر الحذف للحروف كثيرا في الكلام إذا دلت على حذفه القرائن اللفظية أو المعنوية كالتنغيم مثلا، ولا شك أن الهمزة من بين هذه الحروف التي يكثر حذفا، لكون أسلوب الاستفهام يعتمد على طريقة معينة في الإلقاء بحسب المواقف التي تستدعيه، ومن أمثلة حذفها ما روي عن أَبَي ذَرٍّ -رضي الله عنه- يُحَدِّثُ عن النبيِّ -ﷺ- أنَّهُ قَالَ: «أَتَانِي جِبْرِيلُ فبَشَّرَنِي أَنَّهُ مَنْ ماتَ مِنْ أُمَّتِكَ لا يُشْرِكُ بالله شَيْئًا دَخَلَ الجَنَّةَ قُلْتُ: **وَإِنْ زَنى وإِنْ سَرقَ؟** قالَ: **"وَإِنْ زَنى وإِنْ سَرقَ"**»[1]؛ أسلوب الاستفهام في هذا الحديث جاء غفلا من الأداة دون قرينة تدل على حذفها، وقد جوَّزه ابن هشام سواء تَقَدَّمَتْهَا "أَمْ" أم لم تتقدمها، وعليه يكون تقديره: أوَ إِنْ زَنى وإِنْ سَرقَ؟، وقد احتُكم في ذلك إلى عديد الأبيات الشعرية، نحو قول الكميت:

طَرِبْتُ وما شَوْقًا إِلَى البِيضِ أَطْرَبُ = = = وَلَا لَعِبًا مِنِّي وَذُو الشَّيْبِ يَلْعَبُ؟[2]

فقد جاءت الهمزة مقدرة بعد (ذو)، وعليه يكون تقدير الكلام: أو ذو الشيب يلعب؟، فحينئذ يجوز الحذف إذا لم يؤد ذلك إلى التأويل أو خروج الكلام عن مقتضى الظاهر.

ومثله قول المتنبي:

1- سبق تخريجه، ص 72.

2- سبق تخريجه، ص 74.

أَحْيَا وأيْسَرُ مَا قاسَيْتُ ما قَتَلا === والْبَيْنُ جَارَ عَلَى ضَعْفِي وَمَا عَدَلَا[1]

والشاهد من قول المتنبي، مجيء الاستفهام محذوف الأداة، دون قرينة دالة على حذفها، فيكون التقدير: أَأَحْيا؟ وأيسرُ ما قاسيتُ؛ ومن ذلك ما روي عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ-رضي الله عنهما- عَنْ النَّبِيِّ -ﷺ- أَنَّهُ قَالَ: «مَا الْعَمَلُ فِي أَيَّامٍ أَفْضَلَ مِنْهَا فِي هَذِهِ قَالُوا: **وَلَا الْجِهَادُ؟** قَالَ: وَلَا الْجِهَادُ إِلَّا رَجُلٌ خَرَجَ يُخَاطِرُ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فَلَمْ يَرْجِعْ بِشَيْءٍ»[2]، وقد علق ابن مالك على هذا الحديث بقوله: «والأصل في (وَلَا الْجِهَادُ) (أَوَ لَا الْجِهَادُ)، لأنَّ قائل ذلك مستفهم لا مخبر، فظهور المعنى يسوغ حذف الهمزة»[3]، لذلك فإن كان المعنى الذي سيق من اجله الخطاب يدل في مضمونه على الاستفهام جاز حذف الهمزة دون حرج أو تأثير على مدلول الخطاب، لأن القائل في يريد طلب الفهم لماذا خصت هذه الأيام بكثرة العمل وعظيم الأجر، فالسائل منكر، لأن بعض الأعمال عظيمة الأجر كالجهاد في سبيل الله فأراد أن يختبر قيمة هذه الأيام ومقارنتها بالجهاد، فكانت أعظم أجرا من الجهاد، فاستغنى عن هذه المعاني كلها بالاستفهام دون همزة (وَلَا الْجِهَادُ؟).

ب- بقرينة: قد تحذف الهمزة دون قرينة فيدل على حذفها المعنى السياقي للجملة، وقد تحذف بقرينة لفظية تدل عليها، عندها لا تحتاج إلى التأويل ولا التقدير، لذلك نجد همزة الاستفهام تأتي مع أم المعادلة في الكلام كثيرا، من ذلك قوله تعالى: ﴿أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا﴾[سورة النَّازِعَاتِ: الآية 27] ، وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا﴾[سورة الفرقان: الآية 15] ، كما جاءت في كلام العرب، فنذكر على سبيل الاستشهاد قول متمم بن نويرة :

وَلَسْتُ أُبَالِي بَعْدَ فَقْدِي مَالِكاً === أَمَوْتِي نَاءٍ أَمْ هُوَ الآنَ واقِعُ[4]

1- البيت من بحر البسيط، للمتنبي، ومعنى البيت: يخبر عن نفسه بأنه حيٌّ باق، مع أن أَقَلَّ ما يقاسيه من شدائد الهوى قاتل، بسبب فراق الأحبة. ينظر: شرح ديوان المتنبي، عبد الرحمن البرقوقي، ط2، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1407هـ-1986م، ج3، ص283.

2- رواه البخاري، رقم 969، كتاب العيدين، باب فضل العمل ف أيام التشريق، ص235.

3- شواهد التوضيح، مصدر سابق، ص 177.

4- البيت من بحر الطويل لمتمم بن نويرة ومعناه أنني لست أهتم بعد أن فقدت مالكاً لنهايتي قربت أم بعدت. ينظر: مالك ومتمم ابنا نويرة اليربوعي، ابتسام مرهون الصفار، دط، مطبعة الإرشاد، بغداد، 1968م، ص105.

وقول كثير عزة:

أَلَيْسَ أَبِي بالنَّضْرِ أَمْ لَيْسَ والِدِي === لكُلِّ نَجِيبٍ مِـنْ خُزَاعَةَ أَزْهَـرَا[1]

فنلاحظ في هذه الشواهد التي بين أيدينا أن الهمزة وأم المعادلة قد اجتمعتا معا في التركيب، وعليه تكون (أَمْ) دالة عن همزة الاستفهام، لأنها حتى وإن حذفت يبقى معنى الاستفهام قائما وحاضرا لتضمن القرينة، وقد يتساوى طرفي الجملة وقد ينفصلان عن بعضيهما، فتكون بذلك عاطفة، ولم يرد الاستفهام مقترنا بأم في الحديث الشريف كثيرا، إلا أنه ورد حذف همزة الاستفهام، وذلك مما روي عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ –رضي الله عنه– عَنْ النَّبِيِّ –ﷺ– قَالَ: « إِنَّ اللَّهَ –عَزَّ وَجَلَّ– وَكَّلَ بِالرَّحِمِ مَلَكًا يَقُولُ يَا رَبِّ نُطْفَةٌ يَا رَبِّ عَلَقَةٌ يَا رَبِّ مُضْغَةٌ فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَقْضِيَ خَلْقَهُ قَالَ: **أَذَكَرٌ أَمْ أُنْثَى؟ شَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ؟** فَمَا الرِّزْقُ وَالْأَجَلُ؟ فَيُكْتَبُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ»[2]، فنلاحظ في هذا الحديث ما يدل على حذف همزة الاستفهام للعلم بها، لأن الملك سأل ثم استأنف السؤال مرة أخرى، فلم يضطر لتكرير الهمزة لوجود (أَمْ) في قوله (شَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ؟)، فالهمزة مقدرة وجودها في القرينة التي تدل عليها، وقد توسطت مفردتين، بحيث يتوجب التعيين في هذه الحالة، فيقال: شقيٌّ أو سَعِيدٌ، وعليه يكون إعراب لفظة (شقيٌّ) مبتدأ والخبر محذوف تقديره (هو) الذي يعود على لفظة (خَلْقِهِ)، و(أم) حرف عطف مبني على السكون لا محل له من الإعراب، أما لفظة (سَعِيدٌ) فهي معطوفة على ما قبلها، لذلك اشترط في كونها معادلة أن تتوسط المفردين والجملتين ويكون بها الكلام متعادلا، والجملة التي بعدها مع ما قبلها تكون في تقدير المفردين[3]، وقد استند العلماء في ظاهرة الحذف مع وجود القرينة بأبيات شعرية كثيرة، هذا لأن الهمزة يطرد حذفها في كلام العرب كثيرا للعلم بها من جهة، ولما يقتضيه المقام ويفرضه السياق من جهة أخرى، فلا يتأثر الكلام ولا يخرج عن معنى الاستفهام أضف إلى ذلك دلالة (أَمْ) عليها، ومن ذلك استشهادهم بقول عمر بن أبي ربيعة المخزومي:

بَدَا لِي مِنْهَا مِعْصَمٌ حِينَ جَمَّرَتْ === وَكفٌّ خَضِيبٌ زُيِّنَتْ بِبَنَانِ[4]

1- البيت من البحر الطويل، لكُثَيِّر، ومعنى البيت: أليس أبي بالنضر بل والدي لكل نجيب، قد وقعت (أم) لسؤال بعد سؤال وتكرير (ليس) دليل على انقطاعها. ينظر: ديوان كُثَيِّر عزة، إحسان عباس، دط، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1391هـ-1971م، ص233.

2- رواه البخاري، رقم 318، كتاب الحيض، باب مخلقة وغير مخلقة، ص 87.

3- ينظر: رصف المباني، مصدر سابق، ص93.

4- البيتين من بحر الطويل، لعمر بن أبي ربيعة، ينظر: شرح ديوان عمر بن ربيعة، مصدر سابق، ص258.

فَوَاللهِ مَا أَدْرِي وَإِنْ كُنْتُ دَارِيًا === بِسَبْعٍ رَمِينَ الجَمْرَ أَمْ بِثَمَانِيَ؟

ومثله قول الشاعر الأسود بن يعفر:

لَعَمْرُكَ مَا أَدْرِي وَإِنْ كُنْتُ دَارِياً === شُعَيْثُ ابْنُ سَهْمٍ أَمْ شُعَيْثُ ابْنُ مُنْقِرٍ[1]

2- علاقتها بأم المتصلة: تدخل الحروف على أجزاء التركيب فتتأثر الألفاظ ومواقعها الإعرابية كما يتغير أداؤها الوظيفي، مما يولد المعاني الكثيرة، التي تضفي بدورها غاية في تحقيق المعنى وإيصاله إلى ذهن المتلقي، كما تتعلق الحروف ببعضها في تأدية المعنى بل وتنوب عنها في العمل، ولا شك من هذا الباب همزة الاستفهام و(أَمْ)، فقد تحذف الهمزة ويبقى معنى الاستفهام قائم مع نظيرتها (أَمْ)، وقد تأتي هذه الأخيرة وتكون مستقلة بمعاني مختصة بها، بحيث تكون متوسطة في الجملة، وغالبا ما يكون ما قبلها له علاقة بما بعدها، وقد ينقطع ما قبلها عما بعدها، وهذا راجع إلى المعنى الذي سيقت من أجله، ولا تخرج (أم) عن ثلاثة معاني:

أ- أن تكون متصلة: وهي العاطفة وتكون مصدرة بهمزة الاستفهام سواء كانت ظاهرة أو مقدرة، بحيث تقع بين المفردين أو الجملتين، وتقتضي أن يكون الكلام متعادلا، وتقدر الجملة ما قبلها وما بعدها في تقدير المفرد، ويكون الجواب بتعيين أحد الشيئين، بحيث لا يجوز أن تكون الإجابة بـ(نعم) أو (لا)، بل تكون بتعيين أحد الأمرين، نحو: أقام زيدٌ أمْ عَمْرُو؟ فلا يعقل أن تكون الإجابة في مثل هذا الموضع بالسلب أو الإيجاب، لأن المستفهم يطلب تعيين من قام بالفعل، وعليه فيحسن الجواب بتعيين أحدهما إما زيدٌ أو عمرٌ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ -رضي الله عنه- عَنِ النَّبِيِّ -ﷺ- قَالَ: « وَكَّلَ اللَّهُ بِالرَّحِمِ مَلَكًا فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ نُطْفَةٌ أَيْ رَبِّ عَلَقَةٌ أَيْ رَبِّ مُضْغَةٌ فَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَقْضِيَ خَلْقَهَا قَالَ: أَيْ رَبِّ **أَذَكَرٌ أَمْ أُنْثَى أَشَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ؟** فَمَا الرِّزْقُ فَمَا الْأَجَلُ فَيُكْتَبُ كَذَلِكَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ»[2]،فقد توسطت أم مفردتين وكانت مسبوقة بهمزة الاستفهام الظاهرة، فالمفردتان متغايرتان لفظا ومعنا،

1- البيت من بحر الطويل، والشاهد منه ما أَدْري أَيُّ النَّسَبَيْن هو الصحيح، وشعيث اسم رجل؛ وحذف الهمزة عند المبرد وعند سيبويه بابه الشعر، وقد سبق الكلام أن الهمزة تحذف في الكلام إذا دل على حذفها القرائن، ينظر: المقتضب، مصدر سابق، ج3، ص295. والبيت من شواهد المقتضب والكتاب وفيه خلاف في النسبة بين الأسود بن يعفر التميمي، واللعين المنقري، أما صاحب الخزانة فنسبه إلى الأسود بن يعفر ، وينظر: خزانة الأدب، المرجع نفسه، ج11، ص122.

2- وهذه رواية أخرى للحديث لم تحذف منه همزة الاستفهام وجاءت مع (أم) المتصلة. رواه البخاري، رقم 6595، كتاب القدر، ص 1635.

إلا أنهما يجتمعان في إفادة المعنى للسامع كون المستفهم يبحث عن حقيقة هذا الخلق إن كان ذكرا أو أنثى، أو ما إذا كان شقيا أو سعيدا، فهنا يكون الجواب بتعيين أيهما فيقدر له خلقة ورزقه وأجله بعد نفخ الروح فيه.

وقد علق ابن هشام على بيت لذي الرمة لمن توهم الجواب في هذا قوله: (لا) أنه جواب للاستفهام المتقدم عليها، وذلك في قول ذي الرمة:

تَقُولُ عَجُوزٌ مَـدْرَجِـــي مُتَرَوِّحـاً === على بَـابِهَا مِنْ عِنْدَ أَهْلِي وَغَادِيَا[1]

أَذُو زَوْجَةٍ بِالْمِصْرِ أَمْ ذُو خُصُومَةٍ === أَرَاك لَهَـا بِالْبَصْـرَةِ الْعَـامَ ثَاوِياً؟

فَقُلْتُ لَهَـا: لَا إِنَّ أَهْلِـيَ جِـيرَةٌ === لِأَكْثِبَـةِ الدَّهْنَـا جَمِيعـاً وَمَالِـيَا

لذلك نجده يوضح هذا اللبس بقوله: «ليس قوله (لا) جوابا لسؤالها، بل ردٌّ لما تَوَهَّمَتْهُ من وقوع أحد الأمرين: كونه ذا زوجة، وكونه ذا خصومة»[2]، لذا فمن الممكن أن يُقَالَ: ذو زوجة أو ذو خصومة، ولكنه أعرض عن الإجابة واكتفى بنفيه جملةً، وعليه فإن (لا) ليس جوابا لسؤال العجوز، لأن الاستفهام بـ(أم) يقتضي الإجابة بتعيين أحد الأمرين، وإنما كانت الإجابة بـ(لا) في هذه الأبيات رد لتوهم العجوز لوقوع أحد الأمرين، وقد تحذف أم ومعطوفها من الكلام وهذا على قلة ومرده إلى التأويل الذي يحتمله التركيب بلا خلاف، ومن الأشعار والشواهد التي احتكم إليه النحاة قول أبي ذؤيب الهذلي:

دَعَانِي إِلَيْهَا الْقَلْبُ إِنِّي لِأَمْرِهِ === سَمِيعٌ فَمَا أَدْرِي أَرُشْدٌ طِلَابُهَا[3]

1- الأبيات من بحر الطويل، لذي الرمة يمدح فيها عمرو بلال بن أبي بردة الأشعري، ديوان ذي الرمة، عبد الرحمن المصطاوي، ط1، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 1427هـ-2006م، ص278.

2- مغني اللبيب، مصدر سابق، ج1، ص95.

3- البيت من بحر الطويل، لأبي ذؤيب الهذلي، وفي رواية الديوان (عصاني إليها) بدل (دعاني إليها) ومعنى البيت: أي خطر إليها قلبي وذهب إليها، فما أدري أرشد الذي وقعت فيه أم غيٌّ. ينظر: ديوان الهذليين، مصدر سابق، ج 1، ص71.

وقد جوز النحاة حذف معطوفها بدون ذكرها في الكلام كما جاء هذا البيت، يقول السيوطي (ت911هـ): «أيْ أَمْ غَيٌّ؟ وقد يحذف هو أي المعطوف بها دونها بتعويض لا نحو: أزيدٌ عِنْدَكَ أَمْ لَا؟ أَزَيْدٌ يَقُومُ أَمْ لَا؟»[1]، وعليه يكون تقدير الكلام: أَرُشْدٌ طِلَابُهَا أَمْ غَيٌّ؟، كما يجوز تقديره: أَرُشْدٌ طِلَابُهَا أَمْ لاَ.

ب– أن تكون منقطعة: ومعنى ذلك أنها لا تكون عاطفة ولا يتعلق ما قبلها بما بعدها، فينفصل وتقدر بـ(بل) مع الهمزة أو بدونها، كما قد يقع قبلها الاستفهام وغيره، كنحو قولنا: أَقَامَ زَيْدٌ أَمْ أَنْطَلَقَ عَمْرُو؟ ويَقُومُ زَيْدٌ أَمْ يَنْطَلِقُ عَمْرُو، فهنا تقدر بـ(بل)، وهي للإضراب عما سبق، كقول الشاعر:

فَوَ اللهِ مَا أَدْرِي أَسَلْمَى تَغَوَّلَتْ === أَمْ النَّوْمُ أَمْ كُلٌّ إِلَيَّ حَبِيبُ[2]

وقد تقدر بالهمزة وبل معا وذلك في نحو قولهم: إِنَّهَا لَإِبِلٌ أَمْ شَاءٌ، وعليه فيكون المعنى: بل أهي شاءٌ؟[3]، فقائل ذلك قد خُيِّل إليه مما رآه من بعيد أنها إبل، ثم خُيِّل إليه مرة أخرى أن ما رآه هو شاء، فأضرب عن الأول وهو (الإبل) وسأل عن الثاني، فنلاحظ من المثال الذي بين أيدينا أنَّ (أَمْ) جاء مقدرة بـ (بل+الهمزة) وقد أفادت معنى للإضراب؛ وقد تأتي مجردة عن الاستفهام، وذلك في قول لُفْنُون التَّغْلِبِي:

أَبِيّ جَــزَوْا عَامِراً سَوْءَا بِفِعْلِهِــمْ === أَمْ كَيْفَ يَجْزُونَنِي السُّوْأى مِنْ الْحُسْنِ[4]

1- هَمْعُ الهَوامِعِ في شرح جمع الجوامع، جلال الدين السيوطي، تحقيق عبد العال سالم مكرم، دط، دار البحوث العلمية ، الكويت، 1399هـ-1979م، ج5، ص241.

2- البيت من بحر الطويل، مجهول القائل، ومعنى البيت: أي: بل أكل إليَّ حبيب، لأنها لما تمثلت لعينه لم يدر أذلك في النوم أم صارت من الغول، لأن العرب تزعم أنها تبدو متزينة لتفتن، ثم لما جوز أن تكون تغولت داخله الشك فقال: بل أكل إليَّ حبيب أي الغول وسلمى، كل منهما إلي حبيب، وتَغَوَّلَتْ: من غَوَلَ: غَالُهُ الشَّيْءُ غَوْلاً وَاغْتَالَهُ، أهْلكهُ، وأخَذهُ من حَيْثُ لا يدري، والغُوْلُ: المنيةُ، وقيل هو الشيطان، وقيل الحيةُ، فكل ما يرهب ويُؤذي بني البشر من الجن ونحوه فهو غول. ينظر: همع الهوامع، المصدر نفسه، ج5، ص243.، وينظر: لسان العرب، مرجع سابق، مادة (غول)، ص 3317-3318.

3- مغني اللبيب، مصدر سابق، ج1، ص97. وينظر: رصف المباني، مصدر سابق، ص180.

4- البيتين من بحر البسيط، لأُفْنُونْ التَّغْلِبِي، ينظر: المعجم المفصل في شواهد اللغة العربية، مصدر سابق، مج8، ص212. العَلُوقَ: التي لا تحب زوجها، ومن النوق: التي لا تَأْلَفُ الْفَحْلَ، ولا ترأم الولد وكلاهما على الفأل وقيل هي التي ترأم بأنفها ولا تدرُّ، وقيل العَلُوقُ: التي عُطِفت على ولد غيرها، رِئْمَانْ: رَئِمَتِ النَّاقة ولدها رَأْمًا، عطفت عليه ولزمته، وناقة رَؤُومٌ، ورائمٌ.ينظر: المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده الأندلسي، تحقيق عبد الحميد هنداوي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1421هـ-2000م، مادة (علق) ج1، ص213، ومادة (رأم)، ج10، ص292.

أَمْ كَيْفَ يَنْفَعُ مَا تُعْطِي الْعَلُوقَ بِهِ === رِئْمَانَ أَنْفٍ إِذَا مَا ضُنَّ بِاللَّبَنِ

وقد تعرض عبد القادر البغدادي لهذا البيت في قوله: « على أنَّ (أَمْ) فيه بمعنى بل وحدها، بدون استفهام، إذ الاستفهام موجود، فلا وجه لجمع استفهامين إلا على وجه التأكيد، ولا يضطر إليه مع إمكانية التأسيس وفيما ذهب إليه مخالفة للبصريين وميل لقول الكوفيين لقوته »[1]، جاءت (أم) مجردة عن الاستفهام، وجاء بعدها (كيف)، ومن المعلوم أن الاستفهام لا يدخل على استفهام مثله في اللغة، إلا إذا جاء لغرض التأكيد؛ ونخلص إلى أن الجواب بعد (أَمْ) المنفصلة يكون بـ(نعم) أو (لا) في حال ما إذا تقدمها استفهام، لأنَّ الكلام عبارة عن جملتين منفصلتين يصح الجواب عن كل منهما لوحدها، كقوله تعالى: ﴿آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ والآية التي بعدها ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾[سورة النمل : الآية 59-60] ، وجاءت (أم) في الآية الأولى متصلة والتقدير: أَتَوْحِيدُ اللهِ خَيْرٌ أَمْ شِرْكُكُمْ، وفي الثانية يكون تقدير المعنى: بَلْ الذي خَلَقُ السَّماواتِ والأرضَ، يقول أبو حيان الأندلسي: «و(أم) في (أمْ مَا) متصلة، لأنَّ المعنى (أيهما خير) وفي (أم من خلق) وما بعده منفصلة»[2]، وعليه فيكون الجواب في المتصلة بطلب التعيين، أما إذا كانت منفصلة وسبقها استفهام فيكون الجواب إما بالسلب أو بالإيجاب.

جـ- أن تكون بمعنى (ال): ومن المعاني التي تتطرق إليه أنها تأخذ معنى (ال) وهذا من باب النادر في اللغة إذا لم يسمع ذلك في كلام العرب، حتى أنه لا قياس عليه، ولعل المصدر الوحيد الذي تضمن مثل هذه الظاهرة هو الحديث النبوي الشريف، وذلك مما روي عَنْ كَعْبِ بْنِ عَاصِمٍ الأَشْعَرِيِّ-رضي الله عنه- قَالَ: «سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ-ﷺ- يقول: **لَيْسَ مِنْ أَمْ بِرٍ أَمْ صِيَامٌ فِي أَمْ سَفَرٍ**»[3]، وقد ورد الحديث في كتب النحو وعلق عليه النحاة بين مقتضب ومسهب، إلا أن الحديث يتوجب منا الوقوف عنده ولم يرو في كتب الحديث بهذه الرواية فقد روي على اللغة التي يعرفها الناس، ولم يخرج عنها ومن ذلك رواية البخاري عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ-رضي الله عنهما- قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- فِي سَفَرٍ فَرَأَى زِحَامًا وَرَجُلًا قَدْ ظُلِّلَ عَلَيْهِ فَقَالَ: مَا هَذَا؟ فَقَالُوا: صَائِمٌ، فَقَالَ: **لَيْسَ مِنْ الْبِرِّ الصَّوْمُ فِي**

1- خزانة الأدب، مرجع سابق، ج11، ص139.

2- تفسير البحر المحيط، مرجع سابق، ج7، ص84.

3- الكفاية في معرفة أصول الرواية، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت المعروف بالخطيب البغدادي، تحقيق إبراهيم بن مصطفى آل بحبح الدمياطي، ط1، دار الهداية، القاهرة، 1423هـ-2003م، رقم556، ص 543.

السَّفَرِ»[1]، فقد جاءت (أم) بمعنى (أل) التعريف وذلك في الألفاظ البر والصيام، والسفر، وهذا على لغة أهل اليمن يقول الخطيب البغدادي (ت463هـ): «أراد (لَيْسَ مِنْ الْبِرِّ الصَّوْمُ فِي السَّفَرِ) وهذه لغة الأشعريين، يقلبون اللام ميما، فيقولون: رَأَيْنَا أُولَئِكَ أَمْ رِجَالِ، يريدون الرِّجَالَ، ومَرَرْنَا بِامْقَوْمِ، أَيْ بِالْقَوْمِ، وهي لغة مستفيضة إلى الآن باليمن»[2]، وقد انشد ابن هشام ما يعاضد هذه اللغة قول بجير بن غنمة الطائي:

ذَاكَ خَلِيلِي وَذُو يُوَاصِلُنِي === يَرْمِي وَرَائِي بِامْسَهْمِ وامْسَلِمَهْ[3]

فمن الملاحظ أن (أم) تأتي بمعنى الألف واللام في كلمتي (السهم) و(المسلمة) وقد تكلمت به العرب وبين أيدينا ما يدل على ذلك إلا أنه قليل لا يقاس عليه، لعدم استفاضته، أضف إلى ذلك أنه سمع عن بعض أهل اليمن، ولو كان شائعا لالتفت إليه العلماء وإنما ما ورد منه وغيرها من اللغات إنما من باب الشذوذ أو القلة، وذكر بعضهم أنه إبدال ضعيف أو شاذ بحيث لا يقاس على مثله[4].

3- همزة الاستفهام عوض عن واو القسم: قد ترد همزة الاستفهام عوضا عن واو القسم وهذا فاشٍ في لغة العرب، فقد تحذف (واو) القسم من الكلام وهو جار في الكلام بغير عوض قليلا وبعوض كثيرا، والعوض عنها

1- رواه البخاري، رقم 1946، كتاب الصوم، باب قول النبي لمن ظلل عليه إذا اشتد الحر، ص468. رواه احمد عن كعب بن عاصم الأشعري، رقم 23679، في مسند المكثرين، ص1719.

2- الكفاية في معرفة أصول الرواية، مصدر سابق، ص543.

3- البيت من بحر المنسرح، ومعناه: هذا الرجل يعاتبني، ويسلك طريق بقاء الود، ويدافع عنه مرة بالسهام ومرة بالسلام والسَّلِمَةُ: وواحدة السَّلِمِ، وهي الحجارة، ينظر: شرح أبيات مغني اللبيب، عبد القادر بن عمر البغدادي، تحقيق عبد العزيز رباح وأحمد يوسف دقاق، ط2، دار المأمون للتراث، دمشق، 1407هـ- 1988م، ج1، ص290. والبيت ملفق من بيتين:

ذَاكَ خَلِيلِي وَذُو يُعَاتِبُنِي === لَا إِحْنَةٌ عِنْدَهُ وَلَا جَرِمَهْ

يَنْصُرُنِي مِنْكَ غَيْرَ مُعْتَذِرٍ === يَرْمِي وَرَائِي بِامْسَهْمِ وامْسَلِمَهْ

ينظر: المعجم المفصل في شواهد اللغة العربية، مرجع سابق، ج7، ص92، لسان العرب، مرجع سابق، مادة (سلم)، مج6، ص 2083.

4- هذا كلام المحقق والشارح –بتصرف- ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق: عبد اللطيف محمد الخطيب، مصدر سابق ج1، ص 308.

إما همزة استفهام ممدودة أو همزة وصل وإما هاء ثابتة الألف وساقطتها[1]، فإن الهمزة تأتي عوضا عن الحرف المحذوف وتؤدي معناه لكن لا تفقد عملها الأصيل، وقد أتى ما يشهد لذلك في الحديث الشريف.

فعن معاوية بن أبي سفيان –رضي الله عنه– أنه «خرجَ مُعاوِيَةُ على حَلَقةٍ في المسجدِ قال: ما أجْلَسَكُمْ؟ قالوا: جلسْنَا نذْكُرُ اللهَ؛ قال: آللهِ ما أجْلَسَكُمْ إلَّا ذاك؟ قالوا: واللهِ ما أَجْلَسَنَا إلَّا ذاك، قال: أما إنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ تُهْمَةً لَكُمْ وما كان أَحَدٌ بِمَنْزِلَتِي مِنْ رسولِ اللهِ، أقَلَّ منْهُ حديثًا منِّي وإنَّ رسولَ اللهِ–ﷺ– خرجَ على حلقةٍ مِنْ أصْحابِهِ فقال: ما أجْلَسَكُمْ؟ قالوا: جلسْنَا نذْكُرُ اللهَ على ما هدانَا للإِسْلامِ ومَنَّ بِهِ عَلَيْنَا، قالَ: "**آللهِ ما أجْلَسَكُمْ إلَّا ذاكَ؟**" قالوا: واللهِ ما أَجْلَسَنَا إلَّا ذاكَ، قال: " أما إنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ تُهْمَةً لَكُمْ ولَكِنَّهُ أَتانِي جِبْرِيلُ فَأَخْبَرَنِي أنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يُبَاهِي بِكُمُ المَلَائِكَةَ»[2]، فقد جاءت الهمزة في هذا الحديث مسوقة لغير معنى الاستفهام، إذْ المتأمل إلى التركيب يلاحظ أن السياق هو سياق استفهام، إلا أنه يؤدي غير معنى الاستفهام، وهذا ما يدل عليه رد الصحابة في تأكيد القسم (واللهِ ما أَجْلَسَنَا إلَّا ذاكَ)، أي أن النبي –ﷺ– أراد أن يستحلفهم ليختبر صدق ما هم فيه من الذكر والعبادة، كقولنا: آللهِ لتَفْعلنْ، فوقعت الهمزة بدلا من حرف القسم[3]، فيكون تقدير الكلام، والله ما أجلسكم إلا ذاك؟، فلو عدنا إلى السياق نجده يتضمن معنى الاستفهام حتى وإن فرض القسم نفسه لذا نجد الجرجاني يقول: «قولهم: "آللهِ لَتَفْعَلَنْ" جعلوا همزة الاستفهام عوضا من واو القسم بدلالة أن أحدا لا يقول: "أو اللهِ لَتَفْعَلَنْ" فيجمع بين الواو والهمزة، وقد جعل الهمزة هنا عوضا عن الواو القَسَمِيَّةِ مع إفادتها المعنى الموضوعة هي له، أعني الاستفهام»[4]، أما سيبويه فيرى أن الهمزة في نحو قولنا: آللهِ لتفعلن؟ فقد أضمروا الحرف الذي يجر ويقصد واو القسم، وحذفوه، تخفيفا على اللسان، وصارت ألف الاستفهام بدلا منه في اللفظ معاقبا[5]، وعليه فإنه يجوز أن تكون الهمزة عوضا من واو القسم في مثل هذا الموضع، إلا إنَّ الاستفهام لا يفقد مدلوله بالكلية فيبقى مضمنا في القسم.

1– ينظر: منحة الملك الوهاب بشرح ملحة الإعراب، عبد الملك بن دعسين القرشي الأموي، تحقيق عبد اللطيف محمد داود، دط، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دت، ج1، 532.

2–سبق تخريجه، ص 81.

3– وقد تعاقب ألف اللام حرف القسم، كما عاقبته ألف الاستفهام وها. ينظر: خزانة الأدب، مصدر سابق، ج10، ص42.

4– المقتصد في شرح الإيضاح، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق كاظم بحر المرجان، دط، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، العراق، 1982م، ج2، ص 795.

5– ينظر: الكتاب، مصدر سابق، ج2، ص161.

نخلص إلى أن همزة الاستفهام لها علاقة بحرف آخر يدل على حذفها فيكون بمثابة العلامة الدالة عليه في الكلام، وقد تحذف من الكلام دون قرينة تدل عليها ويحتكم في ذلك إلى سياق الخطاب وملابساته في تقدير حذفها، كما تأتي همزة الاستفهام عوضا عن واو القسم وهذا قليل في اللغة وقد جاء منه في الحديث الشريف، فهمزة الاستفهام أعم تصرفا في الكلام من نظيراتها، مما يجعلها الأصل في الاستفهام.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الثالث: حروف الجواب والتصديق في الحديث الشريف

إذا كان الاستفهام هو طلب معرفة ما يريده المستفهم فلا بد له من جواب يكف به الطلب، ويشبع به الفضول، وليس كل استفهام يحتاج إلى جواب فهناك نوع من الاستفهام لا يحتاج صاحبه إلى جواب، وهو الذي لا يريد به المستفهم طلب المعرفة، فيسوقه لأغراض في نفسه يستدعيها المقام الكلامي، وأما ما يحتاج إلى جواب فهو الاستفهام الحقيقي، وعليه ينبغي لهذا الاستفهام أن يحصل على جواب، ولا يتأت ذلك إلا بحروف معينة في العربية، وهي حروف الجواب والتصديق «سميت حروف تصديق لأنَّك تُصَدِّقُ بها ما يقوله المتكلم»[1] وقد جمعت كتب النحو الحروف التي تستعملها العرب للجواب، ومنها ما هو مشهور نحو: (نَعَمْ، وبَلَى، ولَا، وكَلَّا)، ومنها ما هو غير مشهور ودارج في الكلام نحو: (جير، وجلل، وبجل إي)، فحفلت كتب النحو بهذه الحروف من ناحية الاستعمال وما الغرض الذي تؤديه، وما هي السياقات التي يحسن الرد بأحدها، وعليه فهناك من المتأخرين من جمع حروف الجواب والتصديق الأكثر تداولا في الكلام وهي: نَعَمْ وبَلَى وأَجَلْ وجَيْرِ وإِي وإِنَّ[2] للإيجاب وأما حروف الإيجاب بالنفي فحروفه: ولا وكَلَّا[3]، فكل هذه الحروف هي تتضمن معنى (نعم) بحيث لو قيل حروف الجواب لا يتبادر إلى الذهن إلا (نعم) فتعد أم باب الطائفة بالنسبة لحروف التصديق، وقد أفردت كتب النحو كلاما كثيرا لمعاني هذه الحروف، لما لها من أهمية لغوية لا تخف عن ذي لب، ولا يحتمل أن يكون الاستفهام معلقا دون جواب إلا إذا سيق لغرض بلاغي معين، وعليه يسمى استفهاما مجازيا، ومن هنا وجب البحث عن العلاقة التي تربط الاستفهام بالهمز، مع حروف التصديق في الحديث الشريف، وهل كان النبي -ﷺ- يجيب بجميع هذه الحروف أم أنه يستعمل في كل مرة ما يناسب السؤال، وما هي حروف التصديق الأكثر استخداما في جوابه-ﷺ-وسنستعين بمجموعة من الأحاديث التي ورد فيها حروف الجواب والتصديق ومحاولة كشف المعاني ومقاربتها نحويا.

أولا: الجواب بعد الاستفهام المثبت: يأتي تركيب الاستفهام تارة مثبة وأخرى منفيا، فمتى يحسن الرد بأحد هذه الحروف أم أنه يصلح جميعها للجواب دون تفريق؛ فالاستفهام المثبت هو الذي كان تركيبه خاليا من حروف

1- الإيضاح في شرح المفصل، أبو عمرو عثمان بن عمر ابن الحاجب، تحقيق موسى بناي العليلي، دط، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، العراق، 1462هـ، 1982، ج2، ص221.

2- شرح المفصل، مصدر سابق، ج8، ص121.

3- جامع الدروس العربية، مصطفى الغلاييني، مراجعة وتنقيح عبد المنعم خفاجه، ط30، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، 1414هـ-1994م، ج3، ص255.

النفي، بحيث يتكون تركيبه من (همزة الاستفهام+ جملة الاستفهام)، ويكون الجواب عنه بأحد حروف الجواب والتصديق التي ذكرناها آنفا، سواء بالسلب أو بالإثبات، ولعل أهم هذه الحروف (نعم) وقد وردت كثيرا في أجوبة النبي-ﷺ- من هنا يمكننا استعراض بعض النماذج محاولين تحليلها، للإجابة عن هذا التساؤلات.

-نعم: حرف جواب ترد لعدة معان يقول المرادي: «لتصديق مخبر، أو إعلام مُسْتخبر، أو وعد طالب»[1]، فمثال التصديق نحو: قامَ زَيْدٌ أو مَا قَامَ زَيْدٌ فتقول: نعم لتصدق به خبر المخبر، بأنَّ فعل القيام قد تحقق فعلا من زيْدٍ، وأما إعلام المستخبر وهو الجواب عن السؤال نحو قوله تعالى: ﴿فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ﴾[سورة الأعراف: الآية 44]، فكان جوابهم بـ (نعم) إعلاما، فقد أعلموا رَبَّ العزة بصدق ما وعدهم إيَّاه حقا؛ وتكون وعدا لطالب وهذا بعد طلب أمر أو نهي عنه، نحو: اضربْ زيدًا أو هَلاَّ تَضْرِبْ زيداً، فيجاب في ذلك بـ(نعم)، على وجه الامتثال لأمر المتكلم، ووعده بتنفيذ الفعل.

وفي (نَعَمْ) ثلاث لغات، أشهرها بفتح النون والعين وميم ساكنة، وهذا المشهور في فيها، كما تأتي بكسر العين على لغة كنانة و هي قراءة الكسائي في آية سورة الأعراف السابقة قوله تعالى: ﴿قَالُوا نَعَمْ﴾، يقول ابن الجزري (ت833هـ): «واختلفوا في (نعم) حيث وقع وهو في الموضعين من هذه السورة وفي الشعراء والصافات فقرأ الكسائي بكسر العين منها وقرأ الباقون بفتحها»[2]، وأما اللغة الثالثة فتنطق بإبدال حرف العين فيصير مكانه الحاء فيقال: نَحَمْ وقد أحسن ابن يعيش حين لخص هذه اللغات وعلق عليها في معرض شرحه يقول: «الفتح في (نَعَمْ) والكسر لغتان فصيحتان إلا أن الفتح أشهر في كلام العرب وقد جاء الكسر في كلام النبي-ﷺ- وجماعة من الصحابة منهم عمر وعلي والزبير وابن مسعود-رضي الله عنهم- وذكر الكسائي أن أشياخ قريش يتكلمون بها مكسورة، وحكي عن أبي عمرو قال: لغة كنانة (نَعِمْ) بالكسر، وربما أبدلوا العين فقالوا (نَحَمْ) لأنها تليها في المخرج وهي أخف من العين لأنها أقرب إلى حروف الفم حكي ذلك النضر بن شميل فاعرفه»[3]، يتبين لنا بعد عرض هذه النصوص اللغوية أنَّ (نعم) فيها ثلاث لغات محكية سمعت مِمَّنْ يوثق في فصاحته من العرب، لا تخرج

1- الجنى الداني، مصدر سابق، ص 506. ومغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق: عبد اللطيف محمد الخطيب، ج4، ص 296. همع الهوامع، مصدر سابق، ج4، ص391.

2- النشر في القراءات العشر، محمد بن محمد الدمشقي ابن الجزري، تحقيق علي محمد الضباع، دط، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دت،ج2، ص269. وهي قراءة ابن وثَّاب والأعمش ينظر: البحر المحيط، مصدر سابق، ج4، ص303.

3- شرح المفصل، مصدر سابق، ج8، ص125.

عن هذه الوجوه، وقد احتكموا في ذلك إلى القراءات القرآنية وكلام الصحابة، ولغات القبائل العربية التي يعتد بفصاحتها. – عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ –رضي الله عنه– سَمِعَهُ يَقُولُ: « سُئِلَ رَسُولُ اللهِ–ﷺ– **أَفِي كُلِّ صَلَاةٍ قَرَاءَةٌ؟** قَالَ: **نَعَمْ** قَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ: وَجَبَتْ هَذِهِ، فَالْتَفَتَ إِلَيَّ رَسُولُ اللهِ–ﷺ– وَكُنْتُ أَقْرَبُ الْقَوْمِ مِنْهُ فَقَالَ: مَا أَرَى الْإِمَامُ إِذَا أَمَّ الْقَوْمُ إِلَّا قَدْ كَفَاهُمْ»[1]، فقد جاء الاستفهام مصدرا بالهمزة، وكان جوابه–ﷺ– بـ (نَعَمْ)، فجملة الجواب محذوفة تقديرها (نَعَمْ فِي كُلِّ صَلَاةٍ قِرَاءَةٌ)، وعليه تعرب نَعَمْ حرف جواب وتصديق لا محل له من الإعراب، وقد يُؤتى بها للدلالة على جملة الجواب المحذوفة، وعليه تكون (نعم) سادةٌ مسدَّ الجواب[2] وهو: (في كل صلاة قراءةٌ) وهي عبارة عن شبه جملة خبر مقدم ومبتدأ مؤخر.

– عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ–رضي الله عنها– أَنَّ امْرَأَةً قَالَتْ: «يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ اللهَ لَا يَسْتَحِيِي مِنَ الْحَقِّ، هَلْ عَلَى الْمَرْأَةِ غُسْلٌ إِذَا هِيَ احْتَلَمَتْ؟ قَالَ: نَعَمْ إِذَا رَأَتِ الْمَاءَ" فَضَحِكَتْ أُمُّ سَلَمَة فَقَالَتْ: **أَتَحْتَلِمُ الْمَرْأَةُ؟** فَقَالَ رَسُولُ اللهِ–ﷺ–: **فَفِيمَ يُشْبِهُهَا الْوَلَدُ؟**»[3]، فنلاحظ أن هذا الحديث المبني على طريقة المحاورة بين المرأة والنبي –ﷺ–، ففي الشطر الأول من الحديث نجد الاستفهام مصدر بـ(هل) بدل الهمزة، والاستفهام هنا للتصديق كون الاحتلام مثل الجنابة، وهو مما يوجب الغسل، فأرادت أن تتأكد، وقد جاء الرد بالإيجاب وهو جواب مفصل معلق بشرط وتقديره: (نعم إذا رأت الماء تغتسل)، وأما الشطر الثاني جاء الاستفهام بالهمزة وهو استفهام إنكاري، وكأنها تنكر الاحتلام أو كونها لم تحتلم كما يحدث للنساء[4]، فكان جوابه –ﷺ– عبارة عن سؤال فيه تعجب، فالجواب محذوف تقديره: (نعم تحتلم المرأة)، فقد حذف حرف الجواب من الكلام.

– عن الفضل بن العباس –رضي الله عنهما– أَنَّهُ كَانَ رَدِيفَ رَسُولِ اللهِ–ﷺ– غَدَاةَ النَّحْرِ، فَأَتَتْهُ امْرَأَةٌ مِنْ خَثْعَمَ، فَقَالَتْ: «يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ فَرِيضَةَ اللهِ فِي الْحَجِّ عَلَى عِبَادِهِ أَدْرَكَتْ أَبِي شَيْخاً كَبِيراً لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَرْكَبَ إِلَّا مُعْتَرِضاً **أَفَأَحُجُّ**

1– رواه النسائي، رقم 923، كتاب الافتتاح، باب اكتفاء المأموم بقراءة الإمام، ص153.

2– جامع الدروس العربية، مرجع سابق، ج3، ص255.

3– رواه النسائي، رقم 197، كتاب الطهارة، باب غسل المرأة ترى في منامها ما يرى الرجل، ص39.

4– يقول القرطبي: إنكار عائشة وأم سلمة على أم سليم –رضي الله عنهن– قضية احتلام النساء يدل على قلة وقوعه من النساء؛ قلت وظهر لي أن يقال: إن أزواج النبي–ﷺ–لا يقع لهن الاحتلام لأنه من الشيطان فَعُصِمْنَ منه تكريما له –ﷺ–كما عصم هو منه. سنن النسائي بشرح جلال الدين السيوطي وحاشية السندي، مصدر سابق، ج1، ص130.

عَنْهُ؟ قَالَ: **نَعَمْ حُجِّي عَنْهُ،** قَالَ: لَوْ كَانَ عَلَيْهِ دَيْنٌ قَضَيْتِيهِ؟»[1]، وقد يأتي الاستفهام والجواب عنه كاملا تاما مستوفيا لعناصره من حرف الجواب وجملته كما هو مبين في هذا الحديث على سبيل الإعلام والتعليم للمسلمين فقال للسائلة (نعم حجي عنه) فكان جوابا يفيد العلم ويكف حاجة السائل فيستغني عن السؤال بعدها، ثم للمبالغة في الإفهام جاء بالموازنة بين قضاء الدين وقضاء فرائض الله –جلا وعلا–.

فالاستفهام في هذه النماذج التي بين أيدينا لم يسبق بنفي وقد جاء الجواب فيه ظاهرا، أو ومقدرا في كل مرة، وكان حرف الجواب (نعم) للإعلام لأن المستفهم يطلب المعرفة فحق له أن يحصل على جواب، وقد ورد حرف الجواب (نعم) سادا مسد جملة الجواب، والظاهر فيه أنه لتصديق المخبر وهذا تأويل بعيد نوعا، ويجوز الاكتفاء بها عند الرد، ولزيادة التوضيح وإقناع المستفهم يؤتى بها مع جملة الجواب التي يمكن الاستغناء عنها، ولا يخف أن الحديث الشريف قد اشتمل عليها جميعا.

ثانيا: الجواب بعد الاستفهام المنفي:

أ–بلى: وهي من حروف الجواب الأكثر استعمالا بعد (نعم) وقد اختلف النحاة بين إمكانية مجيئها قبل النفي والإثبات، وهل يحسن الجواب بها في الحالتين أمْ أنها تختص للجواب عن النفي وحده، وهل يتغير المعنى لو أجيب بـ(نعم) مكانها، لكون معاقبتها إياها في المعنى، وهذا ما سنحاول طرق في حصر المسائل التي تتعلق بـ(بلى).

يقول المرادي: «وهي مختصة بالنفي، فلا تقع إلا بعد نفي اللفظ، أو في المعنى، وتكون ردا له سواءٌ اقترنت به أداة استفهام أو لا»[2]، فهي تختص بنوع فقط من الاستفهام، وهو ذلك الذي صدر بنفي، بحيث تبطل ذلك النفي، فيكون الجواب مثبتا، نحو: أليس خالد في البيت؟ فنقول في الجواب: بلى إذا أردنا أن نثبت وجوده، أما إذا أردنا أن ننفي وجوده بالبيت فحينها يمكننا أن نقول: نعم، أي: ليس بالبيت.

و قد تأتي جوابا للاستفهام الإنكاري نحو جواب الجحاف بن حكيم :

1- سبق تخريجه، ص 107.

2- الجنى الداني، مصدر سابق، ص 421.

بَلَى، سَوْفَ نَبْكِيهِمْ، بِكُلِّ مُهَنَّدٍ === وَنَبْكِي عُمَيْراً بِالرِّمَاحِ الْخَوَاطِرِ[1]

جوابا لقول الأخطل:

ألاَ فَسَل الجَحَّاف هل هُوَ ثَائِرٌ === بِقَتْلِي، أُصِيبَتْ من نُمَيْر بْن عَامِرِ؟[2]

كما تأتي جوابا للاستفهام التوبيخي، نحو قوله تعالى: ﴿ أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ، بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ﴾[سورة القيامة: الآية 3-4] ، أي بلى نجمعها، كما تأتي جوابا للاستفهام التقريري نحو قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا﴾[سورة الأعراف: الآية 172] ، يقول أبو حيان الأندلسي: «فكأنه سبحانه أشهدهم على أنفسهم وقرَّرَهم وقال ألست بربكم وكأنهم قالوا بلى أنت ربنا»[3]، وعليه فقد أجري النفي مع التقرير مجرى النفي المجرد وذلك عن الرد ببلى، بحيث لو كان الجواب بـ(نعم) لخرج ذلك بهم إلى الكفر، لذلك يقول شهاب الدين الخفاجي (ت1069هـ) «وبلى جواب (أَلَسْتُ)ن قال ابن عباس-رضي الله عنه-: لو قالوا: (نعم) لكفروا، لأن النفي إذا أجيب بنعم كان تصديقا له، فكأنهم قالوا: لست بربنا»[4]، وعليه فإنَّ (بلى) تختص بوقوعها بعد النفي فتصيره من نفي إلى إثبات، بخلاف (نعم) التي يكون بها الجواب تابع لما قبلها في النفي والإثبات، لذلك فإنَّ قال: قائل: أليس لي عليك ألف دينار؟ فإن قال بلى لزمه ذلك، لأن المعنى يفيد: بلى لك عليَّ ذلك، وهذا لإقرار بالدين، ولو قيل: نعم لم تلزمه، لأن المعنى يفيد: نعم ليس لك علي ذلك، وهناك من قال: إن الدين يلزمه سواء أجاب بـ(نعم) أو (بلى)، لذلك يقول ابن

1- البيت من بحر الكامل، للجَحَّافِ بْنَ حَكِيمٍ السُّلَمي، وقصة البيت أن الأخطل وفد على عبد الملك بن مروان فدخل عليه الجحاف فقال عبد الملك للأخطل: أتعرف هذا يا أخطل؟ قال: ومن هو؟ قال الجحاف، فأنشد الأخطل:

ألاَ فَسَل الجَحَّاف هل هُوَ ثَائِرٌ === بِقَتْلِي، أُصِيبَتْ من نُمَيْر بْن عَامِرِ؟

حتى فرغ من قصيدته، وكان الجحاف يأكل رُطبا فجعل النَّوى يتساقط من يده غيظا ثم أجابه: بلى سوف نبكيهم بكل مهند، البيت، ثم قال يا ابن النصرانية، ما ظننتك تجترئ عليَّ بمثل هذا، ولو كنت مأسورا لك، فَحُمَّ الأخطل خوفا. ينظر: خزانة الأدب، مصدر سابق، ج9، ص482. وينظر بقية خبره الكامل في التاريخ، عز الدين أبو الحسن علي ابن الأثير، دط، دار الكتاب العربي، 1417هـ- 1997م، ج3، ص374-376.

2- البيت من بحر الكامل للأخطل، ينظر: خزانة الأدب، المصدر نفسه، ج9، ص482.

3- تفسير البحر المحيط، مرجع سابق، ج4، ص419.

4- حاشية الشهاب المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي، شهاب الدين الخفاجي، دط، دار صادر، بيروت، دت، ج4، ص 234.

هشام: « وقال آخرون: تلزمه فيهما، وجروا في ذلك على مقتضى العرف، لا اللغة»[1]، فإن هشام احتكم إلى العرف وغلَّبه على اللغة، إذ هذا ما جرى في العادة وعلى الأصل أن (نعم) تستعمل للإيجاب مطلقا، وهذا مذهب أكثر النحاة، لأن العرف مقدم على اللغة باعتبار أحكام الشرع[2].

ومن النحاة من يرى أن الإجابة بـ(بنعم)، بعد النفي سائغ في الكلام ولا يتغير معناه الذي سيق من أجله، يقول ابن مالك: «وقد توافقها (نعم) بعد المقرون»[3] ويقصد بذلك جواب النفي المقرون بالاستفهام، وقد احتكم النحاة في ذلك إلى قول جَحْدَرِ بْنِ مَالِكٍ:

أَلَيْسَ اللَّيْلُ يَجْمَعُ أُمَّ عَمْرٍو === وَإِيَّانَا فَذَاكَ بِنَا تَدَانِي[4]

نَعَمْ وَتَرَى الْهِلَالَ كَمَا أَرَاهُ === وَيَعْلُوهَا النَّهَارُ كَمَا عَلَانِي

وقد ورد في الحديث الشريف ما يؤيد ذلك ومنه ما روي وقد يجري استعمال (بلى) في التقرير مجرى (نعم) ومن ذلك ما روي عن عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ-رضي الله عنه- قَالَ: «بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ-ﷺ- مُضِيفٌ ظَهْرَهُ إِلَى قُبَّةٍ مِنْ أَدَمٍ يَمَانِيٍّ إِذْ قَالَ لِأَصْحَابِهِ: **أَتَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا رُبُعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟** قَالُوا: **بَلَى**، قَالَ: **أَفَلَمْ تَرْضَوْا أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟** قَالُوا: **بَلَى**، قَالَ: فَوَ الَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا نِصْفَ أَهْلِ الْجَنَّةِ»[5]، وقد أخرجه البخاري من طريق آخر عن عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود -رضي الله عنه- وقد جاء الجواب بـ(نعم) قَالَ: « كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ-ﷺ- فِي قُبَّةٍ فَقَالَ: **أَتَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا رُبُعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟** قُلْنَا: **نَعَمْ**، قَالَ: **أَتَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟** قُلْنَا: **نَعَمْ** قَالَ: **أَتَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا شَطْرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟** قُلْنَا: **نَعَمْ** قَالَ: وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا نِصْفَ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَذَلِكَ أَنَّ الْجَنَّةَ لَا يَدْخُلُهَا إِلَّا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ وَمَا أَنْتُمْ فِي أَهْلِ الشِّرْكِ إِلَّا كَالشَّعْرَةِ الْبَيْضَاءِ فِي جِلْدِ الثَّوْرِ

1- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق: عبد اللطيف محمد الخطيب، مصدر سابق، ج2، ص195.

2- المصدر نفسه، ج2، ص195.

3- شرح التسهيل (المسمى تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد)، مصدر سابق، ص4501.

4- البيتان من بحر الوافر، والشاهد منهما مجيء نعم جواب النفي المصاحب للاستفهام والمراد به إيجاب النفي، فكأنه يقول: إن الليل يجمع أم عمر وإيانا، قال أبو حيان بعد أن ساق كلام سيبويه: قد لحن ابن الطراوة سيبويه في استعمال (نعم) في هذين الموضعين، وقال إنما هو موضع (بلى) لا موضع نعم، ينظر: الشعر والشعراء، مصدر سابق، ج1، ص 442. وخزانة الأدب، مصدر سابق، ج11، ص 202، وص209.

5- رواه البخاري، رقم 6642، كتاب الأيمان والنذور، باب كيف كانت يمين النبي-ﷺ-، ص 1646.

الْأَسْوَدِ أَوْ كَالشَّعْرَةِ السَّوْدَاءِ فِي جِلْدِ الثَّوْرِ الْأَحْمَرِ»[1]، فنلاحظ أن الإجابة في هاتين الروايتين، في الرواية الأولى جاءت الإجابة بـ(بلى) مع أنه لا نفي يذكر لأن النبي يعلم جوابهم بتصديقهم، فمرادهم نعم نريد أن نكون ربع أهل الجنة، وقد جاء أيضا مصدرا بحر النفي (لم) وكان جوابهم: بلى نرضى أن نكون ثلث أهل الجنة، أما في الرواية الثانية كان الجواب بـ(نعم) على ما جرى عليه العرف في اللغة.

ما رُوِيَ مِنْ حَدِيثِ سَهْلِ بْنِ حَنِيفٍ-رضي الله عنه- يَوْمَ صِفِّين، فَقَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ اتَّهِمُوا أَنْفُسَكُمْ لَقَدْ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ-ﷺ- يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ وَلَوْ نَرَى قِتَالاً لَقَاتَلْنَا وَذَلِكَ فِي الصُّلْحِ الَّذِي كَانَ بَيْنَ رَسُولِ اللهِ-ﷺ- وَبَيْنَ الْمُشْرِكِينَ، فَجَاءَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فَأَتَى رَسُولَ اللهِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ **أَلَسْنَا عَلَى حَقٍ وَهُمْ عَلَى بَاطِلٍ؟** قَالَ: **"بَلَى"** قَالَ: **أَلَيْسَ قَتْلَانَا فِي الْجَنَّةِ وَقَتْلَاهُمْ فِي النَّارِ؟** قَالَ: **"بَلَى"** قَالَ: فَفِيمَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ فِي دِينِنَا وَنَرْجِعُ وَلَمَّا يَحْكُمِ اللهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ؟ فَقَالَ: "يَا ابْنَ الخَطَّابِ إِنِّي رَسُولُ اللهِ وَلَنْ يُضيّعني اللهُ أبدًا" قَالَ: فَانْطَلَقَ عُمَرُ فَلَمْ يَصْبِرْ مُتَغَيِّظًا، فَأَتَى أَبَا بَكْرٍ فَقَالَ: يَا أَبَا بَكْرٍ أَلَسْنَا عَلَى حَقٍّ وَهُمْ عَلَى بَاطِلٍ؟ قَالَ: بَلَى قَالَ: أَلَيْسَ قَتْلَانَا فِي الْجَنَّةِ وَقَتْلَاهُمْ فِي النَّارِ؟ قَالَ: بَلَى قَالَ: فَعَلَامَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ فِي دِينِنَا، وَنَرْجِعُ وَلَمَّا يَحْكُمُ اللهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ؟ فَقَالَ: يَا ابْنَ الخَطَّابِ إِنَّهُ رَسُولُ اللهِ وَلَنْ يُضَيِّعَهُ اللهُ أَبَدًا قَالَ: فَنَزَلَ الْقُرْآنُ عَلَى رَسُولِ اللهِ-ﷺ- بِالْفَتْحِ فَأَرْسَلَ إِلَى عُمَرَ فَأَقْرَأَهُ إِيَّاهُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ **أَوَ فَتْحٌ هُوَ؟** قَالَ: **"نَعَمْ"**؛ فَطَابَتْ نَفْسُهُ وَرَجَعَ»[2]، وقد آثرنا ذكرنا الحديث بتمامه، لكونه يعتمد على طريقة الحوار وفيها أخذ ورد بين أكثر من طرفين، وقد جاء الاستفهام في الجزء الأول منه منفيا وذلك في قول عمر-رضي الله عنه- (**أَلَسْنَا عَلَى حَقٍ وَهُمْ عَلَى بَاطِلٍ؟**) وما يحمله من الإنكار على عدم قتال المشركين مع تقديم الحجج في كل مرة، وكون النبي-ﷺ- يعلم ذلك يقينا، فقد استعمل (بلى) في جوابه في كل مرة للتصديق، كون الاستفهام جاء منفيا بـ(ليس)، فصار مثبتا أي: بلى نحن على حق، بحيث لو قال: نعم لكان نفيا وخرج ذلك إلى غير المقصود، فامتنع أن يكون الجواب بـ(نعم)، ونلاحظ في الشطر الأخير من الحديث كان الجواب فيه (نعم) كون الاستفهام مثبتا (**أَوَ فَتْحٌ هُوَ؟**)، وجملة الاستفهام عبارة عن مبتدأ وخبر غير منفية ولا منسوخة، فجاء الجواب تصديقا له، وجملة الجواب محذوفة تقديرها: نعم هو فتح.

1- رواه البخاري، رقم 6528، كتاب الرقاق، باب الحشر، ص 1622.

2- رواه مسلم، رقم 1785، كتاب الجهاد والسير، باب صلح الحديبية في الحديبية، ص 435.

يتبين لنا من هذا الحديث أن كل من الحرفين قد حسن المجيء بهما في المكان المفترض به أن يكونا، فجات (بلى) في موضعها جوابا عن النفي، كما جاءت (نعم) جوابا بعد الإثبات للتصديق، والجواب بكليهما فيه سعة في كلام العرب إذا استند إذا إلى العرف.

ب- الجواب بـ(بل): تأتي بل لتؤدي معنى الجواب، وحقيقة استعمالها للإضراب عما سبقها، وتخرج لإبطاله[1]، كقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ﴾[سورة الأنبياء: الآية 26] ، وتأتي أيضا للعطف[2] نحو قوله تعالى: ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى، بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾[سورة الأعلى: الآية 15-16]؛ وقد جاءت جوابا بعد استفهام منفي وذلك فيما روي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ-رضي الله عنه- أَنّ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- خَرَجَ إِلَى الْمَقْبُرَةِ فَقَالَ: « السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ، وَدِدْتُ أَنِّي قَدْ رَأَيْتُ إِخْوَانَنَا؟ قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ، **أَلَسْنَا إِخْوَانَكَ؟** قَالَ: **بَلْ أَنْتُمْ أَصْحَابِي**، وَإِخْوَانِي الَّذِينَ لَمْ يَأْتُوا بَعْدُ وَأَنَا فَرَطُهُمْ عَلَى الْحَوْضِ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ تَعْرِفُ مَنْ يَأْتِي بَعْدَكَ مِنْ أُمَّتِكَ؟ قَالَ: أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ لِرَجُلٍ خَيْلٌ غُرٌّ مُحَجَّلَةٌ فِي خَيْلٍ بُهْمٍ دُهْمٍ، أَلَا يَعْرِفُ خَيْلَهُ ؟ قَالُوا: بَلَى، قَالَ: فَإِنَّهُمْ يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنَ الْوُضُوءِ وَأَنَا فَرَطُهُمْ عَلَى الْحَوْضِ»[3]، فقد جاء استفهام الصحابة –رضوان الله عنهم- منفيا: (أَلَسْنَا إِخْوَانَكَ؟)، وهذا استفهام يحمل معنى الإنكار، لأنهم استغربوا من كونهم أقرب الناس منزلة إليه إلا إنه ينفي هذا المفهوم بقوله: (بَلْ أَنْتُمْ أَصْحَابِي)، فاستعمل (بل) التي تفيد الإضراب عما سبق، وهنا جاءت أيضا لمعنى الإبطال فقد أبطل معنى الأخوة الذي ذهب إليه الصحابة ليحل محله معنى الصحبة وهي من أسمى المعاني التي تربطهم بالنبي-ﷺ-.

ج- الجواب بـ(لا): وقد جاء الجواب بالنفي في حديث النبي-ﷺ- بعد الاستفهام بالهمزة، ومن المعلوم أن لا من الحروف النافية التي تأتي للجواب وهي مقابلة لنعم، ومن ذلك ما ورد من حديث عمر -رضي الله عنه- قال: « ... فَدَخَلْتُ عَلَى حَفْصَةَ فَإِذَا هِيَ تَبْكِي، فَقُلْتُ: طَلَّقَكُنَّ رَسُولُ اللهِ؟ قَالَتْ: لَا أَدْرِي، ثُمَّ دَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ-ﷺ

1- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق: عبد اللطيف محمد الخطيب، مصدر سابق، ج2، ص184.

2- ينظر: رصف المباني، مصدر سابق، ص152.

3- رواه النسائي، رقم150، كتاب الطهارة، باب حلية الوضوء، ص 32. فَرَطُكُمْ: والْفَارِطُ والْفَرَطُ، بالتحريك المتَقَدِمُ إلى الماء، يَتَقَدَّمُ الوَارِدَةَ فَيُهَيِّئُ لَهُمْ الأَرْسَانَ والدِلاَءَ، ويَمْلأُ الحِيَاضَ ويَسْتقي لَهُمْ ، غُرٌّ: والْغُرَّةُ بالضَمِّ: بَيَضٌ في الْجَبْهةِ؛ مُحَجَّلِينَ: والحِجْلُ: الْبَيَاضُ نَفْسُهُ والْجَمْعُ أَحْجَالٌ؛ بُهْمٌ: الْبُهْمُ بالضَمِّ جمعُ الْبَهِيمِ وهُوَ الْمَجْهُولُ الذِي لا يُعْرَفُ؛ دُهْمٌ: والدُّهْمَةُ: السَّوَادُ، والأَدْهَمُ الأَسْودُ، يكونُ في الْخَيْلِ والإِبِلِ وغَيْرِهَا. ينظر: لسان العرب، مرجع سابق،. مادة (فرط)، مج5، ص 3390، مادة (غرر)، مج5، ص3234، مادة (حجل)، مج2، ص 788، مادة (بهم)، مج1، ص377، مادة (دهم)، مج2، ص 1443.

– فَقُلْتُ وَأَنَا قَائِمٌ: **أَطَلَّقْتَ نِسَاءَكَ؟** قَالَ:**"لاَ"**، فَقُلْتُ: اللهُ أَكْبَرُ»[1]، فقد جاء الجواب بالنفي بعد استفهام مثبت، و(لا) في هذا الموضع جوابية غير عاملة[2] فيما يأتي بعدها وهي نائبة مناب الجملة، وعليه فتقدير الجواب هو: لا لم أطلقهن، فيكون الجواب هو الجملة المقدرة بعد (لا) الجوابية.

وكثيرة هي الأحاديث التي جاء فيها الجواب بالسلب بعد استفهام ظاهر أو مقدر في كلامه–ﷺ– ما رُوِيَ عَنْ سَعْد بن أبي وقَّاص قَالَ: «مَرِضْتُ مَرَضاً أَشْفَيْتُ مِنْهُ[3] فَأَتَانِي رَسُولُ اللهِ–ﷺ– يَعُودُنِي فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ لِي مَالاً كَثِيراً وَلَيْسَ يَرِثُنِي إِلَّا ابْنَتِي **أَفَأَتَصَدَّقُ بِثُلُثَيْ مَالِي؟** قَالَ: **لَا**، قُلْتُ: **فَالشَّطْرُ؟** قَالَ: **لَا**، قُلْتُ: **فَالثُّلُثُ؟** قَالَ: **الثُّلُثَ وَالثُّلُثُ كَثِيرٌ؛ إِنَّكَ أَنْ تَدَعَ وَرَثَتَكَ أَغْنِيَاءَ خَيْرٌ لَهُمْ مِنْ أَنْ تَتْرُكَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ**»[4]، فقد اكتفى النبي–ﷺ– بالجواب بـ(لا) على وجه الامتناع ورفض المسألة، ومما تجدر الإشارة إليه أن جملة الجواب لا حاجة من إيرادها في مثل هذا الموضع إذ لا يترتب عن ذلك غرض معين، وحرف الاستفهام محذوف عند سؤاله للمرة الثانية والثالثة، ودل عليه الاستفهام في صدر الحديث، فاكتفى السائل بإيراد النصيب المتصدق به فقط دون تكرار حرف الاستفهام، وتقديره: فأعطي النصف أو فأَجْعَلُ النِّصْفَ صَدَقَةً، لذا فيكون لفظ (الشَّطْرَ): مفعول به منصوب لفعل محذوف تقديره أعطي أو اجعل، ومثله في لفظة (الثُّلُثَ)، أما جواب النبي–ﷺ– في قوله: (**الثُّلُثَ وَالثُّلُثُ كَثِيرٌ**)، وتقديره أعط الثلثَ أو يكفيك الثلثُ[5].

ثالثا: حذف حرف الجواب: ومن المسائل المتعلقة بالجواب والتصديق، حذف حروف الجواب من الكلام بالكلية، وهذا مما درج عليه العرب، فيكتفي المجيب بإيراد جملة الجواب وحدها، فحينها تكون هذه الجملة بمثابة القرينة التي تطلعنا ما إذا كان الجواب مثبتا أو منفيا، أو سلبا أو إيجابا للسائل، ومما ورد من الأحاديث محذوفة فيها حروف الجواب ما روي عن أبي هريرة –رضي الله عنه– أن رسول الله –ﷺ– قال: «**أَتَدْرُونَ مَنِ الْمُفْلِسُ؟** قَالُوا:

1– رواه البخاري، رقم 89، كتاب العلم، باب التناوب في العلم، ص35.

2– الجنى الداني، مصدر سابق، ص 296.

3– أشفيْت: من الفعل شَفَى: يَدُلُّ عَلَى الإِشْرَافِ عَلَى الشَّيْءِ، وَيُقَالُ: أَشْفَى الْمَرِيضُ عَلَى الْمَوْتِ وَمَا بَقِيَ مِنْهُ إِلَّا شَفَىً أَيْ قَلِيلٌ، وعليه يكون معنى شفى: قارب وأوشك وأشرف، ينظر: مقاييس اللغة، مصدر سابق، مادة (شفى)، ج3، ص199.

4– رواه النسائي، رقم 3626، كتاب الوصايا، باب الوصية بالثلث، ص564. وروي الحديث بروايات مختلفة متقاربة في اللفظ ومتوافقة في المعنى.

5– سنن النسائي بشرح السيوطي وحاشية السندي، مصدر سابق، ج6، ص241–242.

الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ وَلَا مَتَاعَ، فَقَالَ: إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي مَنْ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَّامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي وَقَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هذَا، فَيُعْطِى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فُنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يَقْضِيَ مَا عَلَيْهِ، أَخَذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ»[1]، كان السؤال موجها إلى الصّحابة للاستخبار عن حقيقة المفلس، ما جعل جوابهم خاليا من أيّ حرف من حروف التصديق، ولكن مع هذا يمكنا أن نستشف من معرض ردّهم أنهم يعرفون حقيقة المفلس وهي حقيقة عرفية، وهو ذلك الذي لا يملك شيئا يستغني به، وكأنهم قالوا: نعم نعرف المفلس وهو كذا وكذا، وهنا السؤال للتصديق، ليصحح لهم مفهوم المفلس وهو الذي لا يكون معه ما يستغني به من عذاب الله يوم القيام، وذلك من خلال رد المظالم التي تكون بالحسنات والسيئات ما جعله-ﷺ- يعدل بهم من الحقيقة العرفية إلى حقيقة شرعية، وقد يكون رد السائل خاليا من أي حروف الجواب والتصديق فالحال المقامية هي التي تتحكم في شكل الخطاب ونوعيته،أضف على ما يتعلق بذهنية المتلقي الذي يجيب على البداهة إذا كان الاستفهام تصوريا، فالمتلقي خالي الذهن فأحيانا يورد جملة الاستفهام دون الحاجة للجوء لهذه الحروف، وربما يكفتي على الجواب كأن يستعمل الإشارة أو الإيماءة وهذا معتبرٌ إلا أن الدرس النحوي إنما يعنى بالملفوظ، أما الدرس البلاغي يدخل هذا الاعتبار.

نخلص في نهاية هذا المبحث إلى أن الهمزة أعم تصرفا مع الحروف، تأتي قبل حروف تتصدر الأسماء والأفعال كحروف العطف، لكن الهمزة غلبت عليها لتمكنها وقوتها فسبقتها وهيمنت على مكانتها في التصدر، كما تجيء قبل حروف الجر، ثم إنها قد تحذف من التركيب جملة فيدل على حذفها قرينة الكلام أو قرينة السياق، الهمزة تحذف وغيرها من الأدوات الأخرى لا يحذف؛ وتتغير طبيعة الجواب بتغير طريقة الاستفهام لذا فإن الهمزة تسبق حروف النفي مما يترتب عنه الاستفهام المنفي، ما يفرض طريقة معينة للإيجاب عنه، ما يستوجب اختلاف استعمال حروف الجواب في كل مرة، حيث لا يصلح كلها في موضع الإيجاب، فيتعين للاستفهام المنفي حروفا وللاستفهام المثبت حروفا، وقد يغلب العرف في استعمالها أحيانا فتضمن معنى بعضها ولا حرج في ذلك كاستعمال (نعم) في موضع (بلى) أو العكس، وقد تأتي الهمزة عوض واو القسم وتبقى مضمنة معنى الاستفهام؛ فالهمزة أكثر الأدوات تطفلا على عناصر التركيب لعموم تصرفها وقوتها مما يولد دلالات نحوية تجعل منه حرف الاستفهام الأصل وبقية الحروف فرع عنه.

1- سبق تخريجه، ص 69.

الفصل الثالث:

الخصائص البلاغية للاستفهام بالهمزة في الحديث النبوي الشريف

المبحث الأول: الخصائص الأسلوبية للاستفهام بالهمزة في الحديث النبوي الشريف

المبحث الثاني: الخصائص البلاغية للاستفهام بالهمزة في الحديث النبوي الشريف

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الثالث: الخصائص البلاغية للاستفهام بالهمزة في الحديث النبوي الشريف

المبحث الأول: الخصائص الأسلوبية للاستفهام بالهمزة في الحديث الشريف

يعد أسلوب الاستفهام من أهم الأساليب الإنشائية الطلبية حيث يمتاز بالوظيفية والمرونة، لأنه أداة تواصلية لا تخلو منه محادثاتنا اليومية، أضف إلى ذلك ما يكتنفه من غايات ومقاصد يرمي إليها المتكلم من إلقاءه، فكان له من المزية ما يجعله محاطا بالعناية والمدارسة، كونه فعل كلامي يعتمد على بنية تركيبية مختلفة وطريقة أدائية معينة يجعله مباينا بالنسبة إلى الأساليب الأخرى، وإلى جانب هذه الخاصية اعتماده على أدوات تخصه وتعنيه دون غيره من الأساليب، ولعل أبرز هذه الأدوات "الهمزة" التي تحمل دلالات ومعاني قد لا تنصرف إليها بقية أدوات الاستفهام، لأنها تحذف وغيرها لا يحذف وتستعمل للتصديق و التصور، ثم إنها قد تخرج عن المقصد الذي وضعت له فتتضمن معنى النداء والأمر والتحضيض وقد تأتي عوضا عن واو القسم، فكل هذا لا يتأت لغير الهمزة، فحروف المعاني حتى وإن كان لها مزية التعدد الوظيفي أو قد يضمن بعضها معنى بعض إلا أنها تبقى لها المحدودية في الاستعمال، أما الهمزة فغير هذه الحروف، لذا سنعمد في هذا المبحث إلى دراسة الخصائص الأسلوبية للاستفهام بالهمز مستندين في ذلك بعينة من الأحاديث الشريفة للتطبيق عليها، ومقاربتها مقاربة أسلوبية حتى يتسنى لنا الكشف عن خصائص الهمزة.

أولا: التعدد الوظيفي للهمزة في الحديث الشريف:

إن حروف المعاني من أكثر العوامل التي تؤثر على بنية التراكيب، سواء من الناحية الترتيب أو أداء الوظيفة النحوية ، مما يفرض على الخطاب أن يتلون بدلالات مختلفة، و يجعله متأثرا تبعا للغرض الذي يساق من أجله؛ و همزة الاستفهام من هذه الحروف التي تحمل أكثر من دلالة فتأتي للنداء والقسم وتختص بالجمل الاسمية والفعلية معا، وإذا دخلت على الجملة الفعلية فتختص بأفعال معينة مما يولد أصنافا متنوعة من الدلالات، حيث إن المعهود من الهمزة أن تكون غالبة من جهة الاستفهام لأنها أصل أدواته، وتأتي للنداء وتختص بالمنادى القريب فحسب، لأنها ليست أصلا، أما أوسع أدوات النداء استعمالا فهي (يا)، وبها جاء النداء في القرآن الكريم، فتختص لكل منادى قريبا كان أم بعيدا، ومن هذا المنطلق وجب علينا النظر ما إذا

اشتملت الهمزة على هذه الوظائف التي عددناها في الحديث الشريف أم لا، وسنستعين بالسياق وقرائن الأحوال في محاولة كشف هذا الجانب وسنستعين بطائفة من النماذج التي تفيد هذه الوظائف.

1- القسم: تأتي الهمزة عوضا عن واو القسم وقد وهذا ما يستفاد من الموروث التراثي العربي، فالقسم وضعت له مؤشرات يعرف بها دون غيره من الأساليب، لكنه يتقاطع مع أسلوب الاستفهام في إحدى أدواته وهي الهمزة، فتؤدي دلالة القسم وهذا ما يستفاد من قرينة السياق التي تتضمنه مع قرينة اللفظ، ومما حفظه لنا الحديث الشريف، ما روي عن معاوية -رضي الله عنه-أنه «خرجَ على حَلَقةٍ في الْمَسْجِدِ قَالَ: مَا أَجْلَسَكُمْ؟ قَالُوا: جَلَسْنَا نذْكُرُ اللهَ؛ قال: آللهِ ما أجْلَسَكُمْ إلَّا ذاك؟ قالوا: واللهِ ما أَجْلَسَنَا إلَّا ذاك، قال: أما إنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ تُهْمَةً لَكُمْ وما كان أَحَدٌ بِمَنْزِلَتِي مِنْ رسولِ اللهِ، أَقَلَّ منْهُ حديثًا منِّي وإنَّ رسولَ اللهِ-ﷺ- خرجَ على حلقةٍ مِنْ أصْحابِهِ فقال: ما أَجْلَسَكُمْ؟ قالوا: جلسْنَا نذْكُرُ اللهَ عَلَى مَا هَدَانَا لِلإِسْلامِ ومَنَّ بِهِ عَلَيْنَا، قَالَ: **"آللهِ مَا أَجْلَسَكُمْ إلَّا ذَاكَ؟"** قَالُوا: وَاللهِ مَا أَجْلَسَنَا إلَّا ذاكَ، قَالَ: أَمَا إنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ تُهْمَةً لَكُمْ ولَكِنَّهُ أَتَانِي جِبْرِيلُ فَأَخْبَرَنِي أنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يُبَاهِي بِكُمُ المَلَائِكَةَ»[1]، إن الذي يقف على قوله: (آلله مَا أَجْلَسَكُمْ إلَّا ذَاكَ؟)، فإنه قد يلتبس هذا الأسلوب على الناظر، فربما حمله على الاستفهام، وربما حمله على القسم، لأن المؤشر الدال على ذلك هو (الهمزة)، فتحتمل الاستفهام والقسم معا أي: «أتقسمون بالله فحذف الجار ثم الفعل وقولهم الله إلخ تقديره نعم نقسم بالله فوقعت الهمزة مشاكلة وتقريرا»[2]، ثم إن العلماء اختلفوا في هذا الحديث فجعلوا الهمزة استفهامية في الموضعين، واختلفوا أيضا في حذف حرف الجر وإقامة همزة الاستفهام عوضا[3] عنه وهذا ما تعين جر بعدها وهو لفظ الجلالة، وهذا ما نلمسه في الحديث، فمن باب أنها تحتمل القسم في هذا الموضع ما يأتي بعدها من جملة القسم من كلام يدل دلالة واضحة عليه، واعتمادا على القرائن اللفظية الواردة وهي: تأكيد القسم في جوابهم: (وَاللهِ مَا أَجْلَسَنَا إلَّا ذاكَ)، أما القرينة الأخرى فهي قوله-ﷺ-: (أَمَا إنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ تُهْمَةً لَكُمْ)، فقد ورد اللفظ الذي يدل على القسم صراحة (أستحلفكم)، فدل ذلك على أنَّهُ قسم والهمزة جيء بها لأجل ذلك وهذا ما جاء عند شراح الحديث فالمعنى: أستحلفكم بالله ما أجلسكم إلا ذكر

1- سبق تخريجه ص 81.

2- الفتوحات الربانية على الأذكار النووية، علي بن محمد علّان البكري الصدّيقي، تحقيق عبد المنعم خليل إبراهيم، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1424هـ- 2004م، ج1، ص 62.

3- ينظر: المصدر نفسه، ج 1، ص 61.

الله؟[1] ولكن الشارح أثبت علامة الاستفهام في نهاية الجملة؛ فيمكن حمله على الاستفهام وهذا مما يحتمله السياق أيضا، فقوله: (آللهِ مَا أَجْلَسَكُمْ إِلَّا ذَاكَ؟)، فتكون الهمزة للاستفهام، وقد سبق الحديث عنها في الفصل السابق، ومعنى الاستفهام الذي خرجت إليه: أما أجلسكم غير ذكر الله؟ أو هل جلستم إلا لذكر الله؟ وهذا ما حملهم على الجواب المصدر بالقسم (والله)، والقسم من الأساليب التي يلجأ إليها المتكلم في تأكيد كلامه، حتى يثبت عند السامع، حيث لا يبق مجال للشك والريبة، فنلاحظ أن الهمزة قد جمعت أسلوبين معا في لفظ واحد مما يفتح باب التأويل، ولكن القرائن هي الفيصل والحكم في مثل هذه المواضع، حتى لا يخرج المعنى لغير المقصود مما قد ينتج عنه دلالات بعيدة فيفسد المعنى ويُحَرَّف المراد.

2- النداء: ومما جاء فيه الهمزة للاستفهام مع تضمنها معنى النداء عَنْ سَمُرَةَ-رضي الله عنه- قَالَ: « كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ- ﷺ- فِي جِنَازَةٍ فَقَالَ: **أَهَاهُنَا مِنْ بَنِي فُلَانٍ أَحَدٌ؟** -ثَلَاثًا- فَقَامَ رَجُلٌ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ -ﷺ-: مَا مَنَعَكَ فِي الْمَرَّتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ أَنْ لَا تَكُونَ أَجَبْتَنِي؟ أَمَا إِنِّي لَمْ أُنَوِّهْ بِكَ إِلَّا بِخَيْرٍ، إِنَّ فُلَاناً -لِرَجُلٍ مِنْهُمْ- مَاتَ مَأْسُوراً بِدَيْنِهِ»[2]، فالهمزة للاستفهام لكنها خرجت لتؤدي دلالة النداء وهذا مع (هاء) التنبيه واسم الإشارة (هنا) التي تأتي لتدل على المكان[3]، ولا يخف أن هاء التنبيه تأتي مصاحبة للنداء نحو قولنا: يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ، يقول ابن هشام: «وهي في هذا واجبة للتنبيه على أنه المقصود بالنداء»[4]، فجملة (أَهَاهُنَا مِنْ بَنِي فُلَانٍ أَحَدٌ؟) في كلام النبي -ﷺ- استفهامية ذلك أنها مصدرة بالهمزة، لكن هذا الاستفهام قد التبس بالنداء فكانت له دلالة النداء مع ما أفادته هاء التنبيه واسم الإشارة، وفي الحديث إشارة أخرى تدل على النداء وهي: (أَمَا إِنِّي لَمْ أُنَوِّهْ بِكَ إِلَّا بِخَيْرٍ)، والتنويه في اللغة هو رفع الصوت لدعوة شخص[5]، لذا كانت دلالة النداء مما يطلبه الاستفهام في هذا الموضع، فجاء الاستفهام مضمنا في قالب النداء ومسلطا عليه، وهنا يتدخل السياق بمعونة القرائن حتى يغلب أحدهما على الآخر، والله أعلم.

1- ينظر: فتح المنعم، مصدر سابق، ج10، ص203.

2- رواه النسائي، رقم 4685، كتاب البيوع، باب التغليظ في الدين، ص715.

3- ينظر: مغني اللبيب، تحقيق عبد اللطيف محمد الخطيب، مصدر سابق، ج 6، ص 268. و(هنا) من الظروف التي تختص المكان في الأصل وقد تستعار للدلالة على الزمان، حينما تضاف إلى جملة فعلية. وينظر: الإيضاح في شرح المفصل، أبو عمرو عثمان بن عمر المعروف بابن الحاجب، ج1، ص420.

4- مغني اللبيب، المصدر نفسه، ج4، ص319.

5- ينظر: لسان العرب، مرجع سابق، مادة (نوه)، مج6، ص 4588.

يرد أسلوب الاستفهام في الحديث الشريف فتخرج الهمزة لتؤدي دلالة القسم أو النداء، وهذه الأخيرة من الوظائف الفرعية للهمزة في غير الاستفهام، فلم توضع الهمزة علما على القسم أو النداء، في حين نجدها علما على الاستفهام، لذا فإن أسلوب الاستفهام بالهمزة قد يتضمن بين طياته دلالة القسم أو النداء وهذا بقلة في الحديث الشريف، فلا يمكن صرفها عن الغرض الأساسي الذي وضعت له إلا بمعونة السياق والقرائن التي تصرف الهمزة عن الاستفهام فتلتبس بالقسم أو النداء.

3- اختصاصها بأفعال معينة في الحديث الشريف: وما شد انتباهنا أثناء عملية البحث كثرة مجيء الهمزة مع أفعال معينة تدل على معنى معين يتعمد النبي-ﷺ- استعمالها في الاستفهام به لما لها من فائدة إبلاغية، ومن المقرر عند النحاة أن الأصل في الهمزة لا يليها إلا الفعل، لكن قد وجدنها فيما سبق تأتي مع الاسم والفعل والحرف، وإن كان اختصاصها بالفعل أكثر فقد نجدها في الحديث الشريف تختار أفعالا معينة دون غيرها، فتأتي مع أفعال تنضوي تحت حقل (الإعلام) أو ما يفيد معناه، وهذا ما تكشفه لنا هذه النماذج التي بين أيدينا:

- الفعل (رأى): عَنْ أَبِي قَتَادَةَ-رضي الله عنه- عَنْ أَبِيهِ قَالَ: «جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ **أَرَأَيْتَ إِنْ قُتِلْتُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ صَابِرًا مُحْتَسِبًا مُقْبِلًا غَيْرَ مُدْبِرٍ أَيُكَفِّرُ اللَّهُ عَنِّي خَطَايَايَ؟** قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- نَعَمْ فَلَمَّا وَلَّى الرَّجُلُ نَادَاهُ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-أَوْ أَمَرَ بِهِ فَنُودِيَ لَهُ فَقَالَ: رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-كَيْفَ قُلْتَ؟ فَأَعَادَ عَلَيْهِ قَوْلَهُ فَقَالَ رَسُولُ -ﷺ-: نَعَمْ إِلَّا الدَّيْنَ كَذَلِكَ قَالَ لِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَام»[1]، ومنه حديث جَابِرٍ-رضي الله عنه- أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ-ﷺ- يَقُولُ عَامَ الْفَتْحِ وَهُوَ بِمَكَّةَ: « إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ بَيْعَ الْخَمْرِ وَالْمَيْتَةَ وَالْخِنْزِيرَ وَالْأَصْنَامَ فَقِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ: **أَرَأَيْتَ شُحُومَ الْمَيْتَةِ فَإِنَّهُ يُطْلَى بِهَا السُّفُنُ وَيُدْهَنُ بِهَا الْجُلُودُ وَيَسْتَصْبِحُ بِهَا النَّاسُ؟** فَقَالَ: لَا هُوَ حَرَامٌ ثُمَّ قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- عِنْدَ ذَلِكَ: قَاتَلَ اللَّهُ الْيَهُودَ إِنَّ اللَّهَ لَمَّا حَرَّمَ عَلَيْهِمْ شُحُومَهَا أَجْمَلُوهُ ثُمَّ بَاعُوهُ فَأَكَلُوا ثَمَنَهُ»[2]، فنلاحظ في هذه الحديث أن الهمزة قد وليت الفعل (رأى)، «فالراء

1- رواه النسائي، رقم 3156، كتاب الجهاد، باب من قاتل في سبيل الله تعالى وعليه دين، ص 488. وفي رواية مسلم (ألا أدلكم) رواه مسلم، رقم 251، كتاب الطهارة، باب فضل إسباغ الوضوء على المكاره، ص70. يَسْتَصْبِحُ: من المِصْبَحُ وهَوَ الْمِسْرَجَةُ، واسْتَصْبَحَ بِهِ: اسْتَسْرَجَ، ويَسْتَصْبِحُ بِهَا النَّاسُ أيْ يُشْعِلُونَ بِهَا سُرُجَهُمْ. ينظر: لسان العرب: مرجع سابق، مادة (صبح)، مج4، ص 2390.

2- رواه أبو داود، رقم 3486، كتاب الإجارة، باب في ثمن الخمر والميتة، ج3، ص 281.

والهمزة والياء أصل يدل على نَظَرٍ وَإِبْصَارٍ بعين أو بصيرةٍ »[1]، ففعل الرؤية من الأفعال التي تستعمل للدلالة على الرؤية المحسوسة العينية، وتستعمل للرؤية غير المحسوسة، كالتي وردت في هذه الأحاديث: (أَرَأَيْتَ إِنْ قُتِلْتُ) و قولهم(أَرَأَيْتَ شُحُومَ الْمَيْتَةِ)، فإن دلالة الفعل قد سلبت المعنى المحسوس، وألبست معنى جديدا وهو أخذ الرأي والمشورة حيال هذه المذكورات من الاستشهاد في سبيل الله، وحول رأي الشارع في شحوم الميتة إذ كان تصلح دِهانا وطلاء، و لعل الهمزة لها تأثير على نقل دلالة الفعل من المعنى المادي المحسوس إلى دلالته على ما هو غير محسوس كإبداء الرأي الذي يستند إلى العقل حيال قضية معينة.

– الفعل (أخبر): عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ–رضي الله عنه– قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ –ﷺ–: «**أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلَ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ وَالصَّلَاةِ وَالصَّدَقَةِ** ؟ قَالُوا بَلَى قَالَ صَلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ فَإِنَّ فَسَادَ ذَاتِ الْبَيْنِ هِيَ الْحَالِقَةُ» [2]، ومنه عنْ أَبِي هُرَيْرَةَ–رضي الله عنه– أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ –ﷺ– قَالَ: «**أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَا يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ** ؟ إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ فَذَلِكُمْ الرِّبَاطُ فَذَلِكُمْ الرِّبَاطُ فَذَلِكُمْ الرِّبَاطُ»[3]، وقد تباشر همزة الاستفهام الفعل (أخبر) في أحاديثه–ﷺ– الذي يدل على الإنباء[4] والإعلام وهمزة القطع في (أخبر) زائدة، ولم يخرج الفعل عن مجرد الإخبار والإعلام، ثم إننا نجد أن النبي –ﷺ– يستعمل هذه البنية المتكونة من (الهمزة + الفعل+ الغرض المراد تبليغه)، في إفادة السامع، وقد تكرر ذلك كثيرا معه، ذلك لأن دلالة الهمزة ومع الفعل (أخبر) لها وقع في السمع وقوة تأثيرية من جهة ثبات ما يراد إبلاغه.

– الفعل (أنبأ): ما روي عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ–رضي الله عنه– قَالَ: «إِنَّ مُحَمَّدًا –ﷺ–قَالَ: **أَلَا أُنَبِّئُكُمْ مَا الْعَضْهُ؟** هِيَ النَّمِيمَةُ الْقَالَةُ بَيْنَ النَّاسِ وَإِنَّ مُحَمَّدًا –ﷺ– قَالَ: إِنَّ الرَّجُلَ يَصْدُقُ حَتَّى يُكْتَبَ صِدِّيقًا وَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ كَذَّابًا»[5] ومنه قوله –ﷺ–: « **أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ**؟ قَالَ: قَوْلُ الزُّورِ أَوْ قَالَ: شَهَادَةُ

1– مقاييس اللغة، مرجع سابق، مادة (رأى)، ج2، ص 472.

2– رواه الترمذي، رقم 2509، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله، باب منه، ص 408.

3– رواه النسائي، رقم143، كتاب الطهارة، باب الفضل في ذلك، ص 31.

4– لسان العرب، مرجع سابق، مادة (خبر)، مج2، ص 1090.

5– رواه مسلم ، رقم 2606، كتاب البر والصلة، باب تحريم النميمة، ص 613. الْعَضْهُ: الْعَضَهُ والْعِضَهُ وَالْعَضِيهَةُ، الْبَهِيتَةُ، وهِيَ الْإِفْكُ والْبُهْتَانُ والنَّمِيمةُ، وتُجْمَعُ عَلَى عِضَاهٌ وَعِضَاتٌ وَعِضُونَ، وقَالَ الأَصْمَعِي: الْعَضْهُ الْقَالةُ الْقَبِيحَةُ. ينظر: لسان العرب، مرجع سابق، مادة (عضه)، مج4، ص 2991.

الزُّورِ»[1]، فدلالة الفعل (أنبأ) في اللغة تأتي من الأصل نبأ الذي يفيد الإخبار «النَّبَأُ الْخَبَرُ والجَمْعُ أَنْبَاءٌ، وقَدْ أَنْبَأَهُ إِيَّاهُ»[2]، أي أخبر وأعلمه، ثم إنَّ دلالة النَّبَإِ لا تأتي إلا للتعبير على ما عَظُمَ شأنه كقوله تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ، عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ﴾[سورة النبإ: الآية 1-2] ، «فبعد أن ذكر ما يفيد استعظام التساؤل عنه تعرض لدليل ما هو منشأ لذلك التساؤل وفيه بعده وقوله تعالى: (عن النبأ العظيم) بيان لشأن المسئول عنه آثر تفخيمه بإبهام أمره وتوجيه أذهان السامعين نحوه»[3]، وكذلك دلالة الإنباء في أحاديثه فلم تكن إلا عن أمر عظيم شأنه كالنميمة وهي نقل الكلام بين الناس والتحريش بينهم وما يترتب عنها من مفاسد عظيمة تؤدي إلى التفرقة والعداء، وأما الحديث الثاني فكان للإنباء على أمر لا يقل أهمية عن الأول وهو شهادة الزور، بل وعده النبي-ﷺ- أكبر الكبائر، لما له من مفاسد عظيمة على المجتمع، فجاءت البنية التركيبية متضمنة للعناصر الآتية: (الهمزة + الفعل أنبأ + ما أراد تبليغه للسامع)، و استعمال الفعل أنبأ بدل أخبر، وإن كان ينوب عنه في تحقيق دلالة الإعلام والإبلاغ، إلا أن بينهما فرق جاء في الفروق اللغوية: «الفرق بين النبأ والخبر: أن النبأ لا يكون إلا للإخبار بما لا يعلمه المخبر، ويجوز أن يكون الخبر بما يعلمه وبما لا يعلمه، ولهذا يقال: تخبرني عن نفسي ولا يقال تنبئني عن نفسي، وكذلك تقول: تخبرني عما عندي ولا تقول: تنبئني عما عندي ... والإنباء عن الشيء أيضا قد يكون بغير حمل النبأ عنه، تقول: هذا الأمر ينبئ بكذا، ولا تقول: يخبر بكذا لأن الإخبار لا يكون إلا بحمل الخبر»[4]، لذلك نجد استعمال الفعل (أنبأ) للإبلاغ عن أمر عظيم قد خفي عن المتلقي، في حين يأتي الفعل (أخبر) للإعلام بأمر قد يكون مُهِماً لكن لا يرق إلى منزلة الإنباء عنه.

1- رواه مسلم من حديث أنس بن مالك، رقم 89، كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر وأكْبَرِها، ص32. وهذا الحديث قد خص أكبر الكبائر كما هو مبين في تخريج الحديث، إلا إن شراح الحديث قد بينوا سبب ترتيب هذه الكبائر، كون النبي-ﷺ- خص شهادة الزور بأكبر الكبائر، وهذا لا يعني أن الشرك والقتل والعقوق أقل درجة منها، بل حمل قوله (ألا أنبئكم بأكبر الكبائر) أي: ألا أنبئكم بما هو من أكبر الكبائر، فقد اهتم بشهادة الزور لأنها أسهل وقوعا على الناس، والتهاون بها أكثر، ومفاسدها أيسر وقوعا. ينظر: فتح المنعم، مصدر سابق، ج1، ص 286.

2- المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيدة الأندلسي، ج10، ص 286.

3- روح المعاني، المرجع سابق، ج30، ص3.

4- الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، تحقيق محمد إبراهيم سليم، دط، دار العلم والثقافة، القاهرة، 1998م، ص41.

– الفعل (دل): ومن الأفعال التي ترد معها همزة (دل) وقد وردت في مجموعة من الأحاديث الشريفة ننتخب منها عينات؛ ما روي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ–رضي الله عنه– قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ–ﷺ– : «لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، **أَوَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟** أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ»[1]، ومنه أيضا قوله–ﷺ– «**أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى كَلِمَةٍ هِيَ كَنْزٌ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ؟** لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ»[2]، ومن الأفعال التي ترد معها همزة الاستفهام الفعل (دَلَّ) الذي يحمل معنى هدى وأرشد إلى الشيء، «وَدلَّهُ عَلَى الشَّيْءِ يَدُلُّهُ دَلاًّ، ودِلَالَةً، فَانْدَلَّ: سَدَّدَهُ إِلَيْهِ»[3]، ومن ذلك سمي الذي يرشد الناس على الطريق بالدليلِ لأنه يعرف علاماته فيستدل بها فيعرف الطريق، «وقدْ دَلَّهُ علَى الطَّرِيقِ يَدُلُّهُ دَلَالَةً وَدِلَالَةً وَدُلُولَةً، والدَّليلُ: الدَّالُ»[4] ومنه الدليل ما وضع علامة على الشيء لتدل عليه: «الدال واللام أصلان: أَحَدهُمَا إِبَانَةُ الشَّيْءِ بِأَمَارَةٍ تَتَعَلَّمُهَا»[5]، وعليه فإن الفعل (دل) يأخذ معنى الإرشاد والإبانة على الشيء حتى يعلم على حقيقته، وهذا ما نجده مستعملا في كلام النبي–ﷺ– من استفهامه بـ(أَوَلَا أَدُلُّكُمْ)، والأصل في حروف العطف في مثل هذا الاستفهام أن تتقدم على الهمزة كما سبق وأن تحدثنا عنه في الجانب النحوي، وعليه يكون أصل الكلام: (وَأَلَا أَدُلُّكُمْ) والغرض من اجتماع الهمزة وحرف النفي لإفادة التحقيق لأن «أصل ألا همزة الاستفهام ولا التي للنفي، والاستفهام إذا دخل على النفي أفاد التحقيق فقدمت الهمزة على الواو لأن لها الصدارة»[6]، فجاء البنية التركيبية مكونة من: (الهمزة + الفعل+ والقضية المراد الإرشاد إليها)، وهذا أسلوب تعليمي يبعث في المتلقي حب التطلع إلى ما يلقى إليه فيرعاه سمعه ويستجمع له حواسه.

– استعمال الفعل (درى): ما أخرجه في شعب الإيمان قوله –ﷺ– « **أَتَدْرُونَ مَا حَقُّ الْجَارِ؟**»[7]، ومنه قوله عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ –رضي الله عنه– أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ –ﷺ– قَالَ: « **أَتَدْرُونَ مَا الْغِيبَةُ؟** قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ»[1]، ومثله

1– رواه مسلم، رقم 110، كتاب الإيمان، باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون وأن محبة المؤمنين من الإيمان أن إفشاء السلام سبب لحصولها، ص27.

2– رواه البخاري من حديث أبي موسى الأشعري، رقم 6384، كتاب الدعوات، باب الدعاء إذا علا العقبة، ص 1590.

3– المحكم والمحيط الأعظم، مرجع سابق، مادة (دلل)، ج9، ص 270.

4– لسان العرب، مرجع سابق، مادة (دلل)، مج2، ص 1414.

5– مقاييس اللغة، مرجع سابق، مادة (دل)، ج2، ص 259.

6– فتح المنعم شرح صحيح مسلم، مصدر سابق، ج1، ص 202.

7– الجامع لشعب الإيمان، أبو بكر بن الحسين البيهقي، تحقيق مختار أحمد الندوي، ط1، مكتبة الرشد، المملكة العربية السعودية، 1423هـ-2003م، أخرجه البيهقي من حيث عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، رقم 9113، باب في إكرام الجار، ج12، ص105.

قول النَّبِيُّ -ﷺ-: «يَا مُعَاذُ **أَتَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ؟** قَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، **أَتَدْرِي مَا حَقُّهُمْ عَلَيْهِ؟** قَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ: أَنْ لَا يُعَذِّبَهُمْ»[2]، ومما ويلاحظ أيضا أن تأتي الهمزة مع (درى) يخاطب به تارة إلى المفرد وتارة إلى الجمع، فالدلالة اللغوية التي ينصرف إليها الفعل درى في معاجم اللغة معنى (عَلِمَ) ومنه يقال: «دَرَيْتُ الشَّيْءَ أَدْرِيهِ عَرَفْتُهُ، وأَدْرَيْتُهُ غَيْرِي إِذَا أَعْلَمْتُهُ، وأَدْراهُ بِهِ: أَعْلَمَهُ»[3]، ومنه قوله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ﴾[سورة يونس: الآية 16] ، أي: ولأعْلَمَكُمْ بِهِ[4]، لذا جاء استعمال الاستفهام مع الفعل (درى) بصيغة المضارع الذي يفيد الحال أو زمن الماضي هذا ما أضفاه الاستفهام بالهمزة المسلط على الفعل المضارع وكأنه يقول: أكنتم تدرون حق الجار؟ أكنتم تدرون الغيبة؟ أكنت تدري حق الله؟ فكانت إجابتهم بالنفي أنه لم يحصلوا معرفة بهذه القضايا المستفهم عنها، لذا عمد إلى استعمال المضارع الذي يحمل دلالة المضي، لأنه يريد إعلام المخاطب وذلك بتثبيت ذلك المفهوم عند المتلقي إن كان يعلمه، أو تصحيحه لديه، أو تزويده بمفهوم جديد لم يكن يعرفه، لذا كان الاعتماد على هذه البنية التي ركب بها الاستفهام والمكونة من: (الهمزة+ الفعل (درى)+ القضية المراد إبلاغها)، فاختيار هذا الفعل لفائدة الإبلاغ والإعلام.

ومن خلال هذا العرض نجد استعمال همزة الاستفهام مع هذه الأفعال بهذه التركيبة المتشابهة، يشكل ظاهرة أسلوبية في الحديث الشريف، ذلك هذه الأفعال جاء لإعلام المتلقي ولفت انتباهه إلى قضايا معينة، وقد جاءت هذه الأفعال متغيرة البنيات والمصادر بحسب ما تقتضيه الحاجة إليها في الإعلام، كون القضايا التي يريد النبي-ﷺ- إبلاغها متفاوتة الأهمية بالنسبة للمتلقي، لذا جاء اختيار هذه الأفعال تماشيا مع مقتضيات السياق والدافع والحاجة، كما نجد هذه الأفعال جاءت كلها بصيغة المضارع، الذي يدل على الحال

1- رواه مسلم، رقم2589، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الغيبة، ص2001.

2- رواه البخاري من حديث معاذ، رقم 7373، كتاب التوحيد، باب ما جاء في دعاء النبي أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى، ص 1820.

3- لسان العرب، مرجع سابق، مادة (درى)، مج2، ص 1370.

4- فقراءة الجمهور (ولا أدراكم به) وقرئت بالهمزة (أدرأتكم به، وهي قراءة شاذة نسب إلى ابن عباس وابن سيرين والحسن وأبو رجاء، ويذهب أبو حيان في توجيهها قائلا: «وخرجت هذه القراءة على وجهين أحدهما: أن الأصل: أدريتكم بالياء، فقلبها همزة على لغة من قال: لبأت بالحج ورثأت زوجي بأبيات، يريد لبيت ورثيت، وجاز على البدل لأن الألف والهمزة من واد واحد، ولذلك إذا حركت الألف انقلبت همزة ... والوجه الثاني: أن الهمزة أصل وهو من الدَّرْءِ، وهو الدفع يقال: درأته دفعته». ينظر: البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ج5، ص 137.

أو الاستقبال، أما عن الخطاب فكان يوجهه تارة إلى المفرد وأخرى إلى الجماعة، نجده ثم إن هذه الأفعال تحقق فاعلية وتضفي مزيدا من الحيوية على أسلوب الاستفهام في جانب إثارة المتلقي وشد انتباهه.

4- استقلالية تركيب الاستفهام: فتركيب الاستفهام تركيب مستقل بذاته ذلك أن حروفه لها السلطة المطلقة داخل التركيب مما يجعلها لا يعمل ما بعدها فيما قبلها[1]، ذلك لأنه مطلوب لذاته، كون المستفهم لا يبادر بالسؤال إلى بدافع حاجته لذلك، فتريب الاستفهام من التراكيب الثابتة التي تقبل التأثر بما سبقها من كلام ولا ما يأتي بعدها، وقد جاء الاستفهام في نصوص الأحاديث النبوية الشريفة مسبوقا بكلام يحمل وظائف لغوية ونحوية مختلفة، ومما أتى منه مصدرا به استفهامه -ﷺ- النداء، نذكر منها:

- عن أَنَسٍ-رضي الله عنه- قال: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ خُلُقًا فَأَرْسَلَنِي يَوْمًا لِحَاجَةٍ فَقُلْتُ وَاللَّهِ لَا أَذْهَبُ وَفِي نَفْسِي أَنْ أَذْهَبَ لِمَا أَمَرَنِي بِهِ نَبِيُّ اللَّهِ -ﷺ- فَخَرَجْتُ حَتَّى أَمُرَّ عَلَى صِبْيَانٍ وَهُمْ يَلْعَبُونَ فِي السُّوقِ فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- قَدْ قَبَضَ بِقَفَايَ مِنْ وَرَائِي قَالَ فَنَظَرْتُ إِلَيْهِ وَهُوَ يَضْحَكُ فَقَالَ: **يَا أُنَيْسُ أَذَهَبْتَ حَيْثُ أَمَرْتُكَ؟** قَالَ: قُلْتُ نَعَمْ، أَنَا أَذْهَبُ يَا رَسُولَ اللَّهِ»[2]، إن تصدير الاستفهام بأسلوب النداء في قوله: (يَا أُنَيْسُ) بتصغير المنادى الذي يفيد التحبيب، لم يؤثر في الدلالة الأساسية التي من أجلها جاء الاستفهام لطلب تصديق المتكلم إن كان قام بالفعل بالمسند إليه أم لا في أسلوب لطيف، يحمل في طياته رقة وحنانا على الرغم مما يتطلبه أسلوب الأمر الذي يستفاد من السياق، فإن الظاهر من الحديث أن النبي -ﷺ- كان قد أمر أنس-رضي الله عنه- بالذهاب، ولا شك أن الأمر من الأساليب التي تفرض إلزام المأمور بالفعل على جهة الاستعلاء، لكن هذا لم يظهر من أسلوب الاستفهام فقد كان عبارته في غاية التلطف، ثم إن التأثير الذي يمكن أن يتركه النداء على الاستفهام في هذا الموضع هو تذكير المتلقي بما طلب القيام به.

- ومنه ما روي عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَاصِمٍ-رضي الله عنه- قَالَ: «لَمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ -ﷺ- يَوْمَ حُنَيْنٍ قَسَمَ فِي النَّاسِ فِي الْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ، وَلَمْ يُعْطِ الْأَنْصَارَ شَيْئًا، فَكَأَنَّهُمْ وَجَدُوا إِذْ لَمْ يُصِبْهُمْ مَا أَصَابَ النَّاسَ، فَخَطَبَهُمْ ، فَقَالَ : **يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ أَلَمْ أَجِدْكُمْ ضُلَّالًا فَهَدَاكُمُ اللَّهُ بِي؟ وَكُنْتُمْ مُتَفَرِّقِينَ فَأَلَّفَكُمُ اللَّهُ بِي؟ وَعَالَةً فَأَغْنَاكُمُ اللَّهُ بِي؟** كُلَّمَا قَالَ شَيْئًا قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمَنُّ، قَالَ: مَا يَمْنَعُكُمْ أَنْ تُجِيبُوا رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ-؟

1- الإنصاف في مسائل الخلاف، أبو البركات ابن الأنباري، ص 149.

2- رواه مسلم، رقم 2310، كتاب الفضائل، باب كان رسول الله أحسن الناس خلقا، ص 553.

قَالَ: كُلَّمَا قَالَ شَيْئًا قَالُوا : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمَنُّ، قَالَ: لَوْ شِئْتُمْ قُلْتُمْ جِئْتَنَا كَذَا وَكَذَا، **أَتَرْضَوْنَ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاةِ وَالْبَعِيرِ وَتَذْهَبُونَ بِالنَّبِيِّ** -ﷺ- **إِلَى رِحَالِكُمْ؟** لَوْلَا الْهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأً مِنْ الْأَنْصَارِ وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ وَادِيًا وَشِعْبًا لَسَلَكْتُ وَادِيَ الْأَنْصَارِ وَشِعْبَهَا الْأَنْصَارُ شِعَارٌ، وَالنَّاسُ دِثَارٌ إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أُثْرَةً، فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الْحَوْضِ»[1]، إن هذا الحديث فقد ورد الاستفهام على صور مختلفة إذ أن الاستفهام كان غرضه توضيح بعض الأمور لما تضمنته قصة الحديث فلما قفل النبي -ﷺ- من الغزو أخذ يقسم الغنائم على من أسلم حديثا ترغيبا لهم في الإسلام يقول ابن حجر في بيان هذه واقعة هذا الحديث: «واقتضت حكمته أيضا أن غنائم الكفار لما حصلت ثم قسمت على من لم يتمكن الإيمان من قلبه لما بقي فيه من الطبع البشري في محبة المال فقسمه فيهم لتطمئن قلوبهم وتجتمع على محبته، لأنها جبلت على حب من أحسن إليها، ومنع أهل الجهاد من أكابر المهاجرين ورؤساء الأنصار مع ظهور استحقاقهم لجميعها»[2]، فلما وجد الأنصار هذه الموجدة في قلوبهم جمعهم النبي -ﷺ- ليخطُبَ فيهم، وبادرهم بالاستفهام الذي مهد له بالنداء (يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ أَلَمْ أَجِدْكُمْ) فجاء النداء للقريب ليأنس المتلقي بما يلقى إليه من خطاب فيذعن له ويقف عند تفاصيله، ثم إن النبي-ﷺ- جاء بأكثر من استفهام، حيث جاءت جملة الاستفهام تامة في المرة الأولى (أَلَمْ أَجِدْكُمْ ضُلَّالًا فَهَدَاكُمُ اللَّهُ بِي؟) ثم جاء بتقدير محذوف وهي جملة الاستفهام (ألم أجدكم) في الجملتين الأخريين جملة (متفرقين وعالة)، فلم يكررها للعلم بها، كما تتجلى حكمته -ﷺ- في الترتيب ما يستفهم عنه في كل مرة «وقد رتب-ﷺ- ما مَنَّ الله عليهم على يده من النعم ترتيبا بالغا فبدأ بنعمة الإيمان التي لا يوازيها شيء من أمر الدنيا، وثنى بنعمة الألفة وهي أعظم من نعمة المال لأن الأموال تبذل في تحصيلها وقد لا تحصل ... وقوله (عالة) بالمهملة أي: فقراء لا مال لهم»[3]، ثم ختم كلامه بالاستفهام الأخير الذي لم يكن يريد وراءه إجابة، فكان بمثابة الدواء الذي نزع به كل ذلك الغضب والوجد من صدوره، فكان قد -ﷺ- أعظم غنيمة وأعظم هبة إذ يأخذ الناس الشاة والبعير، بينما يستأثرون هم به -ﷺ-.

1- رواه البخاري، رقم 4330، كتاب المغازي، باب غزوة الطائف في شوال سنة ثمان، ص 1059.

2- فتح الباري، مصدر سابق، ج 8، ص 49.

3- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، مصدر سابق، ج 8، ص 50.

من هنا يمكننا أن نتبين أن تسبيق أسلوب النداء لأسلوب الاستفهام يعد ظاهرة أسلوبية تضفي جانبا جماليا مؤثرا على نفسية المتلقي في الحديث الشريف، وسوف نأتي على ذكر بعض دلالاته التي يؤديها اجتماع هذين الأسلوبين الطلبيين في موضعه، إن شاء الله.

5- اختصاصها بالجمل المثبتة والمنفية:

تأتي همزة الاستفهام في الحديث الشريف مع الجمل المثبتة والمنفية على حد السواء، بعكس الأدوات الأخرى، التي تختص بالمثبتة فحسب، وهذه عينات من هذه الأحاديث التي وردت فيه الهمزة مع الجمل المثبتة والمنفية، وقد مر معنا فيما سبق مجموعة منها وسنحاول ترتيبها وفق الآتي:

أ- الجمل المثبتة: لا خلاف بين العلماء في تقسيم الجمل إلى فعلية واسمية ذلك لأن المعتبر هو الاحتكام إلى ما تصدر به الجملة عادة، وهو الجانب الشكلي للجملة، إذ أن التعبير بكليهما يختلف من نوع إلى آخر، وهمزة الاستفهام تدخل على أنماط مختلفة للجمل، فتدخل على الجملة الاسمية والفعلية على الحد السواء، إذ أن التعبير يفرق عند الاستفهام بأحد النوعين، وهذا يرتكز أساسا على المسند إليه إذا كان فعلا أو اسما وعليه فإن«هذه الفروق تعتمد على المسند إليه أاسم هو أم فعل؟ فإذا كان المسند إليه اسما فإن دلالته تختلف عن كونه فعلا، والجملة تبنى عليه لأنه أساسها، وبالتالي فإن دلالة الجملة كلها تتغير»[1]، فالجملة الاسمية تمتاز عن الفعلية بمزايا تجعل من ثابتة ومستمرة بعكس الجمل الفعلية التي يفرض عليها الفعل بدلالته الزمنية التجدد والحدوث وهذا ما أشار إليه عباس حسن عند بحثه لهذه المسألة[2]، ولعل السر في ذلك أن الفعل يتقيد بقرينة الزمان، فالماضي مقيد بالزمن الماضي، والمضارع يتقيد بزمن الحال أو الاستقبال، أما الاسم فهو خال من إي زمن لذا كان متصفا بالشمول والثبات والاستمرارية، وهذا ما قال به مهدي المخزومي: «الجملة الفعلية هي الجملة التي يدل فيها المسند على التجدد، أو التي يتصف فيها المسند إليه بالمسند اتصافا متجددا، وبعبارة أوضح هي التي يكون فيها المسند فعلا لأن الدلالة على التجدد إنما تستمد من الأفعال وحدها (...) أما الجملة الاسمية فهي التي يدل فيها المسند على الدوام والثبوت، أو التي يتصف فيها المسند إليه اتصافا ثابتا غير

1- الجمل المحتملة للاسمية والفعلية، محمد رزق شعير، دط، مكتبة جزيرة الورد، المنصورة، دت، ص 27.

2- النحو الوافي، مرجع سابق، ج2، ص 145-146.

متجدد»[1]، ويستفاد من ذلك أن دلالة الجمل متوقفة على المسند، وليس كونها اسمية أو فعلية، مع بقاء صفة الثبات للاسم ودلالة الحدوث والتجدد للفعل، ومن هذا المنطلق يمكن استنطاق بعض تراكيب الاستفهام بالهمزة مع كل من الجملة الاسمية والفعلية.

– **الجملة الاسمية**: ومن الجملة الاسمية التي يدخل عليها همزة الاستفهام ما روي عن عبد الله بن عمرو–رضي الله عنهما– حينما رآه النبي–ﷺ– يلبس ثيابا ملونة كلباس النساء، فقال له: «**أَأُمُّكَ أَمَرَتْكَ بِهَذَا؟**»[2]، ومنه أيضا حديث ما روي عن أُبَيّ بْنُ كَعْبٍ–رضي الله عنه– أَنَّهُ قال: «صَلَّى رسولُ اللهِ –ﷺ– الصُّبْحِ، فقال: **شَاهِدٌ فُلَانٌ؟** فقالوا: لا، فقال: **شَاهِدٌ فُلَانٌ؟** فقالوا: لا، فقال: **شَاهِدٌ فُلَانٌ؟** فقالوا: لا، فقالَ: إنَّ هاتَيْنِ الصَّلاتَيْنِ مِنْ أَثْقَلِ الصَّلواتِ على المنافقين، ولَوْ يَعْلمُونَ ما فيها لأَتَوْهُمَا ولو حَبْوًا »[3]، فقد باشرت الهمزة الجملة الاسمية التي تتكون من المبتدأ (أمُّك) وخبره الجملة الفعلية (أمرتك بهذا)، فقد سلطت الهمزة على المسند إليه الذي هو المبتدأ، لذا كان مقدما، وتخصيص المسند إليه بالاستفهام لأن السائل صب انشغاله بالآمر الذي هو (الأم) لأنها ما كان ينبغي لها أن تلبسه مثل هذا اللباس، ولو كان منشغلا بالفعل للزمه تقديمه، أما في الحديث الثاني فكان الاستفهام مسلطا على المسند إليه الذي وهو الخبر (شاهدٌ) –وقد سبق الحديث عن أيهما المبتدأ والخبر فشاهد خبر مقدم ويجوز أن يكون هو المبتدأ–، لانشغاله به، ثم إن الجملة الاسمية تتصف بالدوام والاستمرارية وهذا ما نلمسه بوضوح في الحديث الثاني وهذا ما علل به شوقي ضيف في الفروق بين الجملتين الفعلية والاسمية: «لعل أول فرق واضح بين الجملتين: الاسمية والفعلية، أن الأولى إذا تكونت من اسمين مرفوعين دلت على الدوام والاستمرارية بخلاف الثانية، فإنك إذا قلت: (زيدٌ مفكرٌ) دل ذلك على أن صفة التفكير خاصة من خواصه تلازمه كل آن، لازمته في الماضي وتلازمه في الحاضر والمستقبل»[4]، وعليه فإن لفظ (شاهد) كان متصفا بالشمولية والديمومة في إخباره عن المبتدأ، من هنا يمكننا تسجيل فرق بين الجملتين من ناحية المسند إليه من ناحية توفير جانب الثبوت على الجملة، فجملة (أَأُمُّكَ أَمَرَتْكَ بِهَذَا؟) كان الخبر جملة فعلية وفعلها دل

1– في النحو العربي نقد وتوجيه، مهدي المخزومي، ط2، دار الرائد، بيروت، لبنان، 1406هـ–1986م، ص 41–42.

2– سبق تخريجه، ص 90.

3– سبق تخريجه، ص 91.

4– تجديد النحو، شوقي ضيف، ط6، دار المعارف، القاهرة، 2013م، ص 253.

على زمن المضي، في حين الجملة الثانية (شَاهِدٌ فُلَانٌ؟) وقد حذفت منها الهمزة، جملة اسمية خالصة ذلك أن كلا من المسند والمسند إليه اسم وهذا ما حقق لها الثبات.

– **الجملة الفعلية**: ومن الجمل المثبتة غير المنفية التي تدخل عليها همزة الاستفهام الجملة الفعلية، ذلك أن تسليط الاستفهام بها يكون مع الفعل لاختصاصها به دون الاسم، ومن المقرر عند أهل اللغة أن الهمزة يليها المسئول عنه مباشرة، فمما يحسن التمثيل به ما روي عَنْ الشَّرِيدِ بْنِ سُوَيْدٍ –رضي الله عنه– قَالَ: «مَرَّ بِي رَسُولُ اللَّهِ –ﷺ– وَأَنَا جَالِسٌ هَكَذَا، وَقَدْ وَضَعْتُ يَدِيَ الْيُسْرَى خَلْفَ ظَهْرِي وَاتَّكَأْتُ عَلَى أَلْيَةِ يَدِي، فَقَالَ: **أَتَقْعُدُ قِعْدَةَ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ؟**»[1]، لقد باشرت الهمزة الفعل المضارع (تقعد) الذي يدل على الحال، ومن المعلوم أن الإنسان قد يعهد ويعتاد طريقة معينة في القعود، وقد تكون هذه الجلسة مما ينهى عليه كهذه القعدة للنوع والهيئة، وقد شبهها بقعدة المغضوب عليهم والمراد بهم اليهود[2]، فيحتمل أنه كان متعودا مثل هذا الجلوس انطلاقا مما يتعوده الإنسان في بعض عاداته، أو أن يكون ذلك عارض له في هذا الزمن بالذات، وهذا ما تنبئنا به دلالة الفعل المضارع على الحال، فهذا من باب إنكار الفعل على أن يقع مرة أخرى، فنرى أن دلالة الفعل متغيرة إذا أنها قد تدل على ما مضى أو تدل على الحال أو الاستقبال، ثم إن الفعل يتغير تبعا لحال فاعله، فالفاعل لا يثبت على فعل معين فأفعاله متجدد ومتغيرة، لذا كانت دلالة الفعل في نفسه متجددة، والأفعال بالنسبة للفاعل متجددة.

ب– الجمل المنفية: وتدخل همزة الاستفهام على الجمل منفية بحروف النفي المختلفة أو ما يقوم مقامها في أداء معنى النفي مع كلا الجملتين الاسمية والفعلية، والنفي: «أسلوب لغوي تحدده مناسبات القول، وهو أسلوب نقض وإنكار، يستخدم لدفع ما يتردد في ذهن المخاطب، فينبغي إرسال النفي مطابقا لما يلاحظه المتكلم من أحاسيس ساورت ذهن المخاطب خطأ مما اقتضاه أن يسعى لإزالة ذلك بأسلوب النفي، وبإحدى طرائقه المتنوعة الاستعمال»[3]، والنفي إذا دخل على الجملة فإنه يتصدر الجزء الذي يراد نفيه، وقد تسلط همزة

1– رواه أبو داود، رقم 4848، كتاب الأدب، باب في الجلسة المكروهة، ج7، ص 216.

2– يقول شارح الحديث: « والأظهر أن يراد بالمغضوب عليهم أعم من الكفار والفجار المتكبرين، ممن تظهر آثار العجب والكبر عليهم من قعودهم ومشيتهم ونحوها ». ينظر: عون المعبود على شرح سنن أبي داود، أبو عبد الرحمن شرف الحق العظيم أبادي، مراجعة وتدقيق محمد ناصر الدين الألباني، ط1، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، 1426هـ-2005م، ج13، ص 197.

3– في النحو العربي نقد وتوجيه، مرجع سابق، ص 246.

الاستفهام على الجملة المنفية عموما، مما يترك تأثيرا يحقق ظاهرة أسلوبية في الحديث الشريف، وسنأتي على ذكر بعض النماذج التي تصف هذه الظاهرة، كالآتي:

– دخول الهمزة على الجملة المنفية بـ (لا): منها ما ورد في حديث أَبِي أَيُّوبَ الأنصاري–رضي الله عنه– أَنّ النَّبِيَّ –ﷺ– قَالَ لَهُ: «يَا أَبَا أَيُّوبَ **أَلا أَدُلُّكَ عَلَى صَدَقَةٍ يُرْضِي اللَّهَ وَرَسُولَهُ مَوْضِعُهَا؟ قَالَ: بَلَى**، قَالَ: تُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ إِذَا تَفَاسَدُوا وَتُقَرِّبُ بَيْنَهُمْ إِذَا تَبَاعَدُوا»[1]، وقد تأتي الفاء العاطفة أو الواو فاصلا بين الهمزة و الجملة المنفية بـ(لا) من ذلك ما جاء في القرآن الكريم: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾[سورة محمد: الآية 24] ، والواو قوله تعالى: ﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾[سورة البقرة: الآية 77] ، وهذا ما جاء به الحديث الشريف، ومما جاء منه في الحديث تكون فيه الفاء متوسطة الهمزة وما يستفهم عنه ما روي عن عبد الله بن جعفر–رضي الله عنه– قال: « أَرْدَفَنِي رَسُولَ اللهِ –ﷺ– خَلْفَهُ ذَاتَ يَوْمٍ، فَأَسَرَّ إِلَيَّ حَدِيثاً لَا أُحَدِّثُ بِهِ أَحَداً مِنَ النَّاسِ، وَكَانَ أَحَبَّ مَا اسْتَتَرَ بِهِ رَسُولُ اللهِ –ﷺ– لِحَاجَتِهِ هَدَفاً أَوْ حَائِشَ نَخْلٍ، قَالَ: فَدَخَلَ حَائِطاً لِرَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارْ فَإِذَا جَمَلٌ، فَلَمَّا رَأَى النَّبِيَ–ﷺ– حَنَّ وَذَرَفَتْ عَيْنَاهُ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ –ﷺ– فَمَسَحَ ذِفْرَاهُ فَسَكَتَ، فَقَالَ: مَنْ رَبُّ هَذَا الْجَمَلِ؟ لِمَنْ هَذَا الْجَمَلُ؟ فَجَاءَ فَتًى مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ: لِي يَا رَسُولَ اللهِ! فَقَالَ: **أَفَلَا تَتَّقِي اللهَ فِي هَذِهِ الْبَهِيمَةِ الَّتِي مَلَّكَكَ اللهُ إِيَّاهَا؟** فَإِنَّهُ شَكَا إِلَيَّ أَنَّكَ تُجِيعُهُ وَتُدْئِبُهُ»[2]، ومثله ما يكون مع حرف الواو قوله–ﷺ–:«لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، **أَوَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟** أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ »[3]، وانطلاقا من هذه العينات يمكننا استنتاج بنيتين لهذه الجمل المنفية بـ(لا) وهي: (الهمزة+ لا+ جملة الاستفهام) و (الهمزة+ الفاء أو الواو+ لا + جملة الاستفهام)، فالتعبير في الجملتين يختلف من جهة التركيب ومن جهة الدلالة التي يؤديها بالنسبة للمخاطب، فنلاحظ مجيء الهمزة مع الجمل الفعلية المنفية (أَلا أَدُلُّكَ) و(أَفَلَا تَتَّقِي) و(أَوَلَا أَدُلُّكُمْ)، جاء الاستفهام منفيا

1– أخرجه البيهقي في شعب الإيمان، رقم 10582، ج 13، ص 431.

2– رواه أبو داود، رقم 2549، كتاب الجهاد، باب ما يؤمر به من القيام على الدواب والبهائم، ج4، ص 200. حَائِشِ: جَمَاعَةُ النَّخِيلِ وَالطَّرْفَاءْ، وَهُوَ فِي النَّخِيلِ أَشْهَرُ، لَا وَاحِدَ لَهُ مِنْ لَفْظِهِ، ذِفْرَاهُ: ذِفْرَى الْبَعِيرِ: أَصْلُ أُذُنِهِ، وهي مَأْخُوذَةٌ من ذَفَرِ الْعَرَقِ، لأَنَّهَا أَوَّلُ ما تَعْرَقُ منَ الْبَعِيرِ. تُدْئِبُهُ: أَيْ تَكُدُّهُ وَتُتْعِبُهُ. ينظر: لسان العرب، مرجع سابق، مادة، حوش، مج2، ص1050، ومادة ذفر، مج3، ص 1506، ومادة دأب، مج2، ص1310.

3– سبق تخريجه، ص 134.

ليؤدي دلالة التقرير وهنا يكون الجواب مثبتا لأن نفي النفي إثبات، فإذا لحقت الهمزة النفي صار إثباتا[1]، وعليه فإن المعنى يكون بلى أدلك، لأنه يريد تقرير المتلقي فجاء بالنفي ترغيبا، ثم إن الأصل في توسط حرف العطف الواو والفاء فحقهما التقديم في كل ذلك وقد سبق الحديث عن هذه المسألة في الجانب النحوي، إلا أن مجيء الفاء سببية كما في قوله -ﷺ- من حديث أم المؤمنين حينما سألته عن كثر عبادته قال: « **أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا؟**»[2]، فالفاء في قوله: «للسببية ، وهي عن محذوف تقديره : أأترك تهجدي، فلا أكون عبدا شكورا، والمعنى أن المغفرة سبب لكون التهجد شكرا، فكيف أتركه؟»[3]، ونلاحظ في هذا الحديث أن النفي مسلط على جملة اسمية منسوخة وهي جملة كان ومعموليها.

– **المنفية بـ (ما)**: ومن دخول همزة الاستفهام على الجمل المنفية بـ(ما) من ذلك قوله-ﷺ-: «**أَمَا يَكْفِيكَ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ؟**»[4]، فقد صير الاستفهام بالهمزة النفي إثباتا، أي يكفيك من كل شهر ثلاثة أيام.

– **المنفية بـ (لم)**: ومن الحروف التي تستعمل للنفي وتختص بنفي الفعل «وبيَفْعَلُ خاصة، فلا تدخلان على (فعل)، وتدل (يفعل) معهما على نفي وقوع الفعل في الماضي»[5]، ومن دخول همزة الاستفهام على الجملة المنفية بـ(لم) ما روي عَنْ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاص -رضي الله عنهما- قال: « قَالَ لِي النَّبِيُّ -ﷺ- **أَلَمْ أُخْبَرْ أَنَّكَ تَقُومُ اللَّيْلَ وَتَصُومُ النَّهَارَ؟** قُلْتُ: إِنِّي أَفْعَلُ ذَلِكَ، قَالَ: فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ هَجَمَتْ عَيْنُكَ وَنَفِهَتْ[6] نَفْسُكَ وَإِنَّ لِنَفْسِكَ حَقًّا وَلِأَهْلِكَ حَقًّا فَصُمْ وَأَفْطِرْ وَقُمْ وَنَمْ»[7]، و مثله قوله -ﷺ- لأم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها-: « **أَلَمْ تَرَيْ أَنَّ قَوْمَكِ حِينَ بَنَوْا الْكَعْبَةَ اقْتَصَرُوا عَنْ قَوَاعِدِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَام؟**»[8]، فنلاحظ دخول همزة الاستفهام على الفعل المضارع المنفي بـ(لم) وهما (أخبر و تري) وغرض هذا الاستفهام هو

1- ينظر: معاني النحو، فاضل صالح السامرائي، دار الفكر للطباعة والنشر، ط1، 1420هـ- 2000م، ج4، ص 269.

2- رواه البخاري، رقم 1130، كتاب التهجد، باب قيام النبي الليل حتى تتورم قدماه، ص 247.

3- فتح الباري ، مصدر سابق، ج3، ص 15.

4- سبق تخريجه، ص 106.

5- في النحو العربي نقد وتوجيه، مرجع سابق، ص 254.

6- هَجَمَتْ: يُقَالُ اهْتَمَجَ وَجْهُهُ أَيْ ذَبُلَ، وَالْهَمِيجُ: الْخَمِيصُ الْبَطْنِ، واهْتَمَجَتْ نَفْسُ الرَّجُلِ: ضَعُفَتْ مِنْ جُهْدٍ أَوْ حَرٍّ؛ ونَفِهَتْ: نفسي أَعْيَتْ وَكَلَّتْ، وَبَعِيرٌ نَافِهٌ: كَالٌّ مُعْيٍ، والجَمْعُ نُفَّهٌ، وَنَفِهَتْ نَفْسُ إذا ضَعُفَتْ وَسَقَطَتْ. ينظَر: لسان العرب، مرجع سابق، مادة (همج)، مج 6، ص 4696 ، ومادة (نفى)، مج 6، ص 4511.

7- رواه البخاري، رقم 1153، كتاب التهجد، باب من يكره من ترك قيام الليل لمن كان يقومه، ص 279.

8- رواه النسائي، رقم 2900، كتاب مناسك الحج، باب بناء الكعبة، ص 449.

تقرير المخاطب، وتظهر المزية بين النفي المجرد والنفي عن طريق الاستفهام، وإن كان كليهما يفيد أصل النفي لأن «حقيقة استفهام التقرير أنه استفهام إنكار، والإنكار نفي، وقد دخل على المنفي، ونفي المنفي إثبات، والذي يقرر عندك أن معنى التقرير الإثبات»[1]، والغرض من النفي عن طريق الاستفهام يظهر فيه تنبيه السامع وحمله على الإقرار.

– **المنفية بـ (ليس)**: كما يأتي النفي بـ(ليس) وذلك مع الجملة الاسمية لاختصاصها بها دون الفعلية لأنها من نواسخ الابتداء، وقد جاء منها في الحديث الشريف منه ما روي عنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ–رضي الله عنه– أَنَّ النَّبِيَّ –ﷺ– قَالَ: « **أَلَيْسَ شَهَادَةُ الْمَرْأَةِ مِثْلَ نِصْفِ شَهَادَةِ الرَّجُلِ؟** قُلْنَ: بَلَى، قَالَ: فَذَلِكَ مِنْ نُقْصَانِ عَقْلِهَا»[2]، ومنه أيضا ما روي عنه –ﷺ– حينما قام لجنازة يهودي قوله: «**أَلَيْسَتْ نَفْسًا؟**»[3]، ونحو ما روي أيضا من حديث طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ عن النبي –ﷺ– أنه قال: «**أَلَيْسَ قَدْ مَكَثَ هَذَا بَعْدَهُ سَنَةً؟** قَالُوا: بَلَى، قَالَ: **وَأَدْرَكَ رَمَضَانَ فَصَامَ وَصَلَّى كَذَا وَكَذَا مِنْ سَجْدَةٍ فِي السَّنَةِ؟** قَالُوا: بَلَى»[4]، فنلاحظ أن ليس مع معموليها جاءت مصدرة بهمزة الاستفهام في كل مرة فيكون كل من المبتدأ والخبر ظاهرين كما في قوله: (أَلَيْسَ شَهَادَةُ الْمَرْأَةِ مِثْلَ نِصْفِ شَهَادَةِ الرَّجُلِ؟) وهذا نفي التفاضل بين كل من الرجل والمرأة في الشهادة، لذا كانت إجابتهن بلى شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل و«يستنبط منه التفاضل بين الشهود بقدر عقلهم وضبطهم، فتقدم شهادة الفطن اليقظ على الصالح البليد»[5]، فلما كان بصدد بيان هذا التفاضل كان كل من المبتدأ والخبر ظاهرين في الجملة، أما الاستفهام الثاني فكان اسم ليس ضميرا متصلا يعود على الجنازة (أَلَيْسَتْ نَفْسًا؟) والاستفهام المنفي أفاد التقرير وخرج مخرج التعظيم وهذا ما أفاده السياق« لأن القيام للفزع من الموت فيه تعظيم لأمر الله، وتعظيم للقائمين بأمره في ذلك وهم الملائكة »[6] ، أما في الحديث الثالث (أَلَيْسَ قَدْ مَكَثَ هَذَا بَعْدَهُ سَنَةً؟) فقد سلط النفي على الجملة الاسمية وسلطت همزة الاستفهام عليهما جميعا مما ترك تأثيرا على ترتيب عناصر التركيب فقدم ما حقه التأخير وهي جملة (قد مكث) وهي خبر ليس، بينما أخر

1– البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي، ج2، ص 333.
2– رواه البخاري، رقم 2657، كتاب الشهادات، باب شهادة النساء، ص 646.
3– سبق تخريج ص 97.
4– رواه ابن ماجه، رقم 3925، كتاب تعبير الرؤيا، باب تعبير الرؤيا، ص 1425.
5– فتح الباري بشرح صحيح البخاري، مصدر سابق، ج 5، ص 266.
6– فتح الباري بشرح صحيح البخاري، مصدر سابق، ج 3، ص 180.

المبتدأ اسم الإشارة (هذا)، وهذا النفي إنما جيء به لتقريرهم بمكوثه وصيامه وصلاته بعد استشهاد أخيه في سبيل الله، لذا كانت إجابتهم بالإثبات في كل مرة.

ومما يستنتج من دخول الهمزة على الجمل المنفية فإنها تصيرها من النفي إلى الإثبات، ذلك لأن التقرير يقتضي التصديق بـ(بلى) للإيجاب يقول ابن السراج: «فإذا أدخلت على (ليس) ألف الاستفهام كانت تقريرا ودخلها معنى الإيجاب فلم يجئ معها أحد لأن أحداً إنما يجوز مع حقيقة النفي لا تقول: أَلَيْسَ أَحَدٌ فِي الدَّارِ؟ لأن المعنى يؤول إلى قولك: أحد في الدار، وأحد لا يستعمل في الواجب، ولذلك لا يجوز أن تجيء إلا مع التقرير»[1]، ويجري ذلك على بقية حروف النفي التي تدخل الهمزة على جملتها.

6- مجيء الاستفهام لمجرد الإخبار: ومن الملاحظات التي يحسن تسجيلها في الحديث الشريف أن يأتي الاستفهام وليس الغرض منه الاستعلام وإنما يجنح فيه المتكلم لإفادة مخاطبه شيئا يجهله، وقد ورد منه ما روي عَنْ عَائِشَةَ-رضي الله عنها- قَالَتْ: « إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- دَخَلَ عَلَيَّ مَسْرُورًا تَبْرُقُ أَسَارِيرُ وَجْهِهِ فَقَالَ: **أَلَمْ تَرَيْ أَنَّ مُجَزِّزًا نَظَرَ آنِفًا إِلَى زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ وَأُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ فَقَالَ إِنَّ هَذِهِ الْأَقْدَامَ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ؟**»[2]، فقد دخلت همزة الاستفهام على الجملة الفعلية (ألم تريْ)، ولم يكن غرضه-ﷺ- طلب المعرفة وإنما أعجبه هذا الأمر، فعبر عنه بصيغة الاستفهام يقول ابن حجر: «والمراد من الرؤية هنا الإخبار أو العلم ... فسر النبي بذلك واخبر به عائشة»[3]، ولعله أراد بإيراد الاستفهام في قالب الخبر، لتنبيه السامع وحمله على الإنصات إلى ما يلقى إليه من خطاب، ذلك لو جاء بصيغة الخبر المجرد، لم يكن ليحدث تفاعل لدى المتلقي، وربما رغب عن سماع الخبر أصلا، وله عدوله من الخبر إلى الإنشاء إنما كان غاية في الحكمة والتحكم في تصريف القول وإنزاله مقامه الذي قيل فيه، وهذه هي البلاغة.

1- الأصول في النحو، أبو بكر بن السراج، مصدر سابق، ج1، ص 90.

2- رواه البخاري، رقم 8770، كتاب الفرائض، باب القائف، ص 1676.

3- وتعود قصة هذا الحديث إلى ما ذكره ابن حجر من أن« أهل النسب أنهم كانوا في الجاهلية يقدحون في نسب أسامة لأنه كان أسود شديد السواد ، وكان أبوه زيد أبيض من القطن، فلما قال القائف ما قال مع اختلاف اللون سر النبي -ﷺ-بذلك لكونه كافا لهم عن الطعن فيه لاعتقادهم ذلك » ومجَزِّزْ هو: ابن الأعور بن جعدة المدلجي نسبة إلى مدلج بن مرة بن عبد مناف بن كنانة ، وكان معروفا بالقيافة، وسمي مجززا لأنه كان في الجاهلية يأخذ الأسرى فيجز نواصيهم ويطلقهم. ينظر: فتح الباري، المصدر نفسه، ج12، ص 57.

6- تغيير دلالة الفعل: فمم سبق فإن الهمزة إذا جاءت مع الفعل فإن (رأى) فإن معناها يتغير ولا يبقى على حاله ولا منصبا على الرؤية الحسية لأنها لها مدلولات لغوية تنصرف إليها غير هذه الوظيفة الحسية وهذه المعاني التي تؤول إليها إنما هي من باب التجوز ومن هذه المعاني ما جمعه الشهاب الخفاجي: «فاعلم أن (رأى) بمعنى أصاب الرِّئة، وبمعنى اعتقد، والحُلُمِيَّة، وهذه الثلاثة كغيرها من الأفعال المتصرفة، وتكون بَصَرِيَة وعِلْمِيَّة ... واختلاف مصادرها يدل على أن لها معاني حقيقية كالرؤية والرؤيا والرأى»[1]، فنلاحظ أن العرب قد تستعمل الفعل رأى بمعنى من أصيب في رئته، كما تأتي لمعنى الاعتقاد أي أعتقد، أما الرؤيا فهو ما يراه النائم في حلمه، ومصدرها واحد يرجع إلى (رأى) بمعنى أبصر وهي مشتقة منها[2]، ومما يأخذ فيه معنى الإخبار نحو قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[سورة الأنعام: الآية 40] ، فتأتي لمعنيان وقد وقف عندها الفراء حيث نجده يقول: «أحدهما أن يسأل الرجلُ الرجلَ: أرأيْتَ زَيْداً بِعَيْنِكَ؟ فهذه مهموزة ... والمعنى الآخر أن تقول: أرأيتك، وأنت تريد: أخبرني وتهمزها، وتنصب التاء منها، وتترك الهمزة إن شئت، وهو كلام أكثر العرب»[3]، ومثله أيضا قوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ﴾[سورة الماعون: الآية 1] ، يقول أبو حيان: «أن (أرأيْتَ) هي التي بمعنى أخبرني فتتعدى لاثنين، أحدهما الذي والآخر محذوف»[4] أما الزمخشري فيقدر المحذوف (من هو) يقول: «والمعنى: هل عرفت الذي يكذب بالجزاء من هو»[5]، وتأتي الهمزة مقترنة بالفعل (رأى) كثيرا في القرآن الكريم، فتحول معناها من دلالة الرؤية الحسية بالرؤية الذهنية التي تحمل الانسان على إعمال الفكر، ثم إن «حاسة الإبصار تعد أهم المداخل المعرفية بعد حاسة السمع، وبذلك يكون توظيف الرؤية المقترنة بالاستفهام في القرآن الكريم اختيارا دقيقا لتحقيق أرقى درجات المعرفة على أن القرآن الكريم لا يقف عند حدود وضع الانسان أمام المشهد لمعرفة

1- رسالة في إعراب قوله تعالى: ﴿ أَرَأَيْتَكُمْ ﴾، الشهاب الخفاجي، مطبوعة ضمن أربع رسائل في النحو، تحقيق عبد الفتاح سليم، دط، مكتبة الآداب، القاهرة، 1424هـ-2003م، ص 136.

2- ينظر: مقاييس اللغة، مرجع سابق، مادة (رأى)، ج 2، ص 472- 473، وينظر: لسان العرب، مرجع سابق، مادة (رأى)، مج 3، ص 1541 ص 1545.

3- معاني القرآن، أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء، ط3، عالم الكتب، بيروت، لبنان، 1403هـ-1983م، ج1، ص 333.

4- البحر المحيط، مرجع سابق، ج 8، ص 517. وقرأ (أرأيت) بتسهيل الثانية نافع، وأبو جعفر، وزاد الأزرق إبدالها ألفا، مع المد للساكنين، وحذفها الكسائي، ووقف حمزة بالتسهيل بين بين فقط. ينظر: إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، أحمد بن محمد البنَّا، تحقيق شعبان محمد إسماعيل، ط1، عالم الكتب، بيروت، 1407هـ-1987م، ج2، ص 632.

5- الكشاف، مرجع سابق، ج 6، ص 440.

تجلياته الحسية، بل يتدرج إلى مرتبة أعلى لتحصيل الرؤية العقلية المؤدية إلى اليقين»[1]، وأسلوب الحديث النبوي الشريف لم يخرج عما جاء به القرآن الكريم، فقد جاءت همزة الاستفهام مقترنة به في كثير من الأحيان وقد مر علينا بعضا من هذه الأحاديث، ونذكر منها ما روي من قصة الرجل الذي أصاب حدا وجاء يطلب من النبي -ﷺ- أن يقيمه عليه فقال له: « **أَرَأَيْتَ حِينَ خَرَجْتَ مِنْ بَيْتِكَ أَلَيْسَ قَدْ تَوَضَّأْتَ فَأَحْسَنْتَ الْوُضُوءَ؟** قَالَ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: **ثُمَّ شَهِدْتَ الصَّلَاةَ مَعَنَا؟** فَقَالَ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ غَفَرَ لَكَ حَدَّكَ أَوْ قَالَ ذَنْبَكَ»[2]، ومنه أيضا قوله-ﷺ-: « **أَرَأَيْتَ إِذَا مَنَعَ اللَّهُ الثَّمَرَةَ بِمَ يَأْخُذُ أَحَدُكُمْ مَالَ أَخِيهِ؟**»[3]، فقد جاء الاستفهام بالهمزة مقترن بالفعل (رأى) ليؤدي معنى الإخبار والإعلام، وذلك أن النبي-ﷺ- كان يستفهم الرجل في كل مرة من أجل تقريره بشأن الصلاة والتحضير لها، وترجع أحداث القصة حسبما يرجحه صاحب فتح المنعم إلى أن الرجل كان قد سأل النبي-ﷺ- قبل الصلاة ولم فرغ تبعه وأعاد عليه السؤال فسكت وانصرف الرجل، فجاء الوحي وأخبر النبي-ﷺ- فجاء فأرسل من يحضره وأعاد الرجل سؤاله[4]، وعليه فمعنى قوله: (أرأيت حين ...) أي: أخبرني حين خرجت من بيتك أتوضأت فأحسنت الوضوء؟ فاستعمال « أرأيت بمعنى أخبرني مجاز ووجه المجاز أنه لما كان العلم بالشيء وإبصاره سببا للإخبار عنه استعمل رأى التي بمعنى علم أو أبصر في الإخبار، والهمزة التي للاستفهام عن الرؤية في طلب الإخبار، لاشتراكهما في مطلق الطلب ففيه مجازان»[5]، وقد يكون استعمال (أرأيت) بمعنى أخبرني من باب «إطلاق السبب على المسبب، لأن مشاهدة الأشياء طريق إلى الإخبار عنها والهمزة فيه مقررة، أي قد رأيت ذلك فأخبرني به»[6]كما جاء في الحديث الثاني (أَرَأَيْتَ إِذَا مَنَعَ اللَّهُ الثَّمَرَةَ بِمَ يَأْخُذُ أَحَدُكُمْ مَالَ أَخِيهِ؟)، أي أخبرني إذا منع الله الثمرة.

1- همزة الاستفهام وتداعيات الرؤية مقاربة في السياق القرآني، سالم علي بيدق، المجلة الجامعة، كلية الآداب جامعة السابع من أبريل، العدد 8، 2006م، ص 64.

2- رواه مسلم، رقم 2765، كتاب التوبة، باب قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾، من حديث أبي أمامة، ص 2117.

3- سبق تخريجه، ص 94.

4- ينظر: فتح المنعم، مصدر سابق، ج 10، ص 329.

5- شرح السيوطي على ألفية ابن مالك المسمى البهجة المرضية مع حاشيته التحقيقات الوفية بما في البهجة المرضية من النكات والرموز الخفية، محمد صالح بن أحمد الغرسي، ط1، دار السلام، القاهرة، 1421هـ- 2000م، ص 189.

6- عقود الزَّبَرْجَدْ، جلال الدين السيوطي، مصدر سابق، ج1، ص 183.

وتأتي همزة الاستفهام مقترنة بالفعل (رأى) في الحديث الشريف ويبقى على دلالته الحسية للإبصار، ذلك ما يدل عليه سياق الحديث، ومما جاء فيه للرؤية البصرية ما روي عن عائشة أم المؤمنين –رضي الله عنها– قالت: «كَانَ فِي بَرِيرَةَ ثَلَاثُ سُنَنٍ إِحْدَى السُّنَنِ أَنَّهَا أُعْتِقَتْ فَخُيِّرَتْ فِي زَوْجِهَا وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ –ﷺ– الْوَلَاءُ لِمَنْ أَعْتَقَ وَدَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ –ﷺ– وَالْبُرْمَةُ تَفُورُ بِلَحْمٍ فَقُرِّبَ إِلَيْهِ خُبْزٌ وَأُدْمٌ مِنْ أُدْمِ الْبَيْتِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ –ﷺ–: **أَلَمْ أَرَ بُرْمَةً فِيهَا لَحْمٌ؟** فَقَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ ذَلِكَ لَحْمٌ تُصُدِّقَ بِهِ عَلَى بَرِيرَةَ وَأَنْتَ لَا تَأْكُلُ الصَّدَقَةَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ –ﷺ– : هُوَ عَلَيْهَا صَدَقَةٌ وَهُوَ لَنَا هَدِيَّةٌ»[1]، فالفعل (أر) جاء لإفادة الرؤية الحسية فالنبي–ﷺ– لما دخل وقع بصره على هذه البرمة، وقد جاء استفهامه للتقرير، ومن ذلك أيضا ما روي عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب –رضي الله عنه– أَنَّهُ قَالَ: « قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ –ﷺ– بِسَبْيٍ فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنْ السَّبْيِ تَبْتَغِي إِذَا وَجَدَتْ صَبِيًّا فِي السَّبْيِ أَخَذَتْهُ فَأَلْصَقَتْهُ بِبَطْنِهَا وَأَرْضَعَتْهُ فَقَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ –ﷺ–: **أَتَرَوْنَ هَذِهِ الْمَرْأَةَ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ**؟ قُلْنَا: لَا وَاللَّهِ وَهِيَ تَقْدِرُ عَلَى أَنْ لَا تَطْرَحَهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ –ﷺ–: لَلَّهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بِوَلَدِهَا»[2]، فنلاحظ استعمال الفعل (ترون) للدلالة على زمن الحاضر ثم إنه أوقعه على المفعول به (هذه) لتضمنها الدلالة على القريب، فكانت الرؤية مسلطة على أمر ظاهر مُشاهد، وهذا ما دل عليه سياق الحديث.

فالهمزة إذا اقترنت بالفعل (رأى) فإنها تسلبه الدلالة الأساسية التي تتعلق بالرؤية الحسية إلى دلالة طلب الخبر و«على الرغم من أن الهمزة حرف واحد، فإنها عند الاستفهام تكون ذات مواصفات دلالية يصعب أداؤها بكلمة واحدة أو كلمات مكونة من عدة حروف، وهي عند الاقتران بمشتق من مشتقات الرؤية تقوم بوظيفة إثارة الذهن، وتركيز مجال الرؤية في مجال محدد»[3]، وهذا لا يكون إلا مع الهمزة والفعل (رأى).

ثانيا: المرونة الدلالية لأسلوب الاستفهام بالهمزة:

قد يخرج أسلوب الاستفهام بالهمزة عما وضع له أصالة في اللغة، ليؤدي وظائف دلالية أخرى لأساليب لغوية سواء كانت من جنس الطلب أو تؤدي معنى الخبر، وهذا ما تكشف عنه القرائن اللغوية وعناصر

1– رواه النسائي، رقم 3447، كتاب الطلاق، باب خيار الأمة، ص 534.

2– رواه مسلم، رقم 2754، كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه، ص 2107.

3– همزة الاستفهام وتداعيات الرؤية، مرجع سابق، ص 46.

السياق، فيأتي متضمنا دلالة الاستفتاح والتحضيض والأمر وغيرهما، وهذا لمرونته في تأدية الوظائف اللغوية المختلفة التي تخرج عن اختصاصه، ثم إن الهمزة بتطفلها من يفرض هذه الدلالات على التركيب، ومن أهم هذه الدلالات التي يخرج إليها أسلوب الاستفهام في الحديث الشريف ما يأتي:

1- دلالة الاستفتاح: وللاستفتاح حروف يتعين بها وهي: ها وألا وأما، وتأتي للتقرير والتحضيض والتنبيه المحض والتحقيق[1]، و(ألا) مركبة من همزة الاستفهام التي تفيد الإنكار و حرف النفي (لا)، يقول ابن هشام: «وإفادتها التحقيق من جهة تركيبها من الهمزة ولا ، وهمزة الاستفهام إذا دخلت على النفي أفادت التحقيق»[2]، وقد جاءت (ألا) لإفادة هذه المعاني كثيرا في الحديث الشريف نذكر منها ما روي عن أبي هريرة- رضي الله عنه- أن النبي-ﷺ- قال: «**أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللهُ بِهِ الْخَطَايَا وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟** قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الْخُطَى إِلَى الْمَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ»[3]، هذا الاستفهام لا شك أنه يضفي معنى ويدل دلالة لا تتحقق ولا توجد بمجرد الإخبار الذي لا يكون من هذا القبيل، وذلك حينما يقال لهم في الخطاب: إسباغ الوضوء على المكاره، وانتظار الصلاة إلى الصلاة، وكثرة الخطى إلى المساجد أمر يحصل به كذا وكذا، فهذا لا يكون بمثابة ذكر هذه الأمور بصيغة استفهامية؛ لأن ذلك من شأنه أن يشد الانتباه، ومن شأنه أن يوجد شيئاً من التشويق فيتطلع المخاطب إلى ما ذكر معه، فبدأه -ﷺ- بقوله: "ألا" الدالة على الاستفتاح والاستفهام، ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا، ويرفع به الدرجات؟، أي: يحصل به هذا، وهذا، تكفير السيئات، ورفع الدرجات، وهذا فيه اهتماما بأمته وترغيب لها في السعي لبذل الخير، وهذا ما ذكره شراح الحديث في أبواب الخير التي اشتمل عليها الحديث: «فمحو الخطايا كناية عن غفرانها، ويحتمل محوها من كتاب الحفظة، ورفع الدرجات وإعلاء المنازل في الجنة، والاستفهام مقصود به التنبيه، واستجماع الهمم، وإثارة المشاعر»[4]، وأيُّ شيء يرجوه المسلم سوى غفران الذنوب وتحصيل الأجر، للفوز بالجنة، ولا يتأتى ذلك إلا باستكمال الطاعة على الوجه المشروع، كإسباغ الوضوء على المكاره بالماء البارد في الشتاء، وما يتركه من ألم على الجسم ونحو ذلك، كذلك كثرة

1- شرح المفصل في صنعة الإعراب، القاسم بن الحسين الخوارزمي، ج 4، ص 90.
2- مغني اللبيب، مصدر سابق، ج 1، ص 68.
3- سبق تخريجه، ص 105.
4- فتح المنعم شرح صحيح مسلم، مصدر سابق، ج2، ص156.

الخطى إلى المساجد حينما تكون بعيدة، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فلا يمكن أن يتبصر المسلم بهذه المعاني كلها إلا بمثل هذا الأسلوب لما فيها من حثٍّ وترغيبٍ.

2- دلالة العرض والتحضيض: وله حروف يتعين بها وهي: هَلَّا وأَلَّا ولَوْلَا وألَا، وتختص بالجملة الفعلية، يقول الغلاييني: «فإن دخلت على المضارع فهي للحض على العمل وترك التهاون به»[1]، والذي يخصنا من هذه الأدوات هي (أَلَا) وهي مركبة من حرفين وهما الهمزة ولا وتختص بالجملة الفعلية[2]، نحو قوله تعالى: ﴿أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[سورة التوبة: الآية 13] ، فجاء التحضيض على القتال بـ(ألا) مع الفعل المضارع الذي أفاد الاستقبال، يقول أبو حيان: « (ألا) حرف عرض، ومعناه هنا الحض على قتالهم، وزعموا أنها مركبة من همزة الاستفهام ولا النافية، فصار فيها معنى التحضيض ... لما أمر تعالى بقتال أهل الكفر أتبع ذلك بالسبب الذي يبعث على مقاتلتهم، وهو ثلاثة أشياء جمعوها وكل واحد منها على انفراده كاف في الحض على مقاتلتهم»[3]، فتدخل على المضارع الذي يفيد الاستقبال لفظا ومعنى وقد تدخل على الماضي إذا كان معناه مستقبلا لمعنى المضارع، ومما سبق يمكننا أن نوجز أحكام في هذه النقاط:

- ✓ تدخل على الجملة الاسمية وتعمل عمل (لا) التبرئة إذا كانت بمعنى التنبيه أو التوبيخ والإنكار أو الاستفهام والنفي.
- ✓ تدخل على الجملة الفعلية إذا كانت للتحضيض والعرض، ويجب أن يليها المضارع ظاهرا أو مقدرا، يفسره ما بعده بشرط الاستقبال.
- ✓ أن يكون العامل في الاسم الواقع بعدها محذوفا مفسرا بفعل آخر يذكر بعد الاسم نحو: أَلَا مُحَمَّداً أَكْرَمْتَهُ فيقدر: أَلاَ أَكْرَمْتَ مُحَمَّداً أَكْرَمْتَهُ.

1- جامع الدروس العربية، مرجع سابق، ج3، ص260.
2- ينظر: مغني اللبيب، تحقيق عبد اللطيف محمد الخطيب، ج1، ص 449.
3- البحر المحيط، مرجع سابق، ج5، ص18.

و عليه فالعرض «مولد من الاستفهام وليس شيئا آخر برأسه لأن الهمزة فيه للاستفهام دخلت على فعل منفي وامتنع حملها على حقيقة الاستفهام للعلم بعدم النزول وتولد عنه بمعونة قرينة الحال»[1] بما أنَّه فعل كلامي فلا يلقيه المتكلم إلا إذا كان له عناية واهتماما بمن يلقيه إليه وهو طلب فيه تلطف وترغيب، ومن أمثلة ما جاء في الحديث الشريف ما يأتي:

– عَنْ عُقْبَةَ بْنَ عَامِرٍ–رضي الله عنه– قَالَ: «بَيْنَمَا أَقُودُ بِرَسُولِ اللهِ–ﷺ– فِي نَقَبٍ مِنْ تِلْكَ النِّقَابِ إِذْ قَالَ: **أَلَا تَرْكَبُ يَا عُقْبَةُ؟** فَأَجْلَلْتُ رَسُولَ اللهِ–ﷺ– أَنْ أَرْكَبَ مَرْكَبَ رَسُولِ اللهِ ثُمَّ قَالَ: **أَلَا تَرْكَبُ يَا عُقْبَةُ؟** فَأَشْفَقْتُ أَنْ يَكُونَ مَعْصِيَةً فَنَزَلَ وَرَكِبْتُ هُنَيْهَةً ثُمَّ نَزَلْتُ وَرَكِبَ رَسُولُ اللهِ–ﷺ– ثُمَّ قَالَ: **أَلَا أُعَلِّمُكَ سُورَتَيْنِ مِنْ خَيْرِ سُورَتَيْنِ قَرَأَ بِهِمَا النَّاسُ؟** فَأَقْرَأَنِي: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ فَأُقِيمَتِ الصَّلَاةُ فَتَقَدَّمَ فَقَرَأَ بِهِمَا ثُمَّ مَرَّ بِي فَقَالَ: كَيْفَ رَأَيْتَ يَا عُقْبَةَ بْنَ عَامِرٍ؟ اقْرَأْ بِهِمَا كُلَّمَا نِمْتَ وَقُمْتَ»[2]، فجاء التحضيض مع الفعل المضارع (أَعَلِّمُكَ) الذي يدل على الاستمرارية والاستقبال لأن المسلم يداوم على ذكر الله أبدا، فألقى النبي خطابه لشحذ الهمة وتحضير المستمع حتى يحفظ ما قيل له لذا أرشده إلى كلمات يكتفي بها في الذكر فيحصل له من الأجر، كما أرشده المداومة عليهما، وكل ذلك جاء في نوع من الاستدراج والتلطف في العبارة والدعوة إليها، ثم إن تكرر النبي –ﷺ– لطلبه بالركوب دليل على مكانة هذا الصحابي الجليل عنده بل فيه اهتمام ظاهر، مع الأدب الجم الذي يظهر عليه في عدم الركوب إجلالا واحتراما وتعزيرا له.

– عن أبي هريرة–رضي الله عنه– قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ –ﷺ–: «لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا **أَوَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟** أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ»[3]، فقد علق دخول الجنة بالإيمان وهذا أمر لا شك فيه لأن الجنة محرمة على الكافر، ثم علق كمال الإيمان بتحقيق شرط من شروطه ألا وهو المحبة، ثم عرض النبي–ﷺ– ما يحقق هذه المحبة مستجلبا أحد أسبابها عن طريق العرض والتحضيض (ألا أدلُّكُم) الفعل دَلَّ يحمل معنى الإرشاد والهَدْيِ[4] أي: ألا أرشدكم على هَدْيٍ أو سَمْتٍ، ولا تكون الدعوة إلى الهدي إلا عن طريق التلطف والحث والترغيب، يقول النووي (ت676هـ): «وأما قوله: (أَفْشُوا السَّلَامَ

1– مختصر المعاني في البلاغة، سعد الدين التفتزاني، ص 208.

2– رواه النسائي، رقم 5437، كتاب الاستعاذة، ص819.

3– سبق تخريجه، ص 134 .

4– ينظر: لسان العرب، مرجع سابق، مادة (دلل)، مج2، ص1414.

بَيْنَكُمْ) فهو بقطع الهمزة المفتوحة وفيه الحث العظيم على إفشاء السلام وبذله للمسلمين كلهم من عرفت ومن لم تعرف»[1]، فمعنى الحديث لا يكتمل إيمانكم ولا يصلح حالكم إلا بالتحاب الذي سبيله إفشاء السلام.

– عن أنس بن مالك–رضي الله عنه– قَالَ: «ذَكَرَ رَسُولُ اللهِ–ﷺ– الْكَبَائِرَ أَوْ سُئِلَ عَنِ الْكَبَائِرِ، فَقَالَ: الشِّرْكُ بِاللهِ وَقَتْلُ النَّفْسِ وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ، وَقَالَ: **أَلَا أُنَبِّؤُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ؟** قَالَ: قَوْلُ الزُّورِ أَوْ قَالَ: شَهَادَةُ الزُّورِ»[2]، فظاهر الحديث يدلنا على أن هذا الخطاب يحمل أمورا مهمة مما استدعى منه استعمال الاستفهام بـ(ألا)، فيظهر من السياق أنه سئل عن الكبائر، ثم إنه أخبر عنها، لكن هناك ما هو أشنع وأكبر من هذه الكبائر، لذا جاء بعبارة (ألا أنبئكم)، ولم يستعمل نظير هذا الفعل نحو: أدلكم أو أعلمكم أو أخبركم، لكون الأمر خطير فاستعمل أداة التحضيض مع الفعل المضارع (أَنْبَأَ) كون النبأ عادة ما يُتَلَقَّى بالاهتمام والعناية، لذا فإن الرسول قد حمله على التنبيه ولم يحمله على الاستفهام، وإن كان الاستفهام محتمل أيضا كون المخاطب لم يبد معارضة أو موافقة، ثم إن الصحابة رضوان الله عليهم، لم يكونوا إلا ليستمعوا وينصتوا لحديثه ، لأنه لا يخلو من الفائدة والتوجيه والإعلام.

– عن أبي سعيد الخدري–رضي الله عنه– قال: «كَانَ رَسُولُ اللهِ–ﷺ– عَامَ تَبُوكَ يَخْطُبُ النَّاسَ، وَهُوَ مُسْنِدٌ ظَهْرَهُ إِلَى رَاحِلَتِهِ، فَقَالَ: **أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ النَّاسِ وَشَرِّ النَّاسِ؟** إِنَّ مِنْ خَيْرِ النَّاسِ رَجُلاً عَمِلَ فِي سَبِيلِ اللهِ عَلَى ظَهْرِ فَرَسِهِ أَوْ عَلَى ظَهْرِ بَعِيرِهِ، أَوْ عَلَى قَدَمِهِ، حَتَّى يَأْتِيَهُ الْمَوْتُ، وَإِنَّ مِنْ شَرِّ النَّاسِ رَجُلاً فَاجِراً، يَقْرَأُ كِتَابَ اللهِ، لَا يَرْعَوِي إِلَى شَيْءٍ مِنْهُ»[3]، أما في هذا الحديث فقد استعمل الفعل المضارع (أُخْبِرُكُمْ)، الذي يعد وسيلة إبلاغية لا تتعد إفادة السامع للخبر، لكن لما اقترنت به الأداة (ألا) أصبح متجاوزا لهذا المعنى، إذا أن صفة الخير والشر أوسع معنى، فكل إنسان تتنازعه هاتين القيمتين الأخلاقيتين، إلا أن النبي–ﷺ– قد أعطاهما بعدا آخر وذلك بربطهما بالسياق المقالي فقد كان يخطب الناس ويحثهم على الجهاد في سبيل الله، فما كان منه إلا استعمال المقابلة بين خير الناس وشرهم، من اجل ترغيبهم وترهيبهم، مما يترك أثرا نفسيا لدى المتلقي الذي

1– المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، محي الدين يحي بن شرف النووي، ط1، المطبعة المصرية بالأزهر، مصر، 1347هـ-1929م، ج2، ص 36.

2– سبق تخريجه، ص 134.

3– رواه النسائي، رقم 3106، كتاب الجهاد، باب فضل من عمل في سبيل الله على قدمه، ص 479.

يرجع إلى فهمه لمضمون الخطاب، لذا جاء العرض من اجل تنبيه الأذهان وتحفيزها للإصغاء بغية استمالة النفوس إلى معرفة مدلول الخير والشر في مثل هذا المقام.

ثم إن التحضيض في أحاديث المصطفى -ﷺ- يأتي مع أفعال تؤدي وظيفة دلالية معينة، تتضمن معنى الإبلاغ والإخبار والإرشاد والتوجيه، وعادة ما تأتي مع أفعال مثل: أُخْبِرُكُمْ، أُعَلِّمُكَ، أَدُلُّكَ، أُنَبِّئُكُمْ، وما يحمله الأسلوب من تلطف في العبارة ومؤانسة في الخطاب، «وقد يقترن أسلوب العرض في الحديث الشريف بمشاعر مختلفة كالتودد والمؤانسة والملاطفة، فيكون العرض النبوي تسكينا للنفس وإراحة للصدر في مقام أحوج ما تكون النفوس فيه إلى المشاعر والأحاسيس، فيسلك رسول الله أسلوب العرض المثير للانتباه والمحقق قدرا وافرا من الطمأنينة والسكينة والإيناس»[1]، فتأتي ويخاطب بها المفرد تارة وأخرى مع يخاطب بها الجماعة، ولا يخرج ذلك عن الطلب والحث على أمر معين أو التنبيه عنه أو الإرشاد إليه وفي استعماله الاستفهام بالهمزة حمل للسامع على قبول ما يعرض عليه بلين ورفق[2].

3- دلالة الأمر: ويأخذ الاستفهام دلالة الأمر وهذا استنادا إلى التأويل المجازي الذي يخرج إليه، ودلالة الأمر إنما تفهم من سياق الحال والقرائن اللغوية، فالسَّائل عادة ما يرمي إلى معاني ربما لا يحتملها التركيب نفسه، لكن عند تقليبه فهناك إيحاءات تدل على ذلك، وهذا من الدقائق التي يتفطن لها بالنظر والعقل، وقد ورد الأمر في الحديث الشريف من ذلك ما رُوِيَ عن عبد الله بن جعفر-رضي الله عنهما- قال: « أَرْدَفَنِي رَسُولَ اللهِ -ﷺ- خَلْفَهُ ذَاتَ يَوْمٍ، فَأَسَرَّ إِلَيَّ حَدِيثاً لَا أُحَدِّثُ بِهِ أَحَداً مِنَ النَّاسِ، وَكَانَ أَحَبَّ مَا اسْتَتَرَ بِهِ رَسُولُ اللهِ -ﷺ- لِحَاجَتِهِ هَدَفاً أَوْ حَائِشَ نَخْلٍ، قَالَ: فَدَخَلَ حَائِطاً لِرَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ فَإِذَا جَمَلٌ، فَلَمَّا رَأَى النَّبِيَ-ﷺ- حَنَّ وَذَرَفَتْ عَيْنَاهُ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ -ﷺ- فَمَسَحَ ذِفْرَاهُ فَسَكَتَ، فَقَالَ: مَنْ رَبُّ هَذَا الْجَمَلِ؟ لِمَنْ هَذَا الْجَمَلُ؟ فَجَاءَ فَتىً مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ: لِي يَا رَسُولَ اللهِ! فَقَالَ: **أَفَلَا تَتَّقِي اللهَ فِي هَذِهِ الْبَهِيمَةِ الَّتِي مَلَّكَكَ اللهُ إِيَّاهَا؟** فَإِنَّهُ شَكَا إِلَيَّ أَنَّكَ تُجِيعُهُ وَتُدْئِبُهُ»[3]، فلما كانت حالة الجمل كما ذكر من إهمال وتسيب وفي تكرير استفهامه عن صاحب الجمل دلالة على شدة الإنكار مما رآه من حاله، وفي استفهامه (**أَفَلَا تَتَّقِي اللهَ فِي هَذِهِ الْبَهِيمَةِ**)،

1- الخطاب الطلبي في الحديث النَّبوي الشريف-دراسة بلاغية في متن صحيح البخاري-، هناء محمود شهاب، دار غيداء للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 1435هـ-2014م، ص 209.

2- ينظر: دروس في البلاغة نحو رؤية جديدة، مرجع سابق، ص 112.

3- سبق تخريجه، ص 142.

هو أمر له بالإحسان إليه، أي: اتق الله في هذه البهيمة، فعليك أن تخشى الله فيما تملك، فخرج هذا الاستفهام من دلالته على طلب تصور أمر مبهم، إلى الأمر بالإحسان إلى البهائم.

– ومن دلالة الأمر ما يفهم من سياق الحال، ما روي عن عائشة–رضي الله عنها– قالت: «دَارَ عَلِيَّ رَسُولُ اللهِ –ﷺ– دَوْرَةً فَقَالَ: **أَعِنْدَكِ شَيْءٌ**؟ قُلْتُ: لَيْسَ عِنْدِي شَيْءٌ، قَالَ: فَأَنَا صَائِمٌ»[1]، فإن في ظاهر لفظه لا يحمل أي مؤشر يدل على الأمر، إذا يعد سؤاله على الطعام، سؤال الآمر للمأمور؛ إذ هو رب البيت وهى الزوجة، فلا يكون الموقف إلا موقف طلب، لذلك فالغاية منه حمل السامع على فعل من جهة الاستعلاء، فالسائل يركب كلامه ويضمنه المعنى المطلوب به، وهذا ما يضمنه السياق، وهذا «مِن سمات المقام الذي يخرج فيه الاستفهام إلى الأمر أن يكون الطالبُ في موقعٍ اجتماعي أو غيره، مُتصل أو منقطع، عالٍ بالقياس إلى موضع السامع، وأن يتوفَّر في ذَاكِرَتَيْهِما المشتركة جُملة من الأحداث أو الرَّغبات، يُمكن أن يطلبَ تحقيقها على سبيل الاستفهام»[2]، حيث إن المعتاد في مثل هذه المواقف استعمال الأمر الصريح نحو: حضِّري الطَّعَامَ، فكان العدول عن الأمر إلى الاستفهام لما فيه من حسن العشرة والتودد والتلطف في المعاملة، وهذا ما خرج إليه الاستفهام في هذا الحديث.

4– دلالة النهي: ومن الدلالات التي يمكن أن ينصرف إليها أسلوب الاستفهام في الحديث الشريف ما يستفاد من السياق الحاضن لهذا الأسلوب والقرائن المعنوية التي تشير إلى ذلك، ومن ذلك ما روي عن ثَوْبَانَ–رضي الله عنه– مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ –ﷺ– قَالَ: «جَاءَتْ بِنْتُ هُبَيْرَةَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ –ﷺ– وَفِي يَدِهَا فَتَخٌ فَقَالَ: كَذَا فِي كِتَابِ أَبِي أَيْ خَوَاتِيمُ ضِخَامٌ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ –ﷺ– يَضْرِبُ يَدَهَا فَدَخَلَتْ عَلَى فَاطِمَةَ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ –ﷺ–تَشْكُو إِلَيْهَا الَّذِي صَنَعَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ –ﷺ– فَانْتَزَعَتْ فَاطِمَةُ سِلْسِلَةً فِي عُنُقِهَا مِنْ ذَهَبٍ وَقَالَتْ: هَذِهِ أَهْدَاهَا إِلَيَّ أَبُو حَسَنٍ فَدَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ –ﷺ– وَالسِّلْسِلَةُ فِي يَدِهَا فَقَالَ: يَا فَاطِمَةُ **أَيَغُرُّكِ أَنْ يَقُولَ النَّاسُ ابْنَةُ رَسُولِ اللَّهِ وَفِي يَدِهَا سِلْسِلَةٌ مِنْ نَارٍ**؟ ثُمَّ خَرَجَ وَلَمْ يَقْعُدْ فَأَرْسَلَتْ فَاطِمَةُ بِالسِّلْسِلَةِ إِلَى السُّوقِ فَبَاعَتْهَا وَاشْتَرَتْ بِثَمَنِهَا غُلَامًا»[3]، فقد كره النبي–ﷺ– رؤية ابنته فاطمة –رضي الله عنها– فقال مستفهما لها

1– سبق تخريجه، ص 92.

2– دروس في البلاغة العربية، مرجع سابق، ص113.

3– رواه النسائي، رقم 5140، كتاب الزينة، باب الكراهية للنساء في إظهار الحلي والذهب، ص 778.

(أَيَغُرُّكِ أَنْ يَقُولَ النَّاسُ ابْنَةُ رَسُولِ اللَّهِ وَفِي يَدِهَا سِلْسِلَةٌ مِنْ نَارٍ؟)، أي: أيسرك أن يقول الناس هذا القول ويستهجنون فعلك؟ ولا شك أن في هذا الاستفهام إنكار عليها لبس الذهب وإن كان مما يباح للنساء دون الرجال، وقد خرج هذا الاستفهام الإنكاري إلى النهي عن لبس الذهب لأهل بيته.

ثالثا: السياق والدلالة الأساسية للاستفهام بالهمزة:

تتجلى القيمة الدلالية للنصوص من خلال فك ملابسات السياق التي تعتريه، فتؤثر فيه وتكسبه مزايا إلى الجانب اللغوي للتركيب، مما يجعل الخطاب له ميزة خاصة، ولعل ما من أبرز العوامل الفاعلة في سياقات أسلوب الاستفهام، العوامل المحيطة به، سيما أنه يحتاج إلى طرفين أساسيين، وهما المرسل والمتلقي والمضمون، أي يجب أن يتوفر الأسلوب على المستفهم والمجيب، ومضمون الاستفهام وهي العبارة التي تأتي بصيغة الاستفهام بإحدى أدواته، وهذا يعتمد ولا شك على البنية الحوارية، التي تتداخل مع العوامل النفسية لكل من الطرفين، مما يشكل زخما دلاليا؛ وقد مرت علينا مجموعة من الأحاديث وقد وجدناها في قالب الحوار دائما، مما يجعلنا نحكم حكما مسبقا على أن الاستفهام في الحديث الشريف يعتمد البنية الحوارية، لذا سنعتمد على عينة من الأحاديث الشريفة لبيان مقصدنا في النقاط الآتية:

1- البنية الحوارية لأسلوب الاستفهام: يعد الحوار إحدى وسائل التواصل الفعال بين الجماعات اللغوية، يهدف إلى تحقيق مقاصد نفعية للصالح العام، ثم إن الحوار هو حديث بين شخصين أو فريقين يتم فيه تداول الكلام بينهما بطريقة متكافئة فلا يستأثر به أحدهما دون الآخر[1]، وقد يتخلل الحوار أسلوب الاستفهام بين الحين والآخر، مما يجعله أكثر ثراء وعمقا، وذلك راجع إلى المنتج اللغوي لكل من طرفي العملية التواصلية، فأحيانا تكون جملة الاستفهام أطول من جملة الجواب، وأحينا أخرى يحدث العكس، فهنا يستوجب علينا النظر إلى الحوارات التي تعتمد على الاستفهام أساسا.

فأسلوب الاستفهام من الدعائم التي يبنى عليها النمط الحواري الذي يكون بين طرفين أو أكثر، حيث تختلف البنية التركيبية عند تفاعل الحوار بين الطرفين، فيعتمد كل طرف على نوعية معينة الألفاظ وعلى جمل

1- ينظر: الحوار بين الجماعات الإسلامية، محمد سيد المسير، ط1، دار الطباعة المحمدية، القاهرة، 1418هـ-1997م، ص13. ويأتي الحوار في اللغة: الحاء والواو والراء ثلاثة أصول: أحدها اللون، والآخر الرجوع، والثالث أن يدور الشيء دورانا، ينظر: مقاييس اللغة، مرجع سابق، مادة (حور)، ص115، ج2.

استفهامية مختلفة عن الآخر، وذلك لتحقيق غاية ملفوظية تعود بالفائدة على كل من الطرفين، لذا فكل استفهامات النبي-ﷺ- جاءت على النمط الحواري وهذا ما يحقق مرونة في التواصل وكون أسلوب الاستفهام من الأساليب التي يجنح فيها المتكلم إلى الاختصار واستعمال الألفاظ القليلة، وهذا ما يقتضيه الموقف الكلامي، فلا يعتمد على تنميق العبارة أو التطويل فيها، وهذا ما نستعمله في محادثاتنا اليومية، فعادة ما تكون جملة الاستفهام مركبة من (أداة الاستفهام والمستفهم عنه) بحسب ما تقتضيه نظرية الكفاية[1] اللغوية، التي تهدف إلى الاستعمال الأمثل للغة بحيث يكتفي فيها المتكلم بامتلاك المهارات اللغوية وتوظيفها عند السياق الملائم لها، لتحقيق القيمة الإبلاغية للخطاب، وقد يلجأ المتكلم إلى طريقة المحاور لما لها من تأثير وجذب للمخاطب «فأسلوب الحوار محبب إلى النفس، يضفي الحيوية على النص الأدبي الجميل، ويدفع الملل والشرود، ويشد انتباه السامع، ويجعل الإقبال على متابعة النص أشد، والذهن أكثر تفتحا وتجاوبا»[2]، فقد ينبني نص الحديث كله على أسلوب الاستفهام، فيكون هو أصل البنية الخطابية ومحركها ذلك لما يكون فيه من أخذ ورد بين النبي-ﷺ- وبين مُخَاطبه، ولعلها سمة أسلوبية تطبع الحديث النبوي الشريف دون غيره من الخطابات الأخرى، فالمستفهم عادة ما يلجأ إلى السؤال لدوافع معينة، فحينما يحصل على إجابة يكف عن سؤاله، أما محاورات النبي-ﷺ- فكثير منها كان محورها السؤال، سواء كان ذلك بمبادرة منه أو بمبادرة الصحابة –رضوان الله عنهم؛ وهذا ما يتجلى في الحديث الشريف؛ وهذه نماذج مختارة من الاستفهام الحواري في الحديث الشريف.

– عَنْ أَبِي بَكْرَةَ -رضي الله عنه-عَنْ النَّبِيِّ -ﷺ- أنه قَالَ: « الزَّمَانُ قَدْ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ السَّنَةُ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ثَلَاثٌ مُتَوَالِيَاتٌ ذُو الْقَعْدَةِ وَذُو الْحَجَّةِ وَالْمُحَرَّمُ وَرَجَبُ مُضَرَ الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ **أَيُّ شَهْرٍ هَذَا؟** قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ يُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، قَالَ: **أَلَيْسَ ذَا الْحَجَّةِ؟** قُلْنَا: بَلَى، قَالَ: **أَيُّ بَلَدٍ هَذَا؟** قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا

1- الكفاية اللغوية: هي مستوى الجودة لشخص ما في استعمال المهارات اللغوية محادثة وقراءة، وكتابة وفهما، ويمكن أن يختلف هذا المستوى في ضوء مستوى التحصيل اللغوي، وهناك تقاطع بين مصطلح الكفاية والإنجاز والأداء، ويعود الفضل في ظهور هذا المصطلح إلى العالم الأمريكي نعوم تشومسكي (Naom Chomsky) عام 1957م. ينظر: الكفاية اللغوية مفهوما ومعيارا وقياسا، محمود السيد، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، 1437هـ-2016م، المجلد 89، الجزء4، ص 870.

2- الحديث النبوي –مصطلحه-بلاغته-كتبه-، محمد الصباغ، ص 96.

أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، قَالَ: **أَلَيْسَ الْبَلْدَةَ؟** قُلْنَا: بَلَى ،قَالَ: **فَأَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟** قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ قَالَ: **أَلَيْسَ يَوْمَ النَّحْرِ؟** قُلْنَا: بَلَى قَالَ: فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ قَالَ مُحَمَّدٌ وَأَحْسِبُهُ قَالَ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا وَسَتَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ فَيَسْأَلُكُمْ عَنْ أَعْمَالِكُمْ أَلَا فَلَا تَرْجِعُوا بَعْدِي ضُلَّالًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ أَلَا لِيُبْلِغْ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ فَلَعَلَّ بَعْضَ مَنْ يَبْلُغُهُ أَنْ يَكُونَ أَوْعَى لَهُ مِنْ بَعْضِ مَنْ سَمِعَهُ فَكَانَ مُحَمَّدٌ إِذَا ذَكَرَهُ قَالَ صَدَقَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ قَالَ أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ»[1]، لقد اشتمل هذا الحديث على مجموعة من الاستفهامات، لأن النبي-ﷺ- كان يخطب في الناس وهذا ما دلت عليه المقدمة التي استفتح بها خطبته، ويسألهم عن أشياء مألوفة عندهم وهي: (الشهر الحرام، والبلد، واليوم)، لكن الصحابة —رضوان الله عنهم- التبست عليهم الإجابة حتى خيل إليهم أنها ليست كذلك مما جعلهم في حيرة في أمرهم حتى قالوا: (قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ)، فيعيد صياغة الاستفهام مرة أخرى متضمنا الجواب بصيغة النفي، فيلتفت الصحابة إلى الجواب فأتي التصديق بـ(بلى)، فنلاحظ استعمال نمطين من الاستفهام، فالنمط الأول: اعتمد فيه على اسم الاستفهام (أيُّ) الذي يطلب به التعيين، ثم يردفه باسم، فجاء أسلوب الاستفهام في صياغته معتمد على الجملة الاسمية المثبة، وقد تكررت ثلاث مرات، في كل مرة يسأل عن شيء معين يخالف ويغاير ما سبقه، ثم لما كان الصحابة لا يردون الرد المناسب كان يعيد الاستفهام مرة ثانية بنمط مغاير للأول، فيأتي بجملة اسمية منسوخة وبصيغة النفي، حتى يمكنهم من الإجابة حتى يحصل لهم اليقين فيما هم فيه من أمور العبادة التي تحدث في الحج، فاستعمل :(أداة الاستفهام الهمزة، مع الناسخ)، وكان الصحابة يجيبون بـ(بلى)، التي تفيد أنهم يدركون حقيقة ما يُسألون عنه.

– ومما حفظته لنا كتب السيرة النبوية، المحاورة التي دارت بين عتبة والنبي-ﷺ-، فقد رواه ابن إسحاق في السيرة أن عتبة تشاور مع سادة قريش في أن يعرض أمورا على النبي -ﷺ- لعله يكفُّ عنهم، فعرض عليه أمورا فلما فرغ من عرضها قَالَ النبي-ﷺ-: «**أَقَدْ فَرَغْتَ يَا أَبَا الْوَلِيد** ؟ قَالَ : نَعَمْ، قَالَ: فَاسْمَعْ مِنِّي؛ قَالَ: أَفْعَلُ؛ فَقَالَ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ : ﴿حم، تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ، بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ، وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ﴾[سورة

1- رواه البخاري، رقم 7447، كتاب التوحيد، باب قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ،إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾، ص1834.

السجدة: الآيات 1-5] ثُمَّ مَضَى رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-فِيهَا يَقْرَؤُهَا عَلَيْهِ، فَلَمَّا سَمِعَهَا مِنْهُ عُتْبَةُ، أَنْصَتَ لَهَا، وَأَلْقَى يَدَيْهِ خَلْفَ ظَهْرِهِ مُعْتَمِدًا عَلَيْهِمَا يَسْمَعُ مِنْهُ؛ ثُمَّ انْتَهَى رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- إِلَى السَّجْدَةِ مِنْهَا، فَسَجَدَ ثُمَّ قَالَ: قَدْ سَمِعْتَ يَا أَبَا الْوَلِيدِ مَا سَمِعْتَ، فَأَنْتَ وَذَاكَ»[1]، فقد جاء الاستفهام مع الفعل الماضي وقد سبقته (أَقَدْ فَرَغْتَ يَا أَبَا الْوَلِيدِ؟) فجاءت الهمزة لطلب التصديق، فاستفهم بقد مع الماضي الذي يفيد التحقيق، فالمتكلم قد أنهى كلامه وتحقق ذلك عند المستمع، وهو النبي-ﷺ-، فلم يكن ليسأله إلا لِتَيَقُّنِهِ من فراغه من الكلام، كما أنه يحتمل أن يكون معنى ما الجملة الاستفهامية: الآن وقد فرغت أنت من الكلام فاسمع مني الآن، وهذا ما دل عليه قوله: (فَاسْمَعْ مِنِّي؛ قَالَ: أَفْعَلُ)، وهذا غاية في الأدب ورحابة الصدر، أن يأتي ذلك مع مشرك، ولم يلزمه بشيء ولم يتذمر منه بل عرض عليه ما عرض وتركه لشأنه، فاستعمل النبي الاستفهام ولم يكن يريده لذاته وإنما الموقف والحكمة يقتضي أن يستعمل هذا الصياغة لأن سادة قريش كانت تكن له العداوة فلا سبيل إلى التفاوض إلاَّ باختيار نوعية معينة من الأساليب التي تقذف في النفس راحة ورغبة في الإنصات وهذا ما جعل عتبة يسمع منه.

2- الطرق التي يعتمدها النبي-ﷺ- في إنشاء الحوار[2]:

أ- الإبهام والتفسير: لقد سبق الحديث عن التحضيض كونه يعتمد على استعمال مؤشرات البنية الطلبية للتركيب، حيث يعتمد فيه المتكلم على عناصر معينة في تركيبه وهي حرف العرض مع الجملة الفعلية، ثم إن بعد هذه الجملة تأتي جملة أخرى تحدد الغرض من سياق هذا الحض وفحواه، فيعتمد فيها المتكلم نوعا من الإبهام على المخاطب ثم يعقبه بتفسير ذلك الإبهام حتى يحصل المراد من إلقاء الخطاب، وإلا فلا فائدة منه، فالفائدة من الخطاب هو إفادة المتلقي، وهذا ما يجعله يحمل سمة بلاغية رفيعة المستوى يقول صاحب الطراز: «اعلم أن المعنى المقصود إذا ورد في الكلام مبهما فإنه يفيد بلاغة ويكسبه إعجابا وفخامة، وذلك لأنه إذا قرع السمع على جهة الإبهام فإن السامع له يذهب في إبهامه كل مذهب»[3]، غير أن هذا الإبهام ليس غرضه

1- أخرجه ابن هشام في السيرة النبوية من حديث محمد بن كعب، و ينظر تمام القصة: السيرة النبوية، أبو محمد عبد الملك بن هشام، ط2، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، 1430هـ-2009م، ص134.

2- وقد تطرق الشيخ محمد الضباع إلى هذه الطرق في معرض حديثه عن الحوار في أحاديثه -ﷺ-، واجتهدنا في إضافة شيء إلى هذه الطرق.ينظر: الحديث النبوي -مصطلحه-بلاغته-كتبه-، مصدر سابق، ص 97.

3- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحي بن حمزة العلوي، ص240.

التعمية والغموض، وإنما هو تنبيه للسامع إلى قضية مهمة دون إفصاح عنها، فإن استجمع هِمَّتَهُ للإصغاء، أُخبر بتلك القضية، ومن ذلك ما روي عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ –رضي الله عنه– قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ –ﷺ–: «**أَلا أَدُلُّكُمْ عَلَى دَائِكُمْ وَدَوَائِكُمْ؟** أَلَا إِنَّ دَاءَكُمُ الذُّنُوبُ، وَدَوَاؤُكُمُ الاسْتِغْفَارُ»[1]، فقد مرَّ الحديث عن (أَلاَ) التي تساق للتحضيض، ولو أننا استغنينا عليها في هذا التركيب فيصبح استفهاما حذفت منه الأداة: أَدُلُّكُمْ عَلَى دَائِكُمْ وَدَوَائِكُمْ؟ ففيه إبهام لأن الخطاب موجه إلى جماعة الصحابة، ومضمونه مبهم إذ فيه إرشاد إلى (الدَّاءِ) و(الدَّوَاءِ) فيتبادر إلى الذهن أن العلة جسدية، لكن حينما أردف ما يزيل هذا الإبهام وهو قوله: أَلا إِنَّ دَاءَكُمُ الذُّنُوبُ، وَدَوَاؤُكُمُ الاسْتِغْفَارُ، تبين طبيعة هذا الداء وهو ما يصيب إيمان المرء من تهاون وتقصير بارتكاب الذنوب والمعاصي، ودواءه يكون بالاستغفار، فزال الإبهام وتحققت الفائدة لدى المستمع.

ب– الإغراب في العبارة أو اللفظ: وقد يستعمل النبي–ﷺ– ألفاظا تبدو غريبة معانيها وخافية، فَيُلجأُ الصحابة –رضوان الله عليهم– إلى الاستفهام حتى يبين لهم الغرض من إيراد هذا الإغراب في العبارة من ذلك ما ورد عنْ أَبِي ذَرٍّ–رضي الله عنه– أَنَّ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ –ﷺ– قَالُوا لِلنَّبِيِّ –ﷺ–: «يَا رَسُولَ اللَّهِ ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بِالْأُجُورِ، يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ، وَيَتَصَدَّقُونَ بِفُضُولِ أَمْوَالِهِمْ ، قَالَ: **أَوَ لَيْسَ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ مَا تَصَّدَّقُونَ؟** إِنَّ بِكُلِّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةً، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنْ مُنْكَرٍ صَدَقَةٌ، **وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ**، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ أَكَانَ عَلَيْهِ فِيهَا وِزْرٌ؟ فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الْحَلَالِ كَانَ لَهُ أَجْرٌ»[2]، فقد جاء النبي–ﷺ– بعبارة غريبة تدعو إلى التساؤل، وهي قوله: (وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ)، فغرابتها وضعت الصحابة يستفهمون،وحقيقة البُضْعِ «النِّكاحُ والمُبَاضَعَةُ المجَامَعَةُ، وهي البِضَاعُ ... وَيُقَالُ: مَلَكَ فُلَانٌ بُضْعَ فُلَانَةٍ إِذَا مَلَكَ عُقْدَةَ نِكَاحِها وهو كِنَايَةٌ عَنْ مَوْضِعِ الْغِشْيَانِ»[3]، ولأنَّ اللفظة وردت في سياق ما يؤجر عليه المسلم من عمل أفعال الطاعات القربات كالذكر والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ثم عطف عليها شيئا يبدو للصحابة غريبا بل وفيه أجر ومنفعة، لأنهم لم يكونوا يعلمون أن إفراغ شهوة الجماع فيها أجر، فهذا حرك فضولهم حتى يكتشفوا كيف ولماذا؟، فيأتي الجواب على صيغة الاختبار والاختيار بقوله: (أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي

1– أخرجه البيهقي في شعب الإيمان، رقم 6746، ج9، ص 348.

2– رواه مسلم، رقم 1006، كتاب الزكاة، باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف، ص 697.

3– لسان العرب، مصدر سابق، مادة بضع، مج1، ص 297.

حَرَامٍ أَكَانَ عَلَيْهِ فِيهَا وِزْرٌ؟)، أي: أرأيتم إن وضعت هذه الشهوة في غير موضعها الصحيح فما يكون مصير فاعلها من الإثم أو الأجر، فكانت غرابة العبارة هي الباعث على استفهام الصحابة.

ومن هذا الباب فقد يلجأ النبي -ﷺ- إلى استعمال اللفظة الغريبة حتى يفتح حوارا مع الصحابة مثل قوله -ﷺ-: « **أَلَا أُنَبِّئُكُمْ مَا الْعَضْهُ؟** هِيَ النَّمِيمَةُ الْقَالَةُ بَيْنَ النَّاسِ»[1]، وقد سبق الحديث عنه قريبا عند استعمال الهمزة مع الفعل (أنبأ)، فمن الملاحظ أن لفظة (الْعَضْهُ) والتي هي النميمة تحتاج إلى شرح حتى يفهمها السامع، وإنما تقصد استعمل هذه اللفظة الغريبة في هذا الموضع للدلالة على شيء وجب الابتعاد عنه لأن النميمة شيء دخيل على أخلاق المسلم، كوقع غرابة هذا اللفظ على أذهانهم.

ج- التمثيل بالوقائع المحسوسة: ومن الطرائق التي يتخذها النبي-ﷺ- في إثارة المخاطبين وحملهم على التفاعل معه، اللجوء إلى التمثيل بالوقائع المحسوسة التي يستمدها من الواقع، كما نجده في حديث جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ-رضي الله عنهما- «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ-ﷺ- مَرَّ بِالسُّوقِ دَاخِلًا مِنْ بَعْضِ الْعَالِيَةِ وَالنَّاسُ كَنَفَتَهُ فَمَرَّ بِجَدْيٍ أَسَكَّ مَيِّتٍ فَتَنَاوَلَهُ فَأَخَذَ بِأُذُنِهِ ثُمَّ قَالَ: **أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنَّ هَذَا لَهُ بِدِرْهَمٍ؟** فَقَالُوا: مَا نُحِبُّ أَنَّهُ لَنَا بِشَيْءٍ وَمَا نَصْنَعُ بِهِ؟ قَالَ: **أَتُحِبُّونَ أَنَّهُ لَكُمْ؟** قَالُوا: وَاللَّهِ لَوْ كَانَ حَيًّا كَانَ عَيْبًا فِيهِ لِأَنَّهُ أَسَكُّ فَكَيْفَ وَهُوَ مَيِّتٌ، فَقَالَ: فَوَاللَّهِ لَلدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ هَذَا عَلَيْكُمْ»[2]، فنلاحظ كيف استلهم النبي -ﷺ- من هذه الجدي الميت الملقى على الأرض حوارا مع الناس في السوق، وذلك بالسؤال والجواب، حتى يوصل ما أراد أن يوصله إلى المتلقي من معاني يقربها إليهم ومن ذلك تمثيل الدنيا وحطامها بقيمة هذا الجدي الذي لا ثمن له.

د- استفزاز الصحابة وحملهم على الجواب: ومن الحوارات التي يسلك فيها النبي -ﷺ- طريقة استفزاز الصحابة وحملهم على الإجابة ما من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- في بيان حقيقة المفلس، أن رسول الله-ﷺ

1- سبق تخريجه، ص 133. يقول النووي عند وقوفه على هذا الحديث: «هذه اللفظة رووها على وجهين، احدهما (الْعِضَهْ) بكسر العين وفتح الضاد المعجمة على وزن العِدَة والزِنَه، والثاني (الْعَضْه) بفتح العين وإسكان الضاد على وزن (الْوَجَه)، وهذا الثاني هو الأشهر في روايات بلادنا والأشهر في كتب الحديث وكتب غريبه، والأول أشهر في كتب اللغة ، ونقل القاضي أنه رواية أكثر شيوخهم وتقدير الحديث والله اعلم (ألا أنبئكم مالعضه الفاحش الغليظ التحريم»، المنهاج شرح صحيح مسلم، مصدر سابق، ج16، ص 159.

2- رواه مسلم، رقم 2957، كتاب الزهد والرقاق، ص 2272. كَنَفَتَهُ:الْكَنَفُ والْكَنَفَةُ نَاحِيةُ الشَّيْءِ، ونَاحِيَتَا كُلِّ شَيْءٍ كَنَفَاهُ، والْجَمْعُ أَكْنَافٌ .أَسَكُّ: السَّكَكُ: الصَّمَمُ، وقيلَ: صِغَرُ الأُذُنِ وَلُزُوْقِهَا بالرَّأسِ وقِلَّةُ إشْرَافِها، وقيلَ: قِصَرُها. ينظر: لسان العرب، مرجع سابق، مادة (كنف)، مج5، ص3940، ومادة (سكك)، مج4، ص2050.

– قال: «**أَتَدْرُونَ مَنِ الْمُفْلِسُ؟** قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ وَلَا مَتَاعَ، فَقَالَ: إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي مَنْ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَّامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي وَقَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطِى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فُنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يَقْضِيَ مَا عَلَيْهِ، أَخَذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ»[1]، فقد افتتح هذا المحاورة بالسؤال عن حقيقة المفلس حتى يدلوا بما لديهم من إجابة، وإن كانت إجابتهم صحيحة منطبقة على الواقع في حقيقة الإفلاس، إلا أنه ذهب إلى أبعد من ذلك فخرج بحقيقة الإفلاس من الإفلاس الدنيوي إلى الإفلاس الأخروي، نجده ينطلق من الواقع ويستفز الصحابة –رضوان الله عليهم– حتى يبصرهم بحقائق الأمور، وبعد النظر لا كما يعتقدونها، فقد أكسب هذه اللفظة مدلولا أخرويا غير الذي كان مقررا عنده.

فنلاحظ كيف جاء الحوار في حديث النبي–ﷺ– مبنيا على الاستفهام بالهمزة، التي غالبا ما تفتح مجالا أرحب أوسع في بناء المحاورات الطويلة التي تقتضي من طريقة تبادل الأدوار والتناوب على المساءلة من كلا طرفي العملية، وذلك لتبليغ قدرا كافيا من المعاني التي يريد أن يبلغ كل طرف للآخر، وما تجدر الإشارة إليه أن الحوار من المرتكزات الأساسية التي تقوم عليها بعض الألوان الأدبية كالقصة والرواية مما يستدعي حوارات طويلة حتى يستطيع الكاتب أن يوصل فكرته إلى القارئ، وبعكس ما نجده في الحديث الشريف الذي لا يمكن مقارنته بمثل هذه الحوارات الأدبية يبدو قصيرا بالنسبة إليها، فيمتاز بالدقة والتركيز وقد أشار إلى ذلك الصباغ في قوله: «وهكذا نرى أن الحوار أسلوب كان الرسول ص يرتضيه ويعمل على إثارته لما فيه من الحيوية والجمال، والشيء الذي يستحق التسجيل أن الحوار إنما يُطلب في الكلام الطويل والقصص والروايات، أما أن يكون في مثل هذا الحيز الضيق والكلام القصير، ويكون بمثل هذا التوفيق فهو محل التقدير والإعجاب»[2].

فالحوار في حديث النبي–ﷺ– سمة غالبة عليه، فاستعمل فيها طرقا أسلوبية حكيمة[3]، وقد جمع مهنا الدكتور الصباغ[4] عينة حللها ليكشف جوانب من بلاغته، والأساليب التي ينتهجها في كل مرة، فيستعمل

1– سبق تخريجه، ص 36.

2– الحديث النبوي –مصطلحه–بلاغته–كتبه–، مصدر سابق، ص 105.

3– ينظر: الحوار في الحديث النبوي الشريف–دراسة تحليلية بلاغية لأحاديث مختارة–، علوة بنت عابد عبد الله الحساني، إشراف أ/د عبد الموجود متولي بهنسي، رسالة ماجستير، قسم اللغة العربية، جامعة أم القرى، 1429هـ–1430هـ، ص22.

4– الحديث النبوي –مصطلحه–بلاغته–كتبه–، مصدر سابق، ص97ص101.

أسلوب المناقشة، كما يستعمل أسلوب الاستدراج حتى يرغب السامع وينشطه كما مر معنا في مفاوضته مع عُتْبَةَ، وأحيانا يستعمل أسلوب التشويق، وأحيانا يذكر أمرا عظيما حتى يرغبهم في الجواب، وأحيانا يَحثهم على الجواب حتى يصحح نظرتهم، وذلك في قالب استفهامي لا يأت إلى ممن أوتي جوامع الكلم واختصر له الكلام اختصارا.

هـ- **الحجاجية**: إن التنوع الدلالي لتركيب الاستفهام، يفضي إلى دقة المعنى وانفتاحه إلى دلالات أخرى تختمر في النفس وصولاً إلى إثارة أو شد فكر المتلقي، وهذا إذا تعلق الأمر بالوظيفة الإبلاغية لأسلوب الاستفهام واعتماده على الإقناع، فهو من الأساليب التي تكشف للإنسان حقيقة الأمور وتحصيل المعرفة، والخروج من أوهام الحيرة إلى نور الحقيقية، وعليه فإن أسلوب الاستفهام من الأساليب التي يعتمدها أصحاب الجدل والحجاج؛ إما لإقناع المتلقي، أو شحذ همته ليتطلع إلى المعرفة اليقينية التي تنبني عليها حياته، «وهذا العلم من أرفع العلوم قدرا وأعظمها شأنا، لأنه السبيل إلى معرفة الاستدلال وتمييز الحق من المحال، ولولا تصحيح الوضع في الجدل لما قامت حجة ولا اتضحت محجة، ولا علم الصحيح من السقيم ولا المعوج من المستقيم»[1]، فالحجاج: فن ترتيب الأفكار ترتيبا دقيقا بحيث يؤدي إلى الكشف عن حقيقة مجهولة أو إلى البرهنة على صحة حقيقة معلومة[2]، وهو من الأساليب التي جاء بها القرآن الكريم في كثير من المواضع، ومن ذلك محاججة إبراهيم للنمرود التي قصها علينا الله -تعالى- في قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[سورة البقرة: الآية 258] ، بل وأمر الله -تعالى- به نبيه-ﷺ- ﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[سورة النحل: الآية 125] ، وقد استعمل النبي-ﷺ- هذا الأسلوب في محاوراته لإقناع المتلقي من ذلك ما روي عن أبي هريرَةَ -رضي الله عنه-أن رسول الله-ﷺ- قالَ: «**أَرَأَيْتُمْ لوْ أنَّ نَهْرًا بِبَابِ أحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ منهُ كُلَّ يَوْمٍ خمسَ مرَّاتٍ هلْ يَبْقى منْ دَرَنِهِ**

1- كتاب المنهاج في ترتيب الحجاج، أبو الوليد الباجي، تحقيق عبد المجيد التركي، ط3، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 2000م، ص 8.

2- ينظر: أساليب الحجاج في القرآن الكريم من خلال سورة الإسراء إلى سورة يس- دراسة تحليلية-آمنة عوض الكريم محمد، إشراف سيف النصر عبد الله الكباش، رسالة ماجستير، كلية أصول الدين، جامعة أم درمان، 1433هـ-2012م، ص 5.

شيْءٌ؟ قالوا: لا يَبْقَى من دَرَنِهِ شيْءٌ، قال: "فَكَذَلِكَ مثَلُ الصَّلَواتِ الخَمْسِ يَمْحُو اللهُ بِهِنَّ الْخَطَايَا»[1]، فقد استعمل أسلوب الاستفهام في عقد المقايسة بين شيء حسي وشيء معنوي بين الصلوات الخمس التي تمحو الذنوب، وبين الاغتسال من النهر لإزالة الوسخ، مستعملا همزة الاستفهام والفعل الماضي (أرأيتم) بمعنى هل أخبركم على سبيل التحضيض وتهيئة العقل لان الاستفهام الحقيقي جاء بهل للتصديق في قوله: (هلْ يَبْقى منْ دَرَنِهِ شيْءٌ؟)، على سبيل إقامة الحجة عليهم، ذلك أن مثل ما يزيل أوساخ البدن مثل ما يزيل أوساخ النفس، فإذا كان الماء يطهر البدن فكذلك مثل الصلوات الخمس فهي أيضا تزيل الآثام التي تعلق بنفس المؤمن.

ومن تجليات الحجاج في الحديث الشريف ما روي عَنْ أَبِي أُمَامَةَ–رضي الله عنه– قَالَ: «إِنَّ فَتًى شَابًّا أَتَى النَّبِيَّ –ﷺ–فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ائْذَنْ لِي بِالزِّنَا؟ فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ فَزَجَرُوهُ وَقَالُوا: مَهْ، مَهْ، فَقَالَ: ادْنُهْ، فَدَنَا مِنْهُ قَرِيبًا، قَالَ: فَجَلَسَ قَالَ: **أَتُحِبُّهُ لِأُمِّكَ؟** قَالَ: لَا وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: **وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ**، قَالَ: **أَفَتُحِبُّهُ لِابْنَتِكَ؟** قَالَ: لَا، وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: **وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ**، قَالَ: **أَفَتُحِبُّهُ لِأُخْتِكَ؟** قَالَ: لَا، وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: **وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأَخَوَاتِهِمْ**، قَالَ: **أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ؟** قَالَ: لَا، وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: **وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ**، قَالَ: **أَفَتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ؟** قَالَ: لَا، وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: **وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالَاتِهِمْ**، قَالَ: فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ وَقَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ»[2]، فنجد في هذه المحاورة الطويلة أسلوب الاستفهام قد تكرر أكثر من مرة مع الفعل المضارع (تُحِبُّهُ) الذي تكرر مع شبه الجملة المتكونة من لام الجر والاسم، واللام إنما هي للإلصاق، وكان ذلك في أسلوب غاية في الحكمة، إذا قرن طلبه هذا والذي يخالف الأحكام الشرعية من جهة ويخالف الأخلاق من جهة أخرى، وراح يسقط هذا الطلب عليه إن كان يرضاه لأهله ويقبله، فكان يجيب في كل مرة (لَا وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ) مستعملا النفي مع القسم، وقد كان الاستفهام كله تقريريا ليقر الشاب بخطورته، وسوء عاقبته، وهذا ما حمل الشاب أن يؤكد النفي بالقسم في كل مرة لأن الأمر شنيع وهذا ما دل عليه قوله –ﷺ– (وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ)، فمادام قد امتنع حصوله

1– سبق تخريجه، ص 93.

2– رواه أحمد، رقم 22211، مسند الأنصار، حديث أبو أمامة الباهلي، ص 1601. وقوله: مَهْ: زَجْرٌ وَنَهْيٌ، كلمة بنيت على السكون، وهو اسم سمي له الفعل، معناهُ اكْفُفْ لأَنَّهُ زَجْرٌ، فإن وصلت نوَّنْتَ قُلْتَ: مَهٍ مَهْ، وكذلكَ صَهْ. ينظر: لسان العرب، ابن منظور، مرجع سابق، مادة (مهه)، مج6، 4291.

مع الناس فمن باب أولى من آمن بالله ورسوله، ثم إن من اللطائف التي اشتمل عليها الحديث ترتيبه للأهل من حيث الأقرب فالأقرب فقد بدأ بالأم ثم البنت، فالأخت، فالعمة وختم بالخالة، وهذه أدلة مفحمة لمن تسول له نفسه الإقدام على فاحشة الزنا، فلا أحد يرضاه لأهله فكيف مع الغير، ومن اللطائف التي اشتمل عليها الحديث أيضا زجر الصحابة له، لكن النبي-ﷺ- لم يقبل هذه المعاملة له، بل طلب منه أن يدنو، وهذا من تمام أدبه وتجلي حكمته.

فقد استعمل النبي -ﷺ- أسلوب الحجاج في كل مرة، وسيلة لإقناع المتلقي، معتمدا في ذلك على أسلوب الاستفهام، حتى يحمل المتلقي على بيان حجته، فحين لا يجد سبيلا إليها، يلزمه بالحجة وذلك اعتمادا على القياس تارة، والتمثيل، والإسقاط تارة أخرى، وهذا إن دل على شيء إنما يدل على الحكمة التي حباه الله بها، وقد كان المتلقي يذعن ويتقبل الحجة لأنه لا مجال للهروب منها.

2- العوامل الفاعلة في أسلوب الاستفهام:

تتحكم في أسلوب الاستفهام عوامل مختلفة، يفرضها السياق المقامي الذي يلقى فيها، مما ينتج تنوعا دلاليا يكسب النص ميزة فريدة، ولعل من أبرز هذه العوامل المتحكمة في الاستفهام ما تمليه أو تدعو إليه بعض المواقف، ومن هذه المواقف التي حاولنا أن نستشفها من الحديث الشريف ونقف عليها ما يأتي:

أ- العوامل النفسية: يتأثر الإنسان أحيانا في بعض المواقف مما يدعوه إلى صياغة الاستفهام في شكل انفعالي وهذا ما تكشف عنه بعض القرائن كقرينة التنغيم يقول تمام حسان: «وللنغمة دلالة وظيفية على معاني الجمل تتضح في صلاحية الدمل التأثيرية (exclamatory) المختصرة نحو: لا، نعم، يا سلام، الله، الخ، لأن تقال بنغمات متعددة ويتغير معناها النحوي والدلالي مع كل نغمة بين الاستفهام والتوكيد والإثبات لمعان مثل الحزن والفرح والشك والتأنيب والاعتراض والتحقير وهلم جراً حيث تكون النغمة عي العنصر الوحيد الذي تسبب تباين هذه المعاني لان الجملة تتعرض لتغيير في بنيتها ولم يضف إليها أو يستخر منها شيء ولم يتغير فيها إلا التنغيم، وما قد يصاحبه من تعبيرات الملامح وأعضاء الجسم مما يعتبر من القرائن الحالية»[1]، ولعل من أبرز ما

1- اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، ص228.

يدعو إلى الاستفهام الجانب الانفعالي يظهر بصورة واضحة من المواقف لأن اللغة لها طابع إفصاحي لما يجيش في النفس فيأتي في شكل ردة فعل وقد يصاحبها تصرفات معينة، تكشف عن الحالة النفسية للمتكلم، وقد ظهر ذلك جليا في بعض أحاديث النبي -ﷺ- وهذه نماذج مختارة منها:

- عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ-رضي الله عنه- قَالَ: «بَعَثَنَا رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-فِي سَرِيَّةٍ، فَصَبَّحْنَا الْحُرَقَاتِ مِنْ جُهَيْنَةَ، فَأَدْرَكْتُ رَجُلًا، فَقَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَطَعَنْتُهُ فَوَقَعَ فِي نَفْسِي مِنْ ذَلِكَ، فَذَكَرْتُهُ لِلنَّبِيِّ -ﷺ- فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-: **أَقَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَقَتَلْتَهُ؟** قَالَ: قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّمَا قَالَهَا خَوْفًا مِنَ السِّلَاحِ، قَالَ: **أَفَلَا شَقَقْتَ عَنْ قَلْبِهِ، حَتَّى تَعْلَمَ أَقَالَهَا أَمْ لَا؟** فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا عَلَيَّ حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنِّي أَسْلَمْتُ يَوْمَئِذٍ»[1]، فنلاحظ بعد سردنا لهذا الحديث أن السياق العام قد حفظ لنا واقعتين وهما: قتل أسامة-رضي الله عنه- للرجل بعد نطقه للشهادة، وردة فعل النبي-ﷺ-، الذي جاء في شكل استفهام إنكاري، ولا يكشف عن هذا النوع من الاستفهام إلا عن طريق التنغيم، وما يدل على أثر التنغيم في هذا الحديث وروده مرتين: فأما الاستفهام الأول فقد كان الغرض منه التحقق من ما إذا كان قد قتله بعد نطقه الشهادة، أتحقق ذلك فعلا أم لم يتحقق، وأما الاستفهام الثاني فقد جاء بعد عرض حجة قتله، أنه لم يقلها متيقنا بها وإنما قالها خوفا من الموت، وهذا ما جعل النبي-ﷺ- يأتي بجملة استفهام طويلة، لكونها مركبة من جملتين، فالأولى مركبة من: (همزة الاستفهام+ الفاء+ الفعل الماضي ومتعلقات)، والثانية مركبة من: (الهمزة+ الفعل الماضي+ أمْ المعادلة+ لا النافية)، فطول جملة الاستفهام فيه دلالة واضحة عن استنكار قتل من نطق بالشهادة، لأنه يخالف مبادئ الشريعة الإسلامية، حتى وإن كان قائلها غير معتقد لها، فهذا هو الظاهر من الحديث الشريف، والله أعلم.

- عَنْ جَابِرِ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ -رضي الله عنهما- قَالَ: «أَقْبَلَ رَجُلٌ بِنَاضِحَيْنِ[2]-وَقَدْ جَنَحَ اللَّيْلُ- فَوَافَقَ مُعَاذاً، فَتَرَكَ نَاضِحَهُ وأَقْبَلَ إِلَى مُعَاذٍ، فَقَرأَ بِسُورَةِ الْبَقَرَةِ أَوْ النِّساءِ، فانْطَلَقَ الرَّجُلُ، وَبَلَغَهُ أَنَّ مُعَاذاً نَالَ مِنْهُ، فأَتَى النَّبِيَ-ﷺ- فَشَكَا إِلَيْهِ مُعَاذاً، فَقَالَ النَّبِيُّ-ﷺ-: **يا مُعَاذُ، أَفَتَّانٌ أَنْتَ؟ أَوْ فَاتِنٌ؟** (ثَلَاثَ مِرَارٍ)، فَلَوْلاَ صَلَّيْتَ ﴿بِسَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ﴾[سورة الاعلى: الآية 1] ﴿والشَّمْس وَضُحَاهَا﴾[سورة الشمس: الآية 1]،﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾[

1- سبق تخريجه، ص 104.

2- النَّاضِحُ: الْبَعِيرُ أَوْ الثَّوْرُ أَوْ الْحِمَارُ الَّذِي يُسْقَى عَلَيْهِ الْمَاءُ، والأنثى بالْهَاءِ، نَاضِحَةٌ وَسَانِيَةٌ. ينظر: لسان العرب، مرجع سابق، مادة (نضح)، مج6، ص 4451.

سورة الليل: الآية 1]، فَإِنَّهُ يُصَلِّي وَرَاءَكَ الْكَبِيرُ والضَّعِيفُ وذُو الْحَاجَةِ»[1]، أما في هذا الحديث فنلاحظ أن الوقائع تغيرت، بتغير المقام المقالي، فالقضية التي اشتمل عليها الحديث، هي تطويل معاذ -رضي الله عنه- للصلاة وهذا ما حمل الرجل على أن يشكوه إلى النبي-ﷺ- وهذا من جهتين أولا كونه قد نال[2] منه، والنيل من الشخص ذكره بالسوء، وأما السبب الثاني هو تطويله في الصلاة، فلما ذكر ذلك للنبي-ﷺ- أنكر على معاذٍ تصرفه، فاستعمل أسلوبين مختلفين وهما النداء (يا مُعَاذُ) والنداء هنا للقريب لذا استعمل (يا)، و أسلوب الاستفهام (أَفَتَّانٌ أَنْتَ؟)، ويكثر ذلك في الحديث النبوي الشريف[3]، ولا يمكننا الإحاطة بالحالة النفسية التي رد فيها النبي-ﷺ- إلا بالكشف عن جميع هذه الملابسات والقرائن التي تشير إلى الحالة الانفعالية وطرقة إلقاء الاستفهام مسبوقا بالنداء، ولا يلقى الاستفهام بهذه الطريقة إلا إذا كان أمرا خطيرا لذا وصف الصحابي بالفتنة يقول ابن رجب الحنبلي (ت795هـ): «وتفسير الفتنة هاهنا بالإضلال بعيدٌ، والأظهر: أن المراد بالفتنة هاهنا: الشغل عن الصلاة، فإن من طوَّل على مَنْ شقَّ عليه التطويل في صلاته فإنه يشغله عن الخشوع في صلاته ويُلهيه عنها»[4]، وقد تأتي الفتنة أيضا بمعنى الاختبار للمكروه[5] والابتلاء به، من عذاب وقتال وإحراق، والتطويل في الصلاة على العاجز والضعيف فيه مشقة وصعوبة في التحمل، لذا كان مدعاة لعدم الخشوع من جهة وتنفير للناس من جهة أخرى، لذا جاء الإرشاد الحكيم إلى التخفيف على الناس وذلك باختيار قصار السور في حسن توجيه مستعملا التحضيض: (فَلَوْلاَ صَلَّيْتَ) وسمى السور القصار الأعلى والشمس والليل، وهذا للتخفيف على الناس وترغيبهم في الصلاة.

1- رواه البخاري، رقم 705، كتاب الأذان، باب من شكا إمامه إذا طَوَّلَ، ص167. والنسائي، رقم 831، كتاب الإمامة، باب خروج الرجل من صلاة الإمام وفراغه، من صلاته في ناحية المسجد، ص 137.

2- وَفُلَانٌ يَنَالُ مِنْ عِرْضِ فُلَانٍ إِذَا سَبَّهُ. ينظر لسان العرب، مرجع سابق، مادة (نول)، مج6، ص4594.

3- يكثر مجيء النداء ويليه الاستفهام بالهمزة أو أحدى أدواته. ينظر: أسلوب النداء في الحديث النبوي الشريف من خلال صحيح البخاري-دراسة معيارية-، حياة بن ناجي، إشراف د/صالح بلعيد، رسالة ماجستير، كلية الآداب واللغات، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر، ص79.

4- فتح الباري شرح صحيح البخاري، أبو الفرج ابن رجب الحنبلي، تحقيق محمود بن شعبان بن عبد المقصود وآخرون، ط1، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية ، 1417هـ-1996م، ج6، ص231.

5- نحو قوله –تعالى-: ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾[سورة التوبة: 126] وقوله –تعالى-: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾[سورة البروج: الآية10]، وينظر: لسان العرب، مصدر سابق، مادة فتن، مج5، ص3346.

وانطلاقا من هذين الحديثين أن تركيبة أسلوب الاستفهام تكشف لنا عن الطرقة التي ألقي بها، وهي طريقة انفعالية تعبر عن الحالة النفسية التي يكون عليها المستفهم، وما يجيش به صدره من أحاسيس ومشاعر، تجاه مخاطبه، فتارة تأتي جملة الاستفهام طويلة، وأخرى يعمد المستفهم إلى استعمال أسلوبين مختلفين كالنداء والاستفهام، ولا يخف أن النداء يعتمد على طريقة أدائية معينة، فكل هذه المؤشرات تدل على الطريقة النتغيمية التي تترجم الحالة النفسية.

ب- الحالة الاجتماعية: ومن العوامل المتحكمة في أسلوب الاستفهام إضافة إلى الحالة النفسية للمستفهم، الحالة الاجتماعية أو بالأحرى المكانة الاجتماعية، فإن أسلوب الاستفهام مما يكثر في استعماله في محادثاتنا اليومية، ويأتي على مستويات، فيختلف باختلاف المكانة الإجتماعية وهناك مواقف لا يستطيع كل الناس أن تستعمل فيها أسلوب الاستفهام، سيما إذا كان الموقف المقامي وظروفه لا يحتمل ذلك، فربما كان ضربا من المجازفة، تعود سلبا على المستفهم، كأن يكون في موقف يخاطب فيه الناس، وكان المستفهم مجهول الحال عندهم، فربما لا يحض بفرصة إلقاءه، أو قد يلقى استهجانا من المخاطبين، فالمكانة الاجتماعية لها مزية كبيرة في كيفية إلقائه، وهذا ما يعرف بالسياق الاجتماعي الذي يهتم بمكانة المرسل أو صاحب النص، أو مكانة من يوجه إليهم الخطاب، فهذه الظروف والعوامل هي من يساعد المرسل في إرسال خطابه للمتلقي[1]، فتساعد على فهمه وتحدث تأثيرا لديهم؛ ومما يحسن الاستشهاد به عن ذلك ما روي عن ابْنِ عَبَّاسٍ-رضي الله عنهما- قَالَ: «لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ وَرَهْطَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلَصِينَ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ-ﷺ- حَتَّى صَعِدَ الصَّفَا فَهَتَفَ يَا صَبَاحَاهْ فَقَالُوا: مَنْ هَذَا الَّذِي يَهْتِفُ؟ قَالُوا: مُحَمَّدٌ فَاجْتَمَعُوا إِلَيْهِ، فَقَالَ: يَا بَنِي فُلَانٍ يَا بَنِي فُلَانٍ يَا بَنِي فُلَانٍ يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَاجْتَمَعُوا إِلَيْهِ فَقَالَ: **أَرَأَيْتَكُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا تَخْرُجُ بِسَفْحِ هَذَا الْجَبَلِ، أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ؟** قَالُوا: مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ كَذِبًا قَالَ: فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ قَالَ: فَقَالَ: أَبُو لَهَبٍ تَبًّا لَكَ أَمَا جَمَعْتَنَا إِلَّا لِهَذَا؟ ثُمَّ قَامَ، فَنَزَلَتْ هَذِهِ السُّورَةُ ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَقَدْ تَبَّ﴾»[2]،إن هذا الحديث الذي بين أيدينا يكشف لنا جانبا مهما من شخص النبي-ﷺ- ومكانته

1- ينظر: الأساليب الطلبية وآداءاتها الإبلاغية في الحديث النبوي الشريف –مقاربة تداولية- الجمعي حميدات، إشراف د/ محمد بوادي، رسالة دكتوراه، كلية الآداب واللغات، جامعة محمد لامين دباغين، سطيف، الجزائر، 2014م-2015م، ص176.

2- والبخاري، رقم 4770، كتاب تفسير القرآن، باب وأنذر عشيرتك الأقربين، ص 1196. ومسلم، رقم 355، كتاب الإيمان، باب أنذر عشيرتك الأقربين، ص194.

في قومه، فلو لم يكن كذلك –بأبي وأمي– ما كانوا ليجتمعوا عليه، ثم إنه استعمل أسلوب الندبة والاستغاثة في قوله: (يَا صَبَاحَاهْ)، ولا تستعمل إلا لأمر عظيم، فلما اجتمع عليه القوم قال: (أَرَأَيْتَكُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا تَخْرُجُ بِسَفْحِ هَذَا الْجَبَلِ)، بمعنى: وقد استعمل الفعل (رأى) الذي يخرج معناها للإخبار بمعنى اخبروني، ولا يريد منها الرؤية العينية، وإنما لازمها وهو الإخبار، والمعنى: أخبروني لو أخبرتكم، ثم ذكر فحوى الخبر، وهو تحذيرهم من خطر محدق بهم متمثل في خيل تغير عليهم، وهذا لتحضيرهم للطلب الذي سيأتي في شكل استفهام حقيقي لطلب التصديق في قوله: أَكُنْتُم مُصَدِّقِي؟، «بتشديد الياء، وأصله، أكنتم مصدِّقِين إياي، فالياء الأولى علامة النصب، والياء الثانية ضمير المفعول به وحذفت النون للإضافة»[1]، فقد كان جوابهم بالنفي المطلق باستعمال (ما) النافية، وذلك في قولهم: (مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ كَذِبًا)، فلو كان شخصا متهما بالكذب لما كان هذا الاجتماع من أصله، لكن من هو محمد–ﷺ–، ثم دعاهم إلى ما هو أخطر من الحرب وأوزارها، إلى النجاة من عذاب الله يوم القيامة، فقد دعاهم إلى ما ينقذون به أنفسهم وهو الإيمان بالله والكف عما كان يعبد آباؤهم لأنه لن يغني عنهم شيئا، فلما سمعه عمه أبو لهب وقد كان أكثر الناس عداء له[2]، فقد انتقصه ونال منه، وذلك بالدعاء عليه بالتَّبِّ والخسران، وذلك في استفهام إنكاري (أما جمعتنا إلا لهذا؟) أي: ألم تجد ما تجمعنا له غير هذا الأمر من الدعوة إلى دينك، هذا غاية في العداء وإضمار الشر له.

وانطلاقا من هذا التحليل، نخلص إلى أن المكانة الاجتماعية تعد قيمة مضافة للخطاب التفاعلي التأثيري، وخاصة إذا تضمن أسلوب الاستفهام، فنستنتج أنه ليس كل طلب يجاب له، حتى وإن كان فيه إلحاح وحاجة، إذا لم يكن قائله ممن له اعتبار ووجاهة في المجتمع، وهذا ما حدث مع النبي–ﷺ– ، فعلى الرغم من معارضة قريش لدعوته إلا أنه جازف ونادى في الناس فاجتمعوا عليه، وأخذا يعرض خطابه عليه، وهذا كما سبق وأن قدمنا مكانته التي حباه الله بها في الأولين والآخرين.

1– فتح المنعم، مصدر سابق، ج2، ص 44.

2– وهذا ما ذكره أصحاب السير، فقد كان لأبي لهب جانب كبير في أذيته للنبي–ﷺ– فقد كان رسول الله يتبع الناس إذا وافى موسم الحج، في عكاظ ومجنَّة، وذي المجاز، يدعوهم إلى دين الإسلام، وأبو لهب خلفه يقول لا تطيعوه فإنه صابئ كذاب وكذلك كان زوجه أم جميل تؤذيه بلسانها ويدها. ينظر: السيرة النبوية، أبو محمد عبد الملك بن هشام، مصدر سابق، ص 164. والرحيق المختوم، صفي الرحمن المبارك فوري، دط، دار ابن خلدون، الإسكندرية، دت، ص63.

ج- البيئية التي يلقى فيها الاستفهام: وإضافة إلى العامل النفسي والعامل الاجتماعي يضاف إليهما عامل المكان، فإن الخطاب يخضع إلى عوامل مشاركة في إنتاجه، وهو ما يسمى بالمعينات التي تعد جزء من السياق الذي يحيط بكل أجزاء العملية التواصلية منها الظاهرة والمعتبرة، وتختلف باختلاف النصوص ما إذا كانت مكتوبة أو منطوقة أو مصورة، وهذه المعينات: هي مجموعة من العناصر اللسانية التي تحيل على السياق المكاني والزماني لعملية التلفظ الجارية بين المتكلمين[1]، فأحيانا البيئة تملي على المتكلم أن يستعمل ألفاظ أو أساليب معينة وفق ما يقتضيه السياق المقامي الذي يفرض على المتكلم هذه الاختيارات، كالمحاورة التي كانت بين الصحابة والنبي-ﷺ- ومن ذلك ما روي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ-رضي الله عنه- أَنّ رَسُولَ اللَّهِ-ﷺ- خَرَجَ إِلَى الْمَقْبُرَةِ فَقَالَ: «السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ، وَدِدْتُ أَنِّي قَدْ رَأَيْتُ إِخْوَانَنَا؟ قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ، **أَلَسْنَا إِخْوَانَكَ؟** قَالَ: **بَلْ أَنْتُمْ أَصْحَابِي**، وَإِخْوَانِي الَّذِينَ لَمْ يَأْتُوا بَعْدُ وَأَنَا فَرَطُهُمْ عَلَى الْحَوْضِ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ تَعْرِفُ مَنْ يَأْتِي بَعْدَكَ مِنْ أُمَّتِكَ؟ قَالَ: **أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ لِرَجُلٍ خَيْلٌ غُرٌّ مُحَجَّلَةٌ فِي خَيْلٍ بُهْمٍ دُهْمٍ، أَلَا يَعْرِفُ خَيْلَهُ؟** قَالُوا: **بَلَى**، قَالَ: فَإِنَّهُمْ يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنَ الْوُضُوءِ وَأَنَا فَرَطُهُمْ عَلَى الْحَوْضِ»[2]، نلاحظ أن الحديث الشريف جاء في معتمدا على البنية الحوارية بين النبي-ﷺ- والصحابة -رضوان الله عليهم-، ثم إن البيئة التي حدث فيها هذا الخطاب، أو كانت سببا في حدوثه، هي المقبرة، التي تعد مكانا مقدسا محترما تهيج المشاعر لأنها تذكر بالموت من جهة، أو تحمل على الذكرى، من الأحبة الذين قضى عليهم الموت، لذا استدعى هذا المقام استعمال ألفاظ معينة، كالتسليم على الأموات، فلا غرابة في أن يشتاق المؤمن إلى إخوانه الذين ماتوا ويحن إليهم، يقول السيوطي: «فإن قلت فأي اتصال لهذا الوداد بذكر أصحاب القبور، قلت: عند تصور السابقين يتصور اللاحقون، أو كُوشِفَ له -ﷺ- علم الأرواح فشاهد الأرواح المجندة السابقة منهم واللاحقة»[3]، لذا فتأثر النبي-ﷺ- ظاهر في هذا المقام ما جعله يقول: (وَدِدْتُ أَنِّي قَدْ رَأَيْتُ إِخْوَانَنَا)، والصحابة معه في هذا الموقف متفاعلون بوجدانهم، فتعجبوا من لفظة (الإخوان) التي حتَّمها المقام، مما حملهم على الاستفهام: (أَلَسْنَا إِخْوَانَكَ؟)، في بنيته المنفية حتى يحصلوا على الجواب المقنع وكأنهم وجدوا شيئا في أنفسهم كيف يحن لإخوانه وهم محيطون به، فجاءهم الجواب: (بل انْتُمْ أَصْحَابِي) يقول

1- التداولية وتحليل الخطاب، جميل حمداوي، ط1، مكتبة المثقف، المملكة المغربية، 2015م، ص 23.

2- سبق تخريجه ص 126.

3- سنن النسائي بشرح السيوطي وحاشية السندي، مصدر سابق، ج1، ص94.

النووي: «ليس نفيا لأخوَّتِهم ولكن ذكر مرتبتهم الزائدة بالصحبة فهؤلاء أخوة صحابة والذين لم يأتوا أخوة ليسوا بصحابة»[1]، فقد كشف لهم معنى الأخوة والصحبة، وفرق بينهما، ثم بين لهم المقصود بالإخوان الذين لم يأتوا بعد، لكن هذا الموقف قد فتح تساؤلا أخرا كيف يعرف هؤلاء الإخوان، فجاء جواب النبي-ﷺ- في شكل استفهام (أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ لِرَجُلٍ خَيْلٌ غُرٌّ مُحَجَّلَةٌ فِي خَيْلٍ بُهْمٍ دُهْمٍ، أَلَا يَعْرِفُ خَيْلَهُ؟)، الغرض منه حملهم على الإقرار، في صورة تمثيلية جميلة بعد ذكر قضية ألا وهي الخيل بتلك الأوصاف المختلفة ألا يستطيع صاحبها أن يفرق بينها، فكذلك حال النبي-ﷺ- مع قومه، فقومه لهم أوصاف معينة يعرفون بها يوم القيامة

ومن هذا المنطلق يتبين لنا أن هناك عوامل فاعلة في أسلوب الاستفهام، إما أن تكون سببا في اللجوء إليه، كالذي تحتمه البيئة التي يلقى فيها الخطاب، أو أن المستفهم يكون في مكانة اجتماعية معينة تؤهله وتعينه على الاستفهام، أو أن الاستفهام قد يؤدى بطريقة معينة وهذا ما تكشفه الحالة النفسية التي تعتمد على نغمة تترجم حالة المتكلم وانفعاله، وهي ما تكشف عنه عناصر السياق وقرائنه المختلفة.

المبحث الثاني: الخصائص البلاغية للاستفهام بالهمزة في الحديث الشريف

إن البلاغة النبوية نابعة من بلاغة الوحي فعن مَعْدِي كَرِبَ -رضي الله عنه- عن رسول الله -ﷺ- أنه قال: « أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ»[2]، فالمقصود من "الكتاب" هو القرآن الكريم، و"مثله معه" يقول البيهقي (ت458هـ): «وهذا الحديث يحتمل وجهين أحدهما: أنه أوتي من الوحي الباطن غير المتلو مثل ما أوتي من الظاهر المتلو، والثاني أن معناه أنه أوتي الكتاب وحيا يتلى وأوتي مثله من البيان أي أذن له أن يبين ما في الكتاب»[3]، وهذا البيان لا يكون إلا عن طريق كلامه -ﷺ- وهذا ما يؤكده أمره تعالى لنسائه: ﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ﴾[سورة الأحزاب: الآية 34] ، فلم يختلف المفسرون في بيان معنى الحكمة أنها السنة[4]، ولما كان القرآن الكريم في الدائرة العليا للبلاغة فالحديث الشريف صنو له، فقد تضمن ما

1- سنن النسائي بشرح السيوطي وحاشية السندي، مصدر سابق، ج 1، ص 94.

2- أخرجه أبو داود، رقم 4604، كتاب السنة، باب في لزوم السنة، ج7، ص 12.

3- عون المعبود شرح سنن أبي داود، مصدر سابق، مج1، ص 2134.

4- ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية الأندلسي، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1422هـ-2001م ، ج4، ص385. وينظر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين السيوطي، تحقيق، عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط1، مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية، 1424هـ-2003م، ج12، ص45.

جاء فيه، كما تضمن ما جاء في كلام العرب من أساليب ومعاني، فكان من الفصاحة ما يحتاج إلى بذل الوسع لبيانه والكشف عنه، ولعل من هذه الأوجه البلاغية في الحديث الشريف اشتماله على الأساليب المختلفة، ومن هذه الأساليب: الاستفهام بالهمزة، لنبحث عن الخصائص البلاغية والأغراض التي يساق لها، وهل تركيبة الاستفهام في الحديث الشريف كتركيبتها في كلام العرب، أم أنها تحظى بمزية تجعله يفوقها بلاغة، وهل اعتنى شُرَّاحُ الحديث في الكشف عن وجوه بلاغته، وبيان أغراضه في معرض شرحهم، فهذا ما سنحاول العمل عليه في هذا المبحث بمشيئة الله وعونه.

أولا: الاستفهام الحقيقي: إن الغاية التي يقصدها المستفهم غالبا هي طلب المعرفة، وهذا هو الأصل في الاستفهام، فيقصد فيه صاحبه معرفة ما يجهله عادة، وقد جاء الاستفهام الحقيقي من الصحابة الكرام، للسؤال عن أمور دينهم وما يزيلون به الشك ويحققون به المعرفة، لكونهم بحاجة ماسة إلى التطلع والمعرفة، ولا شك أن الذي يتعسر عليه شيء من أمور دينه ويحتاج إلى فتوى فلا بد له من السؤال الذي يزيل الشك ويحقق اليقين حتى يكون الإنسان على بينة من أمره وهذا أمر أرشد إليه المولى –عز وجل–: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[سورة النحل: الآية 43] ، يقول الثعالبي (ت 875هـ): «أي:قل لهم (فَاسْأَلُوا) و (أَهْلَ الذِّكْرِ) هنا: أحبار اليهود والنصارى، قاله ابن عباس وغيره، وهو أظهر الأقوال، وهم في هذه النازلة خاصة إنما يخبرون بأن الرسل من البشر، وأحبارهم حجة على هؤلاء»[1]، فمهمة الرسل والعلماء التبليغ والبيان، وهذا ما يفسره قوله تعالى في حق النبي–ﷺ– ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[سورة النحل: الآية 44] ، لذا فإن الاستفهام يطلب به التبيين والتوضيح حتى يُعْبَدَ الله على بصيرة، وهذه مهمة النبي–ﷺ–، ومن هذا المنطلق فاستفهام الصحابة رضوان الله عليهم كله حقيقي ذلك لكونهم لا يعرفون بعض المسائل التي تخفى عليهم من أمور الدين، ولإيضاح ذلك سنستعين بهذه الشواهد الحديثية:

1– الجواهر الحسان في تفسير القرآن، عبد الرحمن الثعالبي، تحقيق الشيخ علي محمد معوض وآخرون، ط1، دار إحياء التراث العربي، 1418هـ–1997م، ج3، ص42.

1- استفهام الصحابة للنبي -ﷺ-: ومن الطريقة الحوارية التي جاء عليها الحديث الشريف التي تقتضي طرفين، فأحيانا تأخذ طابع السؤال والجواب، فيكون السائل من الصحابة –رضي الله عنهم- ويكون الجواب من النبي-ﷺ- وهذه نماذج من الأحاديث التي جاء فيها الاستفهام من الصحابة على حقيقته:

– عن أبي هريرة -رضي الله عنه- يقول: «سَأَلَ رَجُلٌ رَسُولَ اللهَ -ﷺ- فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّا نَرْكَبُ الْبَحْرَ وَنَحْمِلُ مَعَنَا الْقَلِيلَ مِنَ الْمَاءِ فَإِنْ تَوَضَّأْنَا بِهِ عَطِشْنَا **أَفَنَتَوَضَّأُ مِنْ مَاءِ الْبَحْرِ؟** فَقَالَ رَسُولُ اللهِ-ﷺ-: هُوَ الطَّهُورُ مَاؤُهُ الْحِلُّ مِيْتَتُهُ»[1]، إن السائل لم يكن محصلا للحقيقة، وهو كون ماء البحر مما يصلح للطهارة، فعمد إلى السؤال باستعمال الهمزة مع المضارع الذي يفيد الاستقبال، لأنَّ السائل ممن يعتاد ركوب البحر وهو في حاجة إلى الماء، فجاء الاستفهام لطلب معرفة حقيقة ما إذا كان بإمكانه الوضوء بماء البحر أم لا، فكان الرد (هُوَ الطَّهُورُ مَاؤُهُ الْحِلُّ مِيْتَتُهُ) للإباحة المطلقة في ماءه بل وتعداه إلى ميتته، فيكون بذلك قد حصل فائدتين باستفهام واحد.

– عن ابن عباس-رضي الله عنهما- قال: «أَتَتِ النَّبِيَ-ﷺ- امْرَأَةٌ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ أُمِّي مَاتَتْ وَعَلَيْهَا صَوْمَ شَهْرٍ، **فَأَقْضِي عَنْهَا؟** فَقَالَ: أَرَأَيْتِ لَوْ كَانَ عَلَى أُمِّكِ دَيْنٌ، أَمَا كُنتِ تَقْضِينَهُ؟ قَالَتْ: بَلَى، قَالَ: فَدَيْنُ اللهِ أَحَقُّ»[2]، فنلاحظ أن المرأة استفهمت عن قضية شغلت بالها، وهي: ما إذا كان بإمكانها أن تقضي صوما كان على أمها، فلم تجد بدا من أن تستفتي رسول الله-ﷺ-، في قولها: فأقضي عنها؟ وقد حذفت الهمزة هنا للعلم بها، وقد كان استفهامها استفهام من ليس له علم بالمسألة، لذا كان الاستفهام على حقيقته، وهي تحصيل المعرفة، لا أكثر.

2- استفهام النبي-ﷺ- للصحابة:

– وقد يكون الاستفهام بطلب التعيين فيكون السائل متردد بين أمرين فيطلب تعيين إحداهما وقد ورد ذلك في الحديث الشريف، فعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: «كَانَ رَسُولُ-ﷺ- إِذَا أُتِيَ بِطَعَامٍ سَأَلَ عَنْهُ: **أَهَدِيَّةٌ أَمْ**

1- رواه النسائي، رقم 59، كتاب الطهارة، باب ماء البحر، ص 17.
2- سبق تخريجه، ص 105.

صَدَقَةٌ؟ فَإِنْ قِيلَ: صَدَقَةٌ قَالَ لِأَصْحَابِهِ: كُلُوا، ولَمْ يَأْكُلْ، وإِنْ قِيلَ: هَدِيَّةٌ، ضَرَبَ بِيَدِهِ-ﷺ- فَأَكَلَ مَعَهُمْ»[1]، فالنبي-ﷺ- يطلب تعيين حقيقة الطعام، ذلك لأن الأنبياء لا تحل لهم الصدقة يقول ابن بطال (ت449هـ): « إنما كان النبي لا يأكل الصدقة لأنها أوساخ الناس، ولأن أخذ الصدقة منزلة ضعة، والأنبياء منزهون عن ذلك ... وهذا بخلاف الهدية، فإن العادة جارية على الإثابة عليها »[2]، وهذا ما حمله على الاستفهام عن حقيقة الطعام وذلك بطلب التعيين لأنه يجهل ما إذا كان هذا الطعام صدقة أم هدية، فإن كان صدقة تركه ولم يأكل وإن كان هدية (ضرب بيده فأكل معهم) وفيه كناية عن المبادرة بالأكل.

– ومن الاستفهام الحقيقي اللجوء إلى الاستفسار عن حقيقة الفعل ليتثبت منه، وذلك ما حصل في قصة النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ-رضي الله عنهما- أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ أَبَاهُ أَتَى بِهِ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- فَقَالَ: إِنِّي نَحَلْتُ ابْنِي هَذَا غُلَامًا كَانَ لِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-: **أَكُلَّ وَلَدِكَ نَحَلْتَهُ مِثْلَ هَذَا؟** فَقَالَ: لَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ-ﷺ-: فَارْجِعْهُ»[3]، فجاء الاستفهام بالهمزة حقيقيا و (كلَّ) منصوب على الاشتغال وهو مفعول به مقدم[4]، والاستفهام هنا لطلب تأكيد النسبة الحاصلة بين الهبة والأولاد، هل تحققت أم لم تتحقق، فالنبي-ﷺ- قد تصور طرفي القضية أي: الهبة والأولاد، ولكن لم يكن متصورا للنسبة بينهما ما إذا كانت واقعة متحققة أو خلاف ذلك، فكان جواب السائل بالنفي، وفيه دلالة على عدم تحقق النسبة الحكمية بين أطراف القضية، فما كان منه إلا أن طلب العودة في هذه النحلة وإرجاعها.

فالاستفهام في هذه النماذج كان بدافع تحصيل المعرفة، لأن المستفهم من الصحابة قد يكون في حيرة من أمره تجاه قضية معينة، فيتوجه بالسؤال إلى رسول الله-ﷺ- فيحصل على مراده، ثم إن المسائل التي كان الصحابة يسألون عنها متعلقة بأمور دينهم، لذا جاء الاستفهام حقيقيا، أما استفهام النبي-ﷺ- للصحابة فلم

1- رواه البخاري، رقم 2576، كتاب الهبة، باب قبول الهدية، ص625.

2- فتح الباري، مصدر سابق، ج5، ص304.

3- رواه مسلم، رقم 1623، كتاب الهبات، باب كراهة تفضيل بعض الأولاد في الهبة، ص1341.

4- ينظر: فتح المنعم شرح صحيح مسلم، مصدر سابق، ج6، ص398.

يخرج عن الحقيقة، ذلك أن النبي-ﷺ- بشر، فقد تغيب عنه أمور، فيبادر بالاستفهام عنها، فيكون استفهاما بطلب التعيين، أو يكون بطريقة الاستفسار، كونه يجهل ذلك الأمر، أو أن الوحي لم يطلعه عنه[1].

ثانيا: الاستفهام المجازي:

قد يخرج أسلوب الاستفهام عن أصل وضعه الذي يفيد تحصيل العلم حيال قضية كانت مجهولة لدى المستفهم، إلى أغراض أدبية لا يطلب بها الجواب، وإنما يساق لحاجة في نفس السائل وهذا ما يجعله يخرج إلى أغراض بلاغية يوحي بها الموقف الذي يقال فيه وحال المخاطب، والعوامل النفسية التي تحيط بالموقف، لذا فَسِرُّ جمال الاستفهام البلاغي أنه يعطي الكلام نكهة خاصة، من حيث الفخامة والحيوية والتفاعل والإقناع، مما ينعكس على السامع فيتأثر، فيكون حاضرا بفكره، ليصل بنفسه إلى الجواب دون أن يملى عليه[2]؛ وعليه فإن الاستفهام بالهمزة له تأثير خاص على نفسية السامع دون غيرها من الأدوات، وقد اجتهد علماء البلاغة في حصر هذه الأغراض، التي عادة ما تعود إلى المقام، يقول الخطيب القزويني: «ثم إن هذه الألفاظ كثيرا ما تستعمل في معان غير الاستفهام بحسب ما يناسب المقام»[3]، وذكر أغراضا كالاستبطاء، والتعجب والتنبيه والوعيد، والأمر والتقرير والإنكار، والتحقير والتهويل والاستبعاد، والتوبيخ، فهذه الأغراض محصلة سياق الكلام وقرائن الأحوال، ثم إنه لا يتوصل إليها إلا لمن كان مسلحا «بالثقافة والموهبة المتذوقة تصيب في تعيين المراد ثم إن النفس البشرية المنفعلة بما تتلقى دائمة التقلب»[4]، فاستنتاج هذه الأغراض المتنوع يتوقف على الذوق وسبر أغوار النص، وهذه الأغراض تتجدد بحسب السياق والمقام والغاية، فربما يحمل الاستفهام الواحد أغراضا متنوعة نحو: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ﴾[سورة القيامة: الآية 3] ، يقول الألوسي (1270هـ): «والهمزة لإنكار الواقع واستقباحه والتوبيخ عليه ... أي أيحسب أن الشَّأن لن نجمع بعد التفرقة عظامه وحاصله لم يكن هذا الحسبان الفارغ عن الأمارة المنافي لحق اليقين وصريحه والنسبة لأن فيه من يحسب

1- ينظر: أساليب المعاني في موطأ الإمام مالك –دراسة بلاغية تحليلية-، هادية رحمة الله أحمد العبيد، إشراف أد/ محمد الحسن علي الأمين، رسالة دكتوراه، كلية اللغة العربية، جامعة أم درمان، 1433هـ-2012م، ص 69.

2- ينظر: من بلاغة النظم العربي، عبد العزيز عبد المعطي عرفة، ص 113.

3- الإيضاح في علوم البلاغة، مصدر سابق، ص 112.

4- الأساليب الإنشائية وأسرارها البلاغية في القرآن الكريم، صباح عبيد درَّاز، ط1، مطبعة الأمانة، مصر، 1406هـ-1986م، ص125.

ذلك بل لعله الأكثرون»[1]، وهناك من المفسرين من يراه تَوَعُّدٌ[2] لمن ينكر حقيقة البعث لذا جاء جواب رب العزة: ﴿بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ﴾[سورة القيامة: الآية 4] ، ومنهم يراه من يراه إنكارا وتبكيتا لمن يشك في البعث[3]، فنلاحظ من هذا المثال وأشباهه، أن علماء التفسير لم يثبتوا على غرض واحد الذي من أجله جاء هذا الاستفهام، إلا أن الظاهر من بين هذه الأغراض والذي يتبادر إلى الذهن هو الإنكار على من يجحد حقيقة البعث، وأن الله سيبعث هذه العظام خلقا جديدا يوم القيامة، ثم إننا لا نستطيع أن نجزم بهذا الغرض وإن كان السياق يطلبه بمعونة القرائن اللغوية، على أن هذا الاستفهام لا يخرج إلى أغراض الأخرى يحتملها السياق، وهذا ما يستفاد من قول الزركشي (ت794هـ) عند تعرضه لقوله تعالى: ﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[سورة الأنعام: الآية 81] ، يقول:«قد يجتمع الاستفهام الواحد للإنكار والتقرير»[4]، وهذا راجع إلى اجتهادات المفسرين في استنطاق النص القرآني لأنه حمَّالُ أوجه، فكلما أعدت قراءة الآية تتكشف أسرار لم تكن قد خطرت للمرة الأولى، وكذلك الثقافة الموسوعية التي يتحلى بها المفسرون والذائقة التي يتميزون بها، وقد عنيت الدراسات المتعلقة بالنص القرآني من الناحية البلاغية بهذا الشأن مثل ما نجده عند الدكتور صباح عبيد درَّاز في كتابه: (الأساليب الإنشائية وأسرارها البلاغية في القرآن الكريم) فقد حاول مقاربتها من خلال سياقاتها اللغوية مع ما جاء عند المفسرين ممن نحا في تفسيره إلى استخراج الدقائق البلاغية، وبجانب هذا المرجع نجد أيضا كتابا مختصا بأسلوب الاستفهام دون غيره من الأساليب الإنشائية

1- روح المعاني، مرجع سابق، ج29، ص137.

2- ينظر: الجواهر الحسان في تفسير القرآن، مرجع سابق، ج5، ص520.

3- ينظر: الأساليب الإنشائية وأسرارها البلاغية في القرآن الكريم، مرجع سابق، ص 179. والمراد بالإنسان في الآية هو جنس الإنسان بصفة عامة دون تعيين، إلا أن المفسرين واعتمادا على أسباب النزول فقالوا بتعيينه، فمن ذهب إلى تعيينه أنه عُدي بن أبي ربيعة خَتْنُ الأخنس بن شُرَيْقٍ، ومن قال: إنه أبو جهل، الذين أنكرا البعث. ينظر: روح المعاني، مرجع سابق، ج29، ص137.

4- البرهان في علوم القرآن، مصدر سابق، ج2، ص344. ولو عدنا إلى كلامه فإنه يُرْجِعُ معرفة مقامات الكلام أنها لا تدرك إلا بالذوق يقول: «وليس كل من اشتغل بالنحو أو باللغة أو الفقه كان من أهل الذوق، وممن يصلح لانتقاد الكلام، وإنما أهل الذوق هم الذين اشتغلوا بعلم البيان وراضوا أنفسهم بالرسائل والخطب والكتابة والشعر، وصارت لهم بذلك دُرْبة وملكة تامة». المصدر نفسه، ج2، ص 124.

لصاحبه عبد الكريم محمود يوسف[1] فقد قام برصد أسلوب الاستفهام في القرآن الكريم مع بيان غرضه، وإعرابه.

ثم إن العلماء قد اهتموا بالنص القرآني من الوجهة البلاغية قديما وحديثا، وعلى رأسهم المفسرين، فالمشتغلون بالنص القرآني قد بحثوا في هذه الأساليب واستخرجوا أوجه بلاغتها، فهل فعل المشتغلون بالسنة النبوية ذلك، أم أنهم اكتفوا من الحديث بالجانب اللغوي من ناحية الشرح واستنباط الأحكام الشرعية، وهذا ما سنحاول الكشف عنه من خلال دراسة الأغراض البلاغية التي يخرج إليها أسلوب الاستفهام بالهمزة، اعتمادا على ما جاء عند علماء البلاغة العربية.

وقد جاء الاستفهام بالهمزة في كثير من الأحيان على غير حقيقته، لأنه وقع منه -ﷺ- على علم واستغنى به عن طلب العلم والإفهام، بل كان يجنح به لأغراض يريد إبلاغها للمتلقي بواسطته، ونذكر من ذلك ما روي عنه أنه « لَمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ -ﷺ- يَوْمَ حُنَيْنٍ قَسَمَ فِي النَّاسِ فِي الْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ، وَلَمْ يُعْطِ الْأَنْصَارَ شَيْئًا، فَكَأَنَّهُمْ وَجَدُوا إِذْ لَمْ يُصِبْهُمْ مَا أَصَابَ النَّاسَ، فَخَطَبَهُمْ ، فَقَالَ : يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ **أَلَمْ أَجِدْكُمْ ضُلَّالًا فَهَدَاكُمُ اللَّهُ بِي؟ وَكُنْتُمْ مُتَفَرِّقِينَ فَأَلَّفَكُمُ اللَّهُ بِي؟ وَعَالَةً فَأَغْنَاكُمُ اللَّهُ بِي؟** كُلَّمَا قَالَ شَيْئًا قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمَنُّ، قَالَ: مَا يَمْنَعُكُمْ أَنْ تُجِيبُوا رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ-؟ قَالَ: كُلَّمَا قَالَ شَيْئًا قَالُوا : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمَنُّ، قَالَ: لَوْ شِئْتُمْ قُلْتُمْ جِئْتَنَا كَذَا وَكَذَا، **أَتَرْضَوْنَ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاةِ وَالْبَعِيرِ وَتَذْهَبُونَ بِالنَّبِيِّ -ﷺ- إِلَى رِحَالِكُمْ؟** لَوْلَا الْهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأً مِنْ الْأَنْصَارِ وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ وَادِيًا وَشِعْبًا لَسَلَكْتُ وَادِيَ الْأَنْصَارِ وَشِعْبَهَا الْأَنْصَارُ شِعَارٌ، وَالنَّاسُ دِثَارٌ إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أُثْرَةً، فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الْحَوْضِ»[2]، فنلاحظ في هذا الحديث خروج الاستفهام من الحقيقة إلا المجاز، لأن النبي-ﷺ- لم يكن يقصد تقريرهم على هذه النعم التي مَنَّ الله بها عليهم، « فخروج الاستفهام عن معناه الحقيقي إلى معنى آخر ضمني نفهمه من السياق بدليل سكوت الأنصار من جهة، وردّهم (الله ورسوله أمن)، إقرار واعتراف بفضل الرسول -ﷺ- عليهم بفضل الإسلام من جهة أخرى»[3]، ثم إن السر في خروج الاستفهام عن أصل وضعه إلى أغراض مجازية يرجع إلى أن

1- ينظر: أسلوب الاستفهام في القرآن الكريم-غرضه-إعرابه-، عبد الكريم محمود يوسف، ط1، مكتبة الغزالي، دمشق، 1421هـ-2000م، ص7.

2- سبق تخريجه، ص 138.

3- الأساليب الطلبية وآداءاتها الإبلاغية في الحديث النبوي الشريف، مرجع سابق، ص 182.

الاستفهام أكثر أساليب الكلام تعبيرا عن المعاني والمواقف والمواطن التي يراد بها التأثير في الناس، وتهييج مشاعرهم، ولفت انتباههم، وصولا إلى استمالتهم إلى صف الإيمان ليثبتوا عليه[1]، لذلك كان النبي -ﷺ- يعدل بالاستفهام من الحقيقة إلى المجاز ليُمَكِّن في نفوسهم المعاني التي يريد إبلاغها لهم.

ثالثا: الأغراض الأصيلة للاستفهام بالهمزة في الحديث الشريف: إن تقسيم الأغراض البلاغية لأسلوب الاستفهام إلى أصيلة وفرعية إنما استفدناه من تقسيم بدر الدين الزركشي الذي لم يخرج عما قرره علماء البلاغة وإنما بنى تقسيمه إنطاقا من تقسيم الكلام إلى خبر وإنشاء، فقسم الاستفهام إلى قسمين حيث نجده يقول: «وقد يخرج الاستفهام عن حقيقته، بأن يقع ممن يعلم ويستغنى عن طلب الإفهام، وهو قسمان: بمعنى الخبر وبمعنى الإنشاء»[2]، فالمستفهم إن كان عالما بالجواب، فإن استفهامه يأتي لأغراض يقصدها، لما له من وقع على السامع وتأثير فيه، فالاستفهام الذي يأتي بمعنى الخبر فهو إما إنكار أو تقرير، كما يرى أن بقية الأغراض إنما هي تابعة لهما، ومتفرعة عنهما، أما القسم الثاني والذي بمعنى الإنشاء، فهي ما خرج بالاستفهام إلى أساليب أخرى وكأن الاستفهام لا يأت لمجرد الطلب فحسب بل في قالب الأساليب الإنشائية الأخرى، فيخرج إلى النهي والتحذير، والنفي والأمر والدعاء والتمني والاستبطاء و قد عدد له ثمانية عشر غرضا ينصرف إليه؛ وعليه فإن الاستفهام قسمان: قسم بمعنى الخبر، وقسم آخر بمعنى الإنشاء، ولكل منهما أغراض يخرج إليها، وقد يفهم السّؤال من دون اللجوء إلى ربطه بسياقه على أنَّه استفهام حقيقي، غير أنَّ فهمَ الاستفهام في إطار محيط النصِّ أو سياقه يدلُّ على أنّه يتجاوز دَلالته الحقيقية إلى معاني مجازية لا حصر لها على مجرَّد طلب العلم، وعليه كان منطلقنا في تقسيم أغراض الاستفهام بالهمزة في الحديث الشريف إلى أصيلة وثواني.

1- التقرير: يأتي التقرير في اللغة بمعنى حمل المخاطب على الإقرار بالشيء، «وتَقْرِيرُ الإنْسَانِ بالشَّيْءِ: جَعْلُهُ فِي قَرَارِهِ، وَقَرَّرْتُ عِنْدَهُ الْخَبَرَ حَتَّى اسْتَقَرَّ»[3]، ومن هذا المعنى اللغوي أخذ التعريف الاصطلاحي على أنه:

1- المرجع نفسه ، ص 180.

2-ثم إن الزركشي استدل على ما ذهب إليه إلى ما قرَّرَه علماء البلاغة كعبد القاهر الجرجاني وجار الله الزمخشري، والسكاكي، مستندا إلى تأويلات النحويين وعلى رأسهم سيبويه، وتسميته الاستفهام بمعنى الخبر، لأنه خرج عن أصل وضعه الطلبي ليؤدي معاني مجازية، ثم إن هذا الإلتباس من ناحية بيان الأغراض البلاغية فرضته الهمزة دون بقية الأدوات، وهذا ما نقله الزركشي عن أبي حيان في قوله: « إن طُلِب بالاستفهام تقرير، أو توبيخ أو إنكار، أو تعجيب، كان بالهمزة دون هل، وإن أُرِيد الجُحْدَ كان بهل، ولا يكون بالهمزة ». البرهان في علوم القرآن، مصدر سابق، ج2، ص 328.

3- لسان العرب، مرجع سابق، مادة (قرر)، مج5، ص3580.

«إلجاءُ المخاطب إلى الإقرار بأمر يعرفه»[1]، أو حمل المخاطب على الاعتراف والإقرار بشيء يعرفه أو محاولة إشراكه في معرفته، نحو: قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾[سورة الشعراء: الآية 18] ، فالاستفهام في هذه الآية هو تذكير موسى –عليه السلام– بنشأته وتربيته عند آل فرعون، حاملا إياه على الإقرار، أملا منه أن يكف عما جاء به[2]، ومنه قول جرير:

أَلَسْتُم خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا === وأَنْدَى الْعَالَمِينَ بُطُونَ راحِ[3]

ومن اختصاصات الهمزة في كل من الآية والبيت[4]، فإنها تنقل النفي إلى الإثبات، والإثبات إلى النفي، ففرعون لم يستفهم على الحقيقة لأنه كان يعلم من حال موسى–عليه السلام–، وجرير لم يستفهم على سبيل الحقيقة لأن فضل بني أمية وكرمهم مما لا يجهل عند العام والخاص، ولا ينكره أحدٌ، حتّىَ يُسْتَفْهَم عَنهُ، أي أنتم كذلك[5]، ومن الأمور التي تشترط في الهمزة أن يليها المقرر به مباشرة، يقول القزويني: «ويشترط في الهمزة أن يليها المقرَّرُ به، كقولك: أَفَعَلْتَ؟ إذا أردت أن تقرره بأن الفعل كان منه، وكذلك: أَأَنْتَ فَعَلْتَ؟ إذا أردت أن تقرِّرَهُ بأنَّهُ الفاعِلُ ... وكقولك: أَزَيْداً ضَرَبْتَ؟ إذا أردت أن تُقَرِّرَهُ بأَنَّ مَضْروبَهُ زيدٌ»، فإن الاستفهام بالهمزة يأتي لتقرير الفعل والفاعل والمفعول به، وقد ورد هذا الغرض في الأحاديث النبوية الشريفة وهذه عينات منها:

أ– تقرير الفعل: عن جابر –رضي الله عنه– قال: «كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ –ﷺ– فِي غَزْوَةٍ، فَلَمَّا قَفَلْنَا كنَّا قَرِيباً مِنَ الْمَدِينَةِ، تَعَجَّلْتُ عَلَى بَعِيرٍ لِيَ قَطُوفٍ، فَلَحَقَنِي رَاكِبٌ مِنْ خَلْفِي فنَخَسَ بَعِيرِي بَعَنَزَةٍ كَانَتْ مَعَهُ، فَسَارَ بَعِيرِي

1– شرح الرضي على الكافية، رضي الدين محمد بن الحسن الأستراباذي، تحقيق يوسف حسن عمر، ط2، منشورات جامعة قار يونس، بنغازي، ليبيا، 1996م، ج4، ص83.

2– ينظر: التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية، مرجع سابق، ص66. واستفهام فرعون لموسى –عليه السلام– إنما هو امتنان منه عليه لما تربى في حجره، فيه تذكير بالنعمة. ينظر: روح المعاني، مصدر سابق، ج19، ص 68.

3– البيت من بحر الوافر لجرير، من قصيدة يمدح فيها عبد الملك بن مروان، وكان قد وجد عليه لأنه لم يكن من أصحاب دعوته، فلما انشده حتى وصل هذا البيت فَسُرَّ منه وقال: من مدحنا منكم فليمدحنا بمثل هذا أو ليسكت. ينظر: ديوان جرير، كرم البستاني، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1406هـ–1986م، ص 77.

4– واستعمال صيغة الاستفهام في (التقرير) مجاز مرسل علاقته الإطلاق والتقييد، لأن الاستفهام طلب الإقرار من غير سبق جهل بالمستفهم عنه، ويجوز أن يكون الاستفهام في هذا البيت للإنكار. ينظر: من بلاغة النظم العربي، مرجع سابق، ص 115.

5– ينظر: خزانة الأدب، عبد القادر البغدادي، ج11، ص 267. وينظر كذلك: من بلاغة النظم العربي، مرجع سابق، ص 114. يقول أبو عبيدة: ولم يستفهم، ولو كان استفهاما ما أعطاه عبد الملك مائة من الإبل برعاتها، يعني لو كان الاستفهام على حقيقته. ينظر: مجاز القرآن، أبو عبيدة معمر بن المثنى، تحقيق فؤاد سيزكين، دط، مكتبة الخانجي، القاهرة، دت، ج1، ص 184.

كَأَحْسَنِ مَا أَنْتَ رَاءٍ مِنَ الْإِبِلِ، فَالْتَفَتُّ فَإِذَا أَنَا بِرَسُولِ-ﷺ- فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي حَدِيثُ عَهْدٍ بِعُرْسٍ قَالَ: **أَتَزَوَّجْتَ؟** قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: **أَبِكْرًا أَمْ ثَيِّبًا؟** قَالَ: قُلْتُ: بَلْ ثَيِّبًا، قَالَ: فَهَلَّا بِكْرًا تُلَاعِبُهَا وَتُلَاعِبُكَ؟»[1]، فالاستفهام قد باشر الفعل ليقرره، ما كان قد تزوج فعلاً، ثم إنَّ الفعل جاء بصيغة الماضي وهو أثبت في الوقوع، ثم إنّ جابرَ-رضي الله عنه- كان مستعجلا العودة، وهذا ما يستفاد من قوله: (تَعَجَّلْتُ عَلَى بَعِيرٍ لِيَ قَطُوفٍ)، فأراد تبرير سبب استعجاله للنبي-ﷺ-، فأخبره بأنه حديث عهد بالزواج، لذا جاء الاستفهام تقريريا، فالنبي-ﷺ- قد علم سبب عجلته، ذلك أنه متزوج، فلم يرد إلا تقريره ليتثبت، ثم أردفه باستفهام آخر (أَبِكْرًا أَمْ ثَيِّبًا؟)، وذلك بطلب التعيين وهو على الحقيقة، ليأتي الإرشاد في قالب التحضيض (هلَّا)، بمعنى فلو أنك تزوجت بِكْراً، وكَأَنَّ النبيَّ-ﷺ- لم يكن راضيا بزواجه من ثيب.

ب- تقرير الفاعل: عن كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ -رضي الله عنه- «أن النَّبِيَّ -ﷺ- مرَّ بِهِ وهُوَ بالحُدَيْبِيَةِ قبلَ أنْ يَدْخُلَ مَكَّةَ وهُوَ مُحْرِمٌ وهُوَ يُوقِدُ تَحْتَ قِدْرٍ والقَمْلُ يَتَهَافَتُ على وَجْهِهِ فقالَ: **أيُؤْذِيكَ هَوَامُّكَ هَذا؟** قال: نَعَمْ، قال: فَاحْلِقْ رَأْسَكَ وأَطْعِمْ فِرْقًا بيْنَ سِتَّةِ مساكينَ، أوْ صُمْ ثَلَاثةَ أيَّامٍ أو انْسُكْ نَسِيكَةً»[2]، فالاستفهام هنا محمول على تقرير الفاعل ذلك أن كَعْباً كان مُحْرماً وقد آذاه القمل الذي يتساقط على وجهه، فلما رآه النبي-ﷺ- على تلك الحال أشفق عليه، فأراد أن يقرره ما إذا كان في حرج، لعله يجد له رخصة، ومن ذلك رخص للمحرم أن يحلق إذا كان به أذى لقوله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾[سورة البقرة: الآية 196][3]، ذلك جاءت الرخصة مبينة في قوله-ﷺ-، فالاستفهام جاء للتقرير والتثبت لأن الأمر متعلق بحكم شرعي، وحالة إنسانية عارضة فلا بد لها من مخرج شرعي وهو الرخصة.

ج- تقرير وقوع الفعل: عُمَارَةَ بْنُ خُزَيْمَةَ-رضي الله عنه- « أَنَّ النَّبِيَّ -ﷺ- ابْتَاعَ فَرَساً مِنْ أَعْرَابِي واسْتَتْبَعَهُ لِيَقْبِضَ ثَمَنَ فَرَسِهِ فَأَسْرَعَ النَّبِيَّ -ﷺ- وأَبْطَأَ الْأَعْرَابِي وَطَفِقَ رِجَالٌ يَتَعَرَّضُونَ لِلأَعْرَابِي فَيَسُومُونَهُ بِالْفَرَسِ وَهُمْ لَا

1- سبق تخريجه، ص 87.

2- سبق تخريجه، ص 95.

3- نزلت هذه الآية في كعب بن عجرة، حين رآه رسول الله-ﷺ- ورأسه يتناثر قملا، فأمره بالحلاَّقِ، ونزلت الرخصة. ينظر: الجواهر الحسان، مرجع سابق، ج1، ص410.

يَشْعُرُونَ أَنَّ النَّبِيَّ -ﷺ- ابْتَاعَهُ حَتَّى زَادَ بَعْضُهُمْ فِي السَّوْمِ عَلَى مَا ابْتَاعَهُ بِهِ مِنْهُ، فَنَادَى الْأَعْرَابِيُّ النَّبِيَّ-ﷺ- فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ مُبْتَاعاً هَذَا الْفَرَسَ وَإِلَّا بِعْتُهُ؟ فَقَامَ النَّبِيَّ -ﷺ- حِينَ سَمِعَ نِدَاءَهُ فَقَالَ: **أَلَيْسَ قَدِ ابْتَعْتُهُ مِنْكَ؟** قَالَ: لَا، وَاللهِ مَا بِعْتُكَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ-ﷺ-: قَدِ ابْتَعْتُهُ مِنْكَ، فَطَفِقَ النَّاسُ يَلُوذُونَ بالنَّبِيِّ-ﷺ- وَبِالْأَعْرَابِي، وهُمَا يَتَرَاجَعَانِ، وطَفِقَ الْأَعْرَابِي يَقُولُ هَلُمَّ شَاهِداً يَشْهَدُ أَنِّي قَدْ بِعْتُكَهُ، قَالَ خُزَيْمَةُ بْنُ ثَابِتٍ: أَنَا أَشْهَدُ أَنَّك قَدْ بِعْتَهُ، قَالَ: فَأَقْبَلَ النَّبِيُّ-ﷺ- عَلَى خُزَيْمَةَ، فَقَالَ: لِمَ تَشْهدُ؟ قَالَ: بِتَصْديقَكَ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: فَجَعَل رَسُولُ اللهِ-ﷺ- شَهَادَةَ خُزَيْمَةَ شَهَادَةَ رَجُلَيْنِ»[1]، قال السيوطي: «وَاسْتَتْبَعَهُ أي قال للأعرابي اتبعني، (أَكُنْتَ مُبْتَاعاً) أي مريدا لشرائه أي فاشتر، (يَلُوذُونَ) أي يتعلقون بهما ويحضرون مكالمتهما، (هَلُمَّ شَاهِداً) أي هات شاهدا على ما تقول، (بِتَصْدِيقِكَ) أي بمعرفتي أنك صادق في كل ما تقول أو بسبب أني صدَقْتُك في أنك رسول ومعلوم من حال الرسول عدم الكذب فيما يخبر لأجل الدنيا، (فَجَعَلَ) أي فحكم بذلك وشرع في حقه إما بوحي جديد أو بتفويض مثل هذه الأمور إليه منه تعالى، والمشهور أنه ردَّ الفرس بعد ذلك على الأعرابي فمات من ليلته عنده والله أعلم»[2] فالنبي-ﷺ- استفهم الرجل على تقريره واعترافه بنفي أو إثبات مضمون الاستفهام، ويعترف بفعل البيع أنه قد وقع منه، لكن الأعرابي أنكر ذلك وأقسم، فقد كان موقفا محرجا للنبي-ﷺ-، بل بالغ الأعرابي في إنكاره أن طلب شاهدا، ليقيم الحجة عليه، لكن أنَّى له ذلك، حتى تدخل خزيمة ليُصَدِّقه، وينهي هذه الصفقة، والنبي-ﷺ- كان هادئا في التفاوض مع الأعرابي لأنه كان يعلم من حال الأعراب من الخشونة وسوء الطباع، وكيف وقد قال الله –تعالى- في وصفهم: ﴿الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[سورة التوبة : الآية97] ، لذا كان في غاية الهدوء وفق ما تقتضيه أخلاق النبوة ولم يرد من استفهامه إلا تقريره بوقوع العقد على المبيع، والله أعلم.

ومن ذلك أيضا ما روي عن سعْدِ بْنِ مَالِكٍ حينما سُئِلَ النَّبِيُّ -ﷺ- عنِ الرُّطَبِ بالتَّمْرِ فقَالَ: «**أَيَنْقُصُ إِذَا يَبِسَ؟** قَالُوا: نَعَمْ، فَنَهَى عنهُ»[3]، يقول السيوطي: «قوله: (أَيَنْقُصُ إِذَا يَبِسَ؟) تنبيه على علة المنع بعد اتحاد الجنس فيجري المنع في كل ما يجري فيه هذه العلة، قال القاضي في شرح المصابيح: ليس المراد من

1- سبق تخريجه، ص 97.

2- سنن النسائي بشرح السيوطي وحاشية السندي، مصدر سابق، ج7، ص302.

3-سبق تخريجه، ص 94.

الاستفهام استفهام القضية فإنها جلية مستغنية عن الاستكشاف لا التنبيه على أن المطلوب تحقق المماثلة حال اليبوسة»[1]، فالنبي-ﷺ- يعلم أن الرطب ينقص إذا يبس، فلم يكن يستفهم عن ليعلم الحقيقة، وإنما لينبه على علة منع هذه المعاملة، فجاء الاستفهام ليقرر السامع بحتمية نقصان الرطب، وبذلك جاء النهي، وقد كان جوابهم بالإيجاب بـ(نعم)، لأنهم يقرون بذلك.

2- الإنكار: ومن الأغراض التي ينصرف إليها الاستفهام بالهمزة الإنكار؛ والإنكار في اللغة: « الاسْتِفَهَامُ عَمَّا يُنْكِرُهُ، وذَلِكَ إِذَا أَنْكَرْتَ أَنْ تُثْبِتَ رَأْيَ السَّائِلِ عَلَى مَا ذَكَرَ، أَوْ تُنْكِرَ أَنْ يَكُونَ رَأْيُهُ عَلَى خِلَافِ مَا ذَكَرَ، كَقَوْلِكَ: ضَرَبْتَ زَيْداً، فَتَقُولُ مُنْكِراً لِقَوْلِهِ: أَزَيْدَنِيهِ؟»[2]، فالإنكار في اللغة ضد الإثبات، ويأتي للدلالة على أن المسْتَفْهَمَ عنه أمرٌ منكرٌ عُرْفا وشرعا[3]، ولم يبتعد البلاغيون كثيرا عن هذا المفهوم اللغوي للإنكار يقول عبد القاهر الجرجاني في تفسير الاستفهام الدال على الإنكار: «واعلم أنَّا وإن كنا نفسر الاستفهام في مثل هذا بالإنكار، فإنّ الذي هو محض المعنى: أنه لتنبيه السامع حتى يرجع إلى نفسه فيخجل ويرتدع ويعيَ بالجواب، إما لأنه قد ادعى القدرة على فعل لا يقدر عليه، فإذا ثبت على دعواه قيل له: فافْعَلْ، فيفضحه ذلك، وإما لأنه هَمَّ بأن يفعل ملا يُسْتَصْوب فعله، فإذا رجع فيه وتنبه وعرف الخطأ، وإما لأنه جوز وجود أمر لا يوجَدُ مثله، فإذا ثبت على تجويزه قبح على نفسه»[4]، ففائدة الإنكار تنبيه السامع حيال فعل لم يكن ليقع، أو لا ينبغي أن يقع، حتى ينزجر ويرتدع فيرجع ويعرف الخطأ؛ و الاستفهام الإنكاري على قسمين[5] إما للتوبيخ أو للتكذيب:

أما إنكار التوبيخ هو التعبير والتقريع على أمر وقع في الماضي، أو على أمر يخاف أن يقع في المستقبل بأن كان المخاطب بصدد أن يفعله، فإن كان في الماضي كان المعنى: ما كان ينبغي أن يكون فالفعل واقع والمنفي هو الانبغاء. وإن كان في المستقبل كان معناه: أنه لا ينبغي أن يكون، وأما إنكار لتكذيب أو

1- سنن النسائي بشرح السيوطي وحاشية السندي، مصدر سابق، ج7، ص269.

2- لسان العرب، مرجع سابق، مادة (نكر)، مج5، 4539.

3- علم المعاني، عبد العزيز عتيق، مرجع سابق، ص 102.

4- دلائل الإعجاز، مصدر سابق، ص 120.

5- ينظر: المصدر نفسه، ص 119-121، و الإيضاح في علوم البلاغة، مصدر سابق، ص113-115، وينظر كذلك: من بلاغة النظم العربي، مرجع سابق، ص 115-121، وينظر: علم المعاني، مرجع سابق، ص 102-103.

الإبطالي، فإذا كان التكذيب في الماضي كان الاستفهام بمعنى لم يكن، ويكون إذا كان المخاطب ادَّعى وقوع شيء فيما مضى فجاء المتكلم بالاستفهام الإنكاري تكذيبا له فيما ادَّعاهُ، وإذا كان التكذيب في المستقبل بمعنى لا يكون هذا.

وسنقتصر على بعض الأمثلة من القرآن الكريم، وكلام العرب، حتى نتبين الغرض في سياقه حتى يتضح للناظر، لأن السياق قد يعطي دلالات إضافية للغرض مما يجعله مثقلا بالمعاني، ومن الاستفهام الإنكاري ما جاء في القرآن، قوله –تعالى–: ﴿أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا﴾[سورة الإسراء: الآية 40] ، يقول الآلوسي في هذه الآية: « خطاب للقائلين بأن الملائكة بنات الله سبحانه، والاصْفَاءُ بالشيء جعله خالصا، والهمزة للإنكار وهي داخلة على مقدر على أحد الرأيين والفاء للعطف على ذلك المقدر، أي أفْضَلَكم على جنابة فخصكم بأفضل الأولاد على وجه الخلوص وآثر لذاته أخَسِّها وأدناها، والتعرض لعنوان الربوبية لتشديد النكير وتأكيده، وعبر بالإناث إظهارا للخسة»[1]، فهذا تكذيب للمشركين على افترائهم على الله تعالى، وذلك من زعمهم في الملائكة الذين عم عباد الله؛ ومنه أيضا قوله تعالى: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ﴾[سورة الزخرف: الآية 31] ، يقول الزمخشري: «هذه الهمزة للإنكار المستقبل بالتجهيل والتعجيب من اعتراضهم وتحكمهم، وأن يكونوا هم المدَبِّرين لأمر النبوة والتخيير لها من يصلح لها ويقوم بها، والمتَوَّلين لقسمة رحمة الله التي لا يتولّاها ألا هو بباهر قدرته وبالغ حكمته»[2]، فقد جاء الإنكار لما يستقبل أي مالا يكون مستقبلا، ومن الإنكار ما ورد في كلام العرب قول امرئ القيس:

أيَقْتُلُني والمشْرَفِيُّ مُضَاجِعِي === ومَسْنُونَةٍ زُرْقٍ كَأَنْيَابِ أَغْوَالِ[3]

فامرؤ القيس يكذب إنسانا يهدده بالقتل، وينكر أن يحصل منه ذلك مستقبلا، ومثله أيضا قول عمارة بن عقيل:

أَأُتْـرَكُ إِنْ قَلَّتْ دَرَاهِمُ خَالِـدٍ === زِيَـارَتَـــهُ؟ إِنّـــي إِذاً لَلَئِيـــمُ[1]

1- روح المعاني، مرجع سابق، ج15، ص 81، وينظر كذلك: من بلاغة النظم العربي، ص113.
2- الكشاف، مرجع سابق، ج5، ص438.
3- سبق تخريجه، ص 85.

ثم إن هذا التقسيم ينظر فيه إلى الهمزة وما يليها من زمن الفعل مع السياق المحيط بها، فيخرج هذا الإنكار إلى التوبيخ والتبكيت والتعجب والعتاب وغيرها من الأغراض التي تتفرع عنه، وتبقى فائدته المتمثلة في تنبيه السامع وحمله على الرجوع عن خطأه والخجل منه والارتداع عن فعل ما همَّ به.

– ومن إنكار الفعل ما روي عائشة –رضي الله عنها– أن أزواج النبي–ﷺ– أردن الاعتكاف معه في العشر الأواخر من رمضان وكان يُضْرَب له خِبَاءٌ، قالت: «فلمَّا صَلَّى رَسُولُ اللهِ–ﷺ– الفَجْرَ فَإِذَا الأَخْبِيَةِ، فَقَالَ: **آلْـــــبِرَّ تُرِدْنَ؟** فَأَمَرَ بِخِبَائِهِ فَقُوِّضَ وَتَرَكَ الاعْتِكَافَ فِي شَهرِ رَمَضَانَ حَتَّى اعْتَكَفَ فِي الْعَشْرِ الْأُوَلِ مِنْ شَوَّالٍ»[2]، فقد باشرت الهمزة الفعل، فقدم المفعول به للعناية به، «والخطاب لأزواجه وإن كن غير حاضرات»[3]، وقد جاء الاستفهام لإنكار فعلهن يقول الحافظ النووي: «وسبب إنكاره أنه خاف أن يكُنَّ غير مخلصات في الاعتكاف بل أردن القرب منه لغيرتهن عليه، أو لغيرته عليهن فَكَرِهَ ملازمتهن المسجد مع أنه يجمع الناس ويحضره الأعراب والمنافقون وهن محتاجات إلى الخروج والدخول لما يعرض لهن فيُبْتَذلن بذلك»[4]، لذلك أمر النبي–ﷺ– بنقض الأخبية والتخلي عن الاعتكاف، وفي قوله: آلبر تردن، فهو كناية عن الإعتكاف لما فيه من خير وأجر وهذا إذا ما كان في العشر الأواخر من رمضان، لذلك أنكر عليهن فعل الاعتكاف ذلك لأنه قد وقع منهن، والمراد تقبيحه والتعجب منه، وفيه توبيخ عليه، لأنه ما كان ينبغي أن يقع للأسباب التي ذكرها شارح الحديث.

– عَنْ عَائِشَةَ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا–: «أَنَّ قُرَيْشًا أَهَمَّتْهُمْ الْمَرْأَةُ الْمَخْزُومِيَّةُ الَّتِي سَرَقَتْ فَقَالُوا: مَنْ يُكَلِّمُ رَسُولَ اللَّهِ –ﷺ– وَمَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ إِلَّا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ حِبُّ رَسُولِ اللَّهِ –ﷺ– فَكَلَّمَ رَسُولَ اللَّهِ –ﷺ–فَقَالَ: **أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ؟** ثُمَّ قَامَ فَخَطَبَ قَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا ضَلَّ مَنْ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ وَإِذَا سَرَقَ الضَّعِيفُ فِيهِمْ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ وَأَيْمُ اللَّهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ –ﷺ– سَرَقَتْ لَقَطَعَ مُحَمَّدٌ

1– البيت من بحر الطويل لِعُمَارَةَ بْنِ عَقِيلٍ ، يمدح به خالد بن يزيد بن مَزْيَدٍ الشَّيْبَانِي ويَذُمُّ تَميم بْنَ حُزَيْمَةَ بنَ خَازِمٍ النَّهْشَلِي. ينظر: الكامل، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، تحقيق محمد أحمد الدَّالي، ط3، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1418هـ-1997م، ج1، ص407.

2– سبق تخريجه، ص 90.

3– فتح المنعم، مصدر سابق، ج5، ص72.

4– المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، مصدر سابق، ج8، ص69.

يَدَهَا»[1]، يذكر الحديث قضية الشفاعة في الحدود، ذلك أن المرأة المخزومية قد اقترفت فعل السرقة، فأراد القوم أن يتشفعوا لها عند رسول الله -ﷺ- لكن، من يقوم بهذه المهمة الصعبة، فقدموا أسامة ابن زيد لها، فكلم رسول الله، وقد كان النبي-ﷺ- نهى عن الشفاعة فيها، لأنها إذا انتهت عنده فليس لها مترك[2]، بالرغم من ذلك أراد أسامة-رضي الله عنه- أن يتوسط لها، فكان رد النبي-ﷺ- بالإنكار والتوبيخ على هذا الصنيع الذي بدر منه، يقول ابن حجر: « (أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ؟) بهمزة الاستفهام الإنكاري لأنه كان سبق له منع الشفاعة في الحد قبل ذلك»[3]، ويكون بذلك منكرا لهذا الفعل من حيث أنه صدر عنه وليس للفعل نفسه، لأنه ما كان ينبغي أن يصدر عنه، فالإنكار فيه تشديد، وعلى ذلك كان توبيخا مع ما لأسامة من منزلة عند رسوله الله فالإنكار هنا «هو استفهام يفيد موقفا هو للمتكلم من سامعه، يتمثل في أنه لا يقبل منه مضمون ذلك الاستفهام، وهذا الموقف على درجات أقصاها الإنكار أو التقريع وأدناها العتاب وما بينهما درجات تتلون وفق السياق»[4]، لذا قام-ﷺ- خطيبا في الناس مبينا خطورة الشفاعة في حدود الله تعالى، وأقسم أن يوقعه حتى وإن تعلق بأقرب الناس إليه وأعلاهم منزلة، حتى وإن كانت ابنته فاطمة –رضي الله عنها-، هذا لأن شرائع الله لا تمييز فيها بين منازل الناس[5].

– ومن الأحاديث التي جاء فيها الاستفهام للإنكار التكذيبي الذي لا ينبغي أن يكون ما روي عَنِ ابْنِ عَبَّاس-رضي الله عنهما- قَالَ:«كَانَتْ امْرأَتَانِ جَارَتَانِ –كَانَ بَيْنَهُمَا صَخَبٌ- فَرَمَتْ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى بِحَجَرٍ، فَأَسْقَطَتْ غُلَاماً قَدْ نَبَتَ شَعْرُهُ مَيْتاً، وَمَاتَتِ الْمَرْأَةُ، فَقَضَى عَلَى الْعَاقِلَةِ الدِّيَةَ، فَقَالَ عَمُّهَا: إِنَّهَا قَدْ أَسْقَطَتْ يَا رَسُولَ اللهِ غُلَاماً قَدْ نَبَتَ شَعْرُهُ، فَقَالَ أَبُو الْقَاتِلَةِ: إِنَّهُ واللهِ مَا اسْتَهَلَّ، وَلَا شَرِبَ، ولاَ أَكَلَ، فَمِثْلُهُ يُطَلّ؟

1- رواه البخاري، رقم 6406، كتاب الحدود، باب كراهية الشفاعة في الحد إذا رفع إلى السلطان، ص1680.

2- ينظر: فتح الباري، مصدر سابق، ج12، ص 87.

3- المصدر نفسه، ج12، ص94.

4- دروس في البلاغة العربية، مصدر سابق، ص 115،

5- وينظر: الأساليب الطلبية وآداءاتها الإبلاغية في الحديث النبوي الشريف –مقاربة تداولية- ، مرجع سابق، ص190. وينظر كذلك: أسلوب الاستفهام في الأحاديث النبوية في رياض الصالحين –دراسة نحوية بلاغية تداولية-، ناغش عيدة، إشراف د/ بوجمعة شتوان، كلية الآداب واللغات، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر، 2012م، ص82.

قالَ النَّبِيُّ-ﷺ-: **أَسَجْعٌ كَسَجْعِ الْجَاهِلِيَةِ وَكَهَانَتِهَا؟** إنَّ في الصَبِيّ غُرَّةً»[1]، ويعود سبب هذا الاستفهام الإنكاري إلى قول ولي المرأة القاتلة، فقد أسجع في كلامه، والسجع هو توافق أواخر الجمل، مما جعل النبي-ﷺ- ينكر عليه مثل هذا الكلام، لأنه من عادات الجاهلية، والكهان، فجاء الاستفهام الإنكاري حتى ينبه السامع عله ينظر في سوء صنيعه فيرتدع عنه ولا يأتي بمثله لاحقا، وقد خرج هذا الإنكار إلى النهي والترك.

– ومن الإنكار الذي يفيد الاستبعاد قصة حديث النبي-ﷺ- مع ورَقَة بن نوفل حين قال له: «لَيْتَنِي أَكُونُ حَياً إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ، فقالَ رَسُولُ الله -ﷺ- **أَوَ مُخْرِجِي هُمْ؟** قالَ: نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَا عُودِيَ، وإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرُكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا، ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ ورقةُ أَنْ تُوُفِّيَ، وفَتَرَ الْوَحْيُ»[2]، يقول ابن حجر: «واستبعد النبي أن يخرجوه، لأنه لم يكن فيه سبب يقتضي الإخراج، لما اشتمل عليه من مكارم الأخلاق التي تقدم من خديجة وصفها»[3]، فالاستفهام فيه إنكار واستبعاد لفعل الإخراج، لما كان له من مكانة في قومه، أي أنه لم يكن ممن يُفعلُ ذلك في حقه، لأنه لا ينبغي أن يقابل بمثل هذا الصَّنيع، وهذا ما حمله على الاستفهام الإنكاري، ومما يصوره هذا الاستفهام تفجع النبي-ﷺ- لما سيعانيه من مفارقة الوطن فكان وقعه شديدا عليه، مما يجعله يلقي هذا الاستفهام على وجه الإنكار.

– وعن عبد الله بن عمرو-رضي الله عنهما- قال: « رَأَى رَسُولُ اللهِ -ﷺ- عَلِيَّ ثَوْبَيْنِ مُعَصْفَرَيْنِ فَقَالَ: **أَأُمُّكَ أَمَرَتْكَ بِهَذَا؟** قُلْتُ: أَغْسِلُهُمَا؟ قَالَ: بَلْ أَحْرِقْهُمَا»[4]، والثوب المُعَصْفَرُ في اللغة ما كان لونه أصفر[5]، فلما رآه أنكر عليه هذا اللباس يقول الإمام النووي: «(أُمُّكَ أَمَرَتْكَ بِهَذا؟) معناه أن هذا من لباس النساء وزيّهن وأخلاقهن»[6]، فالنساء لهن أنواع مخصصة من اللباس في الشكل واللون مما يمنع استعماله للرجال، فهو محمول على التَشَبُّهِ بهن لذا جاء الاستفهام إنكاريا لأنَ الأمر لم يعجبه، وما كان لوالدته أن تلبسه إياهما، ثم يدلك

1- رواه النسائي، رقم 4828، كتاب الْقَسَامةِ، باب صفة شبْهِ الْعَمْدِ، وعلى من ديةُ الأجنَّةِ وشبه العمد، ص736. جارتان: أي ضُرَّتان، صخَبٌ: أي ارتفاع صوت ومخاصمة. ينظر: سنن النسائي بشرح السيوطي وحاشية السندي، ج8، ص58. يُطَلّ: يُهدَرُ ويُبْطَلُ، ويقَالُ: طُلَّ دَمُهُ، وأُطِلَّ. ينظر: لسان العرب، مرجع سابق، مادة (طلل)، مج4، ص2696.

2- سبق تخريجه، ص 99.

3- فتح الباري، مصدر سابق، ج1، ص 26.

4- سبق تخريجه، ص 90.

5- وقد سبق شرح لفظة المعصفرين، ينظر: مقاييس اللغة، مرجع سابق، مادة (عصفر)، ج4، ص 369.

6- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، مصدر سابق، ج14، ص 56.

على المبالغة في المنع قول: (بَلْ أَحْرِقْهُمَا) يقول النووي: «وأما الأمر بإحراقهما فقيل هو عقوبة وتغليظ لزجره وزجر غيره عن مثل هذا الفعل»[1]، فنجد الاستفهام الإنكاري مع الفعل المضارع، حتى يمنع وقوعه مستقبلا، لأن اللباس جزء من تشبه الرجال بالنساء وتشبه النساء بالرجال.

ومما يستنتج من هذه الأحاديث أن الاستفهام الإنكاري، يخرج إلى أغراض أخرى، وهذا استنادا إلى القرائن والمؤشرات التي اشتملت عليها الأحاديث النبوية، فيخرج إلى التوبيخ والزجر، والتقبيح والتعجب، وذلك مع ما تفيده الهمزة مع الفعل الذي يليها، إما بالإشارة إلى ترك ذلك الفعل، أو تجنب وقوعه مستقبلا، وذلك حتى يتنبه صاحبه إلى عواقبه، فيرتدع عنه ولا يعود لمثله، ومما يستفاد من هذا الإنكار أيضا، أنه يتضمن معنى النهي، فحينما يكون الفعل لا ينبغي أن يقع على أي حال، فهذا يفيد النهي عنه وتركه، مما قد يترتب عليه حكما شرعيا كقضية اللباس، أو قد تترتب عليه مفسدة اجتماعية كحديث أسامة بن زيد في الشفاعة، أو يكون للنهي عن بعض أخلاق الجاهلية في الكلام كالسجع مثلا، وهذا مما يفيده الإنكار في كل مرة.

رابعا: الأغراض الثواني للاستفهام بالهمزة في الحديث الشريف:

ونقصد بالأغراض الثواني المعاني التي يريد أن يبلغها النبي-ﷺ- لسامعيه في قالب الاستفهام[2]، أو بالاعتماد على أسلوب الاستفهام، وهي في الحقيقة أغراض متفرعة عن الاستفهام بالهمزة بصفة عامة، لأن ما تحمله أداة الاستفهام داخل التراكيب المختلفة يصعب الإحاطة به وتحديده، يقول محمد أبو موسى: «زعمنا أن ما تشيعه أداة الاستفهام أرحب وأدق من أن نحدده تحديدا تاما وأن المعاني التي يشير إليها هي بطبيعتها خفية وهاربة لا تستطيع وصفها بإحاطة وسيطرة، وهذا ليس بعيدا عن طبيعة اللغة إذ إنها مهما تروي المتكلم في كلماتها وتراكيبها وراجع الاختيار وصقل العبارة فلن تكون هذه العبارة مبينة إبانة كاملة عما أراد أن يبين

1- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، مصدر سابق ، ج14، ص57.

2- وقد أفدنا هذه الأغراض الثواني من الدراسات السابقة، ومحاولة البحث عن الأحاديث التي تفيد هذه المعاني والاستعانة بعبارات شرَّاح الحديث في تأكيد هذه المعاني التي ذهب إليها الباحثون.

عنه بها، وخاصة المواقف الحية التي هي بين أعيننا ونحن نتكلم هذا الكلام»[1]، فيصعب تحديد المعاني والأغراض التي يفيدها الاستفهام، ولا يمكن أن تحصر في التقرير أو الإنكار، فيتفرع عنهما معاني لا حصر لها، ينبئك عنها السياق والقرائن المتضافرة في توليد المعنى؛ ومن الأغراض التي يخرج إليها الاستفهام بالهمزة في الحديث النبوي الشريف غير التقرير والإنكار، والتي تستفاد من القرائن والسياق، نذكر ما يأتي:

1-الدعوة إلى التيسير ورفع الحرج: إن أحكام الشريعة الإسلامية جاءت لتسهيل وتيسير أمور الإنسان، حتى يَعْبُدَ الله –تعالى– في سعة من أمره، وقد يأتي هذا التيسير في قالب الاستفهام، ومن أمثلته ما روي عن النبي حينما سئل عن الاسْتِطَابَةِ، «فَقَالَ: **أَوَلَا يَجِدُ أَحَدُكُمْ ثَلَاثَةَ أَحْجَارٍ؟**»[2]، والاستطابة في اللغة هي الاستنجاء وإزالة النجاسة[3]، يقول أبو وليد الباجي (ت494هـ): «يريد بذلك تسهيل الأمر وتيسيره، لأن المُحْدِثَ لا يكاد يعدم مثل هذا، وعلقه بالثلاثة من الأحجار لأنه مما يقع به الانتفاء في الغالب، وإنما قصر على الأحجار لأنه أكثر ما يستعمل في الاستطابة وتتهيأ إزالة عين النجاسة به»[4]، فقد استعمل النبي-ﷺ- الاستفهام بـ(ألا) لما فيها من تنبيه السامع إلى ما فيه المصلحة، كاستعمال الأحجار لإزالة النجاة في حال إذا تعذر وجود الماء، لما فيه من تيسير ورفع للمشقة عن المسلمين.

2-التلطف وحسن التوجيه: وقد يرى النبي-ﷺ- خطأ من الصحابة فيسرع إلى التنبيه عليه وتصحيحه في الحين حتى وإن كان المقام لا يسمح بذلك وهذا إذا كان الأمر متعلق بالصلاة، فعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ–رضي الله عنهما– قَالَ: «بَيْنَا النَّبِيُّ -ﷺ- يَخْطُبُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ إِذْ جَاءَ رَجُلٌ فَقَالَ: لَهُ النَّبِيُّ -ﷺ-: **أَصَلَّيْتَ يَا فُلَانُ؟** قَالَ: لَا، قَالَ: قُمْ فَارْكَعْ»[5]، فقد جاء التنبيه على الخطأ في صيغة الاستفهام مع الماضي، لكونه لم يقع منه فعل الصلاة، وكأنه قال له: لما لم تصل؟ مع ما في هذا الاستفهام من إنكار وعتاب، فجنح إلى استعمال صيغة الماضي حتى كأنه ساق الاستفهام على حقيقته مما يشعره المخاطب أن السائل جاهل بأمره، لذا جاء جواب

1- دلالة التراكيب، مرجع سابق، ص 220.

2- الموطأ، مالك بن أنس، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 140-هـ-1985م، رواه مالك، رقم 28، كتاب الطهارة، باب جامع الوضوء، من حديث هشام بن عروة، ج1، ص 28.

3- ينظر: لسان العرب، مرجع سابق، مج4، ص 2734.

4- المنتقى شرح موطأ الإمام مالك، أبو الوليد الباجي، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1331هـ، ج1، ص67.

5- وفي رواية أخرى (قم فصل الركعتين) ويروى أيضا (أركعت ركعتين؟) بدل (أصليت؟)، رواه مسلم، رقم 875، كتاب الجمعة، باب التحية والإمام يخطب، ص 596.

الرجل بالنفي أي أنه لم يصل، ثم تلاه بصيغة الأمر ذلك أن المخاطب ممن كان يجهل حكم تحية المسجد، يقول النووي: «وفي هذا الحديث جواز الكلام في الخطبة لحاجة، وفيها جوازه للخطيب وغيره، وفيها أمر بالمعروف والإرشاد إلى المصالح في كل حال وموطن، وفيها أن تحية المسجد ركعتان وأن نوافل النهار ركعتان وأن تحية المسجد لا تفوت بالجلوس في حق جاهل حكمها»[1]، فقد وقع المصلي في خطأ وهذا نتيجة جهله، فما كان من النبي-ﷺ- إلا تصحيحه، وذلك في غاية التلطف والهدوء، أمام الناس، حتى يتعلم ويتعلم غيره.

3-تصحيح المفاهيم لدى المتلقي: وقد يلجأ النبي-ﷺ- إلى استثارة الصحابة للإجابة عن بعض القضايا التي تهمهم، ليس لجهله بها، وإنما تحضيرا لهم لما سيلقيه من موعظة، كسؤاله عن المفلس من يكون، فعن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله-ﷺ- قال: «**أَتَدْرُونَ مَنِ الْمُفْلِسُ؟** قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ وَلَا مَتَاعَ، فَقَالَ: إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي مَنْ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَّامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي وَقَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هذَا، فَيُعْطِى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فُنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يَقْضِيَ مَا عَلَيْهِ، أَخَذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ»[2]، فنلاحظ أن النبي-ﷺ- قد سألهم وأجابوا كما أراد، إلا إن إجابتهم كانت وفق ما يعرفونه من حقيقة الإفلاس، لكن الإفلاس الذي أراده النبي-ﷺ- غير هذا، وهو الخسران يوم القيامة «وإنما حقيقة المفلس هذا المذكور في الحديث فهو الهالك الهلاك التام، والمعدوم الإعدام المقطع، فتؤخذ حسناته لغرمائه فإذا فرغت حسناته أخذ من سيئاتهم فوضع عليه ثم القي في النار فتمت خسارته وهلاكه وإفلاسه»[3]، وأي إفلاس أكبر من هذه الحقيقة التي كانوا يجهلونها، فهو من خسران الآخرة وذلك بالتعدي على الناس بسلبهم حقوقهم، فيكون بإيفائها يوم القيامة بالحسنات والسيّئات، ثم إن النبي-ﷺ- قد قصر صفة المفلس على من جاء بهذه الأعمال، واقترف هذه الجرائر، للتأكيد حتى ترتسم حقيقة الإفلاس في أذهانهم، ومن تجليات براعة النبي-ﷺ- في هذا الحديث استعماله لاسم الإشارة هذا «فالسامعين وهم الصحابة يتخيلون أصحاب الحقوق قد ظلموا من قبل هذا الظالم، وأن رب العزة لن يخذلهم بل سوف يقتص لهم منه، ويحكم بينهم بالعدل، لذا كانت براعة الرسول الكريم في اختيار

1- المنهاج شرح صحيح مسلم، مصدر سابق، ج6، ص164.

2- سبق تخريجه، ص 36.

3- المنهاج شرح صحيح مسلم، المصدر نفسه، ج16، ص36.

الكلمات المعبرة»[1]، فهو تقصد اسم الإشارة (هذا) للقريب ولم يستعمل مثلا (ذاك) حتى يضعهم في الصورة فيتخيلون وقوف الخلائق للحساب يوم القيامة للحساب فيأخذ كل ذي حق حقه .

ومثله ما كان للدعوة لضبط المفاهيم وتثبيتها لدى المتلقي، ما روي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ –رضي الله عنه– أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ –ﷺ– «قَالَ: **أَتَدْرُونَ مَا الْغِيبَةُ؟** قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ قِيلَ: **أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ؟** قَالَ: إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ اغْتَبْتَهُ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهَتَّهُ»[2]، فقد استعمل صيغة المضارع لما تحمله من الدلالة على الحال والاستقبال في (أتدرون)، وكان بإمكانه الاكتفاء بـ(ما) للاستفهام، لما لها من الدلالة على الماهية، لكن جاء بالهمزة « لجذب الانتباه حتى يستقر الخبر في نفس المخاطب»[3]، لخطورة الغيبة، وصونا لأعراض الناس من أن تدنس، لذا جاء استفهام الصحابة –رضوان الله عنهم– يستخبرونه ما إذا كان فيه ما قيل، فجاء الرد (إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ اغْتَبْتَهُ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهَتَّهُ)، وأصل البُهْتِ الكذب والافتراء والادعاء على الغير، لذا جاء المنع التام سواء كان ذلك واقعا فيه أم لا، مما يفيد تحريم[4] الغيبة مطلقا.

ومن باب تصحيح المفاهيم لدى المتلقي وذلك عن طريق الاستفهام، ما روي عن أبي ذرٍّ –رضي الله عنه– قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ–ﷺ–: « **يَا أَبَا ذَرٍّ أَتَرَى كَثْرَةَ الْمَالِ هُوَ الْغِنَى؟** قُلْتُ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: **فَتَرَى قِلَّةَ الْمَالِ هُوَ الْفَقْرُ؟** قُلْتُ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: إِنَّمَا الْغِنَى غِنَى الْقَلْبِ، وَالْفَقْرُ فَقْرُ الْقَلْبِ»[5]، فنجد تسليط النداء على الاستفهام (يَا أَبَا ذَرٍّ أَتَرَى كَثْرَةَ الْمَالِ هُوَ الْغِنَى) وفيه دلالة على استمالة المخاطب وذلك بدعوته باسمه وتخصيصه بالخطاب دون غيره، ترغيبا له للإصغاء، فسأله عن حقيقة الغنى والفقر اللذان لا يخرجان عن تعلقهما بالمال قلة وكثرة، فذهب النبي –ﷺ– يبين حقيقته بأن الغنى والفقر إنما تعلقه بقناعة

1- الحوار في النبوي الشريف، مرجع سابق، ص 28.

2- سبق تخريجه، ص 136.

3- فتح المنع شرح صحيح مسلم، مصدر سابق، ج10، ص66.

4- وقد استثنى العلماء ستة مواضع تباح فيها الغيبة، كالتظلم للسلطان، والاستغاثة على تغيير المنكر، والاستفتاء لدفع الظلم، والتحذير ممن فسد دينه، والتحذير من الفاسق، التعريف لمن كان لقبه معروفا نحو الأعمش والأعرج والأزرق والأعمى ونحوها ويحرم ذكره تنقصا لو أمكن التعريف بغيره. ينظر: المنهاج شرح مسلم، مصدر سابق، ج16، ص142-143.

5- صحيح ابن حبان، أبو حاتم محمد بن حبان التميمي، ترتيب الأمير علاء الدين بن بلبان الفارسي، تحقيق جاد الله بن حسن الخداش، دط، بيت الأفكار الدولية، لبنان، 2004م، رقم 684، كتاب الرقاق، باب الفقر والزهد والقناعة، ص 168.

القلب، يقول القرطبي في شرح هذا الحديث: «معنى الحديث أن الغنى النافع أو العظيم أو الممدوح هو غنى النفس وبيانه أنه إذا استغنت نفسه كفت عن المطامع فعزت وعظمت وحصل لها من الحظوة والنزاهة والشرف والمدح أكثر من الغنى الذي يناله من يكون فقير النفس لحرصه فإنه يورطه في رذائل الأمور وخسائس الأفعال لدناءة همته وبخله ويكثر من يذمه من الناس ويصغر قدره عندهم فيكون أحقر من كل حقير وأذل من كل ذليل»[1]، تلك هي الحقيقة التي من أجلها عمد النبي-ﷺ- للاستفهام، حتى يصححها ويُثَبِّت معناها لدى المتلقي.

4-إيناس المخاطب وتسليته: وأحيانا يعمد النبي-ﷺ- إلى جذب مخاطبه واستدراجه للكلام وذلك بدافع الإيناس والتسلية، وتفقد أحوالهم مثل ما مَرَّ معنا في حديث جابر-رضي الله عنه- قال: «كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ-ﷺ- فِي غَزْوَةٍ، فَلَمَّا قَفَلْنَا كنَّا قَرِيباً مِنَ الْمَدِينَةِ، تَعَجَّلْتُ عَلَى بَعِيرٍ لِيَ قَطُوفٍ، فَلَحَقَنِي رَاكِبٌ مِنْ خَلْفِي فنَخَسَ بَعِيرِي بَعَنَزَةٍ كَانَتْ مَعَهُ، فَسَارَ بَعِيرِي كَأَحْسَنِ مَا أَنْتَ رَاءٍ مِنَ الْإِبِلِ، فَالْتَفَتُّ فَإِذَا أَنَا بِرَسُولِ-ﷺ- فَقُلْتُ: يَا رَسُولُ الله إِنِّي حَدِيثُ عَهْدٍ بِعُرْسٍ قَالَ: **أَتَزَوَّجْتَ؟** قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: **أَبِكْرًا أَمْ ثَيِّبًا؟** قَالَ: قُلْتُ: بَلْ ثَيِّبًا، قَالَ: فَهَلَّا بِكْرًا تُلَاعِبُهَا وَتُلَاعِبُكَ؟»[2]، فلم يرد النبي-ﷺ- من هذه المحادثة إلا للتخفيف عن جابر وإيناسه في طريق العودة، علما أنه حديث عهد بعرس، وقد مهد الطريق لهذه المحادثة عن طريق نخسه لبعيره، ثم أنشأ يسأله عن الزواج، حتى يخفف عنه عناء الطريق، حتى يحسه بالاهتمام والعناية.

5-إثارة المتلقي وتشويقه: ويكثر استعمال دلالة التنبيه بـ (ألا) في استفهام النبي-ﷺ- ذلك إذا كان الغرض منه إثارة المتلقي وتشويقه إلى سماع ما سيخبره به، والأحاديث في هذا الباب كثيرة، نذكر منها، عنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ-رضي الله عنه- قَالَ: «قَالَ رَسُولُ اللَّهِ-ﷺ-: **أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلَ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ وَالصَّلَاةِ وَالصَّدَقَةِ؟** قَالُوا: بَلَى، قَالَ: إِصْلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ، وفَسَادُ ذَاتِ الْبَيْنِ الْحَالِقَةُ»[3]، وقوله-ﷺ-: «**أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللهُ بِهِ الْخَطَايَا وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟** قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الْخُطَى إِلَى الْمَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ»[4]، وقوله أيضا: عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال:

1- فتح الباري، مصدر سابق، ج11، ص 272.
2- سبق تخريجه، ص 87.
3- سبق تخريجه، ص 133.
4- سبق تخريجه، ص 105.

«قال رسول الله-ﷺ-: والَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، **أَوَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟** أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ»[1]، وقد سبق الحديث عن استعمال دلالة التنبيه مع ما يفيد دلالة الإعلام والإخبار نحو: أخبر وما اشتق منها، ولا شك أن المتكلم إذا دعا المخاطب من أجل إعلامه بشيء يجهله، فإنه يتحمس لذلك ويأخذه الفضول، فيتشوق لمعرفة فحوى هذا الخبر، وهذا ما يجنح إليه النبي في استعماله لدلالة التنبيه والاستفتاح، حتى يحضِّر المستمع ويستجمع فكره فلا ينشغل إلا بما يلقى إليه، فيأتي بالخبر بشكل مستفز كقوله: (أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلَ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ وَالصَّلَاةِ وَالصَّدَقَةِ؟)، فالمستمع يقع في حيرة تدفعه لمعرفة أي عمل أكثر أجر من الصيام والصلاة والصدقة، فما ذكره هو أفضل العبادات التي يؤجر عنها العبد، فأي شيء يضاهيها مرتبة أو يفوقها، فعلا هو أمر مشوق معرفته، لذا أتى ردهم على الفور: (بلى يا رسول الله)، في تعطش وكأني بهم يقولون بلى نريد أن نعرف ما هو أفضل درجة من هذه القربات، ومثله تطلعهم في كل مرة في معرفة ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات، والشيء الجالب للمحبة بينهم، فدلالة التشويق طاغية على الاستفهام، لأن الأمور التي يريد إبلاغها للمستمع في غاية الأهمية، فلا بد لها من قياس درجة استعداد الصحابة –رضوان الله عليهم– لتقبلها.

6–ذم أخلاق الجاهلية: إلى جانب التشويق فقد يلجأ النبي-ﷺ- إلى الاستفهام إذا رأى أمر يدعوا إلى ذلك، كالنهي عن أخلاق الجاهلية، وهذا في قالب إنكاري توبيخي مثلما حصل مع عَنْ أَبِي ذَرٍّ–رضي الله عنه– قَالَ: «كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ رَجُلٍ كَلَامٌ وَكَانَتْ أُمُّهُ أَعْجَمِيَّةً فَنِلْتُ مِنْهَا فَذَكَرَنِي إِلَى النَّبِيِّ-ﷺ- فَقَالَ لِي: **أَسَابَبْتَ فُلَانًا؟** قُلْتُ نَعَمْ قَالَ: **أَفَنِلْتَ مِنْ أُمِّهِ؟** قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: **إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ**، قُلْتُ: عَلَى حِينِ سَاعَتِي هَذِهِ مِنْ كِبَرِ السِّنِّ، قَالَ: نَعَمْ، هُمْ إِخْوَانُكُمْ جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ فَمَنْ جَعَلَ اللَّهُ أَخَاهُ تَحْتَ يَدِهِ فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ وَلَا يُكَلِّفُهُ مِنَ الْعَمَلِ مَا يَغْلِبُهُ فَإِنْ كَلَّفَهُ مَا يَغْلِبُهُ فَلْيُعِنْهُ عَلَيْهِ»[2]، فقد يتناهى إلى أسماع النبي-ﷺ- شيء قادح عن أصحابه فيبادرهم بالسؤال كما فعل مع أبي ذرٍّ–رضي الله عنه– ، فقد كان الاستفهام الأول في قوله: (أَسَابَبْتَ فُلَانًا؟)، تقريريا، يريد أن يتثبت من صحة إدعاء المشتكي، أما الاستفهام الثاني(أَفَنِلْتَ مِنْ أُمِّهِ؟) فقد جاء بصيغة الإنكار ذلك لأنَّ ما ادَّعاه المشتكي واقع، وقد أنكر عليه بشدة

1- سبق تخريجه، ص 134.

2- رواه البخاري، رقم 6060، كتاب الأدب، باب ما ينهى من السباب واللعن، ص 1515.

تعييره بأمه، فما كان أن ينبغي أن يعيره، فلم ينكر عليه السباب بقدر ما أنكر عليه هذا التعيير، وهذا ما حمل النبي-ﷺ- على وصفه خلق التعيير بالجاهلي، أي هذا من أخلاق الجاهلية، يقول ابن حجر: «ويظهر لي أن ذلك كان من أبي ذر قبل أن يعرف تحريمه، فكانت تلك الخصلة من خصال الجاهلية باقية عنده»[1] وهذا ما دل عليه قول أبو ذر: (عَلَى حِينِ سَاعَتِي هَذِهِ مِنْ كِبَرِ السِّنِّ) أي: «هل فِيَّ جاهلية أو جهل وأنا شيخ كبير»[2]، ويستفاد من هذا الحديث أمورا: ذمه لأخلاق الجاهلية وتحريمها كما كان الصنيع مع صاحب السجع، و تنبيه الصحابة –رضوان الله عليهم- إلى أخطائهم حتى لا يقعوا فيها مرة أخرى، تحقيق المساواة بين الناس، حيث لا يكلف الخادم بما لا يستطيع والإحسان إليه، وهذا من باب الأخوة.

7-الدعوة إلى الزهد: وقد يكون الغرض من الاستفهام الدعوة إلى ترك الشيء والزهد فيه بطريقة غير مباشرة كما جاء في حديث جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ -رضي الله عنهما- «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- مَرَّ بِالسُّوقِ دَاخِلًا مِنْ بَعْضِ الْعَالِيَةِ وَالنَّاسُ كَنَفَتَهُ فَمَرَّ بِجَدْيٍ أَسَكَّ مَيِّتٍ فَتَنَاوَلَهُ فَأَخَذَ بِأُذُنِهِ ثُمَّ قَالَ: **أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنَّ هَذَا لَهُ بِدِرْهَمٍ؟** فَقَالُوا: مَا نُحِبُّ أَنَّهُ لَنَا بِشَيْءٍ وَمَا نَصْنَعُ بِهِ؟ قَالَ: **أَتُحِبُّونَ أَنَّهُ لَكُمْ؟** قَالُوا: وَاللَّهِ لَوْ كَانَ حَيًّا كَانَ عَيْبًا فِيهِ لِأَنَّهُ أَسَكُّ فَكَيْفَ وَهُوَ مَيِّتٌ، فَقَالَ: فَوَاللَّهِ لَلدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ هَذَا عَلَيْكُمْ»[3]، يعود نشوء هذه المحاورة بينه- ﷺ- وبين الناس، إلى البيئة التي وقع فيها الخطاب وهو السوق، فكان مناسبا إلى لفت انتباه المخاطبين ثم إنه فرصة لبث الموعظة بين الناس، ومما ساعد على ذلك قضية (الجدي الأسك) الذي كان ميتا، الذي يحسن التمثيل والتصوير به، فبادرهم بالسؤال ما إذا كان بإمكان أحدهم أن يدفع من أجله مالا، فقالوا: (مَا نُحِبُّ أَنَّهُ لَنَا بِشَيْءٍ وَمَا نَصْنَعُ بِهِ؟) فجوابهم كان فيه تعجب واستغراب، كون الجدي ميت وفيه عيب قادح ألا وهو قِصَرُ أذنيه فمن يرغب في مثله، لكن النبي-ﷺ- كرر استفهامه (أَتُحِبُّونَ أَنَّهُ لَكُمْ؟)، أي دون مال، وفي تكريره للاستفهام دليل على أن ما يريد إبلاغه لسامعيه أمر مهم وجب التمهيد له، وهو تحقير الدنيا في أعينهم، وذلك في قوله: (فَوَاللَّهِ لَلدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ هَذَا عَلَيْكُمْ)، فقد كان الغرض من سياق هذا التصوير الحي بين جدي ميت أسكٍّ وبين الدنيا، فحالها عند الله كحال هذا الجدي عندكم من احتقاره وامتهانه، وهذا تزهيدا في الدنيا ومتعها وترغيبا في الآخرة ونعيمها.

1- فتح الباري، مصدر سابق، ج1، ص87.

2- المصدر نفسه، ج10، ص467.

3- سبق تخريجه، ص 161.

8-تعظيم المسئول عنه: وعظَّمَ[1] الشيء إذا فَخَّمَهُ وأَكْبَرَهُ وبجَّلَهُ، ودلالة التعظيم قد ترد في استفهامه-ﷺ- وهذا إذا كان بموقف يستدعي ذلك، أو إذا اجتمع في أسلوب الاستفهام الهمزة و(أي)، وهذا ما يكشفه لنا هذا الحديث النبوي:فعن ابن عمر-رضي الله عنهما- قال: «قال النبيُّ -ﷺ- بمنىً: **أتدرونَ أيَّ يومٍ هذا؟** قالوا: اللهُ ورسولهُ أعلمُ، قال: فإن هذا يومٌ حرامٌ؛ **أتدرون أيَّ بلدٍ هذا؟** قالوا: اللهُ ورسولهُ أعلمُ، قال: بلدٌ حرامٌ، **أتدرون أيَّ شهرٍ هذا؟** قالوا: اللهُ ورسولهُ أعلمُ، قال: شهرٌ حرامٌ، قال: فإنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ دِماءكم وأموالكم وأعراضكم كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا »[2]، فالنبي -ﷺ- لم يكن يستفهم مخاطبيه للإفادة بالجواب، وإنما كان الغرض من ذلك التنبيه لحرمة هذه المذكورات، يقول ابن حجر: «وإنما قدم السؤال عنها تذكارا لحرمتها وتقريرا لما ثبت في نفوسهم ليبني عليه ما أراد تقريره على سبيل التأكيد»[3]، ثم إن دلالة التعظيم كانت جلية في استفهامه (أتدرونَ أيَّ) باجتماع الهمزة والفعل (تدرون) الذي يفيد الإعلام، و(أي) التي تفيد التعيين، فكان استفهامه منصبا على تعيين المستفهم عنه، ولم يكن الغرض منه تقريرهم، لأنه يعلم حقيقة هذا المعين، وكذلك هم لذا «نبه-ﷺ- في الخطبة المذكورة على تعظيم يوم النحر، وعلى تعظيم شهر ذي الحجة وعلى تعظيم البلد الحرام»[4]، فقد كان الغرض من الاستفهام تعظيم المستفهم عنه، بتنبيه السامع حتى يعلم حقيقته، أضف إلى ذلك المقام الذي ألقي فيه هذا الاستفهام ضمن خطبة ألقاها النبي-ﷺ- في موسم الحج، فكان موقفا مستدعيا لأن ينبه على الشعائر العظيمة في لهذا الركن العظيم من لأركان الإسلام.

9-النذير والوعيد: ومن الأغراض التي يساق من أجلها الاستفهام، إذا كان المتكلم في مقام الدعوة لأمر خطير يتهدد مصير مُخَاطِبِهِ، من ذلك ما ورد من صعود النبي-ﷺ- الصَّفَا وَجَعَلَ يُنَادِي فِي النَّاسِ: «يَا بَنِي فِهْرٍ يَا بَنِي عَدِيٍّ لِبُطُونِ قُرَيْشٍ حَتَّى اجْتَمَعُوا فَجَعَلَ الرَّجُلُ إِذَا لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَخْرُجَ أَرْسَلَ رَسُولًا لِيَنْظُرَ مَا هُوَ فَجَاءَ أَبُو لَهَبٍ وَقُرَيْشٌ فَقَالَ: **أَرَأَيْتَكُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا بِالْوَادِي تُرِيدُ أَنْ تُغِيرَ عَلَيْكُمْ أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ؟** قَالُوا: نَعَمْ مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ إِلَّا صِدْقًا، قَالَ: **فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ**، فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ: تَبًّا لَكَ

1- لسان العرب، مرجع سابق، مادة (عظم)، مج4، ص 3005.
2- سبق تخريجه، ص 87.
3- فتح الباري، مصدر سابق، ج3، ص 576.
4- فتح الباري، مصدر سابق، ج3، ص 577.

سَائِرَ الْيَوْمِ أَلِهَذَا جَمَعْتَنَا فَنَزَلَتْ؟»[1]، فتركيبة جملة الاستفهام تبدو طويلة على المعتاد من أن تكون قصيرة تؤدي الغرض مباشرة في أقل لفظ، أما في هذا الحديث فنرى التطويل في تركيبة الاستفهام (أَرَأَيْتَكُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا بِالْوَادِي تُرِيدُ أَنْ تُغِيرَ عَلَيْكُمْ أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ؟) فاشتملت عبارة الاستفهام على أربعة أفعال لها دلالة زمنية واحدة تدل على الحال، كما تضمنت التكرار وذلك في (أرأيتكم) و(أخبرتكم) لما يحملانه من دلالة الإعلام والنذير، ثم إن العبارة وكأنها مركبة من جملتين، جملة (أَرَأَيْتَكُمْ) وجملة (أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ؟) حيث لو كان ذلك في غير كلام النبي-ﷺ-، لأمكننا الاستغناء عن أحد الجملتين، لكن السياق يفرض مثل هذه التركيبة، أضف إلى الغرض الذي سيق من أجله وهو الإنذار والوعيد، وإن كان «أراد بذلك تقريرهم بأنهم يعلمون صدقه إذا أخبر عن الأمر الغائب»[2]، وهذا ما جاء في تصديقهم إياه (نَعَمْ مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ إِلَّا صِدْقًا)، ثم إن النبي-ﷺ- مهد لاستفهامه بالنداء، ولا يكون النداء في مثل هذا الموقف إلا لشدة النذير والوعيد.

10-الاستبعاد: «وقد يراد من الاستفهام معنى الاستبعاد وهو عد الشيء بعيدا»[3]، لأن المستفهم يستبعد حصول ما يستفهم عنه، أو استحالة وقوعه، نحو قوله تعالى: ﴿أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾[سورة ق: الآية 3] ، فالكفار ينكرون فكرة البعث بعد الموت، يقول الزمخشري: «دلالة على أن تعجبهم من البعث أدخل في الاستبعاد وأحق بالإنكار»، لأنهم يستبعدون ويستنكرون قيام وعودة هذه العظام خلقا جديدا، وهذا يعد أمرا بعيدا ممتنع الحصول، «واستعمال الاستفهام في مقام الاستبعاد من قبيل المجاز المرسل والعلاقة بين الاستفهام والاستبعاد، أن الاستفهام مسبب عن استبعاد الوقوع، لان بعد الشيء يقتضي الجهل به، والجهل به يقتضي الاستفهام عنه فالعلاقة المسببية»[4]؛ ومما ورد في خروج استفهام النبي-ﷺ- إلى الاستبعاد ما أخرجه البخاري من حديث أم المؤمنين في قصته مع ورقة بن نوفل حين قال له: «لَيْتَنِي أَكُونُ حَياً إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ، فقالَ رَسُولُ الله -ﷺ- **أَوَ مُخْرِجِي هُمْ؟** قالَ: نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَا عُودِيَ، وإِنْ

1- سبق تخريجه، ص 168.

2- فتح الباري، مصدر سابق، ج8، ص 503. أما استفهام أبو لهب فللإنكار يقول القسطلاني: «فقال أبو لهب –لعنه الله– (تبا لك سائر اليوم) أي بقيته، وتبا نصب على المصدر بإضمار فعل أي: (أَلْزَمَكَ اللهُ تَباً)(ألهذا جمعتنا) بهمزة الاستفهام الإنكاري». إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، شهاب الدين بن محمد الشافعي القسطلاني، تحقيق محمد عبد العزيز الخالدي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 1316هـ-1996م، ج10، ص 482

3- من بلاغة النظم العربي، مرجع سابق، ص 105

4- من بلاغة النظم العربي، مرجع سابق، ص 106.

يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرُكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا»[1]، فكان استفهامه-ﷺ- إنكاريا «لأنه لم يكن فيه سبب يقتضي الإخراج، لما اشتمل عليه من مكارم الأخلاق»[2]، فاستبعد إخراج قومه له لأنه لم يأت بما يستدعي هذا العداء والجفاء من غير سبب يقتضي ذلك، سيما «أنه كان جامعا لأنواع المحاسن المقتضية لإكرامه وإنزاله منهم محل الروح من الجسد»[3]، فالنبي -ﷺ- لم يكن متوقعا لفكرة إخراجه لذا استبعد حصولها للأسباب التي ذكرت.

10-تجاهل العارف: وهو من ألوان البديع المعنوي وقد أشار إليه السكاكي بقوله: « ومنه سوق المعلوم مساق غيره، ولا أحب تسميته بالتجاهل»[4]، نحو قول قوله تعالى: ﴿ قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ﴾[سورة الأنبياء: الآية 62][5]، فقد أنزلوا أنفسهم منزلة الجاهل الذي لا يعرف وقد أعلموا بأنه الفاعل قبل استفهامهم هذا كما قصه رب العزة: ﴿ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴾[سورة الأنبياء: الآية 61] ؛ فلم يأتوا باستفهامهم لتقريره بكسر الأصنام أنه وقع، وإنما لتقريره بأنه وقع منه وبأي طريقة، وهذا ما ينطبق عليه تعريف صاحب الطراز: «وهو أن تسألَ عن شيء تعلمه موهما أنك لا تعرفه وأنه مما خَالَجَكَ فيه الشك والريبة وشبهة عرضت بين المذكورين، وهو مقصد من مقاصد الاستعارة، يبلغ به الكلام الذروة العليا، ويحله في الفصاحة المحل الأعلى»[6]، و قد جاء مثله في الحديث من ذلك ما روي عَنْ أَنَسِ بْنُ مَالِكٍ-رضي الله عنه- قال: «كَانَتْ عِنْدَ أُمِّ سُلَيْمٍ يَتِيمَةٌ وَهِيَ أُمُّ أَنَسٍ، فَرَأَى رَسُولُ اللهِ-ﷺ- الْيَتِيمَةَ فَقَالَ: **آنْتِ هِيَهْ؟** لَقَدْ كَبُرْتِ لَا كَبُرَ سِنُّكِ فَرَجَعَتِ اليَتِيمَةُ إِلَى أُمِّ سُلَيْمٍ تَبْكِي»[7]، فقد استفهم النبي الصبية وكأنه لا يعرفها، وقد خرج إلى التعجب[8]، كونه قد رأى الصبية قبل ذلك، ثم ما إن كر زمن معتبر حتى رآها مرة أخرى وقد كبرت، فقد ساق استفهامه وذلك باستعمال ضمير المخاطب والغائب، مبالغة في تجاهلها، فنلاحظ عدول النبي-ﷺ- من

1- سبق تخريجه، ص 99.

2- فتح الباري، مصدر سابق، ج1، ص 26.

3- إرشاد الساري، مصدر سابق، ج1، ص 93.

4- مفتاح العلوم، مصدر سابق، ص 427.

5- يقول الزركشي في هذه الآية: «يحتمل الاستفهام الحقيقي، بأن يكونوا لم يعلموا انه الفاعل، والتقريري بان يكونوا علموا، ولا يكون استفهاما عن الفعل، ولا تقرير له، لأنه لم يله، ولأنه أجاب بالفاعل بقوله: (بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ». البرهان في علوم القرآن، مصدر سابق، ج 2، ص 333.

6- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة، مصدر سابق، ج3، ص 80.

7- سبق تخريجه، ص 89.

8- ينظر: فتح المنعم، مصدر سابق، ج 10، ص 84.

الاستفهام الحقيقي إلى تجاهل العارف لأنه لا يريد الحصول على الإجابة، وإنما كان غرضه التعجب من تحول حال الصبية وهذا ما حمله على الدعاء لها أن لا يكبر سنها وتبقى صبية، فالعدول من الاستفهام إلى تجاهل العارف دليل على بلاغة القائل، فيأتي الخطاب في غاية الجمال لأنه يكسبه غموضا فيجعله مثقلا بالمعاني[1].

خامسا: الأغراض البلاغية لحذف همزة الاستفهام:

لقد سبق الحديث عن قضية حذف الهمزة في الفصلين السابقين، فلا حاجة للتكرار حتى لا يطول الكلام ونتوجه بالبحث إلى المقاصد البلاغية التي من أجلها حذفت الهمزة؛ وسنعتمد في التطبيق على عينة من الأحاديث التي اشتملت على أسلوب الاستفهام حذفت منه الأداة ولا تكون إلا الهمزة، وقد ورد الاستفهام محذوف الأداة في الحديث الشريف، حيث لم ترد هناك قرينة على حذفها ك(أم) المعادلة، وإنما السياق هو الكفيل الوحيد الذي يكشف حذفها، والاعتماد على نغمة الكلام، فربما كان الاعتماد على قرينة التنغيم أفضل من الاعتماد على القرائن اللفظية، وهذا ما يشهد عليه الواقع اللغوي، وهذا ما ذهب إليه بعض النحاة[2]، ومما جاء فيه الاستفهام محذوف الهمزة ما يأتي:

– عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: «بِتُّ فِي بَيْتِ خَالَتِي مَيْمُونَةَ بِنْتِ الحَارِثِ زَوْجِ النَّبِيِّ-ﷺ- وَكَانَ النَّبِيُّ-ﷺ- عِنْدَهَا فِي لَيْلَتِهَا، فَصَلَّى النَّبِيُّ-ﷺ- العِشَاءَ، ثُمَّ جَاءَ إِلَى مَنْزِلِهِ، فَصَلَّى أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ، ثُمَّ نَامَ، ثُمَّ قَامَ، ثُمَّ قَالَ: **نَامَ الغُلَيِّمُ؟** أَوْ كَلِمَةً تُشْبِهُهَا، ثُمَّ قَامَ، فَقُمْتُ عَنْ يَسَارِهِ، فَجَعَلَنِي عَنْ يَمِينِهِ، فَصَلَّى خَمْسَ رَكَعَاتٍ، ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ نَامَ، حَتَّى سَمِعْتُ غَطِيطَهُ أَوْ خَطِيطَهُ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الصَّلاَةِ»[3]، والاستفهام في هذا الحديث في قوله: (نَامَ الغُلَيِّمُ؟)، تركيب إسنادي من الفعل الماضي (نام) وفاعله (الغُلَيِّمُ)، والاستفهام في هذا الموضع مسلط

1- ينظر: تجاهل العارف –قراءة تداولية– أسماء سعود أدهام، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، جامعة بابل، العدد 23، 2015م، ص 80.

2- وهذا ما ذهب إليه ابن هشام الأنصاري، فتحذف همزة الاستفهام من الكلام سواء دلت عليها (أم) المعادلة أم لا، بخلاف سيبويه الذي يعد حذفها من باب الضرورة الشعرية، فرأي ابن هشام مما يكثر استعماله في العرف اللغوي، فقد يورد الاستفهام في شكل جملة خبرية كقولنا: لا أعرف من يكون فلان؟ فظاهر الجملة أنها تركيب إسنادي خبري، لا يحمل أي صلة بالاستفهام وليس هناك ما يدل عليه، لذا فارتباطات الخطاب والواقع والعوامل التي تحيط به هي من يكشف أنه أسلوب طلبي. ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق عبد اللطيف الخطيب، مصدر سابق، ج1، ص 75. وينظر: دروس في البلاغة العربية، الأزهر الزناد، ص 108.

3- رواه البخاري، رقم 117، كتاب العلم، باب السمر في العلم، ص 42. غَطِيطَهُ وخَطِيطَهُ: الْخَطِيطُ قريب من الغَطِيطِ، وهو صَوْتُ النَّائِمِ، والغين والخاء متقاربتان. ينظر: لسان العرب، مرجع سابق، مادة (غطط)، مج2، ص 1200.

على الفعل ما إذا وقع أم لم يقع، وقد تعرض له ابن حجر (ت852هـ) في شرحه يقول: «ويحتمل أن يكون ذلك إخبارا منه بنومه أو استفهاما بحذف الهمزة وهو الواقع»[1]، وعليه فإن هذا الإسناد في شكله خبري، إلا أن شارح الحديث يراه استفهاما ضمنيا، ثم إن الغرض من هذا الاستفهام هو باعث الشفقة والرحمة حيال الصبي، وهذا ما دل عليه تصغير لفظة (الغُلَامْ).

– عَنِ بْنَ عُمَرَ –رضي الله عنهما– قال: « أَنَّ عُمَرَ انْطَلَقَ مَعَ النَّبِيِّ –ﷺ– فِي رَهْطٍ قِبَلَ ابْنِ صَيَّادٍ حَتَّى وَجَدُوهُ يَلْعَبُ مَعَ الصِّبْيَانِ عِنْدَ أُطُمِ بَنِي مَغَالَةَ وَقَدْ قَارَبَ ابْنُ صَيَّادٍ الْحُلُمَ فَلَمْ يَشْعُرْ حَتَّى ضَرَبَ النَّبِيُّ –ﷺ– بِيَدِهِ ثُمَّ قَالَ لِابْنِ صَيَّادٍ: **تَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ**؟ فَنَظَرَ إِلَيْهِ ابْنُ صَيَّادٍ فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ الْأُمِّيِّينَ»[2]، نلاحظ الاستفهام في هذا الحديث أيضا في شكل جملة خبرية فعلية، والمستفهم عنه هو الفعل المضارع (تشهَدُ) المسند إلى الغائب الذي يعود الصبي، والغرض من استفهام النبي –ﷺ– للصبي هو الدعوة إلى الإسلام، فقد كان الصبي غير مسلم، فمن باب الرحمة بالبشرية أنه مرسل إليهم جميعا، فكيف بصبي صغير، أن يموت على الكفر، ورسول الله يراه ويشاهده، فمن رحمته بالناس جعله يدعوه إلى دين الإسلام، لذا جاء الاستفهام محذوف الهمزة، للعرض فالنبي–ﷺ– كان في موقع عرض فتخلى على الأداة التي ربما قد تجعل التصديق بين الرفض أو الإيجاب، ومن اللطائف لحذف همزة الاستفهام أن القول يكون فيه تلطف ولين، بعكس ما إن ذكرت الهمزة لما تحمله من شد وفخامة في المخرج، فتكون كالتنفير، لأن المستفهم أحيانا قد لا يحصل على الإجابة، حتى وإن كانت موجودة عند المستفهم منه، وذلك لأن الإنسان يتهرب أحيانا من الإجابة، وهذا ما الأسباب التي تدعو إلى حذف الهمزة أحيانا من التركيب فيأتي الاستفهام في صيغة الخبر.

– ما روي عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ –رضي الله عنه– في المرأة التي جاءت تعرض نفسها على النبي–ﷺ–، فلم تعجبه، فقام أحد الصحابة فَقَالَ: « يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكَ بِهَا حَاجَةٌ فَزَوِّجْنِيهَا فَقَالَ: فَهَلْ عِنْدَكَ مِنْ شَيْءٍ؟ فَقَالَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ: اذْهَبْ إِلَى أَهْلِكَ فَانْظُرْ هَلْ تَجِدُ شَيْئًا، فَذَهَبَ ثُمَّ رَجَعَ فَقَالَ: لَا وَاللَّهِ مَا

1– فتح الباري، مصدر سابق، ج1، ص212.

2– وينظر بقية قصة ابن صياد مع النبي–ﷺ– البخاري، رقم 1354، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه، وهل يعرض على الصبي الإسلام، ص 326. رهط: رَهطُ الرَّجُل: قَوْمُهُ وَقَبِيلَتُهُ، والرَّهْطُ: عَدَدٌ يجمَعُ مِنْ ثَلَاثَةٍ إِلَى عَشَرةٍ، وقيل: ما دُونَ الْعَشَرةِ مِنَ الرِّجَالِ لا يَكُونُ فيهِمُ امْرَأَةٌ. أُطُمٌ: الأُطُمُ: حِصْنٌ مَبْنِيٌّ بِحِجَارَةٍ، وقِيلَ هُوَ كُلُّ بَيْتٍ مُرَبَّعٌ مُسَطَّحٌ، والجَمْعُ الْقَلِيلُ: آطَامٌ، والكَثِيرُ أُطُومٌ. ينظر: لسان العرب، مرجع سابق، مادة (رهط)، مج3، ص 1753. ومادة (أطم)، مج1، ص 93.

وَجَدْتُ شَيْئًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-: انْظُرْ وَلَوْ خَاتِمًا مِنْ حَدِيدٍ، فَذَهَبَ ثُمَّ رَجَعَ فَقَالَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا خَاتِمًا مِنْ حَدِيدٍ وَلَكِنْ هَذَا إِزَارِي، قَالَ: سَهْلٌ مَا لَهُ رِدَاءٌ فَلَهَا نِصْفُهُ فَقَالَ: رَسُولُ اللَّهِ-ﷺ- مَا تَصْنَعُ بِإِزَارِكَ إِنْ لَبِسْتَهُ لَمْ يَكُنْ عَلَيْهَا مِنْهُ شَيْءٌ وَإِنْ لَبِسَتْهُ لَمْ يَكُنْ عَلَيْكَ مِنْهُ شَيْءٌ، فَجَلَسَ الرَّجُلُ حَتَّى إِذَا طَالَ مَجْلِسُهُ قَامَ فَرَآهُ رَسُولُ اللَّهِ-ﷺ- مُوَلِّيًا فَأَمَرَ بِهِ فَدُعِيَ فَلَمَّا جَاءَ قَالَ: مَاذَا مَعَكَ مِنْ الْقُرْآنِ؟ قَالَ: مَعِي سُورَةُ كَذَا وَسُورَةُ كَذَا عَدَّدَهَا فَقَالَ: **تَقْرَؤُهُنَّ عَنْ ظَهْرِ قَلْبِكَ؟** قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: اذْهَبْ فَقَدْ مُلِّكْتَهَا بِمَا مَعَكَ مِنْ الْقُرْآنِ»[1]، فقد كان الرجل حريص ويريد أن يتزوج إلا أنه لا يجد ما يُصْدِقُه مهرا لهذه المرأة، وهذا ما يبينه كثرة تردده على-ﷺ-، فلما يأس الرجل ويظهر هذا من قول الراوي (فَجَلَسَ الرَّجُلُ حَتَّى إِذَا طَالَ مَجْلِسُهُ قَامَ فَرَآهُ رَسُولُ اللَّهِ-ﷺ- مُوَلِّيًا فَأَمَرَ بِهِ فَدُعِيَ فَلَمَّا جَاءَ) وهذا فيه دليل على يصور لنا انكسار الرجل وخيبة أمله، حتى جاءه الفرج من قريب في استفهام ما إذا كان يحفظ شيئاً من القرآن، فكان جوابه انه يحفظ سوَراً من القرآن، ثم أراد النبي-ﷺ- التَثَبُّتَ والتقرير بصيغة الاستفهام في قالب الخبر: (تَقْرَؤُهُنَّ عَنْ ظَهْرِ قَلْبِكَ؟)، بحذف همزة الاستفهام، مراعاة لحال الرجل الذي كان في غاية الانكسار، لذا جاء الاستفهام دون همزة، وهذا فيه تشجيع وتنشيط، واستعمال المضارع للدلالة على الحال، لأن الصداق مما يقوم عليه الزواج فوجب ذكر قيمته وتعجيل تسليمه[2]، وهذا ما حمله على طلب استظهارها، والله أعلم.

– ومما جاء فيه الاستفهام محذوف الهمزة، ما روي عَنْ أَبِي ذَرٍّ-رضي الله عنه- عن النبيِّ -ﷺ- أنَّهُ قَالَ: «أَتَانِي جِبْرِيلُ فَبَشَّرَنِي أَنَّهُ مَنْ ماتَ مِنْ أُمَّتِكَ لا يُشْرِكُ بالله شَيْئًا دَخَلَ الجَنَّةَ، قُلْتُ: **وَإِنْ زَنى وإِنْ سَرَقَ؟** قالَ: وَإِنْ زَنى وإِنْ سَرَقَ»[3]، فنلاحظ أن الحديث اشتمل على ذكر البشارة ومن عادة الإنسان إن حينما تأتيه بشارة تهيج نفسه وتتطلع لمعرفتها، فضلا إذا كانت هذه البشارة تحمل نوعا من الغرابة، لذا كان سببا في مجيء الاستفهام محذوف الهمزة، والغرض منها الاستبعاد، فكيف للذي يأتي بالمعاصي أن يدخل الجنة، وقد يُحْمَلُ

1- رواه مسلم، رقم 1425، كتاب النكاح، باب الصداق وجواز كونه تعليم قرآن وخاتم من حديد، ص 1041.

2- وتعجيل تسليم المهر مستحب لمن تيسر له. ينظر: المنهاج شرح صحيح مسلم، مصدر سابق، ج9، ص 213.

3- سبق تخريجه ص 39. وقد استشهد به ابن مالك في كتابه شواهد التوضيح، على أنَّ من قال: (وإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ) هو النبي -ﷺ- مستفهما لجبريل عليه السلام، وحين عودتنا إلى شرح هذا الحديث وجدنا أن بن حجر يبين أن المستفهم هو أبو ذر-رضي الله عنه-، يقول ابن حجر: «قوله: (فقلت: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ)، قد يتبادر إلى الذهن أن القائل ذلك هو النبي-ﷺ- وللقول له الملك الذي بشره به، وليس كذلك، بل القائل هو أبو ذر-رضي الله عنه-» وهذا استنادا إلى روايات أخرى في هذا الباب. ينظر: فتح الباري، مصدر سابق، ج3، ص 111.

أيضا على طلب التوضيح، فكأنه يطلب توضيح كيف يكون التوحيدُ الذي هو مناقض الشرك، أن يكون سببا في دخول الجنة، وهل يكف لوحده حتى وإن كان المسلم عاصيا وهذا هو وجه الاستغراب من القضية، لذلك جاء الاستفهام محذوف الهمزة (وَإِنْ زَنى وإِنْ سَرقَ؟)، لتوضيح هذه البشارة التي تدعو إلى الحيرة والتعجب، وقد جاء الاستفهام بالواو مع الفعل الماضي الذي يدل على زمن المضي أصالة، والمعنى: أو إن كان قد زنى وقد سرق قبل إسلامه، فالتوبة تجب ما قبلها، والإسلام يهدم ما قبله[1]، فجاء الجواب في شكل توكيدٍ لفظي لألفاظ الاستفهام وذلك بإعادتها، وإن زنى وإن سرق.

وخلاصة الأمر فإن حذف همزة الاستفهام من الكلام له أغراض يساق لها، وذلك مراعاة للحالة المستفهم منه، أو المستفهم عنه، فتحذف الهمزة ويأتي التركيب في صيغة الخبر، الذي ينعكس على الموقف بصورة إيجابية، وذلك وفق هذه الأغراض المستنتجة من هذه النماذج، فقد تحذف بدافع الشفقة والرحمة، أو تحذف في موقف الدعوة التي تحتاج إلى اللين والتلطف في القول كما في الحديث الثاني، أو يكون دافع حذفا التثبت من صحة دعوى المستفهم منه كما في النموذج الثالث، وربما كان سبب حذفها يعود إلى طلب التوضيح، أو بدافع التعجب، وهذا ما نلمسه من الأحاديث التي بين أيدينا، ثم إن كل هذه المعاني تعود أساسا إلى لين جانب النبي وحكمته في التصرف في القول ومن تمام بلاغته في مراعاة الحال وتنزيل الكلام منزلته.

ونخلص في نهاية هذا الفصل إلى أن أسلوب الاستفهام بالهمزة في الحديث النبوي قد اشتمل على قضايا أسلوبية متعددة، وهذا لتفاعل عناصر تركيبه، فالهمزة تعدد وظيفتها نظرا إلى القرائن التي ترد في الخطاب فتغير وجهتها من الاستفهام إلى تأدية دلالة القسم أو النداء، وهي معاني إضافية متأصلة في الهمزة إلى جانب وظيفة الاستفهام، ثم إن أسلوب الاستفهام قد يخرج إلى ليؤدي وظيفة دلالية أخرى ليست من اختصاصه، كدلالة الأمر والنهي والتحضيض، والإبهام والتفسير، ويعتمد أسلوب الاستفهام على البنية الحوارية، ذلك أنه يقتضي طرفين مستفهم ومستفهم منه، فلا يمكن الاستفهام أن يؤدى من طرف واحد، اللهم إن كان حديث النفس، وقد يخرج هذا الحوار فيأخذ طابع الحجاج لإفحام الخصم وإقناعه، وتتحكم في أسلوب الاستفهام قرائن غير

1- استنادا إلى قوله-ﷺ- «أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الْإِسْلَامَ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ وَأَنَّ الْهِجْرَةَ تَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهَا وَأَنَّ الْحَجَّ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ» رواه مسلم، رقم 121، كتاب الإيمان، باب كون الإسلام يهدم ما قبله وكذا الهجرة والحج، ص112.

لغوية وهي ما يسمى بالعوامل الخارجية التي يقع فيها الخطاب مما يحدث تأثرا على المنتوج الكلامي وشكله ووظيفته، ومن هذه العوامل ما يرجع إلى الحالة النفسية للمستفهم، أو المكانة الاجتماعية أو البيئة التي يلقى فيها الخطاب.

ومن تجليات بلاغة المصطفى -ﷺ- أنه تحدث وفق سنن العرب في كلامها، وحف ذلك بعناية الوحي، فلم ينطق إلا عن ميراث نبوة، ولم يخرج عن بلاغة العرب وتصريف كلامهم، وكان النبي -ﷺ- يستفهم الصحابة بدوافع فطرية المعرفة أو تشريعية، أو قد تكون العملية عكسية يكون الاستفهام من الصحابة – رضوان الله عليهم- أيضا بدافع تحصيل المعرفة لما يخصهم ويعنيهم من أمور دينهم ودنياهم، ويكون الاستفهام على حقيقته؛ ويخرج الاستفهام عن هذه الحقيقة الأصيلة فيؤدي معاني بلاغية أخرى تستسقى من السياق، وقد قسمناها إلى أصيلة وأغراض ثواني، ومن الأغراض الأصيلة التي يخرج إليها التقرير ويحمل هذا التقرير على الفعل أو الفاعل أو المفعول به، بحسب البنية التركيبية التي ورد فيها الاستفهام، ويخرج أيضا إلى الإنكار التي يكشف الحالة النفسية للمستفهم فعادة ما يصحبه الانفعال، وهذا الانفعال بدرجات فيكون للتوبيخ أو التقريع أو الزجر، أما بالنسبة للأغراض الثواني فهي المعاني التي يريد النبي-ﷺ- إيصالها للمخاطب وهي متفرعة عن الإنكار أو التقرير، وهي نتيجة التحليل واستنادا إلى أقوال شُرَّاح الحديث.

ومن النتائج التي خلصنا إليها في هذا الفصل أن شُرَّاح الحديث –رحمهم الله- لم يعتنوا كثيرا بالأوجه البلاغية التي اشتمل عليها الحديث، حيث لم يتعرضوا إلى بيان الأغراض البلاغية للاستفهام بالهمزة كثيرا، بالقدر الذي كانوا يعتنون ببيان ما أُشكل من الألفاظ أو ما التبس من الإعراب، ما يجعلهم يوجهون عنايتهم إلى استنباط الأحكام الشرعية وبيان درجة الحديث، ثم إنهم وفي معرض شرحهم قد يتعرضون لبيان بعض هذه الأغراض صراحة أو يكتفون بالإشارة إلى هذه المعاني التي يفيدها هذا الغرض بمعونة سياق ورود الحديث.

خاتمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

خاتمة:

اعتمدنا على مجموعة من الأحاديث الصحيحة من مضانها الموثوقة، مستصحبين معنا توفيق الله–عز وجل– ثم وسائل التحليل معتمدين على آراء النحاة والبلاغين و ما جاء مبثوثا عند شرَّاح الحديث، وهذه أهم النتائج التي يؤكِّدها البحث:

النتائج العامة:

– يؤكد البحث أن الحديث الشريف رافد مهم من روافد اللغة العربية لقي عناية كبيرة عند المتأخرين من علماء اللغة وهذا ما يكشف عنه ميدان البحث العلمي.

– يؤكد البحث ثراء وسعة النص النبوي في تضمن المعاني والدلالات التي لا يمكن إحاطتها واستيعابها، وشموليتها لجميع مستويات اللغة، مما يؤهله أن يكون مادة خصبة للمدارسة.

– يؤكد البحث تضمن الحديث النبوي لوجوه الإعجاز اللغوي والعلمي ما يدعو إلى محاولة التنقيب عنها في كل مرة لتتجددها بتجدد الزمان، الحديث الشريف معين لا ينضب وأصل لغوي لا ينكر.

– يؤكد البحث أن الهمزة من الحروف العربية الأكثر استخداما، حيث وجدت اهتماما عند اللغوي، ما جعلها طوافة بسائر علوم اللغة من معجم وصوت وصرف ونحو وبلاغة.

– الثراء الدلالي الذي يتميز به أسلوب الاستفهام في الدرس اللغوي أهله أن يكون وسيلة من وسائل التخاطب اليومي

النتائج الخاصة:

– اعتماد أسلوب الاستفهام بالهمزة على بنية تركيبية تخالف الأساليب الإنشائية الأخرى، كما تربطه علاقة وطيدة بمباحث علمي النحو والبلاغة العربية.

– عناية النحاة بالهمزة دون نظيراتها من الأدوات الأخرى لأنها أكثر الأدوات تطفلا على التركيب، فتحذف وغيرها من الأدوات لا يحذف، لذا عدوها أم باب الطائفة.

– حذف همزة الاستفهام من التركيب إذا دلت عليها بعض القرائن اللغوية كـ(أم) المعادلة، وقد تحذف دون قرينة.

– يؤكد البحث عدم اقتصار الهمزة في الدخول على الجمل الفعلية فحسب، تدخل الهمزة على الجمل الاسمية كذلك، ما يجعلها أداة تأثير على عناصر التركيب ما يفرض تقديم بعض أجزائه على بعض.

– أن همزة الاستفهام تتقدم الحروف التي لها حق الصدارة، إذ تتقدم حروفا وتفقدها حق الصدارة فتتقدم حروف الجر والنفي والجزم.

– أن همزة الاستفهام تدخل في الحديث النبوي الشريف على التراكيب المثبتة والتراكيب المنفية ببعض أدوات النفي كـ (لا، ليس، لم).

– اشتمال ردود النبي –ﷺ– على بعض أدوات الإيجاب والتصديق، فقد صدرت ردود بحروف الجواب الآتية: (نعم، لا، بلى، بل)، وقد يأتي استعمال (نعم) جوابا على النفي والإثبات استنادا إلى العرف اللغوي.

– اعتماد أسلوب الاستفهام على طريقة إلقائية متميزة، فيعتمد على نغمة تترجم الحالة النفسية للمستفهم والغرض الذي يريد إيصاله للمتلقي ما يخرج به من الحقيقة إلى المجاز.

– أهمية السياق بشقيه في الكشف عن حذف همزة الاستفهام من التركيب.

– أن همزة الاستفهام تحذف في حديثه–ﷺ– كثيرا، حيث يحذف حرف الجواب وتقتصر الردود على حرف الجواب أو يحذف حرف الجواب ويكتفي بجملة الجواب.

– أنه إلى جانب الدلالة الأصلية للهمزة وهي الاستفهام تأتي الهمزة لتفيد معنى القسم أو النداء، وهذا بالاحتكام إلى المؤشرات التي يشتمل عليها التركيب، وعلى قلتها في الحديث الشريف.

– أن أسلوب الاستفهام بالهمزة في الحديث الشريف تتحكم فيه عوامل كثيرة، إذ لا يمكن عزل تركيبه عن سياق وروده ما يجعله مبتور المعنى حيث لا بد من مراعاة حال المستفهم ومكانته الاجتماعية، والبيئة التي يلقى فيها ما يجعله مثقلا بالمعاني والدلالات.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

– أن الاستفهام بالهمزة يأتي في الحديث الشريف مع الفعل (رأى)، فيخرج به إلى معنى الإخبار والإعلام، لما فيه من التأدب ومراعاة أحوال الصحابة وحثهم على العلم، ولما في استفهام بـ(أرأيت) من تلطف في العبارة، وجذب للانتباه.

– إعتماد أسلوب الاستفهام في الحديث الشريف على النمط الحواري الذي يقتضي التشريك في إنتاج الفعل الكلامي، وقد تخرج هذه المحاورة فتكتسي طابع المحاججة التي تفيد إرغام الخصم وإقناعه.

– أن الاستفهام يأخذ في حديثه–ﷺ– الطابع التعليمي يستفز مخاطبيه لحملهم على الإجابة، حتى يبصرهم بأمور دينهم ودنياهم.

– خروج أسلوب الاستفهام بالهمزة في الحديث الشريف عن المقصد الأساسي وهو الاستعلام والاستخبار، فيؤدي معاني ليست من اختصاصه، فيدل على الأمر والنهي والتحضيض والاستفتاح وغيرها من المعاني.

– خروج الاستفهام في حديثه–ﷺ– إلى المجاز، ليفيد أغراضا بلاغية كالتقرير والإنكار، كما يفيد معاني ثواني متفرعة تكشف مراد النبي –ﷺ– من استفهامه كالتشويق والإثارة والإغراء والنهي والإيناس وغيرها.

– عدم إمكانية دراسة أسلوب الاستفهام في الحديث الشريف بعزله عن سياقه الذي ورد فيه، مما يجعله يخرج عن الغرض الذي سيق من أجله، مفتقدا لعناصر جماله.

– يؤكد البحث أن الاستفهام بالهمزة يكشف تركيبه عن الحالات التي تدفع المتكلم إلى الاستفهام، فإلى جانب الدافع الأساسي للاستفهام وهو طلب العلم نجد دوافع أخرى تتمثل في: التوهم، والتردد، والشك والظن، والجهل.

– إن الاستفهام إذا بدر من الصحابة –رضوان الله عليهم– يأتي على حقيقته، أما إذا بدر من النبي–ﷺ– فيكون تارة حقيقيا وأخرى مجازيا، وهذا ما تكشف عنه القرائن.

– عدم تطرق شُرَّاح الحديث إلى القضايا البلاغية التي اشتمل عليها الحديث الشريف إلا إذا اقتضت الحاجة، في حين كان اهتمامهم منصبا على شرح ما أشكل من لفظه واعتنائهم باستنباط الأحكام الشرعية، فكانوا يشيرون في معرض شرحهم إلى بعض هذه الأغراض البلاغية دون إسهاب.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفهارس الفنية

- فهر س الآيات
- فهرس الأحاديث
- فهرس الأشعار
- فهرس تراجم الأعـلام
- قائمة المصادر والمراجع

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الآيات

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

السورة	الآية	رقمها	صفحة ورودها
البقرة	﴿ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ ﴾	6	36
	﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ ... الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾	44	105
	﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾	46	46
	﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ ... وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾	75	98
	﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾	77	142
	﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ ﴾	196	179
	﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ ﴾	258	163
آل عمران	﴿ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ ﴾	114	38
	﴿ أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ ﴾	165	98
الأنعام	﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي ﴾	76	35
	﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾	14	54
	﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾	81	175-82
	﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ ﴾	40	146
الأعراف	﴿فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ﴾	44	120
	﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ ... قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا﴾	172	123
	﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ﴾	172	79
	﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾	185	98
التوبة	﴿أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ ﴾	13	150
	﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ﴾	126	167
	﴿الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ ﴾	97	180
يونس	﴿ قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴾	59	36-15
	﴿ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنْتُمْ بِهِ آلْآنَ وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ﴾	51	98-38

	﴿قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ﴾	16	136
يوسف	﴿ أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ ﴾	107	38
الرعد	﴿ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ ﴾	16	64-63
	﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ﴾	41	107
إبراهيم	﴿ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾	10	39
النحل	﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾	44	172
	﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾	43	172
	﴿ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾	125	163
الإسراء	﴿أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا ﴾	40	182
الأنبياء	﴿أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ﴾	62	195 -32
	﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ﴾	26	126
	﴿ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴾	61	195
الحج	﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ ﴾	46	107
المؤمنون	﴿ قَالُوا أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴾	82	15
الفرقان	﴿ قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ ﴾	15	111
الشعراء	﴿ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾	22	72-35
	﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾	214	70
	﴿ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴾	18	178
النمل	﴿أَمْ مَاذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾	84	64
	﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾	62	64
	﴿ آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾	59	115
	﴿ أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾	60	
القصص	﴿أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾ ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾	72-71	105
العنكبوت	﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾	2	56
السجدة	﴿حم، تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ..... تَدْعُونَا إِلَيْهِ﴾	5-1	157
الأحزاب	﴿ وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ ﴾	34	171

سبأ	﴿ حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ﴾	23	82
يس	﴿ قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَئِنْ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ ﴾	19	38
	﴿وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾	10	57-36
غافر	﴿ قَالُوا أَوَ لَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى ﴾	50	39-38
فصلت	﴿ أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾	40	64
الزخرف	﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا ﴾	19	35
	﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ ﴾	31	182
محمد	﴿ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾	27	39
	﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾	24	142
ق	﴿أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾	3	194
القمر	﴿أَأُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا﴾	25	15
الملك	﴿ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴾	08	39
القيامة	﴿ أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ ... عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ ﴾	4-3	175-123
			191-
المرسلات	﴿ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴾	50	82
الإنسان	﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ ﴾	1	77
النَّبأ	﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ، عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ﴾	2-1	134
النازعات	﴿ أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا ﴾	27	111-15
البروج	﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا ﴾	10	167
الأعلى	﴿ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى، بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾	16-15	126
	﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ ﴾		166
الشمس	﴿ والشَّمْس وَضُحَاهَا ﴾	1	166
الليل	﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى ﴾	1	166
الزلزلة	﴿ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴾	4	76
الهمزة	﴿ وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ ﴾	1	12
الماعون	﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ﴾	1	146

المسد	﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَقَدْ تَبَّ ﴾	1	168
الفلق	﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴾	1	151
الناس	﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴾	1	151

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الأحاديث

طرف الحديث	راوي الحديث	صفحة وروده
[أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا ؟]	أم المؤمنين عائشة	143
[أَتَانِي جِبْرِيلُ فَبَشَّرَنِي أَنَّهُ مَنْ مات مِنْ أُمَّتِكَ لا يُشْرِكُ بالله شَيْئًا]	أَبو ذَرٍّ	71-73-110-199
[أَتَتِ النَّبِيَ-ﷺ- امْرَأَةٌ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ أُمِّي مَاتَتْ]	ابن عباس	105-172
[أَتَدْرُونَ مَا الْغِيبَةُ؟ قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ]	أبو هريرة	136-189
[أَتَدْرُونَ مَا حَقُّ الْجَارِ؟]	عمرو بن شعيب	136
[أُدْعُ اللهَ يَا رَسُولَ اللهِ أَنْ يُوَسِّعَ عَلَى أُمَّتِكَ]	عمر بن الخطاب	102
[أَرَأَيْتَ حِينَ خَرَجْتَ مِنْ بَيْتِكَ أَلَيْسَ قَدْ تَوَضَّأْتَ]	أبو أمامة الباهلي	147
[أَرْدَفَنِي رَسُولَ اللهِ -ﷺ- خَلْفَهُ ذَاتَ يَوْمٍ، فَأَسَرَّ إِلَيَّ حَدِيثاً]	عبد الله بن جعفر	142- 153
[أَصَابَ رجُلاً جرْحٌ فِي عَهْدِ رَسُولِ الله، ثُمَّ احْتَلَمَ]	ابن عباس	68
[أَفَلَمْ تَرْضَوْا أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟]	عبد الله بن مسعود	107
[أَقْبَلَ رَجُلٌ بِنَاضِحَيْنِ-وَقَدْ جَنَحَ اللَّيْلُ- فَوَافَقَ مُعَاذاً]	جابر بن عبد الله	166
[أَقَدْ فَرَغْتَ يَا أَبَا الْوَلِيد ؟ قَالَ : نَعَمْ، قَالَ: فَاسْمَعْ مِنِّي]	محمد بن كعب	157
[أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلَ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ وَالصَّلَاةِ وَالصَّدَقَةِ ؟]	أبو الدرداء	133-191
[أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَا يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ ؟]	أبو هريرة	133-
[أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى كَلِمَةٍ هِيَ كَنْزٌ مِنْ كُنُوزِ الجَنَّةِ؟]	أبو موسى الأشعري	134
[أَلا أَدُلُّكُمْ عَلَى دَائِكُمْ وَدَوَائِكُمْ؟]	أنس بن مالك	159
[أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللهُ بِهِ الْخَطَايَا وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟]	أبو هريرة	105-149-191
[أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ؟]	أنس بن مالك	134- 152
[أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ]	معد كرب	171

[الزَّمَانُ قَدْ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ]	أبو بكْرة	157
[السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ]	أبو هريرة	126-169
[أَلَكَ مَالٌ؟ قَالَ: نَعَمْ مِنْ كُلِّ الْمَالِ]	أبو الأحوص	100
[أَلَمْ تَرَيْ أَنَّ قَوْمَكِ حِينَ بَنَوْا الْكَعْبَةَ اقْتَصَرُوا ...]	أم المؤمنين عائشة	144
[أَلَيْسَ شَهَادَةُ الْمَرْأَةِ مِثْلَ نِصْفِ شَهَادَةِ الرَّجُلِ؟]	أبو سعيد الخدري	144
[أَلَيْسَ قَدْ مَكَثَ هَذَا بَعْدَهُ سَنَةً؟]	طلحة بن عبيد الله	144
[إِنَّ أَبَاهُ أَتَى بِهِ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- فَقَالَ: إِنِّي نَحَلْتُ ابْنِي]	النعمان بن بشير	172
[إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ بَيْعَ الْخَمْرِ وَالْمَيْتَةَ وَالْخِنْزِيرَ وَالْأَصْنَامَ]	جابر بن عبد الله	132
[إِنَّ اللَّهَ -عَزَّ وَجَلَّ- وَكَّلَ بِالرَّحِمِ مَلَكًا يَقُولُ يَا رَبِّ نُطْفَةٌ]	أنس بن مالك	112-113
[أَنَّ النَّبِيَّ -ﷺ- ابْتَاعَ فَرَساً مِنْ أَعْرَابِي واسْتَتْبَعَهُ لِيَقْبِضَ ...]	عمارة بن خزيمة	97-180
[أَنَّ النَّبِيَّ -ﷺ- دَخَلَ عَلَيْهَا وَعِنْدَهَا امْرَأَةٌ قَالَ: مَنْ هَذِهِ؟]	عائشة أم المؤمنين	42
[أن النَّبِيَّ -ﷺ- مرَّ بِهِ وهُوَ بالحُدَيْبِيَةِ قبلَ أنْ يَدْخُلَ مَكَّةَ]	كعب بن عجرة	95-179
[أَنَّ النَّبِيَ-ﷺ- كَانَ يَأْتِهَا وَهُوَ صَائِمٌ، فقالَ: أَصْبَحَ عِنْدَكُمْ]	عائشة أم المؤمنين	96
[أَنَّ رَجُلاً أَتَى النَّبِيَّ-ﷺ- فَسَأَلَهُ عَنْ وَقْتِ صَلَاةِ الْغَدَاةِ]	أنس بن مالك	79
[أَنَّ رَجُلاً مِنْ بَنِي فَزَارَةَ أَتَى النَّبِيَ ﷺ- فَقَالَ: إِنَّ امْرَأَتِي وَلَدَتْ]	أبو هريرة	79
[أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- « نَهَى عَنْ بَيْعِ الثِّمَارِ حَتَّى تُزْهِيَ]	أنس بن مالك	94
[إِنَّ رَسُولَ اللهِ —ﷺ- خَرَجَ عَلَى حَلَقَةٍ، فَقَالَ: مَا أَجْلَسَكُمْ؟]	معاوية بن أبي سفيان	81- 117-130
[إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- دَخَلَ عَلَيَّ مَسْرُورًا تَبْرُقُ أَسَارِيرُ وَجْهِهِ]	عائشة أم المؤمنين	145
[أَنَّ رسُول الله-ﷺ- صَلَّى العصْرَ فسلَّمَ في ثلاثِ رَكَعَاتٍ]	عِمرانَ بْنَ حُصَيْنٍ	93
[أن رسول الله-ﷺ- قالَ: أَرَأَيْتُمْ لوْ أنَّ نَهْرًا بِبَابِ أحَدِكُمْ]	أبو هريرة	93-163
[أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ-ﷺ- مَرَّ بِالسُّوقِ دَاخِلًا مِنْ بَعْضِ الْعَالِيَةِ]	جابر بن عبد الله	161- 192
[إِنَّ فَتًى شَابًّا أَتَى النَّبِيَّ -ﷺ-فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ائْذَنْ لِي ...]	أبو أمامة الباهلي	163
[إِنَّ مُحَمَّدًا -ﷺ-قَالَ: أَلَا أُنَبِّئُكُمْ مَا الْعَضْهُ؟]	عبد الله بن مسعود	133- 160
[أَنَّ عُمَرَ انْطَلَقَ مَعَ النَّبِيِّ-ﷺ- فِي رَهْطٍ قِبَلَ ابْنِ صَيَّادٍ حَتَّى]	عبد الله بن عمر	197
[أَنَّ قُرَيْشًا أَهَمَّتْهُمْ الْمَرْأَةُ الْمَخْزُومِيَّةُ الَّتِي سَرَقَتْ]	عائشة أم المؤمنين	183

[إِنَّمَا كَانَ النَّاسُ يَسْكُنُونَ الْعَالِيَةَ فَيَحْضُرُونَ الْجُمُعَة وَبِهِمْ وَسَخٌ]	عائشة أم المؤمين	105
[أَنَّهُ كَانَ رَدِيفَ رَسُولِ اللهِ-ﷺ- غَدَاةَ النَّحْرِ، فَأَتَتْهُ امْرَأَةٌ]	الفضل بن عباس	122-108
[أُهْدِيَ لِلنَّبِيِّ-ﷺ- ثُوْبُ حَرِيرٍ، فجَعَلْنَا نلمسهُ ونتعجَّبُ منهُ]	البراء بن عازب	87
[أَوَ كُلَّمَا انْطَلَقْنَا غُزَاةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَخَلَّفَ رَجُلٌ ...]	أبو سعيد الخدري	92
[أَوَلَا يَجِدُ أَحَدُكُمْ ثَلَاثَةَ أَحْجَارٍ؟]	هشام بن عروة	187
[أَيُّهَا النَّاسُ اتَّهِمُوا أَنْفُسَكُمْ لَقَدْ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ-ﷺ-]	سهل بن حنيف	125
[بِتُّ فِي بَيْتِ خَالَتِي مَيْمُونَةَ بِنْتِ الحَارِثِ زَوْجِ النَّبِيِّ-ﷺ-]	ابن عباس	197
[بَعَثَنَا رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-فِي سَرِيَّةٍ، فَصَبَّحْنَا الْحُرَقَاتِ مِنْ جُهَيْنَةَ]	أسامة بن زيد	165 -104
[بَيْنَا النَّبِيُّ -ﷺ- يَخْطُبُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ إِذْ جَاءَ رَجُلٌ]	جابر بن عبد الله	187
[بَيْنَمَا أَقُودُ بِرَسُولِ اللهِ-ﷺ- فِي نَقَبٍ مِنْ تِلْكَ النِّقَابِ إِذْ قَالَ]	عقبة بن عامر	151
[بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ-ﷺ- مُضِيفٌ ظَهْرَهُ إِلَى قُبَّةٍ مِنْ أَدَمٍ]	عبد الله بن مسعود	124
[تَخَلَّفَ رَسُولَ اللهِ -ﷺ-فَتَخَلَّفْتُ مَعَهُ فَلَمَّا قَضَى حَاجَتَهُ]	المغيرة بن شعبة	103
[جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ]	أبو قتادة	131
[جَاءَتْ بِنْتُ هُبَيْرَةَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- وَفِي يَدِهَا فَتَخٌ]	ثوبان	155
[دَارَ عَلِيَّ رَسُولُ اللهِ -ﷺ- دَوْرَةً فَقَالَ: أَعِنْدَكِ شَيْءٌ؟]	عائشة أم المؤمنين	154-92
[دَخَلْتُ مَعَ أَبِيكَ زَيْدٍ عَلَى عَبْدِ اللهِ بْنَ عَمْرٍو]	أبو المليح	143-106
[دَعَاهُ رَسُول الله -ﷺ- فَقَالَ: أَبِكَ جُنُونٌ؟ قَالَ: لَا]	أبو هريرة	101
[رَآنِي رَسُولُ اللهِ —ﷺ- وَعَلَيَّ بَشَاشَةُ الْعُرْسِ فَقُلْتُ: تَزَوَّجْتُ]	عبد الرحمن بن عوف	81
[رَأَى رَسُولُ اللهِ-ﷺ-عَلَيَّ ثَوْبَيْنِ مُعَصْفَرَيْنِ فَقَالَ: أَأُمُّكَ ...]	عبد الله بن عمرو	185-140-90
[سَأَلَ رَجُلٌ رَسُولَ اللهَ -ﷺ- فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّا نَرْكَبُ]	أبو هريرة	172
[سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ-ﷺ-يقول: لَيْسَ مِنْ أَمْ بِرٍ أَمْ صِيَامٌ]	كعب بن عاصم	116
[سُئِلَ النَّبِيُّ -ﷺ- عنِ الرُّطَبِ بالتَّمْرِ فقَالَ: أيَنْقُصُ إذَا يَبِسَ؟]	سعد ابن أبي وقاص	180 -147-94
[سُئِلَ رَسُولُ اللهِ-ﷺ- أَفِي كُلِّ صَلَاةٍ قِرَاءَةٌ؟]	أبو الدرداء	120
[صَلَّى رسولُ اللهِ -ﷺ- الصُّبْحِ، فقال: شَاهِدٌ فُلَانٌ؟]	أبي بن كعب	140-91
[عَصَمَنِي اللهُ بِشَيْءٍ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ -ﷺ-]	أبو بَكْرَةَ	80

[غَزَوْتُ مَعَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ- جَيْشَ الْعُسْرَةِ وَكَانَ أَوْثَقَ عَمَلٍ لِي]	يعلى بن أمية	99
[فَدَخَلْتُ عَلَى حَفْصَةَ فَإِذَا هِيَ تَبْكِي]	عمر بن الخطاب	127
[فلمَّا صَلَّى رَسُولُ اللهِ-ﷺ- الفَجْرَ فَإِذَا الأَخْبِيَةِ، فَقَالَ: آلْبِرَّ]	عائشة أم المؤمنين	90-183
[قال النبيُّ -ﷺ- بمنىً: أتدرونَ أيَّ يومٍ هذا؟]	عبد الله بن عمر	87- 193
[قَالَ لِي النَّبِيُّ -ﷺ- أَلَمْ أُخْبَرْ أَنَّكَ تَقُومُ اللَّيْلَ وَتَصُومُ النَّهَارَ؟]	عبد الله بن عمرو	143
[قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ -ﷺ- وَضَرَبَ فَخِذِي كَيْفَ أَنْتَ إِذَا بَقِيتَ]	أبو ذرٍّ	80
[قال: أَتَدْرُونَ مَا أَخْبَارُهَا؟ قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ]	أبو هريرة	76
[قال: أَتَدْرُونَ مَنِ الْمُفْلِسُ؟ قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ]	أبو هريرة	68-127- 161-188
[قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- بِسَبْيٍ فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنْ السَّبْيِ تَبْتَغِي]	عمر بن الخطّاب	148
[قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّكَ تَصُومُ حَتَّى لَا تَكَادُ تُفْطِرُ]	أسامة بن زيد	82
[كَانَ النَّبِيُّ -ﷺ-لَا يَصَلِّي عَلَى رَجُلٍ عَلَيْهِ دَيْنٌ]	جابر بن عبد الله	102
[كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ رَجُلٍ كَلَامٌ وَكَانَتْ أُمُّهُ أَعْجَمِيَّةً فَنِلْتُ مِنْهَا]	أبو ذر	191
[كَانَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-فِي سَفَرٍ فَرَأَى زِحَامًا وَرَجُلًا قَدْ ظُلِّلَ عَلَيْهِ]	جابر بن عبد الله	116
[كَانَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ خُلُقًا فَأَرْسَلَنِي يَوْمًا]	أنس بن مالك	137
[كَانَ رَسُولُ اللهِ-ﷺ- عَامَ تَبُوكَ يَخْطُبُ النَّاسَ وَهُوَ مُسْنِدٌ ...]	أبو سعيد الخدري	152
[كَانَ رَسُولُ-ﷺ- إِذَا أُتِيَ بِطَعَامٍ سَأَلَ عَنْهُ: أَهَدِيَّةٌ أَمْ صَدَقَةٌ؟]	أبو هريرة	173
[كَانَ سَهْلُ بْنُ حُنَيْفٍ وَقَيْسُ بْنُ سَعْدٍ قَاعِدَيْنِ بِالْقَادِسِيَّةِ]	ابن أبي ليلى	97- 144
[كَانَ فِي بَرِيرَةَ ثَلَاثُ سُنَنٍ إِحْدَى السُّنَنِ أَنَّهَا أُعْتِقَتْ]	عائشة أم المؤمنين	148
[كَانَتْ امْرأَتَانِ جَارَتَانِ —كَانَ بَيْنَهُمَا صَخَبٌ-]	ابن عباس	184
[كَانَتْ عِنْدَ أُمِّ سُلَيْمٍ يَتِيمَةٌ وَهِيَ أُمُّ أَنَسٍ فَرَأَى رَسُولُ اللهِ-ﷺ]	أنس بن مالك	89-196
[كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ-ﷺ- فِي جِنَازَةٍ فَقَالَ: أَهَاهُنَا مِنْ بَنِي فُلَانٍ]	سمرة بن جندب	131
[كُنَّا مَعَ النَّبِي-ﷺ- فِي غَزْوَةٍ، فَلَمَّا قَفَلْنَا كُنَّا قَرِيباً مِنَ الْمَدِينَةِ]	جابر بن عبد الله	87-179-190
[لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا]	أبو هريرة	134-142- 151-191
[لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا]	أبو هريرة	79

[لما أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَنْفِرَ إذا صَفِيةَ عَلَى بَابِ خِبَائِها كَئِيبَةً حَزِينَةً]	عائشة أم المؤمنين	96
[لَمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ -ﷺ- يَوْمَ حُنَيْنٍ قَسَمَ فِي النَّاسِ]	عبد الله بن زيد	176-138
[لَيْتَنِي أَكُونُ حَياً إذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ فقالَ رَسُولُ الله -ﷺ- ...]	عائشة أم المؤمنين	195 -185-99
[مَا الْعَمَلُ فِي أَيَّامٍ أَفْضَلَ مِنْهَا فِي هَذِهِ قَالُوا: وَلَا الْجِهَادُ؟]	ابن عباس	110
[ماذا عَلِمْتِ أَوْ رَأَيْتِ؟]	عائشة أم المؤمنين	82
[مَرَّ بِي رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- وَأَنَا جَالِسٌ هَكَذَا]	الشريد بن سويد	141
[مَرِضْتُ مَرَضاً أَشْفَيْتُ مِنْهُ فَأَتَانِي رَسُولُ اللهِ-ﷺ- يَعُودُنِي]	سعد بن أبي وقاص	127
[مُطِرَ النَّاسُ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ -ﷺ- قَالَ: أَلَمْ تَسْمَعُوا ...]	زيد بن خالد الجهني	107-95
[نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾]	ابن عباس	194 -168
[يَا أَبَا أَيُّوبَ أَلا أَدُلُّكَ عَلَى صَدَقَةٍ يُرْضِي اللَّهَ وَرَسُولَهُ مَوْضِعُهَا؟]	أبو أيوب الأنصاري	142
[يَا أَبَا ذَرٍّ أَتَرَى كَثْرَةَ الْمَالِ هُوَ الْغِنَى؟]	أبو ذر	190
[يَا رَسُولَ اللهِ أَرَدْتُ أَنْ أَغْزُوَ، وَقَدْ جِئْتُ أَسْتَشِيرُكَ]	جاهمة	77
[يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ اللهَ لَا يَسْتَحِيِي مِنَ الْحَقِّ]	أم سلمة	121
[يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكَ بِهَا حَاجَةٌ فَزَوِّجْنِيهَا]	سهل بن سعد	198
[يَا رَسُولَ اللَّهِ ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بِالْأُجُورِ، يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي]	أبو ذر	159
[يا عَائِشَةُ متى عَهِدْتِنِي فاحشاً؟]	عائشة أم المؤمنين	78
[يَا مُعَاذُ أَتَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ؟]	معاذ بن جبل	136

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الأشعار

البحر	البيت	قائله	صفحة وروده
الطويل	طَرِبْتُ وما شَوْقًا إلى البِيضِ أطرَبُ ولا لعبًا مِنِّي وذُو الشَّيْبِ يلْعَبُ؟	الكميت	37- 73- 110
الطويل	فَوَ اللهِ مَا أدْرِي أَسَلْمَى تَغَوَّلَتْ أَمْ النَّـوْمُ أَمْ كُـلٌّ إِلَيَّ حَبِيبُ؟	مجهول القائل	114
الخفيف	ثُمَّ قالوا تُحِبُّهَا: قلتُ بَهْـرًا عدَدَ النَّجْمِ والحَصَى والتُّرابِ	عمر بن أبي ربيعة	72
البسيط	أَخِيلُ بَرْقاً متى حابٍ لهُ زَجَلٌ إذا يَفْتَرُّ مِنْ تَوْمَاضِهِ حَلَجـاً	ساعدة بن جُؤَيَّة	78
الوافر	أَلَسْتُم خَيْرَ مَنْ رَكِـبَ الْمَطَـايَا وأَنْدَى الْعَالَمِينَ بُطُـونَ راحِ	جرير	178
الكامل	كَيْفَ الْقَـرَارُ بِبَطْنِ مَكَّـةَ بَعْدَمَا هَـمَّ الَّـذِينَ نُحِـبُّ بالْإِتِّحَـادِ أَمْ كَيْفَ صَبْرُكَ إِذْ ثَوَيْتَ مُعَالِجاً سَقَماً خِلَافَهُمُ وَسُقْمُكَ بَادِي	عمر بن أبي ربيعة	65
الطويل	أَلَيْسَ أَبِي بالنَّضْرِ أَمْ لَيْسَ والِدِي لكُلِّ نَجِيبٍ مِـنْ خُزَاعَةَ أَزْهَـرَا؟	كثير عزة	111
الكامل	فَدَعِ الوَعِيدَ فَمَا وَعِيدُكَ ضَائِرِي أَطَنِينُ أَجْنِحَةِ الذُّبَابِ يَضِيرُ؟	أبو عيينة المهلبي	53
الكامل	بَلَى، سَوْفَ نَبْكِيهِمْ، بِكُلِّ مُهَنَّدٍ وَنَبْكِي عُمَيْراً بِالرِّمَاحِ الْخَوَاطِرِ	الجحاف	123
الوافر	أَضَاعُونِي وَأَيَّ فَتًى أَضَاعُـوا لِيَـوْمٍ كَرِيـهَـةٍ وسِـدَادِ ثُغْـرِ؟	العرجى	82
الطويل	لَعَمْرُكَ مَا أَدْرِي وَإِنْ كُنْتُ دَارِياً شُعَيْثُ ابْنُ سَهْمٍ أَمْ شُعَيْثُ ابْنُ مُنْقِرِ	الأسود بن يعفر	112
الكامل	ألاَ فَسَل الجَحَّاف هل هُوَ ثَائِرٌ بِقَتْلِي، أُصِيبَتْ من نُمَيْر بْن عَامِرِ؟	الأخطل	140
البسيط	حَارِ بْنَ كَعْبٍ أَلَا الْأَحْلَامُ تَزْجُرُكُمْ عَنَّا وَأَنْتُمْ مِنَ الْجُوفِ الْجَمَاخِيرِ؟	حسان بن	104

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

		ثابت	
الكامل	تَرُوحُ مِنَ الْحَـيِّ أَمْ تَبْتَكِرْ وماذا عليـك بأن تَنْتَظِرْ؟	امرؤ القيس	36
الطويل	تُدْلِي بِودِّي إِذَا لَقِيتَنِي كَذِبًا وَإِذَا غِبْتُ فَأَنْتَ الهَامِزُ اللُّمَزَهْ	مجهول القائل	12
الطويل	وكُلُّ خليلٍ غيرُ هاضمٍ نفسه لوَصْلِ خليلٍ صارمٌ أو معاوِزُ	الشماخ	30
الطويل	وَلَسْتُ أُبَالِي بَعْدَ فَقْدِي مَالِكاً أَمَوْتِـيَ نَـاءٍ أَمْ هُوَ الآنَ واقِعُ؟	متمم بن نويرة	111
الكامل	إن يبخلـوا أو يجبنــوا أو يغـدروا لا يحلفـوا	مجهول القائل	29
البسيط	أَحْيَا وأيْسَرُ مَا قاسَيْتُ ما قَتَلا والْبَيْنُ جَارَ عَلَى ضَعْفِي وَمَا عَدَلَا	المتنبي	110
الكامل	كَذِبَتْكَ عَيْنُكَ أَمْ رَأَيْتَ بِوَاسِطٍ غَلَسَ الظَّلَامِ مِنَ الرَّبَابِ خَيَالًا؟	الأخطل	37
الطويل	وَتِلْكَ وُلَاةُ السُّوءِ قدْ طالَ مُكْثُهُمْ فَحَتَّام حَتَّـام العَنَاءُ المطَـوَّلُ؟	الكميت	81
الطويل	وَذِي نَسَبٍ نَاءٍ بَعِيدٍ وَصَلْتَهُ بِمَالكَ لَا يَدْرِي أَهَلْ أَنْتَ وَاصِلُهْ	زهير بن أبي سلمى	65
الطويل	أَفَاطِمُ مَهْلاً بَعْضُ هَذَا التَّدَلُّلِ وَإِنْ كُنْتُ أَزْمَعْتُ صِرْمِي فَأَجْمِلِي	امرؤ القيس	62
الطويل	أيَقْتُلُني والمشْرَفِيُّ مُضَاجِعِي ومَسْنُونَةٍ زُرْقٍ كَأَنْيَابِ أَغْوَالِ؟	امرؤ القيس	53-182
المنسرح	ذَاكَ خَلِيلِي وَذُو يُوَاصِلُنِي يَرْمِي وَرَائِي بِامْسَهْمِ وامْسَلِمَهْ	بجير بن غنمة	116
الطويل	أَأُتْـرَكُ إِنْ قَلَّتْ دَرَاهِمُ خَالِـدٍ زِيَـارَتَـــهُ؟ إِنِّـــي إِذاً لَلَئِيـــمُ	عمارة بن عقيل	182
البسيط	هَلْ مَا عَلِمْتَ وَمَا اسْتُودِعْتُ مَكْتُومُ أَمْ حَبْلُهَا إِذْ نَأَتْكَ الْيَوْمَ مَصْـرُومُ أَمْ هَـلْ كَبِيرٌ بَكَـى لَمْ يَقْضِ عَبْرَتَـهُ إِثْـرَ الْأَحِبَّة يَوْمَ الْبَيْنِ مَشْكُـومُ	علقمة الفحل	65
البسيط	سَائِلْ فَوَارِسَ يَرْبُوعٍ بِشِدَّتِنَا أَهَلْ رَأَوْنَا بِسَفْحِ القُفِّ ذِي الأَكَمِ؟	زيد الخيل	89

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الطويل	فَيَا ظَبْيَةَ الوَعْسَاءِ بَيْنَ جُلاَجِلٍ وبَيْنَ النَّقَا آأَنْتِ أَمْ أُمُّ سَالِمِ؟	ذي الرمة	36
الكامل	هَلْ غَادَرَ الشُّعَرَاءُ مِنْ مَتَرَدَّمِ === أَمْ هَلْ عَرَفْتَ الدَّارَ بَعْدَ تَوَهُّمِ	عنترة بن شداد	64
الوافر	أَلَيْسَ اللَّيْلُ يَجْمَعُ أُمَّ عَمْرٍو وَإِيَّانَا فَذَاكَ بِنـَا تَـدَانِي نَعَمْ وَتَرَى الْهِلَالَ كَمَا أَرَاهُ وَيَعْلُوهَا النَّهَارُ كَمَا عَلاَنِي	جَحْدَر بن مالك	124
البسيط	أَبِيّ جَـزَوْا عَامِراً سَوْءَا بِفِعْلِهِـمْ أَمْ كَيْفَ يَجْزُونَنِي السُّوْأى مِنْ الْحُسْن أَمْ كَيْفَ يَنْفَعُ مَـا تُعْطِي الْعَلُوقَ بِهِ رِئْمَانَ أَنْفٍ إِذَا مَـا ضُـنَّ بِاللَّبَنِ	أُفْنُونْ التَّغْلِبِي	115
الطويل	بَدَا لِي مِنْهَا مِعْصَمٌ حِينَ جَمَّرَتْ وَكَفٌّ خَضِيبٌ زُيِّنَتْ بِبَنَانِ فَوَاللهِ مَا أَدْرِي وَإِنْ كُنْتُ دَارِيًا بِسَبْعٍ رَمِينَ الجَمْرَ أَمْ بِثَمَانِيَ؟	عمر بن أبي ربيعة	37-112
الطويل	دَعَانِي إِلَيْهَا الْقَلْبُ إِنِّي لِأَمْرِهِ سَمِيعٌ فَمَا أَدْرِي أَرُشْدٌ طِلَابُهَا	أبو ذؤيب الهذلي	114
الطويل	تَقُولُ عَجُوزٌ مَـدْرَجِـي مُتَرَوِّحـاً على بَـابِهَا مِنْ عِنْدَ أَهْلِي وَغَادِيَا أَذُو زَوْجَةٍ بِالْمِصْرِ أَمْ ذُو خُصُومَةٍ أَرَاكَ لَهَـا بِالْبَصْـرَةِ الْعَـامَ ثَاوِياً؟ فَقُلْتُ لَهَـا: لَا إِنَّ أَهْلِـيَ جِـيرَةٌ لِأَكْثَبَـةِ الدَّهْنـَا جَمِيعـاً وَمَالِـيَا	ذو الرمة	113

فهرس الأراجيز:

الرجز	صاحبه	الصفحة
ثُمَّ لِأَقْصَى الحَلْقِ هَـمْزٌ هَـاءٌ ثُـمَّ لِـوَسْطِهِ فَعَـيْنٌ حَـاءٌ	ابن الجزري	14
عَلَى بِمَعْنَى عَنْ وَفِي وَعَلِّـلاَ ومِـنْ ومَعْ والـلاَّمِ والْـبَا نُقِلاَ	الشيخ البيتوشي	102
وهَمْـزُ وَصْـلٍ إِنْ عَلَيْهِ دَخَـلاَ هَمْـزَةُ الاسْتِفْهَامِ أَبْـدِلْ سَهِّـلاَ إِنْ كَانَ هَمْزَ (أَلْ) وَإِلَّا فَاحْـذِفا كـ: أَتَّخَـذْتُمْ، أَفْتَرَى، وأَصْطَفَى	شهاب الدين أحمد بن إبراهيم الطَّيْبِي	16

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس تراجم الأعلام

أ- تراجم الصحابة

الصحابي	ترجمته	الصفحة
أبو الدرداء- رضي الله عنه -	عويمر بن زيد بن قيس الأنصاري الخزرجي، حكيم هذه الأمة، يعد من المعدودين ممن جمع القرآن على عهده -ﷺ-، تصدر للإقراء بدمشق في خلافة عثمان -رضي الله عنه-، واختلف في سنة وفاته فقيل سنة 32هـ وقيل 31هـ. سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج ، ص 335– ص 353.	120
أبو أمامة الباهلي -رضي الله عنه-	واسمه صُدَيُّ بن عَجْلان وقيل عجلان بن وهب أبو أمامة الباهلي السّهْمي، مشهور بكنيته، من أفاضل الصحابة ومن المبايعين تحت الشجرة، توفي سنة 81هـ وهو آخر الصحابة من مات بالشام. ينظر: أسد الغابة، مصدر سابق، ص 536. وسير أعلام النبلاء، الذهبي، ج 3، ص 260-261.	147
أبو أيوب الأنصاري -رضي الله عنه -	واسمه خالد بن زيد بن كليب الخزرجي الأنصاري، شهد بيعة العقبة وبدرا آخى النبي -ﷺ- بينه وبين مصعب بن عمير، شهد الفتوح، واستخلفه علي على المدينة، مات في غزو القسطنطينية سنة 52هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج 2 ، ص402- ص 413. والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، ج 2، ص 200-201.	142
أبو بكرة -رضي الله عنه -	واسمه نفيع بن الحارث وقيل : نفيع بن مسروح، أسلم في حصار الطائف وتوفي في خلافة معاوية -رضي الله عنه- سنة 51هـ أو52هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج 3، ص 5-ص10.	80
أبو ذر الغفاري - رضي الله عنه -	جندب بن جنادة بن سفيان بن عبيد بن حرام بن غفار من بني عبد مناة بن كنانة، كان خامس خمسة في الإسلام، لم يشهد بدر، وشهد غزوة حنين وتبوك، كما شهد فتح بيت المقدس، توفي سنة 32هـ. سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج 2، ص46- ص75.	73
أبو سعيد الخدري-رضي الله عنه -	سعد بن مالك بن سنان الأنصاري أبو سعيد الخدري وهو مشهور بكنيته، من أضل الصحابة شهد مع النبي اثني عشرة غزوة، توفي سنة 74هـ، ودفن بالبقيع. أسد الغابة، ابن الاثير، ص 472-473.	92

أبو قتادة الأنصاري-رضي الله عنه-	السُّلمي واسمه الحارث بن ربعي على الصحيح، فارس رسول الله -ﷺ-، توفي سنة 54هـ واختلف في مكان وفاته فقيل بالكوفة وقيل بالمدينة. سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج 2، ص 449- ص 456.	132
أبو هريرة -رضي الله عنه-	عبد الرحمن بن صخر الدَوْسِي الأزدي اليماني، واسمه عبد شمس وقيل عبد غنم وقيل عبد نهم، أسلم عام خيبر وشهدها مع رسول الله-ﷺ-، وأصبح من أشد الصحابة ملازمة له، فحفظ عنه حديثا كثيرا، وقد روى عن أبي هريرة أكثر من ثلاثمائة رجل من صاحب وتابع، واختلف في سنة وفاته بين 57أو 58 أو 59هـ. أسد الغابة، ابن الأثير، ص 1411-1412. سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج 2، ص 578-585.	75
أبو المليح -رضي الله عنه-	بن أسامة بن عمير بن عامر بن أقيشر الهذلي، الكوفي ثم البصري، و اسمه عامر،حدث عن أبيه، وعن عائشة، وآخرون، توفي سنة 112هـ . سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج 5، ص 94 .	106
أُبَيّ بن كعب- رضي الله عنه -	بن قيس بن عبيد بن مالك بن النجار سيد القراء أبو منذر الأنصاري النجاري المدني ويكنى أيضا أبا الطفيل، شهد بيعة العقبة وبدرا، وجمع القرآن في حياته- ﷺ-، وعدد مروياته 164حديث، توفي في خلافة عثمان-رضي الله عنه- سنة 30 هـ. سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج، ص 390– ص401.	91
الأحوص بن مالك -رضي الله عنه-	هو مالِك بن نَضْلَة وقيل: مالك بن عوف بن نضلة بن حديج بن بكر بن هَوَازن الجُشمي، له صحبة، روى عنه ابنه الأحوص واسمه عوف بن مالك. أسد الغابة، ابن الأثير، ص 1077.	100
أسامة بن زيد – رضي الله عنه -	بن حارثة بن شراحبيل بن عبد العزى بن امرئ القيس، حِبُّ رسول الله – ﷺ- ومولاه، وابن مولاه، استعمله على الجيش لغزو الشام وفي الجيش كبار الصحابة، توفي في آخر خلافة معاوية. سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج 2، ص597-ص 507.	82
أم سلمة -رضي الله عنها-	هي أم المؤمنين أم سلمة هند بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر المخزومية، بنت عم خالد بن الوليد، وبنت عم أبي جهل، تزوجها النبي -ﷺ- سنة أربع للهجرة، روي عنها 378 حديث، توفيت سنة 59هـ وقيل 61هـ، وهي آخر من مات من أزواجه -ﷺ-، وقد بلغت تسعين سنة. سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج 2، ص 202– ص 210.	121

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أنس بن مالك – رضي الله عنه –	بن النضر بن زيد الأنصاري الخزرجي، خدم النبي–ﷺ– ثماني سنين، وقد دعا له بكثرة المال والولد، فولد له من صلبه ثمانون ذكرا وابنتان، وهو آخر من توفي من الصحابة بالبصرة واختلف في سنة وفاته فقيل سنة 91هـ أو 92 وقيل 93هـ. أسد الغابة، ابن الأثير، ص 73–74.	79
البراء بن عازب – رضي الله عنه –	أبو عمارة الأنصاري الحارثي المدني، نزيل الكوفة، من أعيان الصحابة، غزا مع النبي –ﷺ–خمس عشرة غزوة، مسنده 305 أحاديث، توفي سنة 72هـ عن بضع وثمانين سنة. سير أعلام النبلاء، الذهبي ج3، ص 195–196. الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر، ج 1، ص 146.	87
بريرة مولاة عائشة –رضي الله عنها–	كانت لعتبة بن أبي لهب وقيل لبعض بن هلال فكاتبوها ثم باعوها فاشترتها وأعتقتها، وقيل أنها كانت تحت عبد أسود اسمه مغيث. ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج 2، ص 298 ص– 304.	148
ثوبان مولى رسول الله –ﷺ–	ثوبان النَّبَوِي مولى رسول الله –ﷺ– سبيٌ من أرض الحجاز، فاشتراه واعتقه، له صحبة وحفظ عنه الكثير من الأحاديث، يكنى بأبي عبد الله وقيل أبو عبد الرحمن، وهو يماني الأصل، توفي بحمص سنه 54هـ. سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج3، ص 16–17.	154
جابر بن عبد الله –رضي الله عنه–	بن عمرو بن حرام الأنصاري الخزرجي، يكنى بأبي عبد الله، لم يشهد بدرا ولا احدا، وشهد بيعة العقبة الثانية، وشهد وقعة صفين مع علي رضي الله عنه، وعمي في آخر حياته، توفي سنة 77هـ وكان آخر من مات بالمدينة من الصحابة. سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج 3، ص 189–ص 194. الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر، ج 1، ص 546- 547.	87
جاهمة بن عبد الله –رضي الله عنه–	جاهمة بن العباس بن مرداس السُّلَمِي أبو معاوية له حديث واحد، روى عنه عكرمة بن روح ومحمد بن طلحة، ولم تذكر كتب التراجم شيء عن صحبته ولا عن تاريخ وفاته ينظر: أسد الغابة، ابن الأثير، ص 170، تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني، ج 10، ص 202–203.	95
زيد بن خالد الجهني –رضي الله عنه–	ويكنى أبا عبد الرحمن، سكن المدينة وشهد الحديبية، توفي بالمدينة وقيل بمصر واختلف في سنة وفاته فقيل: 78هـ وقيل سنة 50هـ. أسد الغابة، ابن الأثير، ص 429	95
سعد بن أبي	واسم أبي وقاص مالك القرشي الزهري المكي أحد العشرة المبشرون بالجنة،	94

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وقاص–رضي الله عنه–	وأحد السابقين الأولين، شهد بدرا والحديبية، وقائدا لجيش المسلمين في معركة القادسية، وأحد الستة أهل الشورى، توفي سنة 55هـ. سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج 1، ص 93- ص 124.	
سمرة بن جندب– رضي الله عنه –	بن هلال بن حَرِيج بن مرة الفزاري ويكنى أبا سليمان، وهو من صغار الصحابة، وكان خليفة على البصرة والكوفة لزياد، وكان شديدا على الخوارج، وقد ذكر من أسباب موته أنه سقط في قدر بها ماء حار، وذلك سنة 58 أو 59 هـ. سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج 3، ص 183- ص 186. والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر، ج 3، ص 150.	131
سهل بن حنيف– رضي الله عنه –	بن واهب العُكَيْم بن ثعلبة بن خناس، وقيل حَنَش بن عمرو بن عوف بن مالك بن أوس الأنصاري، يكنى أبا سعد، شهد بدرا والمشاهد كلها، استخلف على المدينة ثم بلاد فارس لعلي–رضي الله عنه–، توفي بالكوفة سنة 38هـ. أسد الغابة، ابن الأثير، ص 526-527.	125
الشريد بن سويد الثقفي –رضي الله عنه–	له صحبة، سكن الطائف وقيل أنه حضرمي، ويقال أن اسمه كان مالكا فسمي شريدا لأنه شرد من المغيرة بن شعبة لما قتل رفقة الثقفيين، شهد بيعة الرضوان، ووفد على النبي –ﷺ–، روى عنه أبو سلمة بن عبد الرحمن، وعمرو بن نافع الثقفي وغيرهما. الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، ج3، ص 275-276.	141
طلحة بن عبد الله–رضي الله عنه –	بن عثمان بن عمرو بن كعب القرشي التميمي المكي، أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، كان ممن سبق إلى الإسلام وأوذي في الله، ثم هاجر، لم يشهد بدرا، فضرب له رسول الله –ﷺ– بسهمه وأجره، كما شهد رفقته أحدا، وكان مقتله سنة 36هـ على يد مروان بن الحكم. سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج 1، ص 24 ص 40.	144
عائشة أم المؤمنين –رضي الله عنها –	بنت أبي بكر الصديق–رضي الله عنه–، وأمها رومان بنت عامر، تزوجها النبي–ﷺ– قبل الهجرة وعمرها ست سنوات، ودخل بها وهي في التاسع من عمرها، ولم يتزوج بكرا غيرها، وهي أفقه النساء وأكثرهن دراية بالحديث والسنة، روى عنها خلق كثير، فمجمل ما روي عنها 2210 حديث، توفيت 57هـ. أسد الغابة، ابن الأثير، ص 1550– ص 1552. سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج 2، ص 135- ص 201.	42

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

عبد الرحمن بن أبي ليلى -رحمه الله-	العلامة الإمام مفتي الكوفة وقاضيها من كبار التابعين، روى عن عمر وعلي وأبي ذر وابن مسعود -رضي الله عنهم- وسمع منه الشعبي ومجاهد، توفي سنة 148هـ. سير أعلام النبلاء، الذهبي،ج6 ، ص 310– ص316.	97
عبد الرحمن بن عوف-رحمه الله-	بن عبد بن الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي، في الجاهلية أحد العشرة المبشرين بالجنة، وأحد الستة أهل الشورى ، وأحد السابقين البدريين، وصاحب الهجرتين، وهو أحد الثمانية الذين بادروا إلى الإسلام، توفي في خلافة عثمان سنة 32هـ ودفن بالبقيع. سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج 1، ص68 –ص 92.	81
عبد الله بن جعفر -رحمه الله-	بن أبي طالب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي، وأمه أسماء بنت عُمَيْس الخثعمية، أول مولود بأرض الحبشة، قبض النبي -ﷺ- وعمره عشر سنين، توفي سنة 80 هـ، وصلى عليه أبان بن عثمان ودفن بالبقيع. أسد الغابة، ابن الأثير، ص 648- 649.	142
عبد الله بن زيد بن عاصم-رحمه الله-	بن كعب المازني النَّجاري، صاحب حديث الوضوء، من فضلاء الصحابة، يكنى بابن أم عمارة، لم يشهد بدرا وشهد أُحُداً، وهو الذي قتل مسيلمة بالسيف، مع رمية وحشي له بحربته، قيل أنه قتل يوم الحرَّة سنة 63هـ. سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج 2، ص 378.	138
عبد الله بن عباس-رحمه الله-	حبر الأمة وفقيه العصر وإمام التفسير ابن عم رسول الله – ﷺ– وأمه هي أم الفضل لُبَابَة بنت الحارث، كان مولده بشعب بني هاشم قبل عام الهجرة بثلاث سنين، وتوفي النبي– ﷺ– وعمره عشر سنين، وعدد ما أسنده ألف وستمائة وسنون حديثا، وتفرد البخاري له بمائة وعشرين حديثا، توفي سنة 67 أو 68هـ. سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج 3، ص332- ص 359.	68
عبد الله بن عمر بن الخطاب- رحمه الله-	بن نفيل بن عبد العزى، أسلم وهو صغير، ثم هاجر مع أبيه ولم يحتلم، واستصغر يوم أحد، فأول غزواته الخندق، وهو ممن بايع تحت الشجرة، كان شديد الإتباع للسنة، توفي سنة 73هـ بمكة ودفن بذي طوى. سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج 3، ص204 – ص 239.	87
عبد الله بن عمر بن العاص-رحمه الله-	بن وائل بن هاشم بن كعب بن لؤي بن غالب، صحابي وابن صحابي، وكان اسمه في الجاهلية العاص فلما اسلم سماه النبي-ﷺ- عبد الله، أسلم قبل والده، وهاجر بعد سنة سبع وشهد بعض المغازي، وله مناقب وفضائل ومقام راسخ	90

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

	في العلم، ورخص له النبي-ﷺ- بالكتابة عنه دون غيره من الصحابة، توفي سنة 63هـ وقيل 65هـ، سير أعلام النبلاء، الذهبي،ج3، ص 80 ص 94.	
عبد الله بن مسعود-رضي الله عنه-	بن غافل بن حبيب بن نزار المكي، يكنى بأبي عبد الرحمن الإمام الحبر، فقيه الأمة، من السابقين للإسلام، شهد بدرا وهاجر الهجرتين، وكان يعرف بأمه فيقال له: ابن أم عبد، ومن مناقبه أنه أول من جهر بالقرآن بمكة، توفي سنة 32هـ في خلافة عثمان. سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج ، ص 461-ص500. و الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر، ج 4، ص 200.	124
عقبة بن عامر الجهني -رضي الله عنه-	واختلف في كنيته، صحب النبي -ﷺ- وبايعه على الهجرة، وكان مقرئا وفقيها فرضيا، شهد صفين، وشهد فتح مصر، ولي مصر، توفي سنة 58هـ. سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج 2، ص 468-469.	151
عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-	بن نفيل بن عبد العزى القرشي، وأمه حنتمة بنت هشام أخت أبي جهل، أمير المؤمنين وثاني الخلفاء الراشدين، يكنى أبا حفص، أسلم في السنة السادسة من البعثة النبوية، مات مقتولا سنة 23 هـ. سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج 28، ص 72. الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر، ج 4، ص 484- ص 486.	102
الفضل بن عباس -رضي الله عنه-	بن عبد المطلب بن هاشم القرشي، ابن عم النبي-ﷺ- يكنى أبا عبد الله، وأمه هي لبابة بنت الحارث الهلالية، وهو اكبر ولد العباس، شهد فتح مكة وغزوة حنين، واختلف في سنة وفاته فقيل: 13هـ وقيل 15هـ وقيل: 18هـ. أسد الغابة ، ابن الأثير، ص 992- 993.	108
كعب بن عاصم الأشعري -رضي الله عنه-	وكنيته أبو مالك، وكان من أهل السقيفة، وله صحبة، روى عنه جابر، وأم الدرداء، وعبد الرحمن بن غنم —رضي الله عنهم. ينظر: أسد الغابة، مصدر سابق، ص 1039. والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر، ج 5، ص 447.	116
كعب بن عجرة - رضي الله عنه -	الأنصاري السالمي المدني، من أهل بيعة الرضوان، توفي سنة 52هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج ، ص 52-54.	95
معاوية بن أبي سفيان-رضي الله عنه-	بن حَرْب بن أُميَّة بن عبد شمس بن عبد مناف القُرَشي الأُمَوي، وأُمه هند بنت عُتْبَة بن ربيعة بن عبد شمس، وكنيته أَبو عبد الرحمن، أسلم عام الفتح، وشهد غزوة حنين، ولي دمشق لعشرين سنة، وتسلم الخلافة سنة 41هـ، توفي سنة	81

	60 هـ على الأصح. ينظر: أسد الغابة، مصدر سابق، ص 1146-1147. وسير أعلام النبلاء، مصدر سابق،ج 3، ص 120-ص 162. والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، ج 6، ص 120-ص 125.	
مَعَدِ كَرِبِ- رضي الله عنه -	هو الأشعث بن قيس بن مَعدِ كَرِبٍ بن عدي بن ربيعة، أصيبت عينه يوم اليرموك، وشهد موقعة صفين، توفي بالكوفة سنة 40هـ. سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج 2، ص 37-ص43.	171
المغيرة بن شعبة- رضي الله عنه -	ابن أبي عامر بن مسعود بن معتب، من كبار الصحابة أولي الشجاعة والمكيدة شهد بيعة الرضوان، أسلم عام الخندق، شهد فتح الشام والقادسية، وذهبت عينه يوم اليرموك، ولي البصرة ثم الكوفة، توفي سنة 50 هـ. سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج ، ص 21-ص 32.	103
النعمان بن بشير- رضي الله عنه -	بن جُلاس بن زيد الأنصاري الخزرجي، وهو أول مولود في الإسلام من الأنصار بعد الهجرة، ولي إمارة الكوفة وقضاء دمشق، قتل سنة 65هـ. الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر، ج 6، ص 346-347.	172
يعلى بن أمية - رضي الله عنه -	ابن أبي عبيدة التميمي المكي أسلم يوم الفتح وحسن إسلامه، شهد غزوة الطائف وتبوك، وخرج في موقعة الجمل، وكان واليا على اليمن. ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج ، ص 100-101.	99

ب- فهرس الأعلام والمؤلفين:

اسم العلم واسم شهرته	ترجمته	الصفحة
إبراهيم بن موسى = **الشاطبي**	أصولي وحافظ من أهل غرناطة،و من أئمة المالكية من كتبه: الموافقات في أصول الفقه، والاعتصام وهي أشهر كتبه، توفي سنة 790هـ. الأعلام، الزركلي، ج 1، ص 75.	24
أبو العباس بن يزيد = **المبرد**	ولد سنة 216هـ، عرف عليه غزارة العلم ووفرة الأدب وكثرة الحفظ، وحسن الإشارة وفصاحة اللسان، وسمع المبرد ثلث كتاب سيبويه على الجرمي فلما توفي بدأ قراءته على المازني، ترك رصيد معتبرا من المصنفات في مختلف العلوم نذكر أشهرها: الكامل في الأدب، وفي النحو كتاب المقتضب، توفي سنة	72

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

	286هـ ودفن بالكوفة. طبقات النحويين واللغويين، أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي، ص 101- ص 110	
أبو بكر بن الحسين = **البيهقي**	بن علي بن عبد الله بن موسى البيهقي ولد سنة 384هـ، الفقيه الشافعي الحافظ الكبير، بلغت مصنفاته ألف جزء، وهو أول من جمع نصوص الشافعية، ومن أشهر مؤلفاته: السن الكبرى، السنن الصغرى، دلائل النبوة، شعب الإيمان، وغيرها، توفي سنة 458هـ بنيسابور. ينظر: وفيات الأعلام، ابن خلكان، ج 1، ص 75-76. وشذرات الذهب، ابن عماد الحنبلي، ج 5، ص 249-250.	171
أحمد بن أحمد = **الطَّيْبي الكبير**	عالم بالقراءات، له نظم مناسك الحج وصنف في أشكال المنطق وله ديوان في الخطب، وكان أكثر خطباء دمشق في عصره يتناقلون خطبه، لحسنها وجزالتها، توفي سنة 981هـ، ودفن في دمشق. تراجم الأعيان من أبناء الزمان، الحسن بن محمد البوريني، ج1، ص9-15.	15
أحمد بن علي = **ابن حجر العسقلاني**	المصري الشافعي، ولد 773هـ، غلب عليه علم الحديث، إلى جانب الفقه، ترك الكثير من المصنفات تنوعت بين شرح الحديث، وأحوال الإسناد، ومعرفة الرجال، نذكر منها: تقريب التهذيب، لسان الميزان، طبقات الحفاظ، الدرر الكامنة، بلوغ المرام بأدلة الأحكام، نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر وغيرها كثير، توفي سنة 852هـ. شذرات الذهب ، ابن عماد الحنبلي، ج 9، ص 395- ص 399.	197
أحمد بن علي = **الخطيب البغدادي**	ولد سنة 392هـ، صاحب تاريخ بغداد وغيرها من المصنفات، وكان فقيها وغلب عليه علم الحديث والتاريخ، توفي سنة 463هـ. ينظر: وفيات الأعيان، ابن خلكان، ج 1، ص 92-93.	116
أحمد بن محمد = **أبو جعفر النحاس**	أخذ عن أبي إسحاق الزجاج، كان واسع العلم غزير الرواية كثير التأليف، ويذكر من طبعه انه كان لئيم النفس شديد التقتير، ترك الكثير من المؤلفات منها: معاني القرآن، وكتاب إعراب القرآن، وكتاب في تفسير أسماء الله الحسنى وغيرها، دفعه أحد العوام برجله في النيل فمات غرقا سنة 338هـ. طبقات النحويين واللغويين، الزبيدي، ص 221. وفيات الأعيان، ابن خلكان، ابن خلكان، ج 1، ص 99-100.	82
أحمد بن محمد =	ولد بمصر سنة 977هـ ونشأ بها، ورحل إلى بلاد الروم، واتصل بالسلطان	123

شهاب الدين الخفاجي	العثماني مراد فولاه قضاء سلانيك، ثم قضاء مصر، ثم عزله، صاحب التصانيف في الأدب واللغة، من أشهر مؤلفاته: ريحانة الألبا، وشفاء العليل فيما كلام العرب من الدخيل، وشرح درة الغواص في أوهام الخواص، وحاشية على تفسير البيضاوي، وغيرها من الكتب النفيسة، توفي بمصر سنة 1069هـ. الأعلام، خير الدين الزركلي، ج1، ص 238.	
الحسن بن عبد الله = **ابن سينا**	الحكيم المشهور، صاحب التصانيف في المنطق والفلسفة والطب، له كتاب (الشفا) و (القانون) في الطب وغيرها، توفي بهمذان سنة 428هـ، وفيات الأعيان، ابن خلكان، ج 2، ص 157- ص 161.	13
الحسين بن محمد = **ابن خالويه**	نحوي لغوي من أهل همذان، عاصر أبا بكر بن الأنباري وابن مجاهد وأبا عمر الزاهد وابن دريد، وأخذ عن أبي سعيد السيرافي وانتصر له على أبي علي الفارسي، صحب سيف الدولة الحمداني وكان مؤدبا لأبنائه، له من المؤلفات، الاشتقاق، والجمل في النحو وإعراب ثلاثين سورة، المذكر والمؤنث، وشرح مقصورة ابن دريد، ومختصر شواذ القراءات، وغيرها، توفي بحلب سنة 370هـ. إنباه الرواة، القفطي، ج 1، ص 359- 360.	50
حمد بن محمد = **أبو سليمان الخطابي**	كان فقيها أديبا محدثا له تصانيف بديعة منها: (غريب الحديث) و(معالم السنن في شرح سنن أبي داود) و(إصلاح غلط المحدثين)، وغيرها، وكان يشبه في عصره بأبي القاسم بن سلام في العلم والأدب والزهد والتدريس والتأليف، توفي سنة 388هـ بمدينة بُسْت. وفيات الأعيان، ج 2، ص 214-215. وينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج 17، ص 23-ص 28.	18
الخليل بن أحمد = **الفراهيدي**	التميمي الفراهيدي البصري، لغوي ومعجمي واضع علم العروض،كان صاحب ذكاء وفطنة، أخذ عنه جمع من علماء اللغة فأخذ عنه النضر بن شميل، وهارون بن موسى ووهب بن جرير والأصمعي، وأخذ عنه سيبويه النحو، ويذكر من مناقبه أنه كان يحج عاما ويغزو عاما، توفي سنة 170 هـ. وفيات الأعيان، ابن خلكان،ج 2، ص 244-ص 247.	13
سليمان بن خلف = **أبو الوليد الباجي**	بن سعد بن أيوب التَّجيبي المالكي من علماء الأندلس وحفاظها، أقام بمكة ثم ارتحل إلى بغداد وأخذ عن علمائها، صنف كتبا كثيرة منها: المنتقى، وإحكام الفصول في أحكام الأصول، والجرح والتعديل، وغيرها، توفي سنة	187

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

	474هـ ودفن بالرِّباط. ينظر: وفيات الأعيان، ابن خلكان، ج 2، ص 408-409.	
عبد الرحمن بن أبي بكر = **جلال الدين السيوطي**	هو الإمام العلامة الموسوعي الحافظ المؤرخ الأديب، ترك نحو 600 مصنف بين مخطوط ومطبوع، أشهرها: تفسير الجلالين، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، الإتقان في علوم القرآن، الأشباه والنظائر، إسعاد المبطأ في معرفة رجال الموطأ، الألفية في مصطلح الحديث، وغيرها كثير، توفي سنة 911هـ. ينظر: الأعلام، الزركلي، ج 3، ص 301.	114
عبد الرحمن بن أحمد = **ابن رجب الحنبلي**	السَّلامي البغدادي، من الحفّاظ المشهورين، نشأ وتوفي بدمشق، من مؤلفاته: شرح جامع الترمذي، جامع العلوم والحكم، القواعد الفقهية، فتح الباري شرح صحيح البخاري، أهوال القبور، وغيرها كثير، توفي سنة 795هـ. ينظر: الأعلام، الزركلي، ج 3، ص 295.	167
عبد الرحمن بن إسحاق = **الزجاجي**	لازم أبا إسحاق الزجاج وأخذ عنه النحو، له من المصنفات كتاب الجمل، توفي بدمشق سنة 340هـ وذكر الزبيدي في طبقاته أنه توفي سنة 337هـ. ينظر: إنباه الرواة، القفطي، ج 2، ص 160-161. طبقات النحويين واللغويين، الزبيدي، ص 119.	31
عبد الرحمن بن محمد = **أبو البركات ابن الأنباري**	ويلقب بالكمال النحوي، العالم الزاهد، أخذ النحو عن ابن الشجري، وأخذ اللغة عن أبي منصور الجواليقي، توفي ببغداد سنة 577هـ. إنباه الرواة، القفطي، ج 2، ص 170-171.	42
عبد الرحمن بن محمد = **الثعالبي**	الجزائري الإمام العالم المفسر، صاحب التأليف الكثيرة نذكر منها: تفسير الجواهر الحسان وقد ضمنه زبدة تفسير ابن عطية، ومختصر المدونة، شرح ابن الحاجب، والأنوار المضية، وغيرها، توفي سنة 876هـ. ينظر: طبقات الحُضَيْكِي، محمد بن أحمد الحُضَيْكي، ج1، ص 536-538.	172
عبد القاهر بن عبد الرحمن= **الجرجاني**	إمام العربية والبيان، وواضع أصول علم البلاغة، شافعي المذهب ومتكلما على الطريقة الأشعرية، أخذ النحو عن أبن أخت الفارسي ولم يأخذ عن غيره لأنه لم يخرج من بلده، صاحب التصانيف الكثيرة، نذكر منها: المغني في شرح الإيضاح، وكتاب الجمل وشرحه، والعمدة في التصريف، وشرح سورة الفاتحة، وفي البلاغة دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة وهما أشهر كتبه، توفي سنة 471هـ وقيل 474هـ. ينظر: بغية الوعاة، مصدر سابق، ج 2،	44

	ص 106. وشذرات الذهب، ابن عماد الحنبلي،ج 5، ص 307-308.	
عبد الله بن الحسين = **أبو البقاء العكبري**	ولد ببغداد سنة 538هـ، وتفقه على المذهب الحنبلي، صاحب المصنفات الكثيرة، نذكر منها: إعراب القرآن، إعراب الحديث، إعراب الشواذ، شرح الحماسة، شرح المقامات، شرح أبيات الكتاب وغيرها، توفي سنة 616هـ. ينظر: بغية الوعاة، السيوطي، ج 2، ص 38-39.	91
عبد الله بن عبد الرحمن = **ابن عقيل**	ولد سنة 678هـ، أخذ القراءات عن التقي الصائغ، والفقه عن الزين الكتاني، وفي النحو واللغة لازم الجلال القزويني وأبا حيان الأندلسي الذي قال فيه: ما تحت أديم السماء أنحى من ابن عقيل، وممن قرأ عليه سراج الدين البلقيني وتزوج بابنته، له من المؤلفات: شرح الألفية، والتسهيل، وفي التفسير التعليق الوجيز على كتاب العزيز، توفي سنة 769هـ. ينظر: بغية الوعاة، مصدر سابق، ج 2، ص 47-48. شذرات الذهب، ابن عماد الحنبلي، ج8، ص 367 ص 369.	43
عبد الله بن مسلم = **ابن قتيبة الدينوري**	المروزي نزيل بغداد، الكاتب الأديب صاحب التصانيف الكثيرة من أشهر مؤلفاته: (غريب القرآن) و(تأويل مختلف الحديث) و(أدب الكاتب) و(عيون الأخبار) و(الشعر والشعراء) و(المعاني)، توفي ببغداد سنة 276هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج 13، ص 297- ص 203.	19
عبد الملك بن قريب = **الأصمعي**	من نحاة البصرى، كان إماما في اللغة والغريب والأخبار والملح والنوادر، يعد في الطبقة الرابعة للغويين البصريين، له مصنفات كثير ذكر منها السيوطي أربعا وثلاثين مصنفا، توفي سنة 216هـ. ينظر: طبقات اللغويين والنحويين، الزبيدي، ص 165-ص174. وبغية الوعاة، السيوطي، ج 2، ص 112-113.	18
عبد الملك بن محمد = **أبو منصور الثعالبي**	العلامة شيخ الأدب الشاعر، مصنف كتاب يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، وله كتاب فقه اللغة وكتاب سحر البلاغة، كان رأسا في النظم والنثر، مات سنة 430 هـ. سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج 17، ص 438.	47
عبد الملك بن محمد = **الجويني**	الفقيه الشافعي، المشهور بإمام الحرمين لمجاورته بمكة والمدينة للتدريس والفتيا، وكان مولده سنة 418هـ بنيسابور، برز وذاع صيته في أصول الفقه ، من مؤلفاته: نهاية المطلب في دراية المذهب، والبرهان، وتلخيص التقريب	47

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

	والإرشاد في أصول الفقه وغيرها، توفي سنة 478هـ بنيسابور ودفن في داره. وفيات الأعيان، ابن خلكان، ج 3، ص 167- ص 170.	
عبد الواحد بن محمد = **المالقي**	عالم بالقراءات وعلوم القرآن، وماهر بصناعة النحو، خطيب مسجد مالقه أخذ عنه الكثير، له شرح التيسير في القراءات، توفي سنة 705هـ بمالقه. بغية الوعاة، السيوطي، ج 2، ص 121-122.	31
عثمان بن قنبر = **سيبويه**	الفارسي ثم البصري، طلب في أول أمره الحديث وكان يستملي على حماد بن سلمة، وأخذ اللغة عن أبي زيد الأنصاري، وأخذ النحو عن عيسى بن عمر ويونس بن حبيب والخليل والأخفش الكبير، توفي بشيراز سنة 180هـ. ينظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان،ج3، ص 363-365. سير أعلام النبلاء، الذهبي،ج 8، ص 352.	10
علي بن خلف = **ابن بطَّال**	هو العلامة أبو الحسين علي بن خلف بن بطَّال البكري القرطبي البَلَنْسي، ويعرف بابن اللجام، يعد من كبار المالكية، عني بالحديث وشرح صحيح البخاري ، توفي سنة 449هـ. سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج 18، ص 47-48.	172
علي بن محمد = **ابن الضائع**	الكتامي الإشبيلي بلغ الغاية في النحو ولازم الشَّلَوبين، شرح كتاب سيبويه وجمع فيه بين شرح السِّيرافي وابن خروف، وله شرح الجمل، توفي سنة 680هـ، وقد قارب السبعين. ينظر: بغية الوعاة، السيوطي، ج2، ص 204.	20
علي بن محمد = **ابن خروف الإشبيلي**	النحوي الأندلسي الإشبيلي، كان فاضلاً في علم العربية، وله فيها مصنفات شهدت بفضله وسعة علمه، شرح كتاب سيبويه شرحاً جيداً، وشرح أيضاً كتاب (الجمل) لأبي القاسم الزجاجي وما أقصر فيه، وكان قد تخرج على ابن طاهر النحوي الأندلسي المعروف بالخدب، توفي سنة 610هـ، وقيل توفي سنة 609هـ بإشبيلية. وفيات الأعيان،ابن خلكان، ج 3، ص 335.	21
علي بن محمد = **الهروي**	نسبة إلى هراة، سكن مصر وقرأ على الأزهري، لم من المؤلفات: الذخائر في النحو، الأزهية في علم الحروف، المرشد والمذكر والمؤنث، توفي سنة 415هـ. الأعلام، الزركلي، ج 4، ص 327.	31
محمد بن أبي القاسم	الحرَّاني الحنبلي صاحب التصانيف الكثيرة، ولقب بابن تيمية نسبة إلى جدته	16

= **ابن تيمية**	من أبيه، وكانت واعظة، توفي سنة 622هـ وله ثمانين سنة. سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج22، ص 289-290.	
محمد بن أبي بكر = **بدر الدين الدماميني**	ولد بالإسكندرية سنة 763هـ، برز في النحو والنظم والنثر والخط، وكان فقيها، ثم ارتحل إلى بلاد الشام ثم الهند، له من التصانيف: تحفة الغريب في حاشية مغني اللبيب، شرح البخاري، وشرح التسهيل، ونزول الغيث، وغيرها، قتل مسموما ببلدة كلبرجا بالهند سنة 837هـ وقيل 838هـ. بغية الوعاة، السيوطي، ج1، ص 66-67.	23
محمد بن أحمد ابن عرْفة المالكي = **الدسوقي**	من علماء العربية، تعلم وأقام وتوفي بالقاهرة، يعد من أقطاب الأزهر الشريف، له من المؤلفات: الحدود الفقهية، وحاشية على مغني اللبيب، وحاشية على السعد التفتزاني، وحاشية على الشرح الكبير على مختصر خليل، توفي سنة 1230هـ. الأعلام، الزركلي، ج 6، ص 17.	41
محمد بن السري = **أبو بكر بن السراج**	صحب المبرد وأخذ عنه النحو، وممن أخذ عنه الزجاجي وأبو سعيد السيرافي وعلي بن عيسى الرماني، من أشهر مؤلفاته: أصول النحو، توفي سنة 316هـ. إنباه الرواة، القفطي، ج 3، ص 145-146	52
محمد بن الطيب = **ابن الطيب المغربي**	محدث ولغوي ولد بمدينة فاس، وهو شيخ الزبيدي صاحب تاج العروس، وله من التصانيف: كتاب (المسلسلات) في الحديث، و(فيض نشر الانشراح) وهو حاشية على كتاب الاقتراح للسيوطي، وشرح كافية ابن مالك وشرح شواهد الكشاف وغيرها، توفي بالمدينة المنورة سنة 1170هـ. الأعلام، الزركلي، ج 6، ص 177-178.	23
محمد بن المستنير = **قطرب بن المستنير**	لازم سيبويه وكان يدلج إليه فإذا خرج وجده على بابه فيقول له: ما أنت إلا قطرب ليل، فلقب به، وأخذ عن عيسى بن عمر وكان يميل إلى آراء النَّظَّام ويرى رأي المعتزلة، وله عديد التصانيف في اللغة والغريب والنحو، نذكر منها: كتاب (الأضداد) و(المثلث) و(النوادر) و (العلل في النحو) و (غريب القرآن) و(غريب الحديث)، وغيرها، توفي سنة 206 هـ. بغية الوعاة، السيوطي، ج 1، ص 242-243. والأعلام، الزركلي، ج 7، ص 95.	18
محمد بن بهادر = **بدر الدين الزركشي**	فقيه شافعي وأصولي، تركي الأصل مصري المولد والوفاة، صاحب التصانيف الكثير، له كتب في الفقه وأصوله منها: (البحر المحيط) و(إعلام الساجد بأحكام المساجد) وفي الأدب (ربيع الغزلان)، منها ما هو مطبوع وما هو	56

	مخطوط، توفي سنة 794هـ. الأعلام، الزركلي، ج 6، ص 60-61.	
محمد بن عبد الرحمن = **ابن محيصن**	مقرئ أهل مكة مع ابن كثير، قال ابن مجاهد: وكان ممن تجرد للقراءة وقام بها في عصر ابن كثير، كان عالما بالعربية، وله اختيارات في القراءة على مذاهب العربية، فخرج به عن إجماع أهل بلده فرغب الناس عن قراءته، وأجمعوا على قراءة ابن كثير، توفي سنة 123هـ وقيل 122هـ. غاية النهاية في طبقات القراء، شمس الدين محمد ابن الجزري، ج2، ص 148.	57
محمد بن عبد الله = **ابن مالك**	ولد بجيَّان نحو سنة 600هـ، ثم ارتحل إلى بلاد الشام واستقر بها، إمام العربية بعد سيبويه، صاحب الألفية التي بلغت شهرتها الآفاق، ومن أشهر شيوخه الشَّلَوبين وابن يعيش وابن الحاجب والسَّخَاوِي، وتتلمذ على يده ابنه بدر الدين بن مالك المعروف بابن الناظم، وابن النحاس والإمام النَّووي، والصيرفي وغيرهم، واختلفت مؤلفاته بن المنظوم والمنثور أشهرها: الكافية الشافية، والخلاصة المعروفة بالألفية شواهد التوضيح، تسهيل الفوائد، توفي سنة 672هـ بدمشق ودفن بجبل قاسيون. بغية الوعاة، السيوطي، ج 1، ص 130-137. خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبد القادر بن عمر البغدادي، ج1، ص9.	23
محمد بن عبد الله = **الآلوسي**	الإمام المفسر والمحدث المجدد، وكان منشأه ببغداد، من مؤلفاته: روح المعاني، ونشوة الشمول في السفر إلى إسلامبول، وكشف الطرة عن الغرة وغيرها، توفي سنة 1270هـ. الأعلام، الزركلي، ج 7، ص 176.	175
محمد بن محمد = **ابن الجزري**	ولد بدمشق سنة 751هـ، وارتحل إلى مصر وبلاد الروم، شيخ الإقراء في زمانه، ومن حفاظ الحديث، له من المؤلفات، النشر في القراءات العشر، وغاية النهاية في طبقات القراء، والتمهيد في علم التجويد وغيرهما، ومن أشهر المنظومات في علم القراءات والتجويد: طيبة النشر في القراءات العشر، والمقدمة الجزرية، توفي بشيراز حين ولي القضاء بها سنة 833هـ. الأعلام، خير الدين الزركلي، ج7، ص45.	13
محمد بن يوسف = **أبو حيان الأندلسي**	الأندلسي الجياني الغرناطي المغربي المالكي ثم الشافعي، ولد بغرناطة سنة 654هـ، صاحب التصانيف في النحو والتفسير، وقد ذكر السيوطي مجموعة من التصانيف التي أفاد منها كثيرا: البحر المحيط في التفسير، وإتحاف الأريب بما في القرآن من الغريب، التذييل والتكميل في شرح	20

	التسهيل، ومطول الارتشاف ومختصره، والتذكرة في العربية، وغيرها من الكتب، وكان ظاهري المذهب، توفي سنة 745هـ.بغية الوعاة، السيوطي،ج 1، ص 280-283. الأعلام، الزركلي،ج 7، ص 152.	
محمود بن عمر = **جار الله الزمخشري**	من أقطاب المعتزلة، إمام التفسير والحديث والنحو واللغة وعلم البيان، فقد مكث بمكة ووضع تفسيره "الكشاف" فلقب بجار الله حتى أصبح علما عليه، ويذكر انه كان مقطوع الرجل فلما سُئل عن ذلك قال: دعاء الوالدة، ترك العديد من المصنفات القيمة نذكر منها: تفسير الكشاف، والفائق، وأساس البلاغة، والمفصل في النحو، وديوان الرسائل وغيرها، توفي سنة 538 هـ.وفيات الأعيان، ابن خلكان، ج 5، ص168- ص 173. إنباه الرواة، القفطي، ج 3، ص 265- ص 272.	39
مسعود بن عمر = **التفتزاني**	ولد سنة 793هـ، وأقام بسرخس، من أئمة العربية والبيان والمنطق، له عديد المصنفات في المنطق والبلاغة، نذكر منها: (تهذيب المنطق)، و(المطول في البلاغة)، واختصر شرح التلخيص للخطيب القزويني للقسم الثالث الخاص بالبيان والمعاني من كتاب مفتاح العلوم للسكاكي، وله حاشية على الكشاف، توفي سنة 793هـ. الأعلام، الزركلي، ج 7، ص 219.	55
معمر بن المثنى = **أبو عبيدة**	أجمع الناس للعلم، وأعلمهم بأيام العرب وأخبارها، وأكثر الناس رواية، ويقال أنه كان خارجين يعد في الطبقة الرابعة من نحاة الكوفة، صنف في اللغة والغريب، له كتاب مجاز القرآن، توفي سنة 210 أو 211هـ، وقد قارب المائة سنة. ينظر: طبقات النحويين واللغويين، الزبيدي ، ص175-178.	17
النضر بن شميل بن خرشة = **النضر بن شميل**	التميمي المازني، المروزي، أخذ عن الخليل اللغة والنحو، وكان نديما للمأمون، جعله الزبيدي في الطبقة السادسة، كان عالما بفنون من العلم وكان صدوقا ثقة، صاحب حديث وغريب وشعر وفقه ومعرفة أيام العرب، وله من الكتب ما ذكره صاحب الفهرست: (كتاب الصفات) جعله في خمسة أجزاء، و(كتاب الأنواء) و(كتاب المعاني) و(كتاب غريب الحديث) وغيرها، توفي بِمَرْو سنة 203هـ. ومراتب النحويين، أبو الطيب اللغوي،ص75. وطبقات النحويين واللغويين، الزبيدي، ص 55-61. الفهرست، ابن النديم، ص 51.	18

يحي بن حمزة = **أبو حمزة العلوي**	ولقب بالمؤيد من أكابر أئمة الزيدية ولد بصنعاء، يروى أن مؤلفاته زادت على عدد أيام عمره، من مؤلفاته: نهاية الوصول إلى علم الأصول، والتمهيد لأدلة مسائل التوحيد، والطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الأعجاز، واللباب في محاسن الآداب وغيرها، توفي في حصن هران سنة 745هـ. الأعلام، الزركلي، ج 8، ص 143-144.	42
يحي بن شرف الدين = **النووي**	الشافعي الإمام المحدث الفقيه، ولد وتوفي بنوا، صاحب المؤلفات الكثيرة، نذكر منها: تهذيب الأسماء واللغات، منهاج الطالبين، المنهاج شرح صحيح مسلم، آداب حملة القرآن، مختصر طبقات الشافعية وغيرها، توفي سنة 676هـ. الأعلام، الزركلي، ج 8، ص 149-150.	152
يعيش بن علي = **ابن يعيش**	ويعرف بابن الصانع، الموصلي الأصل، ولد سنة 553هـ في حلب، من كبار علماء العربية، من مؤلفاته: شرح المفصل، وشرح التصريف الملوكي لابن جني، توفي بحلب سنة 643هـ. الأعلام، الزركلي، ج 8، ص 206.	70
يوسف بن أبي بكر = **السكاكي**	وكان مولده سنة 555هـ، إمام في النحو والتصريف والمعاني والبيان، له كتاب مفتاح العلوم وقد جمع فيه اثنا عشر علما من علوم العربية، نقل عنه أبو حيان في الارتشاف، توفي سنة 626هـ. بغية الوعاة، السيوطي، ج 2، ص 364.	41

ج- تراجم الشعراء

اسم الشاعر وكنيته	ترجمته	الصفحة
أبو الوليد بن ثابت = **حسان بن ثابت**	الأنصاري من بني النجار وأمه الفريعة بنت خنس، شاعر مخضرم، إلا أنه لم يشهد مع رسول الله-ﷺ- مشهدا لأنه كان يرمى بالجبن لعلة أصابته، وكانت له ناصية يسدلها بين عينيه، وكان يضرب بلسانه روثة أنفه من طوله، ويقول: والله لو وضعته على شَعْرٍ لحلقه، أو على صخر لفلقه، ومات في زمن معاوية. ينظر: الشعر والشعراء، ابن قتيبة، ص305. وخزانة الأدب، عبد القادر البغدادي، ج1، ص226-227.	104
أحمد بن الحسين = **أبو الطيب المتنبي**	بن حسن الجعفي الكوفي الأديب الشهير بالمتنبي، ولد سنة 303هـ، وأقام بالبادية، يقتبس اللغة والأخبار، صحب سيف الدولة الحمداني، ومدح كافور الإخشيدي، ترك ديوان شعر ضخم، وكان يقدم على أبي تمام،	110

	مات مقتولا سنة 354هـ. وفيات الأعيان، ابن خلكان، ج 1، ص 120- ص 124. سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج 16 ، ص 200-201.	
الأسود بن جندل = **الأسود بن يعفر**	بن نهشل التميمي، وهو من الشعراء المقلين وعدَّه ابن سلام في الطبقة الثانية مع خِداش ابن زهير والمخَبّل السعدي والنمر بن تولب، وكنيته أبو الجراح. خزانة الأدب، عبد القادر البغدادي، ج1، ص405-406	112
امرؤ القيس بن حجر الكندي = **امرؤ القيس**	شاعر جاهلي ويقال له الملك الظليل ولد نحو سنة 500م، وأمه فاطمة بنت ربيعة أخت كليب والمهلهل التغلبيين، يعد على رأس الطبقة الأولى للشعراء الجاهليين. ينظر: الشعر والشعراء، ابن قتيبة، ج1، ص 105. وخزانة الأدب، عبد القادر البغدادي، ج1، ص 330.	53
بجير بن غنمة الطائي = **بجير بن غنمة**	أحد بني بولان ابن عمرو بن الغوث بن طيْ أخو خالد بن غنمة الشاعر الجاهلي الطائي. ينظر: شرح أبيات مغني اللبيب، البغدادي، ج1، ص 288.	116
الجحاف بن حكيم السلمي = **الجحاف**	من شعراء العصر العباسي واختلف في مولده وصحبته للنبي -ﷺ- صاحب الوقائع المشهورة في زَمن عبد الملك بن مروان. الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ج3، ص374-376.	122
جحدر بن مالك بن حنيفة = **جحدر بن مالك**	كان فاتكا وشجاعا وقاطع طريق، عاش إلى زمن الحجاج بن يوسف الثقفي، شرح شواهد المغني، جلال الدين السيوطي،ص405.	124
جرير بن عطية = **جرير**	من بني كُلَيْب بن يَرْبُعٍ، وأمه هي أمُّ قَيْس بنت مَعْبَدْ، وعُمِّر نَيِّفاً وثَمَانِينَ سَنَةً، ومات باليمامة كان يُكنَّى بأبي حَرَزَةَ. الشعر والشعراء، ابن قتيبة الدينوري، ج1، ص 464.	178
خويلد بن خالد = **أبو ذئيب الهذلي**	شاعر فحل مخضرم و قد هلك له خمسة بنون في عام واحد أصابهم الطاعون، وهلك هو في زمن عثمان -رضي الله عنه- في طريق مصر، ودفنه ابن الزبير، وهو أشعر هذيل بلا منازع، وفد على النبي -ﷺ- في مرض موته فمات قبل قدومه بليلة، وشهد دفنه. ينظر:. وينظر كذلك: الشعر والشعراء، ابن قتيبة، ج2، ص653. خزانة الأدب، عبد القادر البغدادي، ج1، ص 422-423.	114
زهير بن ربيعة = **زهير**	وينسب إلى مُزَيْنةَ، وإنما نسبه في غطفان، من فحول شعراء الجاهلية الثلاثة	64

بن أبي سلمى	المقدمين امرؤ القيس وزهير والنابغة، ولم يدرك الإسلام، وأدركه ابناه كعب وبُجَيْر، كان جيد شعره في مدح في هرم بن سنان. الشعر والشعراء، ابن قتيبة ، ج1، ص 137 ص145. خزانة الأدب، عبد القادر البغدادي ، ج 2، ص 332-333.	
زيد الخيل بن مهلهل = **زيد الخيل**	جاهليٌّ وأدرك الإسلام، ووفد على النبي -ﷺ- في وفد طَيْء وأسلم، وسماه زَيْدَ الخَيْرِ، وقال له: "مَا وُصِفَ لِي أَحَدٌ فِي الْجَاهِلِيَةِ فَرَأَيْتُهُ فِي الْإِسْلَامِ إِلَّا رَأَيْتُهُ دُونَ الصِّفَةِ لَيْسَكَ" يريدُ غيرك، وقطع له أَرْضَيْن وكانت المدينة وَبِئَةٍ، فلما خرج من عند النبي -ﷺ- قال: "إِنْ يَنْجُ زَيْدٌ مِنْ أُمِّ مُلْدِمٍ" فلما بلغ بلده مات، أُمِّ مُلْدِمٍ: كناية عن الحمى. الشعر والشعراء، ابن قتيبة، ج1، ص286.	89
ساعد بن جؤية	وشعره محشو بالغريب والمعاني الغامضة، وليس فيه من المُلَح ما يصلح لمذاكرة، وهو شاعر مخضرم، أدرك الجاهلية والإسلام، وأسلم، وليست له صحبة،.خزانة الأدب ، عبد القادر البغدادي،ج3، ص86-87.	78
صريم بن معشر = **أفنون التغلبي**	وسمي أفنون ببيت قاله، وقال له كاهن في الجاهلية إنك تموت بثَنِيَة يقال لها إلاهةٌ، فخرج مع ركب فضلوا طريقهم في الليل، فلما أصبحوا بمكان فسألوا عنه، فقالوا: هذه إلاهةٌ، فنزلوا ولم ينزل أُفنُون، وخلى ناقته ترعى، فعلقت أفعى مشفرها، فأمالت الناقة رأسها نحو ساقه، فاحتكت بها، فنهشته الأفعى فرمى بنفسه، ومات من ساعته وقبر هناك. الشعر والشعراء، ابن قتيبة، ج1، ص419.	115
عبد الله بن عمرو = **العرجى**	وكان ينزل بمنزل قِبَل الطائف يقال له العرجى فنسب إليه، وهو أشعر بني أمية. الشعر والشعراء، ابن قتيبة، ج2، ص574.	82
عُمر بن عبد الله = **عمر ابن أبي ربيعة**	من بني مخزوم، ويكنى بيْهس، وأبو جهل بن هشام بن المغيرة ابنُ عم أبيه، وكان أبوه يلقب بحيرا مات في صدر الإسلام، وقيل أنه عاش إلى أول أيام معاوية، وهو أحد المعمرين فقد عاش ثلاثين وثلاثمائة سنة،وذكر محقق الديوان أنه توفي سنة 93هـ. معجم الشعراء، المرْزُبَاني، ص41-42. ديوان عمر بن أبي ربيعة، شرح وتحقيق عبد المنعم خفاجي ورجب عبد العزيز شرف، ص 233.	50
علقمة بن عبدة بن	شاعر جاهلي، ويفرق بينه وبين علقمة الخصي واسمه علقمة بن سهل وهو	65

ناشرة = **علقمة الفحل**	شاعر أيضا، وكلاهما من ربيعة الجوع، وإنما لقب بالفحل لأنه خلف على امرأة امرئ القيس لما حكمت له بأنه أشعر منه. ينظر: خزانة الأدب، عبد القادر البغدادي ، ج3، ص 282-283.	
عمارة بن عقيل = **عمارة**	بن بلال بن جرير بن عطيَّة، فقد كان أبوه شاعر وجده شاعر وأبو جده شاعر، وذكر ابن المعتز أنه كان أشعر أهل زمانه، كان نقي الشعر محكم الرصف جيد الوصف، قيل إنه عاش إلى زمن خلافة المتوكل، وقيل توفي سنة 239هـ. ينظر: طبقات الشُّعراء، ابن المعتز، ص316.	182
عنترة بن شداد العبسي = **عنترة**	شاعر جاهلي وهو أحد أغربة العرب وهم ثلاثة وَالثَّانِي: خفاف وَاسم أمه ندبة، وَالثَّالِث السليك بالتصْغِير وأسم أمه السلكة بِضَم فَفتح، وكان عنترة أشجع أهل زَمَانه وأجودهم بِما ملكت يده وَكَان شهد حرب داحس والغبراء وَقتل فيها ضمضما المري، وفتن بابنة عمه عبلة. ينظر: الشعر والشعراء، ابن قتيبة ، ج1، ص 250. وينظر: خزانة الأدب، عبد القادر البغدادي ، ج 1، ص 128.	63
غياث بن يغوث = **الأخطل**	التغلبي النصراني من شعراء العصر الأموي ، توفي سنة 72هـ في أواخر خلافة الوليد بن عبد الملك شرح ديوان الأخطل، إيليا سليم الحاوي، ص15-17-385.	37
غيلان بن عقبة = **ذو الرمة**	بن بُهْيْش ويكنى أبا الحارث، كان قصيرا دميما، من شعراء العصر العباسي، وأكثر شعره في التشبيب والنسيب، وسئل جرير عن شعره، فقال: أبعار غزلان ونُقَطُ عَروسٍ، توفي سنة 117هـ. ينظر: الشعر والشعراء، ابن قتيبة،ج1، ص524. خزانة الأدب، عبد القادر البغدادي، ج1، 105.	36
كثير بن عبد الرحمن = **كثير عزة**	بن أبي جمعة بن الأسود بن عامر وهو خزاعي، والكثير من المحققين على أنه قرشيٌ، من شعراء الدولة الأموية، وكنيته أبو صخر، واشتهر بكُثير عزَّة، حتى بات يعرف بها، وهي محبوبته، وغالب شعره تشبيب بها، توفي 105هـ. خزانة الأدب، عبد القادر البغدادي، ج5، ص221.	111
الكميت بن زيد بن الأخنس = **الكميت الأزدي**	شاعر أموي مقدم، عالم بلغات العرب، وأيامها، كان يعلم الصبية في مسجد الكوفة، ولد سنة ستين أيام مقتل الحسين، وكانت وفاته سنة 126 هـ في خلافة مروان بن محمد. ينظر: خزانة الأدب، عبد القادر	73

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

	البغدادي ، ج1، ص144-146.	
متمم بن نويرة التميمي = **متمم**	ويكنى أبا نَهْشَلْ، شاعر مخضرم، كان أعورا وأسلم وحسن إسلامه، واستفرغ شعره في مراثي أخيه مالك بن نويرة، الذي قتل في حروب الردة باليمامة على يد خالد بن الوليد، وتوفي نحو سنة30هـ. معجم الشعراء، مصدر سابق، ص499.	111
محمد بن أبي عيينة المهلبي = **أبو عيينة المهلبي**	وهو من ولد المهلب بن أبي صفرة، وكنيته، أبو المنهال، عاش في خلافة المأمون. طبقات الشعراء، ابن المعتز، ص288. الشعر والشعراء، ابن قتيبة، ج2، ص872.	53

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

1. **إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر:** أحمد بن محمد البنَّا، تحقيق شعبان محمد إسماعيل، ط1، عالم الكتب، بيروت، 1407هـ-1987م.
2. **الإتقان في علوم القرآن:** جلال الدين السيوطي، تحقيق مركز الدراسات القرآنية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، 1426هـ.
3. **إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري:** شهاب الدين بن محمد الشافعي القسطلاني، تحقيق محمد عبد العزيز الخالدي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 1316هـ-1996م.
4. **أساس البلاغة:** أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق محمد باسل عيون السود، ط1، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، 1419هـ-1998م.
5. **الأساليب الإنشائية في النحو العربي:** عبد السلام محمد هارون، ط5، ،1421هـ-2001م، مكتبة الخانجي، القاهرة، دت.
6. **الأساليب الإنشائية وأسرارها البلاغية في القرآن الكريم:** صباح عبيد درَّاز، ط1، مطبعة الأمانة، مصر، 1406هـ-1986م.
7. **أسباب حدوث الحروف:** الحسين بن عبد الله بن سينا، تحقيق محمد حسان الطيان ويحيى مير علم، دط، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، دت.
8. **أسباب نزول القرآن:** أبو الحسن بن أحمد الواحدي، تحقيق كمال بسيوني زغلول، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1411هـ-1991م.
9. **أسد الغابة في تمييز الصحابة:** عز الدين أبو الحسن بن علي الجزري ابن الأثير، ط1، دار ابن حزم، بيروت لبنان، 1433هـ-2012م.
10. **أسرار البلاغة:** عبد القاهر الجرجاني، تحقيق عبد الحميد هنداوي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1422هـ-2001م.
11. **أسرار الحروف:** أحمد زرقة، ط1، دار الحصاد، دمشق، 1993م.
12. **أسرار العربية:** أبو البركات ابن الأنباري، تحقيق محمد بهجت البيطار، دط، مطبوعات المجمع العلمي العربي، دمشق، دت.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

13. **أسلوب الاستفهام في القرآن الكريم–غرضه–إعرابه–**: عبد الكريم محمود يوسف، ط1، مكتبة الغزالي، دمشق، 1421هـ–2000م.
14. **الأشباه والنظائر في النحو**: جلال الدين السيوطي، تحقيق غازي مختار لطيمات، دط، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، 1407هـ–1987م.
15. **الإصابة في تمييز الصحابة**: ابن حجر العسقلاني، تحقيق عادل عبد الموجود وعلي محمد عوض، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 1415هـ–1995م.
16. **إصلاح غلط المحدثين**: أبو سليمان بن محمد بن إبراهيم الخطابي، تحقيق حاتم صالح الضامن، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1405هـ–1985م.
17. **أصول النحو العربي**: محمد خان، دط، مطبعة جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2012م.
18. **الأصول في النحو**: أبو بكر بن السراج، تحقيق عبد الحسين الفتلي، ط3، مؤسسة الرسالة ، بيروت، لبنان، 1408هـ–1988م.
19. **إعراب الحديث النبوي**: أبو البقاء بن الحسين العكبري، تحقيق عبد الإله نبهان، ط2، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، 1407هـ–1986م.
20. **إعراب القرآن الكريم وبيانه**: محي الدين الدرويش، ط7، دار ابن كثير، دمشق، 1420هـ–1999م.
21. **إعراب القرآن**: أبو جعفر بن إسماعيل النحاس، تحقيق خالد العلي، ط2، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 1429هـ–2008م.
22. **إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم**: أبو عبد الله الحسين بن أحمد ابن خالويه، دط، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان، 1975م.
23. **إعراب ما يشكل من ألفاظ الحديث النبوي**: أبو البقاء العكبري، تحقيق عبد الحميد هنداوي، ط2، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، 1427هـ–2006م.
24. **الأعلام**: خير الدين الزركلي، ط15، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 2002م.
25. **الإغراب في جدل الإعراب ولمع الأدلة**: أبو البركات ابن الأنباري، تحقيق سعيد الأفغاني، دط، مطبعة الجامعة السورية، 1377هـ–1957م.
26. **الإلمام بشرح حقيقة الاستفهام**: ابن هشام الأنصاري، تحيق عبد الفتاح سليم، دط، مكتبة الآداب، القاهرة، دت.

27. **أمالي ابن الشجري:** محمد بن حمزة الحسني العلوي، تحقيق ودراسة محمود محمد الطناحي، ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1413هـ-1992م.

28. **إنباه الرواة على أنباء النحاة:** أبو الحسن علي بن يوسف القفطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، دار الفكر العربي، القاهرة، 1406هـ-1986م.

29. **الإيضاح في شرح المفصل:** أبو عمرو عثمان بن عمر ابن الحاجب، تحقيق موسى بناي العليلي، دط، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، العراق، 1462هـ، 1982م.

30. **الإيضاح في علوم البلاغة:** الخطيب القزويني جلال الدين محمد بن عبد الرحمن، تحقيق إبراهيم شمس الدين، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1424هـ-2003م.

31. **البحر المحيط في التفسير:** محمد بن يوسف أبو حيان الأندلسي، دط، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1436هـ-2005م.

32. **البرهان في علوم القرآن:** بدر الدين الزركشي، تحقيق أبو الفضل إبراهيم،ط1، دار إحياء الكتب العربية، 1376هـ-1957م.

33. **بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح:** عبد المتعال الصعيدي، ط8، مطبعة محمد علي صبيح وأولاده بالأزهر، مصر، 1392هـ- 1973م

34. **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة:** جلال الدين السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1ن مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، 1384هـ-1965م.

35. **البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها:** حسن حبنكة الميداني، ط1، دار القلم، دمشق، 1416هـ-1996م.

36. **البلاغة الواضحة:** علي الجارم ومصطفى أمين، دط، دار المعارف، 1999م.

37. **البلاغة فنونها وأفنانها:** فضل حسن عباس، ط4، دار الفرقان للطباعة والنشر والتوزيع، اليرموك، الأردن، 1417هـ-1997م..

38. **البلاغة والتطبيق:** أحمد مطلوب وكامل حسن البصير، ط2، وزارة التعليم العلي والبحث العلمي، جمهورية العراق، 1420هـ-1999م.

39. **تاج العروس من جواهر القاموس:** محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تحقيق إبراهيم الترزي، ط1، الكويت، 1421هـ-2000م.

40. **تاريخ الاحتجاج النحوي بالحديث الشريف** –بحث وثائقي للتأصيل-: فخر الدين قباوة، ط1، دار الملتقى، حلب، سوريا، 2004م.
41. **التبيان في إعراب القرآن**: أبو البقاء العكبري، تحقيق محمد علي البجاوي، ط2، دار الجيل، بيروت، 1407هـ-1987م.
42. **تجديد النحو**: شوقي ضيف، ط6، دار المعارف، القاهرة، 2013م.
43. **التجويد المصور**: أيمن رشدي سويد، ط5، دار الغوثاني للدراسات القرآنية، دمشق، سورية، 1436هـ-2016م.
44. **تحقيق الرغبة في شرح النخبة**: عبد الكريم بن عبد الرحمن الخضير، ط1، دار المنهاج، الرياض، 1426هـ.
45. **التداولية وتحليل الخطاب**: جميل حمداوي، ط1، مكتبة المثقف، المملكة المغربية، 2015م، ص 23.
46. **تراجم الأعيان من أبناء الزمان**: الحسن بن محمد البوريني، تحقيق صلاح الدين المنجد، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق، 1959م.
47. **التعريفات**: علي بن محمد بن علي الجرجاني، تحقيق إبراهيم الأبياري، دط، دار الريان للتراث، مصر، دت.
48. **التفتزاني وآراؤه البلاغية**: ضياء الدين قالش، ط1، دار النور، سوريا، دمشق، 1431هـ-2010م.
49. **التلخيص في علوم البلاغة**: جلال الدين محمد الخطيب القزويني، ضبط وشرح عبد الرحمن البرقوقي، ط1، دار الفكر العربي، 1904م.
50. **توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية بن مالك**: الحسن بن القاسم المرادي، شرح وتحقيق عبد الرحمن علي سليمان، ط1، دار الفكر العربي، القاهرة، 1422هـ-2001م.
51. **جامع الترمذي**: أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، دط، بيت الأفكار الدولية للنشر، الرياض، دت.
52. **جامع الدروس العربية**: مصطفى الغلاييني، مراجعة وتنقيح عبد المنعم خفاجه، ط30، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، 1414هـ-1994م.

53. **الجامع لشعب الإيمان**: أبو بكر بن الحسين البيهقي، تحقيق مختار أحمد الندوي، ط1، مكتبة الرشد، المملكة العربية السعودية، 1423هـ-2003م.

54. **الجمل المحتملة للاسمية والفعلية**: محمد رزق شعير، دط، مكتبة جزيرة الورد، المنصورة، دت.

55. **الجمل في النحو**: أبو القاسم بن إسحاق الزجاجي، تحقيق علي توفيق الحمد، ط1، دار الأمل، إربد الأردن، 1404هـ-1984م.

56. **الجنى الداني في حروف المعاني**: الحسن بن قاسم المرادي، تحقيق فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1413هـ-1992م.

57. **جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع**: أحمد الهاشمي، ضبط وتدقيق يوسف الصملي، دط، المكتبة العصرية، بيروت لبنان، دت.

58. **الجواهر الحسان في تفسير القرآن**: عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف أبي زيد الثعالبي، تحقيق علي معوض وآخرون، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، 1418هـ-1997م.

59. **حاشية الشهاب المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي**: شهاب الدين الخفاجي، دط، دار صادر، بيروت، دت.

60. **حاشية الصبان شرح الأشموني على ألفية بن مالك**: أبو العرفان محمد بن علي الصبان، تحقيق طه عبد الرزاق سعد، دط، المكتبة التوفيقية، القاهرة، دت.

61. **الحديث النبوي في النحو العربي**: محمود فجال، ط2، أضواء السلف، الرياض، 1417هـ-1997م.

62. **الحديث النبوي -مصطلحه-بلاغته-كتبه-**: محمد الصباغ، ط4، المكتب الإسلامي، لبنان، 1401هـ-1981م.

63. **حكم رواية الحديث بالمعنى**: عبد العزيز أحمد الجاسم، دط، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الكويت، دت.

64. **الحوار بين الجماعات الإسلامية**: محمد سيد المسير، ط1، دار الطباعة المحمدية، القاهرة، 1418هـ-1997م.

65. **خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب**: عبد القادر بن عمر البغدادي، تحقيق عبد السلام هارون، ط4، مطبعة المدني، القاهرة مصر، 1418هـ-1998م.

66. **الخصائص**: أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق محمد علي النجار، دط، دار الكتب المصرية، دت، ج2.

67. **الخطاب الطلبي في الحديث النَّبوي الشريف–دراسة بلاغية في متن صحيح البخاري–**: هناء محمود شهاب، دار غيداء للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 1435هـ–2014م.

68. **الدر المنثور في التفسير بالمأثور**: جلال الدين السيوطي، تحقيق، عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط1، مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية، 1424هـ–2003م.

69. **دراسات في العربية وتاريخها**: محمد الخضر حسين، ط2، المكتب الإسلامي، دمشق، 1380هـ–1960م.

70. **دراسات لأسلوب القرآن**: عبد الخالق عضيمة، دط، دار الحديث، القاهرة، دت.

71. **دراسة المخارج والصفات**: جمال بن إبراهيم القرش، ط1، مكتبة طالب العلم، مصر، 1433هـ–2012م، ص130–158.

72. **دروس في البلاغة العربية –نحو رؤية جديدة–**: الأزهر الزناد، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، 1992م.

73. **الدقائق المحكمة في شرح المقدمة**: زكرياء بن محمد الأنصاري، تحقيق زكرياء توناني، ط1، دار الإمام مالك، الجزائر، 1432هـ–2011م.

74. **دلالات التراكيب دراسة بلاغية**: محمد محمد أبو موسى، ط2، مكتبة وهبة، القاهرة، 1408هـ–1987م.

75. **دلائل الإعجاز**: عبد القاهر الجرجاني، تحقيق محمود شاكر، ط5، مكتبة الخانجي، القاهرة، 2004م.

76. **ديوان العرجي**: سجيع جميل الجبيلي –جمع وتحقيق وشرح–، ط1، دار صادر، بيروت، لبنان، 1998م.

77. **ديوان الهذليين**: ط1، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1995م.

78. **ديوان امرؤ القيس**: حنا الفاخوري، ط1، دار الجيل، بيروت، 1409هـ–1989م، ص231.

79. **ديوان امرؤ القيس**: عبد الرحمن المصطاوي، ط 2، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 1425هـ–2005م.

80. **ديوان حسان بن ثابت الأنصاري**: عبده مهنا، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1414هـ-1993م.

81. **ديوان عمارة بن عقيل**: جمع وتحقيق شاكر العاشور، ط1، وزارة الإعلام، الجمهورية العراقية،1973م.

82. **ديوان عمر بن أبي ربيعة**: شرح وتحقيق عبد المنعم خفاجي وعبد العزيز شرف، دط، المكتبة الأزهرية للتراث.

83. **ديوان عنترة –تحقيق ودراسة–**: محمد سعيد مولوي، دط، المكتب الإسلامي، دت.

84. **ديوان كُثَيِّر عزة**: إحسان عباس، دط، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1391هـ-1971م.

85. **ارتشاف الضرب من كلام العرب**: أبو حيان الأندلسي، تحقيق رجب عثمان محمد ورمضان عبد التواب، ط 1، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1418هـ- 1998م.

86. **الرحيق المختوم**: صفي الرحمن المبارك فوري، دط، دار ابن خلدون، الإسكندرية، دت، ص63.

87. **الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة**: محمد بن جعفر الكتاني، ط1، مكتبة عرفة، دمشق، 1332هـ.

88. **رسالة في إعراب قوله تعالى: ﴿ أَرَأَيْتَكُمْ ﴾**: الشهاب الخفاجي، مطبوعة ضمن أربع رسائل في النحو، تحقيق عبد الفتاح سليم، دط، مكتبة الآداب، القاهرة، 1424هـ-2003م.

89. **رصف المباني في شرح حروف المعاني**: أحمد بن عبد النور المالقي، تحقيق محمد الخراط، دط، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، دت.

90. **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**: أبو الفضل شهاب الدين الآلوسي، دط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، دت.

91. **الاستفهام النحوي**: قطبي طاهر، دط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1992م.

92. **سن أبو داود**: أبو داود سليمان بن الأشعث الأزدي الساجستاني، تحقيق شعيب الأرنؤوط ومحمد كامل قره بللي، ط1، دار الرسالة العالمية، دمشق، 1430هـ-2009م.

93. **سنن النسائي بشرح السيوطي وحاشية السندي**: جلال الدين السيوطي، رقمه وصنع فهارسه عبد الفتاح أبو غُدَة، دط، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، دت.

94. **سنن النسائي**: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي، مراجعة وتعليق ناصر الدين الألباني، ط2، مكتبة المعارف للطباعة والنشر، الرياض، 1429هـ-2009م.

95. **سير أعلام النبلاء**: محمد بن عثمان شمس الدين الذهبي، تحقيق شعيب الأرنؤوط، ط3، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1305هـ-1985م.

96. **السير الحثيث إلى الاستشهاد بالحديث**: محمود فجال، دط، أضواء السلف، دت.

97. **السيرة النبوية**: أبو محمد عبد الملك بن هشام، ط2، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، 1430هـ-2009م.

98. **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**: ابن عماد الحنبلي، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط ومحمود الأرناؤوط، ط1، دار ابن كثير، دمشق، 1413هـ-1993م.

99. **شذور الذهب في كلام العرب**: ابن هشام الأنصاري، تحقيق محمد أبو الفضل عاشور، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 1422هـ-2001م.

100. **شرح ابن عقيل**: بهاء الدين عبد الله بن عقيل، ط20، دار التراث، القاهرة، 1400هـ-1980م.

101. **شرح أبيات مغني اللبيب**: عبد القادر بن عمر البغدادي، تحقيق عبد العزيز رباح وأحمد يوسف دقاق، ط2، دار المأمون للتراث، دمشق، 1407هـ- 1988م.

102. **شرح التسهيل(المسمى تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد)**: لمحب الدين بن يوسف المعروف بناظر الجيش، تحقيق علي محمد فاخر وآخرون، ط1، دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة، 1428هـ-2007م.

103. **شرح التسهيل**: بدر الدين ابن مالك، تحقيق عبد الرحمان السيد ومحمد بدوي المختون، ط1، هجر للطباعة والنشر، 1410هـ-1990م.

104. **شرح الرضي على الكافية**: رضي الدين محمد بن الحسن الأستراباذي، تحقيق يوسف حسن عمر، ط2، منشورات جامعة قار يونس، بنغازي، ليبيا، 1996م.

105. **شرح السيوطي على ألفية ابن مالك المسمى البهجة المرضية مع حاشيته التحقيقات الوفية بما في البهجة المرضية من النكات والرموز الخفية**: محمد صالح بن أحمد الغرسي، ط1، دار السلام، القاهرة، 1421هـ- 2000م.

106. **شرح المفصل:** موفق الدين بن يعيش الأندلسي، تحقيق عبد الحسين المبارك، دط، عالم الكتب، بيروت، دت.

107. **شرح الورقات في أصول الفقه:** جلال الدين المحلي الشافعي، تحقيق حسام الدين بن موسى عفانة، ط1، جامعة القدس، فلسطين، 1420هـ-1999م.

108. **شرح الورقات:** عبد الرحمن بن إبراهيم الفزاري المعروف بابن الفركاح، دراسة وتحقيق سارة شافي الهاجري، دط، دار البشائر، الكويت، الإسلامية، دت.

109. **شرح ديوان الأخطل:** إيليا سليم الحاوي، ط2، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1979م.

110. **شرح ديوان المتنبي:** عبد الرحمن البرقوقي، ط2، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1407هـ-1986م.

111. **شرح ديوان عمر بن ربيعة المخزومي:** محي الدين عبد الحميد، ط1، مطبعة السعادة، مصر، 1371هـ-1952م.

112. **شرح سنن النسائي المسمى ذخيرة العقبى في شرح المجتبى:** علي بن موسى الأيوبي الوَلَّوِي، ط1، دار آل بروم، المملكة السعودية، 1424هـ-2003م.

113. **شرح شافية ابن الحاجب –مع شرح شواهده للبغدادي–:** رضي الدين الأستراباذي، تحقيق محمد نور الحسين وآخرون، دط، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1402هـ-1982م.

114. **شرح شواهد المغني:** جلال الدين السيوطي، تعليل وتصحيح محمود التركزي الشنقيطي، دط، لجنة التراث العربي، دت.

115. **شرح قطر الندى وبل الصدى و معه سبيل الهدى بتحقيق شرح قطر الندى:** محي الدين عبد الحميد، دط، دار الطلائع للنشر، القاهرة، 2004م.

116. **شرح كتاب سيبويه:** أبو سعيد الحسن بن عبد الله المرزبان السيرافي، تحقيق أحمد علي مهدلي وعلي سيد علي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1429هـ-2008م.

117. **شرح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر:** الحافظ ابن حجر العسقلاني، أبو معاذ طارق بن عوض الله بن محمد، ط1، دار المغني للنشر والتوزيع، الرياض، 1430هـ-2009م.

118. **شروح التلخيص:** سعد الدين التفتزاني، دط، طار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دت.

119. **شعر زيد الخيل الطائي–جمع ودراسة وتحقيق–:** أحمد مختار البزرة، ط1، دار المأمول للتراث، دمشق، 1408هـ-1988م.

120. **الشعر والشعراء:** ابن قتيبة الدِّينَوْرِي، تحقيق أحمد محمد شاكر، دط، دار المعارف، القاهرة، 1982م.

121. **شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح:** جمال الدين ابن مالك الأندلسي، تحقيق طه محسن، ط2، مكتبة ابن تيمية، 1413هـ.

122. **الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها:** أبو الحسين أحمد بن فارس، تحقيق عمر فاروق الطباع، ط1، مكتبة العارف، بيروت لبنان، 1414هـ-1993م.

123. **صحيح ابن حبان:** أبو حاتم محمد بن حبان التميمي، ترتيب الأمير علاء الدين بن بلبان الفارسي، تحقيق جاد الله بن حسن الخداش، دط، بيت الأفكار الدولية، لبنان، 2004م.

124. **صحيح البخاري:** أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، ط1، دار ابن كثير، دمشق، سوريا، 1423هـ-2002م.

125. **صحيح مسلم:** أبو الحسن بن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، ترقيم فؤاد عبد الباقي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1412هـ- 1991م.

126. **طبقات الحُضَيْكِي:** محمد بن أحمد الحُضَيْكي، دراسة وتحقيق أحمد بومزكو، ط1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1427هـ-2006م.

127. **طبقات الشعراء:** ابن المعتز، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، ط3، دار المعارف، مصر، 1976م.

128. **طبقات النحويين واللغويين:** أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، دار المعارف، القاهرة، 1984م.

129. **الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز:** يحي بن حمزة العلوي، مطبعة المقتطف، مصر، 1332هـ-1914م.

130. **الطرق والأساليب والاستراتيجيات التدريسية في مواد التربية الإسلامية:** صالح بن إبراهيم المقاطي،دط، دت.

131. **ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي:** طاهر سليمان حمودة، دط، الدار الجامعية للطباعة والنشر، الإسكندرية، 1998م.

132. **عقود الزَّبَرْجَدْ في إعراب الحديث النبوي:** جلال الدين السيوطي، تحقيق سلمان القضاة، دط، دار الجيل، بيروت، 1414هـ-1994م.

133. **علم الأصوات**: كمال بشر، دط، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، 2000م.

134. **علم الدلالة**: أحمد مختار عمر، ، ط7، عالم الكتب، القاهرة، مصر، 2006م.

135. **علم المعاني**: عبد العزيز عتيق، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1430هـ-2009م.

136. العمدة في محاسن الشعر وآدابه، أبو علي الحسين بن رشيق القيرواني، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دط، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2001م.

137. **عون المعبود على شرح سنن أبي داود**: أبو عبد الرحمن شرف الحق العظيم أبادي، مراجعة وتدقيق محمد ناصر الدين الألباني، ط1، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، 1426هـ-2005م.

138. **غاية النهاية في طبقات القراء**: شمس الدين محمد ابن الجزري، تحقيق برجستراسر، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1426هـ-2006م.

139. **غريب الحديث**: أبو سليمان بن محمد بن إبراهيم الخطابي، تحقيق عبد الكريم إبراهيم العزباوي، ط2، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1422هـ-2001م.

140. **غريب الحديث**: أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي، تحقيق حسن محمد شرف وعبد السلام محمد هارون، دط، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، مصرن 1424هـ-1984م.

141. **الفائق في غريب الحديث**: محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دط، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1414هـ-1993.

142. **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**: ابن حجر العسقلاني، تحقيق عبد العزيز بن باز وأخرون، دط، المكتبة السلفية، المملكة العربية السعودية، دت.

143. **فتح الباري شرح صحيح البخاري**: أبو الفرج ابن رجب الحنبلي، تحقيق محمود بن شعبان بن عبد المقصود وآخرون، ط1، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية ، 1417هـ-1996م.

144. **فتح الكبير المتعال إعراب المعلقات العشر الطوال**: محمد علي طه الدرة، ط2، مكتبة السوادي للتوزيع، جدَّة، 1409هـ- 1989م.

145. **فتح المنعم شرح صحيح مسلم**: موسى شاهين لاشين، ط1، مطابع الشروق، القاهرة، 1423هـ-2002م.

146. **الفتوحات الربانية على الأذكار النووية**: علي بن محمد علّان البكري الصدّيقي، تحقيق عبد المنعم خليل إبراهيم، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1424هـ- 2004م.

147. **الفروق اللغوية**: أبو هلال العسكري، تحقيق محمد إبراهيم سليم، دط، دار العلم والثقافة، القاهرة، 1998م.

148. **الفصل للوصل المدرج في النقل**: أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، دراسة وتحقيق عبد السميع محمد الأنيس، ط1، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، 1418هـ-1997م.

149. **فقه اللغة في الكتب العربية**: عبده الراجحي، دط، جار النهضة العربية، بيروت، 1972م.

150. **فقه اللغة وسر العربية**: أبو منصور الثعالبي، تحقيق ياسين الأيوبي، ط2، المكتبة العصرية، صيدا، لبنان، 1420هـ-2000م.

151. **الفهرست**: محمد بن إسحاق النديم، تحقيق إبراهيم رمضان، ط2، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 1417هـ- 1997م.

152. **في أصول النحو**: سعيد الأفغاني، دط، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية، 1414هـ-1994م.

153. **في النحو العربي نقد وتوجيه**: مهدي المخزومي، ط2، دار الرائد، بيروت، لبنان، 1406هـ-1986م.

154. **الاقتراح في علم أصول النحو**: جلال الدين السيوطي، قراءة وتعليق محمود سليمان ياقوت، دط، دار المعرفة الجامعية، 1426هـ-2006م.

155. **الاقتصاد اللغوي في صياغة المفردة**: فخر الدين قباوة، ط1، دار نوبار للطباعة، القاهرة، 2001م.

156. **قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث**: محمد جمال الدين القاسمي، تحقيق مصطفى الشيخ مصطفى، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1425هـ-2004م.

157. **الكامل في التاريخ**: عز الدين أبو الحسن علي ابن الأثير، دط، دار الكتاب العربي، 1417هـ- 1997م.

158. **الكامل**: أبو العباس بن يزيد المبرد، تحقيق محمد أحمد الدالي، ط3، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1417هـ-1997م.

159. **كتاب الأزهية في علم الحروف**: علي بن محمد الهروي، تحقيق عبد المعين الملوحي، ط2، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، 1413هـ-1993م.

160. **كتاب المنهاج في ترتيب الحجاج**: أبو الوليد الباجي، تحقيق عبد المجيد التركي، ط3، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 2000م.

161. **الكتاب**: أبو بِشْر عثمان بن قنبر، تحقيق عبد السلام هارون، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1402هـ-1982م.

162. **الكَشَّاف عن غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التنزيل**: أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، ط1، مكتبة العبيكان، الرياض، 1418هـ-1998م.

163. **كفاية المعاني في حروف المعاني**: عبد الله الكردي البيْتُوشِي، شرح وتحقيق شفيع برهاني، ط1، دار اقرأ للطباعة والنشر، دمشق، سوريا، 1426هـ-2005م.

164. **الكفاية في معرفة أصول الرواية**: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت المعروف بالخطيب البغدادي، تحقيق إبراهيم بن مصطفى آل بحبح الدمياطي، ط1، دار الهداية، القاهرة، 1423هـ-2003م.

165. **الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية**: أبو لبقاء أيوب بن موسى الحسين الكفوي، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1419هـ - 1998م.

166. **اللباب في علل البناء وقواعد الإعراب**: أبوا البقاء عبد الله بن الحسين العكبري، تحقيق غازي مختار لطيمات، ط1، دار الفكر، دمشق، 1416هـ.

167. **لسان العرب**: جمال الدين ابن منظور، تحقيق عبد الله الكبير وآخرون، دط، دار المعارف، القاهرة، دت.

168. **اللغة العربية معناها ومبناها**: تمام حسان، دط، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، 1994م.

169. **متن الورقات**: إمام الحرمين الجويني، ط1، دار الصميعي، المملكة العربية السعودية، 1416هـ-1996م.

170. **مجاز القرآن**: أبو عبيدة معمر بن المثنى، تحقيق فؤاد سيزكين، دط، مكتبة الخانجي، القاهرة، دت.

171. **المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها**: أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق علي النجدي ناصف و عبد الفتاح شلبي، دط، لجنة إحياء التراث العالمي، القاهرة، 1389هـ-1969م.

172. **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**: ابن عطية الأندلسي، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1422هـ-2001م.

173. **المحكم والمحيط الأعظم**: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده الأندلسي، تحقيق عبد الحميد هنداوي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1421هـ-2000م.

174. **المختار من صحاح اللغة**: أبو بكر بن عبد القادر الرازي، دط، مكتبة لبنان، بيروت، 1986م

175. **مختصر المعاني في البلاغة**: سعد الدين التفتزاني، تحقيق خليل إبراهيم خليل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1437هـ- 2016م.

176. **المدخل إلى علم أصوات العربية**، غانم قدوري الحمد، ط1، دار عمار، عمان، الأردن، 1425هـ-2004م.

177. **مراتب النحويين**: عبد الواحد بن علي أبو الطيب اللغوي، تحقيق أبي الفضل إبراهيم، ط2، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، 1430هـ-2009م.

178. **مسألة احتجاج النحاة بالحديث الشريف في مناهج المحدثين** –الشاعر والحديثي وقباوة نموذجا-: خلود العموش، قسم اللغة العربية وآدابها، الجامعة الهاشمية، دت.

179. **مسند الإمام أحمد**: أحمد بن حنبل، تحقيق مجموعة من علماء الحديث في مكتبة دار السلام، ط1، مكتبة دار السلام، المملكة العربية السعودية، 1434هـ-2013م.

180. **المصباح في المعاني والبيان والبديع**: بدر الدين بن مالك المعروف بابن الناظم، تحقيق حسني عبد الجليل يوسف، ط1، مكتبة الآداب وطبعتها بالجماميز، 1409هـ-1989م.

181. **معاني القرآن**: أبو زكريا يحي بن زياد الفراء، ط3، عالم الكتب، بيروت، لبنان، 1403هـ-1983م.

182. **معاني النحو**: فاضل صالح السامرائي، دار الفكر للطباعة والنشر، ط1، 1420هـ-2000م

183. **معجم الشعراء**: أبو عبيد الله المَرْزُبَاني، تحقيق فاروق سليم، ط1، دار صادر، بيروت لبنان، 1425هـ-2005م.

184. **المعجم المفصل في شواهد اللغة العربية**: إميل بديع يعقوب، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1417هـ-1996م.

185. **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**: ابن هشام الأنصاري، تحقيق بركات يوسف هبود، ط1، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، لبنان، 1419هـ-1999م.

186. **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**: ابن هشام الأنصاري، تحقيق تحقيق: عبد اللطيف محمد الخطيب، دط، المجلس الوطني للثقافة والآداب والفنون، الكويت، 1421هـ-2000م.

187. **مفتاح العلوم**: سراج الدين بن محمد بن علي السكاكي، تحقيق نعيم زرزور، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1407هـ-1987م.

188. **مقاييس اللغة**: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء، تحقيق عبد السلام هارون، دط، دار الفكر، 1399هـ-1979م.

189. **المقتصد في شرح الإيضاح**: عبد القاهر الجرجاني، تحقيق كاظم بحر المرجان، دط، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، العراق، 1982م.

190. **المقتضب**: أبو العباس محمد بن يزيد، تحقيق عبد الخالق عظيمة، ط3، مطبعة الأهرام التجارية، قليوب، مصر، 1415هـ-1994م

191. **مقدمة في علم المنطق**: نايف بن نهار، ط2، مؤسسة وعي للدراسات والأبحاث، قطر، 2016م.

192. **المقدمة**: عبد الرحمن بن خلدون، ط3، دار الكتاب اللبناني، 1368هـ-1967م.

193. **من بلاغة النظم العربي** –دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني: عبد العزيز عبد المعطي عرفة، ط2، عالم الكتب، بيروت، لبنان، 1405هـ-1984م.

194. **المنتقى شرح موطأ الإمام مالك**: أبو الوليد الباجي، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1331هـ.

195. **منحة الملك الوهاب بشرح ملحة الإعراب**: عبد الملك بن دعسين القرشي الأموي، تحقيق عبد اللطيف محمد داود، دط، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دت.

196. **منظومة المفيد في علم التجويد:** شهاب الدين أحمد بن إبراهيم الطَّيِّبِي، تحقيق أيمن رشدي سويد، ط2، مكتبة التوعية الإسلامية للتحقيق والنشر، مصر، 1421هـ-2001.

197. **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج:** محي الدين يحي بن شرف النووي، ط1، المطبعة المصرية بالأزهر، مصر، 1347هـ-1929م.

198. **الموطأ:** مالك بن أنس، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 140-هـ-1985م.

199. **النحو الوافي،** عباس حسن، ط3، دار المعارف، مصر، دت.

200. **النشر في القراءات العشر،** محمد بن محمد الدمشقي ابن الجزري، تحقيق علي محمد الضباع، دط، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دت.

201. **النهاية في غريب الحديث والأثر،** مجد الدين أو السعادات بن محمد الجزري ابن الأثير، تحقيق طاهر محمد الزاوي ومحمود محمد الطباجي، دط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، دت.

202. **هَمْعُ الهَوامعِ في شرح جمع الجوامع،** جلال الدين السيوطي، تحقيق عبد العال سالم مكرم، دط، دار البحوث العلمية ، الكويت، 1399هـ-1979م.

203. **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان:** أبو العباس شمس الدين بن أبو بكر بن خليكان، تحقيق إحسان عباس، دط، دار صادر، بيروت، 1398هـ-1978م.

قائمة الرسائل والأطاريح الجامعية:

1. **أساليب الحجاج في القرآن الكريم من خلال سورة الإسراء إلى سورة يس- دراسة تحليلية-:** آمنة عوض الكريم محمد، إشراف سيف النصر عبد الله الكباش، رسالة ماجستير، كلية أصول الدين، جامعة أم درمان، 1433هـ-2012م.

2. **الأساليب الطلبية وآداءاتها الإبلاغية في الحديث النبوي الشريف -مقاربة تداولية-:** الجمعي حميدات، إشراف د/ محمد بوادي، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب واللغات، جامعة محمد لامين دباغين، سطيف، الجزائر، 2014م-2015م.

3. **أسلوب الاستفهام في الأحاديث النبوية في رياض الصالحين -دراسة نحوية بلاغية تداولية-:** ناغش عيدة، إشراف د/ بوجمعة شتوان، رسالة ماجستير، كلية الآداب واللغات، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر، 2012م.

4. **أسلوب النداء في الحديث النبوي الشريف من خلال صحيح البخاري–دراسة معيارية–:** حياة بن ناجي، إشراف د/صالح بلعيد، رسالة ماجستير، كلية الآداب واللغات، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر.

5. **أساليب المعاني في موطأ الإمام مالك –دراسة بلاغية تحليلية–،** هادية رحمة الله أحمد العبيد، إشراف أد/ محمد الحسن علي الأمين، رسالة دكتوراه، كلية اللغة العربية، جامعة أم درمان، 1433هـ-2012م

6. **الحوار في الحديث النبوي الشريف–دراسة تحليلية بلاغية لأحاديث مختارة–:** علوة بنت عابد عبد الله الحساني، إشراف أ/د عبد الموجود متولي بهنسي، رسالة ماجستير، قسم اللغة العربية، جامعة أم القرى، 1429هـ-1430هـ.

7. **شواهد ابن مالك من الحديث النبوي الشريف في كتاب شرح التسهيل –تخريج ودراسة–** محمد كمال درويش، إشراف ياسر أحمد الشمالي، رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، 2007م.

قائمة المجلات والدوريات:

1. **أسماء الاستفهام في صحيح البخاري–دراسة نحوية–:** أحمد إبراهيم الجدية، مجلة الجامعة الإسلامية للبحوث الإنسانية، مج20، العدد الأول، يناير 2012م.

2. **التأويل النحوي في الحديث الشريف:** فلاح إبراهيم الفهدي، إشراف د طه حسن العاني، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة بغداد، 1427هـ-2006م.

3. **تجاهل العارف –قراءة تداولية–:** أسماء سعود أدهام، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، جامعة بابل، العدد 23، 2015م.

4. **حجية الحديث الشريف في الدرس النحوي بين القدامى والمعاصرين:** أبو بكر زروقي، قسم اللغة العربية، مجلة المخبر، جامعة محمد خيضر، بسكرة، العدد الخامس، مارس2009م.

5. **دور التنغيم في تحديد معنى الجملة العربية:** سامي عوض، مجلة جامعة تشرين للدراسات و البحوث العلمية، سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد 28، العدد 1، السنة 2006م.

6. **الكفاية اللغوية مفهوما ومعيارا وقياسا:** محمود السيد، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، 1437هـ-2016م ، المجلد 89، الجزء4.

7. **المصطلح البلاغي عند العلوي بين الإبداع والشمول والإشكال:** علي حسين حمادي التميمي، مجلة كلية الآداب، العدد 98، دت.

8. **موقف أبي إسحاق الشاطبي من الاحتجاج بالحديث الشريف على القواعد النحوية والصرفية:** أحمد نزال غازي الشمري، مجلة كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، إصدار خاص، 2014م.

9. **همزة الاستفهام وتداعيات الرؤية مقاربة في السياق القرآني:** سالم علي بيدق، المجلة الجامعة، كلية الآداب جامعة السابع من أبريل، العدد 8، 2006م.

10. **همزة الاستفهام وخصائصها:** ستار فليح حسين، مجلة الفتح، المديرية العامة للتربية، ديالى، العدد 24، 2005م.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
شكر وتقدير.....	أ
مقدمة	ب- ح
تمهيـــــد	27 -9
أولا: تعريف الاستفهام	10
ثانيا: تعريف الهمـز	11
ثالثا: تعريف الحديث النبوي الشريف.....	15
رابعا: مصدرية الحديث النَّبوي الشريف في الدرس اللغوي عند القدماء والمحدثين....	18
الفصل الأول: أسلوب الاستفهام بالهمزة من المنظور اللغوي	74-28
المبحث الأول: أسلوب الاستفهام من المنظور النحوي	40-29
أولا: موقع الاستفهام من مباحث النحو	29
ثانيا: أدوات الاستفهام بين التصور والتصديق	32
ثالثا: التركيبة النحوية للاستفهام بالهمزة في النص القرآن الكريم	34
المبحث الثاني: أسلوب الاستفهام من المنظور البلاغي	61-41
أولا: ماهية الاستفهام في الدرس البلاغي بين القدامى والمحدثين	41
ثانيا: موقع أسلوب الاستفهام من مباحث علم البلاغة	50
ثالثا: أسلوب الاستفهام وعلاقته بالحذف والاقتصاد اللغوي	57
المبحث الثالث: الوظائف الدلالية لأسلوب الاستفهام بالهمزة.....	75-62
أولا: التنوع الوظيفي للهمزة	61
ثانيا: موقع أسلوب الاستفهام في الوظيفة الأدائية للكلام	67
ثالثا: فائدة أسلوب الاستفهام في تحقيق التواصلية	69
رابعا: نظرية السياق وأثرها في فهم أسلوب الاستفهام	70
خامسا: الهدف من تخصيص أدوات الاستفهام	74
الفصل الثاني: الخصائص النحوية لأسلوب الاستفهام بالهمز في الحديث الشريف	127-75

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول: أدوات الاستفهام وتطبيقاتها في الأحاديث النبوية	86-76
أولا: حروف الاستفهام.....	76
ثانيا: أسماء الاستفهام	78
ثالثا: جدول لأهم أعاريب أدوات الاستفهام	83
المبحث الثاني: أحوال الهمزة في تركيبة الاستفهام في الحديث النبوي الشريف	117-87
أولا: تمام التصدر	87
ثانيا: دخولها على الاسم والفعل.....	89
ثالثا: أحوال الهمزة مع الحروف	96
رابعا: الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله	106
خامسا: حذف همزة الاستفهام وعلاقتها بأم المتصلة	108
المبحث الثالث: حروف الجواب والتصديق في الحديث النبوي الشريف	127-118
أولا: الجواب بعد الاستفهام المثبت	119
ثانيا: الجواب بعد الاستفهام المنفي	121
ثالثا: حذف حرف الجواب	126
الفصل الثالث:الخصائص البلاغية للاستفهام بالهمزة في الحديث النبوي الشريف	201-128
المبحث الأول: الخصائص الأسلوبية للاستفهام بالهمزة في الحديث النبوي الشريف ..	170-129
أولا: التعدد الوظيفي للهمزة في الحديث الشريف	129
ثانيا: المرونة الدلالية لأسلوب الاستفهام بالهمزة	148
ثالثا: السياق والدلالة الأساسية للاستفهام بالهمزة	155
المبحث الثاني: الخصائص البلاغية للاستفهام بالهمزة في الحديث الشريف	201-171
أولا: الاستفهام الحقيقي	171
ثانيا: الاستفهام المجازي	174
ثالثا: الأغراض الأصيلة للاستفهام بالهمزة في الحديث الشريف	177
رابعا: الأغراض الثواني للاستفهام بالهمزة في الحديث الشريف	187
خامسا: الأغراض البلاغية لحذف همزة الاستفهام	196
الخاتمة	206-202

الفهارس الفنية	257-207
فهرس الآيات	211-208
فهرس الأحاديث	216-212
فهرس الأشعار	219-217
فهرس تراجم الأعلام	239-220
قائمة المصادر والمراجع	257-240
فهرس الموضوعات	261-258
ملخصات البحث	268-262

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ملخصات البحث

- ملخص باللغة العربية
- ملخص باللغة الإنجليزية
- ملخص باللغة الفِرنسية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ملخص باللغة العربية:

عنوان البحث: الاسْتِفْهَامُ بِالْهَمْزَةِ فِي الْحَدِيثِ النَّبَوِيِّ الشَّرِيفِ –دِرَاسَةٌ نَحْوِيَةٌ بَلَاغِيَةٌ–

يتطرق البحث إلى أسلوب الاستفهام بالهمزة في الحديث النبوي–ﷺ–، بدارسة خصائصه النحوية والبلاغية، وقد اشتمل على مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول، عرضنا في المقدمة لمحتوى البحث، بالتعريف به، والإشكال الذي يهدف لمعالجته، يعقبه فصل تمهيدي كان الغرض منه ضبط مفاهيم عنوان البحث ويليه ثلاثة فصول وخاتمة موجزة كالآتي:

الفصل الأول: أفردناه لدراسة أسلوب الاستفهام بالهمزة بين المنظور النحوي والبلاغي والدلالي، وعناية العلماء به قديما وحديثا.

الفصل الثاني: خصص هذا الفصل للتطبيق، باختيار عينات من الأحاديث النبوية، ومحاولة تحليلها من الناحية النحوية، فكان الحديث فيه عن أدوات الاستفهام وتطبيقاتها في الأحاديث النبوية، كما تطرقنا فيه إلى أحوال الهمزة في تركيبة الاستفهام في الحديث النبوي الشريف وتطفلها على عناصره، كما عالجنا قضية حذف همزة الاستفهام وعلاقتها بأم المتصلة، وحروف الجواب.

الفصل الثالث: خصص للجانب التطبيقي أيضا، فاقتضت طبيعة المادة أن يقسم إلى مبحثين، فالمبحث الأول للحديث عن الخصائص الأسلوبية للاستفهام بالهمزة في الحديث الشريف، أما المبحث الثاني تطرقنا فيه إلى الجانب البلاغي ودوران الاستفهام بالهمزة في الحديث الشريف بين الحقيقة والمجاز والأغراض التي يخرج إليها.

الخاتمة: لخصنا فيها مضمون البحث، مع بيان أهم النتائج التي توصل إليها البحث، ومن أبرزها ما يأتي:

1. همزة الاستفهام من الحروف العربية الأكثر استخداما ومكانتها في الاستفهام والدرس اللغوي.
2. اعتماد أسلوب الاستفهام بالهمزة على بنية تركيبية تخالف الأساليب الإنشائية الأخرى، كما تربطه علاقة وطيدة بمباحث علمي النحو والبلاغة العربية.
3. يعتمد أسلوب الاستفهام في الحديث الشريف على طريقة إلقائية متميزة، يعتمد على نغمة تترجم الحالة النفسية للمستفهم والغرض الذي يريد إيصاله للمتلقي، مما يخرج به من الحقيقة إلى المجاز.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

4. عدم خروج الحديث النبوي الشريف عن معهود العرب في كلامها، ما جعله يشتمل على جميع أدوات الاستفهام دون استثناء.

5. اعتماد أسلوب الاستفهام في الحديث الشريف على عوامل كثيرة، حيث لا يمكن عزل تركيب الاستفهام عن سياق وروده.

6. الحديث الشريف رافد مهم من روافد اللغة العربية، لقي عناية كبيرة عند المتأخرين من علماء اللغة، وهذا ما يكشف عنه ميدان البحث العلمي.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ملخص باللغة الإنجليزية:

Title of the research: The interrogation using "El-Hamza" in the Prophet's Hadith (PBUH) - Grammatical Rhetoric Study-

This study deals with the interrogation style in the Prophet's Hadith (PBUH), by studying its grammatical and rhetorical properties. It includes an introduction, a preamble, and three chapters.

We presented in the introduction the content of the research, its definition and the problem which aims to solve, followed by a preamble to clarify the concepts in relation to the title of the research.

Chapter I: We affect it to study the style of interrogation by "El-Hamza" between the grammatical and rhetorical perspective, and the care of the scholars in ancient and modern times.

Chapter II: This chapter was devoted to the application, by selecting samples of the Prophet's Hadiths, and trying to analyze them from the grammatical point of view. The talk was about the tools of the interrogation and its applications in the hadiths of the Prophet (PBUH). We also discussed the conditions of "El-Hamza" in the interrogation structure in the Prophet's Hadith (PBUH), The issue of deleting "El-Hamza" of interrogation and its relation to « Amm » connected to it, and the letters of replying.

Chapter III: was devoted also to the applied side. The nature of the article imposed to divide into two sections. The first is to talk about the stylistic characteristics of the interrogation in the Hadith. The second section deals with the rhetorical aspect and the question of the interrogation in the Hadith between the truth and the metaphor and its purposes.

Conclusion: We summarized the content of the research, with the most important results reached by the researcher, the most prominent of which are the following:

1. "El-Hamza" of interrogation is among the most frequently used Arabic letters, and its position is important in the interrogation in the languistic lesson.
2. The style of the interrogation by "El-Hamza" is based on a structure of synthesis which is different from the other structural styles. It also has a close relations with the issues of grammar science and Arabic rhetoric.
3. The style of interrogation in the Hadith is based on a distinct method of declamation, based on a tone that conveys the psychological state of the questioner and the purpose he wishes to convey to the receiver, which brings the truth to the metaphor.
4. The Hadith of the prophet did not differ from the common style of Arabic discourse, it included all the tools of interrogation without exception.

5. The style of interrogation in the hadith is based on many factors. It is not possible to isolate the interrogation structure from the context of its appearance.
6. The Hadith is an important tributary of the Arabic language, of which the last linguists have paid much attention to this subject, which is revealed in the field of scientific research.
Keywords: The interrogation- El-Hamza - Prophet's Hadith – grammar - rhetoric

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ملخص باللغة الفرنسية:

Titre de la recherche: L'interrogation par "El-Hamza" dans le Hadith du prophète - Etude Grammaticale Rhétorique -

La présente recherche traite le style de l'interrogation par "El-Hamza" dans le Hadith du prophète (QSSL), en étudiant ses propriétés grammaticales et rhétoriques. Elle comprend une introduction, un préambule, et trois chapitres :

Nous avons présenté dans l'introduction le contenu de la recherche, sa définition, et la problématique à traiter.

Ensuite un Préambule consistant à éclaircir les concepts en relation avec le titre de la recherche.

Chapitre I: Nous l'avons affecté à étudier le style de l'interrogation par "El-Hamza" entre la perspective grammaticale et rhétorique et le soin des érudits des temps anciens et modernes.

Chapitre II: Ce chapitre est consacré à l'application, en sélectionnant des échantillons des hadiths du prophète et en essayant de les analyser du point de vue grammatical. L'analyse portait sur les outils de l''interrogation et ses applications dans les hadiths du Prophète (QSSL). Nous avons également discuté les conditions d' "El-Hamza" dans la structure de l'interrogation dans le hadith du prophète (QSSL), aussi nous avons traité La question de la suppression d' "El-Hamza" de l''interrogation et de sa relation avec « Amm » connectée à elle, ainsi que les lettres de la réponse.

Chapitre III: il est également consacré au côté pratique. La nature de l'article a imposé de le divisée en deux sections : La première est consacrée à discuter les caractéristiques stylistiques de l''interrogation dans le hadith. La deuxième est consacrée à traiter l'aspect rhétorique et la question de l''interrogation dans le Hadith entre la vérité et la métaphore et ses objectifs.

Conclusion: nous avons résumé le contenu de la recherche, en énumérant les résultats les plus importants atteints par le chercheur, dont les plus prédominants sont les suivants:

1. "El-Hamza" de l'interrogation est parmi les lettres arabes les plus fréquemment utilisées, et sa position dans l'interrogation est importante dans la leçon linguistique.

2. le style de l'interrogation par "El-Hamza" est basé sur une structure de synthèse qui est différente aux autres styles structurels. Il a également des

relations étroites avec les questions de la science de la grammaire et la rhétorique arabe.

3. le style de l'interrogation dans le hadith est basé sur une méthode de déclamation distincte, reposant sur un ton qui traduit l'état psychologique de questionneur et le but qu'il souhaite transmettre au destinataire, qui apporte la vérité à la métaphore.

4. Le hadith du prophète ne sort pas de style commun de discours arabe, cela incluait tous les outils de l'interrogation sans exception.

5. le style de l'interrogation dans le hadith est basé sur de nombreux facteurs. Il n'est pas possible d'isoler la structure de l'interrogation du contexte de son apparition.

6. Le hadith est un important tributaire de la langue arabe dont les derniers linguistes ont accordé une grande attention à ce sujet, ce qu'est révélé dans le domaine de la recherche scientifique.

Les mots clé : l'interrogation-El-Hamza-Le hadith-la grammaire-la rhétorique -

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

Peoples Democratic Republic of Algeria

Minister of Higher Education and Scientific Research

Emir Abdelkader University –Constantine-

Faculty of Literatures and Islamic Civilization

Department of Arabic Langage

Serial number: ……

Enrolment number: ……....

The Questioning Using "Hamzah" In the Prophet's Hadith

- the study of grammatical rhetoric-

A Thesis for Obtaining the Degree of LMD Doctorate

Section: Humanity Sciences and Social Option: Arabic Langage and Quranic Studies

Prepared by:

Moussa Hammoudi

Surprevision of:

Ph D. Abdelwaheb Chibani

Full Name	*Original University*	*Degree*	*Quality*
Rabeh Doub	*Emir Abdelkader University - Constantine-*	*Ph d*	*Committee Head*
Abdelwaheb Chibani	*Mentouri Brouthers University -Constantine-*	*Ph d*	*Supervisor*
Dhebia Bourouice	*Emir Abdelkader University - Constantine-*	*Ph d*	*Member*
Abdennacer Bentannache	*Emir Abdelkader University - Constantine-*	*Ph d*	*Member*
Rachid Felkaoui	*The Superior Normal School Asia Djabbar - Constantine-*	*Dr*	*Member*
Aissa Moumeni	*Mentouri Brouthers University -Constantine-*	*Dr*	*Member*

Academic Year: 1441–1442 H/ 2020–2021 AD